العدد ٨٥ - ربيع الأول ١٤٠٣هـ - يناير ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تعنى بالابداع العربي والثقافة الانسانية

مفتاح شخصية الرسول

بقلم: خالد محمد خالد

١٨ عالماً عربياً على سطح القمر

شاعر أسباني يتغنى بأصله العربي



وجوه بيكار الخمسة



بيبسى

إجعَل نهارك عيد مَع

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨٥ - ربيع الأول ١٤٠٣هـ - يناير ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
القسم التجاري : ٣٢٧٥٣٩
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون الخليجي ٥٤ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
في باقي دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطري
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

مندوبو مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الأهرام
شارع ٢٦ يوليو - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى طرق ... زنقة ديبان وزنقة سان سافس .
ص . ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 6 68 68 683
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه ... - اتجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب : ٤٩٠٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للتوزيع والاعلان
شارع ... - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة ... التونسية للصحافة .
٣ نهج ... المغرب
ص . ب : ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROCCO
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة ... الجريس للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة جدة ... :
ص . ب : ٩٥٠ - جدة
مكتبة ومطبعة ...
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت ... للصحافة .
ص . ب ... ٢٣٩١٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا :
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازي : ص . ب : ٣٢١ - بنغازي

● الاردن :
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الهدى :
١ شارع المعارف - بناية الدرازي
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب : ٧٣٩٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المكلا الأول
عدن .

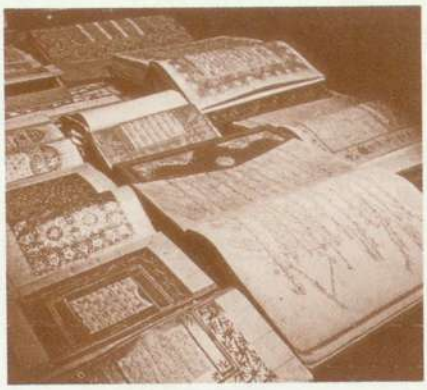
● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبي .

- جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
- الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
- المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبع من هذا العدد ١٠٠,٠٠٠ نسخة .

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــــذا العـــــدد



المصحف الشريف ص ٥٢



متحف قطر الوطني سنة ٢٠٠٠ ص ٦٨



١٨ عالماً عربياً فوق وسطح القمر ص ٨٤

● دراسات ومقالات ●

● الحقيقة ليست « حرملك » .....
عبد الله الجفري ١٦

● اسحاق نافون : رئيس وزراء محتمل لتاخير الانفجار الطائفي في اسرائيل .....
عصام شريح ٢٦

● علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني .....
د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ٣٠

● على يوسف : عمامة عظيمة على راس فلاح .....
فتحي رضوان ٣٦

● هولندا : بلاد الماس والزهور والصراع بين البحر والارادة
استطلاع : نادية رزق ٧٢

● التعرية الطبيعية .....
د. عبد المحسن صالح ٧٨

● إنهم يغتالون الانسان .....
معروف رفيق ٨٣

● ١٨ عالماً عربياً فوق سطح القمر .....
حوار : ليلى الحريري ٨٤

● حدائق الأطفال .....
د. عز الدين فراج ٩٨

● يناير كان ثلاثين يوماً .....
عادل شريف ١٠٦

● موسوليني والحركة الفاشية .....
محمد العزب موسى ١١٦

● وثيقة تاريخية بالغة الاهمية : اول لجنة امريكية في فلسطين .....
د. عاصم الدسوقي ١٣٢

● ايها الوطن : ماتزال عذباً كالحزن .....
بشرى ناصر ١٧٨

● اسلاميات ●

● مفتاح شخصية الرسول .....
خالد محمد خالد ٦

● تحرير المراة ماذا يعني في الاسلام ؟ .....
د. محمد عمارة ٩

● يهوذا بني هاشم .....
حسين احمد امين ٢٢

● دائرة المعارف القرانية : « الغنيمة » .....
د. محمد البهي ٥١

● المصحف الشريف .....
د. حسن عيسى عبد الظاهر ٥٢

● شئون الخليج ●

● أسطورة التاريخ البترولي : الأرمني الداهية .....
احمد العناني ١٨

● متحف قطر سنة ٢٠٠٠ .....
درويش مصطفى الفار ٦٨

● حول اجتماعات لجنة التربية والثقافة الموسيقية في الدوحة .....
مريم آل سعد ١٤٨

● أدب وفنون ●

● جناحان للعمل الأدبي العظيم لايحلق بدونهما .....
د. محمد جابر الأنصاري ١٢

● شهيد – سميرة .....
شعر : د. كمال نشات ٢١

● أخطاء لغوية معاصرة .....
د. عبد الله العبادي ٣٥

● نهر بلا عودة ... (قصيدة) .....
شعر : محيي الدين فارس ٤١

● جاربو : في عينيها قرأ المحبون أحلامهم .....
جمال الكناني ٤٢

● صفحة مجهولة فى أدبنا المعاصر : أحمد شوقي كاتباً روائياً .....
محمود علي ٤٨

● الحصان ... (قصة) .....
عباس خضر ٥٨

● مع الأقنعة الزنجية الأفريقية : رحلة فى الفن والتاريخ ...
بلند الحيدري ٦٠

● الرقص .. فوق بحار الدم ... (قصة) .....
د. طه وادي ٩٠

● مسرحية إيفيتا الغنائية وخمس سنوات على مسرح لندن...
مجدي نصيف ٩٢

● وجوه بيكار الخمسة .....
صبحي الشاروني ١٠٠

● مبتافيزيقا البنفسج ... (قصيدة) .....
شعر : حسن طلب ١١٠

● درب الطحان ... (قصة) .....
وليد عياد ١١٤

● مذكرات دنانير .....
كمال النجمي ١٢٦

● أدبيات عالمية : سلمى لاجرلوف .....
سماء زكي المحاسني ١٢٩

● الشمس فى يوم غائم ... (عرض نقدي) .....
محمد عبد الملك ١٤٠

● شاعر اسباني يتغنى باصله العربي .....
عبد اللطيف عبد الحليم ١٤٤

● في مهرجان شوقي وحافظ ... (قصيدة) .....
شعر : فتحي سعيد ١٤٧

● حوار مع جابرييل جرسيا ماركيز .....
ترجمه عن الاسبانية : ماهر البطوطي ١٥٢

● هل تعود الأفلام السياسية لتحرك الركود ؟ .....
رءوف توفيق ١٦٤

● أبواب ●

● حتى لا ننسى : المسجد الأقصى .....
يوسف الخطيب ٦٦

● قطات من الكون المثير ١٠٨

● ن روائع الفن العالمي : الفنان العاشق للتاريخ .....
جمال قطب ١١٢

● ف : هل تعلم ؟ .....
عبد العزيز السيد المصري ١١٥

● أوراق خضراء ١٥٧

● العلم هو المستقبل .....
لبنى الريدي ١٦٢

● ضحكات الشهر : الاسكيمو وابتسامات أخرى .....
صلاح الليثي ١٧٠

● دوحة القراء ١٧٢

● استراحة الدوحة .....
رؤوف ١٧٦

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبد القادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

التحرير : النور عثمان أبكر
ليلى الحريري
مريم آل سعد
سنان المسلماني
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

المدير الإداري والمالي : عبد الله جابر

في ذكـــــرى مـــولد النبي العـــــربي

مفتـــــاح شخصية الرسـول

بقـلم : خـالد محـمد خـالد

ها هو ذا الرسول الذى جاء الحياة ، فاعطى ولم ياخذ ..

ها هو ذا من قدّس الوجود ، ورعى قضية الانسان ..

ها هو ذا من زكى سيادة العقل ، ونَهْنَه غريزة القطيع ..

ها هو ذا من هياه تفوقه ليكون سيداً « فوق » الجميع . فعاش واحداً « بين » الجميع ..

ها هو ذا من أعطى القدوة ، وضرب المثل ، وعبَّد الطريق ..

ها هو ذا الرسول ، والمعلم،والأب ، والأخ ، والصديق ..

ما مفتاح شخصيته التى جلَّت عن النظير .. ؟!

إنى أراه يتمثل فى ثلاث آيات من القرآن الكريم .

الآية الاولى : « وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم » .

والآية الثانية : « وما أرسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً للعَالَمِين » .

والآية الثالثة : « لستَ عَليْهِم بِمُسَيْطِر» هذه الآيات الثلاث تفتح الباب رحباً واسعاً على شخصية رسول الله عليه افضل الصلاة وابهى السلام .

الآية الأولى : تحكى رأى الله فيـــه ، وتزكيته إياه .. وحسبنا ان نرى بشراً ينعته الاله الكبير المتعال بانه على خلق عظيم !!

اي شرف يطمح إليه طامح اسمى من هـــذا الشرف الرفيع ـ ان يقول الله له : وإنك لعلى خلق عظيم .. ؟!

إن الخلق العظيم والكريم الذي توج الله به رسوله الامين هو اثمن ما كان يمتلك « محمد بن عبد الله » كانسان ، وكرسول . خلُقه العظيم والكريم جذب إليه الاعداء

فصاروا اتباعاً مخلصين .. وخُلقه العظيم هذا ، جعله فى أسمى درجات القدوة . وكان لابد لهذا أن يكون .

ولقد أدرك عظمته الأصيلة منذ طفولته ، فعاف كل صغار . بل عاف حتى ما يحق لطفل مثله أن يستمتع به من مباهج الحياة .

بحث عنه ذات يوم أترابه ولداته الأطفال ، فوجدوه هناك جالساً فى ظلال النخيل وحده مع تأملاته الباكرة ، ثم دعوه إلى صحبتهم إلى سامر فيه طبل وزمر ولهو .. فابتسم ابتسامته الورعة الحانية وقال : انا لم أخلق لهذا .. !!!

من الذى علم الطفل الصغير انه لم يخلق لهذا ؟ إنها العظمة الكامنة داخل نفسه ، والتى ستنداح رويداً ، رويداً حتى تملأ الحياة جمالا ، والانفس روعة .

الخُلق العظيم كان شيمته ، وكان دعوته .

ها هو ذا فى رجولته ، فى انسانيته ، فى تواضعه ، فى شجاعته ، فى جوده ، فى حلمه ، فى إيثاره ، فى تضحياته ، فى زهده وترفعه .. فى كل هذا ، وفى أكثر من هذا نراه العظيم أصدق ما تكون العظمة .. والفاضل أكثر ما يكون الفضل والخلق القويم .

لم يمد رجله وسط أصحابه قط احتراماً لهم .. لم يطلب على رسالته وتضحيته أجراً ولا شكوراً .. كان حانياً أرق ما يكون الحنو . عطوفاً إلى أبعد حدود العطف .

يقول : « أدبنى ربى ، فاحسن تاديبي » .. وماذا ننتظر من إنسان اصطفاه الله لنفسه ، واصطنعه على عينه ، وتولى تربيته وتاديبه .. ؟! وإذ قد كان قدوة ، فقد حرص على أن ينقل الناس إلى معالم هذه القدوة ، وسماتها فقال لهم : « إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأَخْلاق » ..

وانظروا قوله « لأُتَمِّمَ » ففيها تحية وعرفان للذين سبقوه من المرسلين والمصلحين الذى بثوا من قبله تعاليمهم الاخلاقية الرفيعة وهياوا للناس طريقها المستقيم .

يقف أمامه ـ صاغرين ـ جميع الذين شنوا عليه الحرب والبغضاء ومثلوا بجثمان عمه الشهيد « حمزة » رضى الله عنه ومضغوا كبده فى وحشية ضارية ، فيستعرض وجوههم الذليلة ، وجباههم المنكرة الكابية ، ورايات الفتح تخفق فوق رأسه ومصاير أعدائه جميعاً تقررها كلمة تنفرج عنها شفتاه ، وإذا هو يقـــول : « اذهبوا فانتم الطلقاء » !!!

فلا محاكم لمجرمى الحرب ، ولا حتى عتاب المنتصر للمهزوم أو التشفى فيه بل : اذهبوا ، فانتم الطلقاء .. !!

يحلب شاته ، ويخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، ويقف بين أصحابه خطيباً فى اخريات حياته ويقول وقد كشف الثوب عن ظهره « من كنت جلدت له ظهراً ، فهذا ظهري ، فلْيَقْتَدْ منه » حقا ، لقد أدبه ربه فاحسن تاديبه، وصاغ منه الانسان ابهى وأسمى ما يكون الانسان !! .

● ● ●

وإنه لشغوف بدعوة الامة إلى مكارم الأخلاق .. ها هو ذا يقول : « إن المؤمن ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .. ويقول : « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أفضل درجات الآخرة ، وشرف المنازل » ..

ويعلم أمته أن المسلم للمســـلم اخ ـ لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ..

واسمعوه ، وهو ينشىء التعايش الودود بين المرء وجاره فيقول :

« إذا استعان بك أعنته .. وإذا استقرضك أقرضته .. وإذا افتقر عدت عليه .. وإذا مرض عدته .. وإذا أصابه خير هناته .. وإذا أصابته مصيبة عزيته .. وإذا مات اتبعت جنازته .. ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا باذنه .. ولا تؤذه بقتار ريح قِدْرِك إلا أن تغرف له منها .. وإن اشتريت فاكهة فاهد إليه ، فان لم تفعل فادخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » .

أية إنسانية شحنت بها هذه التعاليم ، وأى قلب كبير وخُلق عظيم وهب الله رسوله ؟!

وحين يقال له : إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها ، وصيامها ، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها يقول : هى فى النار ..

ويدعو المسلم إلى أن يتحكم فى غضبه وحين يساله أحد أصحابه عن عمل يدخله الجنة يقول : لا تغضب ، ولك الجنة ..

ويقول : « ليس الشديد بالصرعة ـ الذى يصرع الناس بقوته ـ إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

ويقول لنا جميعاً : « الا أخبركم بمن تحرم عليه النار ؟ تحرم على كل هين ، لين سهل » .

ويقول : « شركم سريع الغضب بطيء الفيء ، وخيركم بطيء الغضب سريع الفيء » .

وينهى عن السباب والشتم ويقـــول : « المستبان شـــيطانان ، يتهاتران ويتكاذبان » ..

يطارد القسوة ، ويرفض القطيعة ، ويطارد الغرور والصلَف ، وينهى عن سوء الخلق المتمثل فى الغيبة والنميمة والاشاعة ..

ويقول : « شرار عباد الله المشَّاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الملتمسون للبرآء العيب » ..

ويسأل أصحابه يوماً أتدرون ما الغيبة ؟ الغيبة ذكرك أخاك بما يكره ، فساله سائل : أرأيت ان كان فيه ما أقول ؟ فأجابـــه الرسول : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته .. وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّه » !!

وما أروعه وهو يقول : « من رد عن عرض أخيه ، رد الله عن وجهه النـــار يوم القيامة » ..

والخُلق القويم عنده ليس استكانة ولا ضعفاً ، بل هو القوة العادلة .

مفتاح شخصية الرسول

يقول : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كلٍّ خير » .

ومن أخلاق الرجولة عنده مقاومة الظلم والوقوف فى وجه كل جبار متسلط .

ها هو ذا يقول : « إذا رأيتم الظالم ولم تأخذوا على يديه يوشك أن يعمكم الله بعذاب » .

ويقول : « إذا عجزت أمتى عن أن تقول للظالم : يا ظالم ، فقد تُوُدِّعَ منها » !!

• • •

وبكلمات موجزة ، فقد كان عليه السلام كما وصفه ربه « على خلُق عظيم » وكان كما تحدث عن نفسه ودوره فى الحياة مبعوثاً لِيُتَمِّمَ مكارم الأخلاق .. ومع أن الله تَوَّجَهُ وَعَظَّمَه ، فقد كان يرجو من ربه المزيد ، ويقول : « اللهم آت نفسى تقواها . زكِّها أنت خير من زكَّاها . أنت وليُّها ومولاها » .

ويضرع إليه سبحانه فيقول : « اللهم كما حسنت خَلْقى ، فحسِّن خُلُقى » . « اللهم اهدنى لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق . لا يهدي لأحسنها إلا أنت .. وقنى سيىء الأعمال وسيىء الأخلاق ، لا يقي سيئها إلا أنت » .

• • •

والآية الثانية في مفتاح شخصيته قول الله سبحانه : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

وهنا نرى الرحمة كيف تكون ؟ وكيف تصدر عن مستوى من الانسانية يجل عن النظير ..

ولقد تحدث بنعمة الله عليه فقال : « إنما انا رحمة مُهْداة » .

ولقد كان ذلك حقاً . فهو رحمة مُهْداة للناس جميعاً ـ أحمرهم ، وأسودهم ، برهم ، وفاجرهم ..

حتى في الحروب يرسل وَصَاتَه العظيمة : «اجتنبوا الوجوه ، لا تضربوها» ـ « لا تقتلوا امراة ولا وليداً ، ولا شيخاً ، ولا تحرقوا نخلاً ولا زرعاً » ..

إنه رحيم حتى بالعُصاة والخطائين . بل هو أكثر رحمة لهم .. وما نهاهم عن الخطيئة والإثم ، ولا خَوَّفهم بعقاب الله عليهما إلا رحمة بالآثمين وشفقة عليهم .

وإنه ليرتجف حين يبصر دابة تحمل فوق طاقتها ويقول : « الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

وإن الرحمة لتنتشر لديه حتى يغطى دفئها كل مغرور ، وحتى تشمل الأحياء جميعاً من إنسان وحيوان ، بل وحشَرات .

وفي المواطن التى تعظم الحاجة إليها يركِّز إلْحاحه عليها ـ فهو مثلا إذا حث على الرحمة بالطفل يركز بصورة أشد على الطفل اليتيم أو اللقيط .

وإذا حث على الرحمة بالحيوان وهو يعمل ، ركز بصورة أوفى على الرحمة به وهو يذبح !!

ويقول : « إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته .. واخفوا السكين حتى لا تراها » !!!

وإنه ليحصى الكثير من صور الرحمة ثم يقول : « ما من عبد يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أَخَذَتْ بيده حتى تُدخله الجنة » ..

ومن رحمته الوارفة يوصي القويَّ بالضعيف ، والغنيَّ بالفقير ، والدائنَ بالمدين .

لنسمعه يقول : « من يَسَّرَ على مُعْسِر فى الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن انظر معسراً أو وضع عنه ـ أي تنازل عن دينه أو عن بعضه ـ أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » .

ويرى أما تضم رضيعها فى حنان بالغ ، فيسال أصحابه : أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قالوا : لا والله يارسول الله ، فيقول : والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها ..

• • •

والآية الثالثة لمفتاح شخصيته هي قوله تعالى : « لستَ عليهم بِمُسَيْطِر » ، وقبل هذه الآية مباشرة يقول الله له : « فذَكِّرْ ، إنما أنت مذكر » أي انه نذير وبشير ليس أقل ولا أكثر .

وهذا من تمام خلقه العظيم وخصاله المتالقة

إنه يكره التمايز في كل صوره حتى انه ليرفض أن يقوم له أصحابه حين يقدم عليهم وهم جلوس ، ويقول لهم : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ، يُعَظِّمُ بعضُهم بعضاً » .

وهو يستشيرهم في كل أمر يتعلق بالدولة وبالمجتمع ، حتى فى الحروب ، ويلتزم بمشورتهم ، ويقول دوماً لأصحابه : « إني أكره أن أتميز عليكم » .

وكيف يكون مسيطراً هذا الذي يبلغ من بساطته وتواضعه أن يجذبه أعرابي من ثوبه ويقول له : أعدل يا محمد ، فليس المال مالك ولا مال أبيك ، فما يزيد على أن يقول له : ويلك ، فمن يعدل إن لم أعدل !! ويهم « عمر » بضرب الأعرابي فيمنعه الرسول قائلا : دعه يا عمر .. إن لصاحب الحق مقالا .

إنه عليه السلام ليكره السيطرة والهيمنة ، ولاسيما حين تجيء من ذى سلطان جائر .

من أجل ذلك قال يعلمنا : «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر». وقال : «سيكون بعدى من يظلمون ويكذبون . فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم ، فليس منى ولا أنا منه .. ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يمالئهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه» .

هو عدو السيطرة أيا ما يكون مصدرها : «إن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا حتى لا يفخَرَ أحد على أحد ، ولا يبغى أحدٌ على أحد» ... «ألا أخبركم بشر عباد الله ؟ الفظ المستكبر» !!

وإنه ليدمدم على المزهوين بقوتهم ، المختالين بسلطانهم فيقول : «بئس العبد عبد تخيَّل واختال ، ونسي الكبير المتعال .. بئس العبد عبد تجبَّر واعتدى ، ونسي الجبار الأعلى .. بئس العبد عبد طغى وبغى ، ونسي المبدأ والمنتهى».

• • •

هذه كلمات عن شخصيته ..

شخصية رسول اصطفاه الله لنفسه ، ثم جعله هديته الى البشرية ورحمته للعالمين .

شخصية رسول جاء الحياة فأعطى ولم يأخذ ومنح عمره وجهاده لرسالته .. ويوم مات لم تكن الدنيا كما كانت يوم جاءها . فقد نقلها من الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ، وترك فيها نوره وشَذاه .

خالد محمد خالد



تحرير المرأة
وماذا يعني في الإسلام؟

بقلم: دكتور محمد عمارة

في الحديث عن حقوق المرأة وتحريرها دعوات كثيرة تدعو الى اعادة النظر فى التجربة التى دخلتها بلادنا فى هذا المضمار ...

فليس من شك فى أن المرأة قد ذهبت على هذا الدرب الى أبعد مما طمح اليه الرواد الذين ارتادوا الدعوة الى تحريرها منذ نحو قرن من الزمان ... فالحجاب الشرعى ، الذى دعا اليه قاسم أمين فى كتابه (تحرير المرأة) والذى يحررها من ملازمة المنزل ، ويحكم زيها باطار الاسلام ، فلا تكشف إلا الوجه والكفين .. هذا الحجاب قد تجاوزته المرأة المسلمة عندما ذهبت فى تقليد المرأة الغربية الى الحد الذى لم تميز فيه بين « الحرية » وبين « التحلل » من الالتزام بالمواريث والعادات والتقاليد التى لا خلاف على نفعها وعائدها الايجابى فى بناء المجتمع وتأسيسه على الطهر والعفاف ! ..

وعمل المرأة الذى دعا اليه رواد تحريرها ، ليصون عفتها ، ولتسهم به فى تنمية المجتمع مع الرجل ، ولتملأ به حياتها كى لا يقتل الفراغ آدميتها .. هذا العمل قد جار فى أحيان كثيرة على تماسك الأسرة وتربية الأجيال الجديدة ، وتحول فى كثير من الأحيان الى تزجية فراغ خارج المنزل ، فى دواوين ومكاتب لا عمل فيها ، الأمر الذى أفقد المنزل ربانه والأسرة راعيتها ، دونما عائد فى العمل الاجتماعى أو مردود فى تنمية المجتمعات اقتصادياً ! ..

تحرير المرأة
وماذا يعني في الإسلام ؟

ولقد أثارت هذه السلبيات ردود فعل حادة معادية لدعوة تحرير المرأة من الأساس .. فظهرت دعوات المبالغة والمغالاة فى الحجاب ، وبرزت المطالبة باعادة المرأة الى المنزل لرعاية شئونه والتفرغ لتربية الأولاد .. وهكذا جاء رد الفعل على نفس المستوى من القوة « والتجاوز » للحدود ! .. فذهاب المرأة الى أبعد من حدود « الحرية » و « التحرير » ، الى حيث « التحلل » من الالتزام بالشرائع والأعراف والمواريث النافعة والبناءة ، يثير اليوم دعوات الى الغاء المسيرة برمتها والانجاز من الأساس !

واذا كان الافراط مذموما فان التفريط هو الآخر مذموم .. وأمام تجاوزات شرائح من قطاع المرأة العربية والمسلمة ، غير مستساغ الذهاب فى ردود الفعل الى حيث نلغى مسيرة المرأة على درب تحررها من قيود العصور الوسطى برمتها .. وغير مستساغ أكثر وأكثر أن تكون الدعوة الى هذا التراجع قائمة باسم الاسلام ... وانما المستساغ والمطلوب هو الاحتكام الى الاسلام فى هذه القضية ، بطرح السؤال : ماذا يعنى الاسلام بالنسبة لتحرر المرأة وتحريرها ؟؟ ..

●●

ان الاسلام الذي جاء فحرر الانسان عموماً رجلا كان أو امرأة ، قد اولى تحرير المرأة من قيودها القديمة والتقليدية ، عناية خاصة ذلك لأن قيودها ومواريثها الخاصة قد دعته الى ابراز ما قرر لها من حقوق وحريات فلم تعد مجرد متاع للرجل واداة للهوه واستمتاعه.

وانما ارتقى الاسلام بنوع العلاقة الانسانية والاجتماعية التى تربطها بالرجل ... فعلاقة المودة والبر بين الام وولدها يعلو سلطانها على سلطان الاتفاق فى المعتقد الدينى .. وصدق الله العظيم إذ يقول "!" (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وصاحبهما فى الدنيا معروفا) (٢) .

وعلاقة المرأة الزوجة بالرجل الزوج هى : المودة والرحمة ، بل انها هى « السكن » الذى يسكن اليه فى هذه الحياة ! .. (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ،



الشيخ محمد عبده

إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٣) .

وفى الحقوق والواجبات تستوى المرأة بالرجل فى نظر الاسلام : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (٤) ... حتى ليقول الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (١٣٢٣ ـ هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م) فى تفسيره لهذه الآية : « انها كلمة جليلة جدا ، جمعت ، على ايجازها ، ما لا يؤدى بالتفصيل إلا فى سفر كبير ، فهى قاعدة كلية ناطقة .. بان المرأة مساوية للرجل فى جميع الحقوق ، إلا امرا واحدا عبر عنه بقوله : (وللرجال عليهن درجة) .. وقد أحال فى معرفة ما لهن وما عليهن على المعروف بين الناس فى معاشراتهم ومعاملاتهم فى أهليهم ، وما يجرى عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم . فهذه الجملة ـ (الآية) ـ تعطى الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجه فى جميع الشئون والأحوال فاذا هم بمطالبتها بأمر من الامور يتذكر انه عليه مثله بإزائه ، ولهذا قال ابن عباس ، رضى الله تعالى عنهما : « إننى لأتزين لامراتى كما تتزين لى ، لهذه الآية » ! . وليس المراد بالمثل المثل باعيان الأشياء وأشخاصها ، وانما المراد أن الحقوق بينهما متبادلة ، وانهما أكفاء ، فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله لها ، إن لم يكن مثله فى شخصه فهو مثله فى جنسه فهما متماثلان فى الحقوق والاعمال ، كما أنهما متماثلان فى الذات والاحساس والشعور والعقل ..

أما « الدرجة » التى أعطاها الاسلام للرجل على المرأة بقول قرآنه الكريم فى آية المساواة هذه : (وللرجال عليهن درجة) فانها تقف عند اعطاء العنصر الأكثر خبرة ووعياً وامكانية وتمكنا حق الفصل فى المشكلات التى تأهل أكثر من سواه للقول الفصل فيها ، وذلك ضمانا للتنسيق فى الأسرة ، بايجاد الربان الذى سوف يقود سفينتها وسط العواصف والأنواء ! .. « فالقوامة هى الرياسة التى يتصرف فيها المرؤوس بارادته واختياره .. ذلك أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من بدن الشخص الواحد ، فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن ! .. أما الرجال الذين يحاولون بظلم النساء أن يكونوا سادة فى بيوتهم فانهم إنما يلدون عبيدا لغيرهم ؟ !! ... »

●●

صحيح أن الاسلام يقرر للأنثى ، فى حالات معينة ، نصف ما للذكر من نصيب فى الميراث ، ولكن هذا التمييز المالى لا يعكس انتقاصاً من حرية الأنثى وحقوقها ، بل لا نغالى إذا قلنا إنه ، هنا ، يزيدها تكريما وامتيازا وتحريرا ؟! .. فهو قد قرر لها الشخصية المالية المستقلة ، فسبق بذلك حضارات الدنيا بأسرها من عشرة قرون ، ثم تبنى عرف العصر الذى ظهر فيه ، فالزم الرجل وحده بالتبعات المالية اللازمة للأسرة ذكورا وإناثا .. فكان ما زاد فى نصيبه من الميراث إنما حق لينفق منه على الأنثى التى ألزمه الشرع بكل نفقاتها ، ضرورية أو كمالية كانت تلك النفقات ! .. أما نصيبها هى فانه قد تقرر لها دون الزام عليها بالانفاق منه فى شركة الزوجية !..

ثم إن هذه الزيادة للرجل عن المرأة فى الميراث ليست موقفا عاما ، ففى حالات كثيرة يزيد نصيب المرأة الوارثة ـ مثل الابنة ـ عن الرجل ـ مثل الأب ـ يشاركها فى الميراث

وعلى كل ، فان الاسلام لم ينظر . كموقف عام وثابت ، الى التمييز بين الناس فى الأمور المالية كمعيار للتمييز بينهم فى القدر والقيمة ودرجة الحرية .. فالرسول ، عليه الصلاة والسلام ، وأبو بكر الصديق ، رضى الله عنه كانا يلتزمان بمبدأ التسوية بين الناس فى « العطاء » ،باعتباره « معاشا » لا علاقة له بالاقدار والمراكز والفضل

والمفاضلات .. ثم جاء عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فميز بين الناس فى « العطاء » عندما توفرت الاموال وكثرت بعد الفتوحات .. ثم عاد علي بن ابى طالب كرم الله وجهه ، الى نظام التسوية .. وعلى عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، كانت « الحاجة » تحكم ، فى احيان كثيرة ، مقادير الانصبة فى توزيع الغنائم ، دون ان يكون للتمييز والتمايز المالى اية علاقة بالاقدار والمراكز الخاصة بالصحابة الذين تفرض لهم السهام فى هذه الاموال .. ولقد اعطى الرسول المهاجرين الفقراء غنائم هوازن – يوم حنين – ولم يعط الانصار – إلا رجلين فقيرين منهم – .. بل لقد اعطى « المؤلفة قلوبهم » من هذه الأموال ما لم يعطه لاحد من الذين سبقوا الى الإسلام وصنعوا بتضحياتهم دولته وانتصارات دعوته وعقيدته .. فالتمييز المالى للرجال ، احيانا ، فى الميراث ، امر من امور « المعاش » ، لا ينهض دليلا على انتقاص ما قرر الاسلام للمرأة من حرية ، وما شرع لها من مساواة بالرجل .

●●

وصحيح ، ايضا ، ان القرآن الكريم يقرر فى إحدى آياته أن شهادة امراتين تعدلان شهادة رجل واحد .. ولكن المتامل والمتدبر لهذه الآية الكريمة يدرك انها قد راعت تلك المرحلة التطورية التى كانت تمر بها المرأة يومئذ .. وهى مرحلة كانت محرومة فيها من خبرات المعاملات المالية والتجارية المعقدة ، بسبب حرمانها من الشخصية المالية المستقلة ، فجاء القرآن الكريم ، مراعاة لتخلفها وضعف ذاكرتها فى هذا الميدان ، ليقرر أن شهادتها فى الدَّيْن ، الذى يحتاج إثباته الى دليل كتابى لا تساوى شهادة الرجل .. فليس فى الامر انتقاص من قدرها وحريتها ، وانما فيه موقف واقعى يلائم بين « الحق » وبين « الامكانيات » .. فهو رجل فى باب ربط « الحقوق » بالامكانيات المترتبة على نظام التخصص .. وهى علة وقصد يفتحان باب التطور والتنمية « للحق » بتطور « الامكانيات » ونموها ..

ثم .. هل يستوى الرجال فى الذاكرة والتذكر وفى الامكانيات والقدرات ؟ انهم لا يتساوون ، ومن ثم تتفاوت حقوقهم دون أن يعنى هذا التفاوت انتقاصا من مساواتهم فى الحرية التى قررها لهم الاسلام .

ذلك هو موقف الاسلام من التمييز بين شهادة الرجل وشهادة المرأة فى ذلك الموطن المحدد والخاص من مواطن الاشهاد .. ويتاكد هذا الذى نقول إذا نحن تدبرنا آية القرآن الكريم التى تتحدث عن هذه القضية فتقول : « يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ الى اجلٍ مسمًّى فاكتبُوه ، ولْيَكْتُب بَّيْنكم كاتبٌ بالعَدْلِ ، ولا يَأْبَ كاتبٌ ان يَكْتُبَ كما علَّمه الله ، فليكتبْ وْلْيُمْلِلْ الذى علَيْه الحقُّ وليتق اللهَ ربَّه ولا يَبْخَسْ منْه شَيْئا ، فإنْ كانَ الذى عليْه الحقُّ سفيهاً او ضَعيفاً أوْ لا يسْتَطيع ان يُملَّ هو فلْيُمْلِلْ وَليُّهُ بالعَدْلِ ، واستشْهدُوا شَهيدَيْن من رِجَالِكُمْ ، فإن لَّم يكونَا رَجُلَيْن فَرَجُلٌ وَامْرأتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ من الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضلَّ إحْدَاهُما فتذكِّرَ إحداهُمَا الأُخْرَى ، ولا يَأْبَ الشهداءُ إذاما دعوا ولا تَسْأمُوا أنْ تكتبُوهُ صَغيراً أوْ كبيراً إلى أجَلِه ، ذَلِكُمْ أقْسَطُ عِنْدَ اللَّه وأقْوَمُ للشَّهَادَةِ وأدْنَى ألاَّ تَرْتَابُوا ، إلاَّ أنْ تكُونَ تِجَارَةً حاضرةً تديرونَهَا بينَكُمْ فليس عليكم جُنَاحٌ ألاَّ تكتبُوهَا ، وأشْهدُوا إذاتَبَايَعْتُمْ ، ولا يُضَارَّ كَاتبٌ ولا شهيد ، وإنْ تَفْعَلُوا فَإنَّه فُسُوقٌ بِكُمْ ، واتَّقُوا اللهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللهُ ، واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (٥) .

فليس فى الامر « تمييز طبيعى » و « دائم » ولا « تمييز مطلق » ، بحكم الجنس والنوع ، ينقص من قدر المرأة وما قرر لها الاسلام من حرية ومسئولية وحقوق ..

ويشهد لذلك ويؤكده ما كتبه الامام محمد عبده فى تفسير لهذه الآية ، فقال : « لقد تكلم المفسرون فى هذا (التمييز بين شهادة المرأة وشهادة الرجل فى الدين) ، وجعلوا سببه المزاج ، فقالوا : ان مزاج المرأة يعتريه البرد فيتبعه النسيان ، وهذا غير متحقق . والسبب الصحيح : ان المرأة ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات ، فلذلك تكون ذاكرتها ضعيفة ، ولا تكون كذلك فى الامور المنزلية ، التى هى شغلها ، فانها اقوى ذاكرة من الرجل ، يعنى أن من طبع البشر ، ذكرانا واناثا ، ان يقوى تذكرهم للأمور التى تهمهم ويكثر اشتغالهم بها . ولا ينافى ذلك اشتغال بعض نساء الاجانب فى هذا العصر بالاعمال المالية ، فانه قليل لا يعول عليه ، والاحكام العامة انما تناط بالاكثر فى الاشياء وبالاصل فيها .. » .

فاذا اشتغلت المرأة بالمعاملات المالية وكثرت ممارساتها لها ، وقويت ذاكرتها على وعى قضايا هذه المعاملات ، تطورت الاحكام الشرعية الخاصة بشهادتها فيها ، إعمالا للقاعدة الشرعية القاضية بدوران الأحكام مع عللها وتغيرها بتغير الاسباب والمقتضيات والظروف والملابسات ..

●●

تلك هى نظرة الاسلام للمرأة .. وهذه هى المعايير التى يجب الاحتكام اليها عندما تدعو الحاجة الى مراجعة المواقف والانجازات التى حققتها المرأة على درب تحررها ، يستوى ما كان ايجابيا منها وما هو داخل فى اطار السلبيات ..

فالتسوية بين الرجل والمرأة هو جوهر موقف الاسلام ، لانهما – وفق عبارة الامام محمد عبده – : « **متماثلان فى الحقوق** والاعمال ، كما انهما متماثلان فى الذات والاحساس والشعور والعقل » .. وما قوامة الرجل على المرأة إلا رياسة تقتضيها سنة الكون والفطرة التى فطر الله الناس عليها بان تتم المشاورة فى مجتمع الاسرة ، فالتنسيق ، ثم يكون للسفينة ربان تؤهله خبراته وتجاربه وما يقدم لهذا المجتمع الصغير من عطاء ، فالحقوق ، هنا ، نابعة ومرتبطة بالامكانيات والواجبات ! .. وتجاوز الحدود التى رسمها الاسلام لصلاح الفرد والأسرة والأمة ضار ومنهي عنه ، ليستوى فى ذلك ان يكون التجاوز من الرجال أو النساء ! ..

د. محمد عمارة

هوامش

(١) سورة العنكبوت . اية (٨)
(٢) سورة لقمان . اية (١٥)
(٣) سورة الروم . اية (٢١)
(٤) سورة البقرة . اية (٢٢٨)
(٥) سورة البقرة . اية (٢٨٢) .

في تفسير عظمة الأدب

جناحان للعمل الأدبي العظيم.. لا يحلّق بدونهما

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

في غياب الأعمال الأدبية والفنية العظيمة عن مسرح الثقافة العربية هذه الأيام، نشعر بشوق كبير الى الحديث عنها، إن لم يكن عن اعمال منجزة، ملموسة، فعن بعض الشروط الجوهرية التي لابد أن تتوفر في أي عمل أدبي او فني ليكون أدباً وفناً عظيماً.

ولقد اريق حبر كثير في النقد الأدبي والأجنبي، قديماً وحديثاً، لتحديد مواصفات العمل الأدبي الجيد، وبذلت جهود كبيرة لرسم معالم الطريق .. كما قامت مجابهات ساخنة حول طبيعة هذه المعالم مازالت اصداؤها تتردد .. ولكن، كما في التاريخ، ياتي فجاة عمل أدبي عظيم جديد ليقلب المقاييس، ويفرض إعادة نظر جديدة، تماما كما يحدث للمؤرخين وفلاسفة التاريخ عندما يفاجاون بانعطاف تاريخي فذ غير متوقع - حسب مواصفات الفكر التاريخي الذي سبقه - فيبدأون من جديد بدراسة الحدث الانبثاقي المفاجيء ليروا اين يتفق في جوهره مع قوانين التاريخ العامة، وما الجديد الذي يضيفه اليها تكميلا او نقصا، لان كل حدث جديد في التاريخ والأدب والحياة الانسانية بعامة هو تكملة ونقض في وقت واحد، تكملة لما هو جوهري خالد، ونقض لما تجاوزه تقدم الانسانية. فلو تاملنا على سبيل المثال في جوهر الانعطاف الاسلامي في تاريخ البشرية، لوجدنا ان ظهور الاسلام كان تكملة من ناحية للعناصر الايجابية في الحياة العربية وفي تراث الديانات التي سبقته، وكان نقضا في الوقت ذاته لعناصر التخلف والزيف في تلك الحياة وتلك الديانات.

وعلى صعيد التاريخ الأدبي عند العرب نجد أن عبقرية ابي الطيب المتنبي تمثل استيعابا مكثفا لعبقرية اللغة العربية من ناحية، ونقضا لمدرسة الصنعة التي سادت العصر العباسي قبل المتنبي وحتى زمنه، من ناحية اخرى.

وعليه، فيمكننا القول، ان اي عمل عظيم لا يمكن أن يكون مجرد استمرار لما سبقه، لانه في هذه الحالة تقليد غير مبدع، كما لا يمكنه ان يكون مجرد نقض خالص، لانه في هذه الحالة تمرد اعتباطي ينقض الجيد والرديء في وقت واحد فيصبح من عناصر الهدم دون بناء. ولو تاملنا في الاعمال الرديئة التي تغرق الثقافة العربية هذه الأيام - في المسرح والتلفزيون والأدب - لوجدناها تتراوح بين هاتين الحالتين: إما تقليد بليد لما سبق، وإما تمرد اخرق عليه!..

ما يهمنا هنا ليس هذا النوع من الأعمال فلدينا منها الكثير ولكن ما يهمنا هو ذلك النوع النادر الذي نفتقد وننتظر.

ومن النظر في عدد غير قليل من الأعمال الأدبية العظيمة والخالدة في التاريخ، يبدو لنا ان هناك شرطين جوهريين لابد من توفرهما في وقت واحد وبشكل عضوي لاي عمل أدبي عظيم.

البناء المادي

الشرط الأول هو سلامة البناء المادي الحسي للعمل، او صورته الحسية التي تتراءى لكل الأنظار والتي يستطيع ان



ابو الطيب المتنبي



ابو العلاء المعري

يبصرها ويفهمها ، ويتذوقها الناس العاديون على اختلاف مستوياتهم ، والتى لا يختلف فى النظر اليها ـ فى حدودها الحسية هذه ـ الانسان العادى والناقد المتذوق والفيلسوف المحلل فهى امامهم سواء من حيث هى مادة وصور وشخوص واحداث والوان واضواء واصوات ، وصيرورة متجسدة فى الواقع المحسوس .

وإذا اردنا استخدام قاموس المتصوفة فى الحديث لقلنا إن هذا الجانب يمثل جانب «الظاهر» ـ بعكس «الباطن» ـ اى الجانب الذى يكشف ذاته بجلاء للحواس البشرية لانه هو ذاته مظهر حسى ملموس ومحسوس لا يختلف فى رؤيته وفهمه احد .

إن اقامة هذا البناء الحسى الظاهرى فى العمل الادبى مسالة اساسية ولا يمكن التقليل من ضرورة العناية بها بحجة عمق الفكرة التى وراء البناء الحسى ، او شرف المعنى الكامن وراء العمل . فالمعنى الجيد بلا مبنى متين صلب، يصبح فكرة رخوة هلامية لا تعمر طويلا فى ذاكرة الاجيال ، مهما كانت هذه الفكرة سامية . وانظر الى معظم شعر ابى العتاهية الوعظي ، وبعض شعر ابى العلاء الحكمى والفلسفى تجد المعانى بلا مبان والباطن بلا ظاهر ، فتتامل الافكار المجردة ببرود ذهنى دون ان تهزك الصورة وتثيرك المشاعر الحية المتجسدة لانه ليس هناك من تصوير وتجسيد حى من عالم التجربة المحسوسة للانسان ، هذا العالم التجريبى الحسى وحده هو الذى يستطيع ان يتشارك فى الاحساس به جميع الناس ، والذى يستطيع الابداع الادبى ان ينفذ من خلاله ـ ومن خلاله وحده ـ الى عالم الناس الواسع ، والى وعي الانسانية ككل فيصبح باقيا وخالداً وواسع الانتشار .

والاديان تمدنا بدليل واضح وحاسم على صدق ذلك .

فالايمان بالله واليوم الآخر ومناقب الاخلاق ـ هذه الافكار السامية المجردة ـ تطلّب إيصالها الى وعي البشر ظهور رجال منهم «ياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق» ويحيون كما يحيا الآخرون فى عالم المادة ويتنفسون كما يتنفس الآخرون ويموتون كغيرهم .

أضف الى ذلك ان تعاليم هؤلاء الانبياء البشر على تساميها الميتافيزيقى خاطبت عقول البشر بما تفهمه وما يقرب من تصوراتها فجاءت الكتب الدينية حافلة بالامثال الحية ـ إن الله لا يستحى ان يضرب مثلا .. ـ وبالصور الحسية ، حتى فيما تعلق باوضاع النعيم والجحيم ، وذلك لتستوعب كل نفس بشرية حقيقة الامر بصورة تملا عليها كافة جوانبها ، فتحيا عن بينة وتموت عن بينة .

ويلاحظ علماء الاجتماع بهذا الصدد ان ملايين البشر فى كل الاصقاع ـ من متقدمة ومتخلفة ـ تزداد حرارة تجربتها الدينية من خلال تفاعلها مع السير الحية للانبياء والصالحين والقديسين ومع الاماكن المقدسة ، وكل ما هو محسوس ظاهرى فى معالم الدين ، بينما الصفوة المختارة هى التى تستطيع الارتقاء الى معانى الدين المجردة ، متجاوزة عالم الظاهر والحس .

وهنا نصل الى الجانب الآخر من الصورة ، والى الشرط الجوهرى الثانى من شروط العمل العظيم .

الشرط الثانى

فكما ان المظاهر المحسوسة فى التجربة الدينية تستمد عظمتها وخلودها من «المحتوى» و «الجوهر» الذى ترمز اليه ، فان الصورة الحسية فى العمل الادبى يجب ان تحمل فى صلبها شيئا من ذلك المحتوى الخالد ، وان تغرف من بحره . ولا اعنى هنا ان تكون بالضرورة ذات مضمون دينى ، وإنما قصدت ان يكون فى جوهرها ما يشبه النار الخالدة المتوقدة التى تتجاوز حدود المصباح او القنديل (الصورة الحسية) لتضيء مسافات ابعد من دائرته المكانية والزمانية المحدودة بحدوده المادية.

وهذا يتطلب ان يكون فى بنائها الحسى ذاته ، مؤشرات وايماءات وايحاءات موضوعة باتقان شديد ضمن حنايا البناء الحسى ، تاخذ بيد القارىء شيئا فشيئا الى الافق الفسيح الرحب الذى يطل عليه ذلك البناء كالنوافذ الموزعة توزيعا محكما بحيث تطل على اجمل واروع ما يحيط

في تفسير عظمة الأدب

جناحان للعمل الأدبي العظيم.. لا يحلّق بدونهما

بالبناء من عمق وامتداد ورحابة وتستوعب اغزر ما يصله من ضياء .

وهذا «مفصل» مهم .. مفاصل الكائن الادبى وبه يتقرر قدر كبير من نجاحه او اخفاقه .

فهذه المؤشرات والايماءات إن كانت غامضة اكثر مما يجب ، افسدت الصورة الحسية للعمل الادبى وجعلتها تشويشا سوريالياً من ناحية ، كما افسدت امكانية الوصول الى «المعنى الخفى» وراء المبنى ، واضاعت الاثنين : المبنى والمعنى ، او الصورة والمحتوى .

وهذا ما يحدث لاعمال الادباء الشباب فى العالم العربى اليوم . فهم يحملون افكاراً وتجارب جديرة بالاهتمام ، ولكنهم يقدمونها فى «مبنى» شديد التعقيد ، شديد الغموض ، فينفر الناس من صورة العمل الحسية ، ولا يصلون بطبيعة الحال الى الجوهر او المحتوى الذى يراد الايحاء به من ورائها .

اما إذا جاءت المؤشرات والايماءات واضحة اكثر مما ينبغى ، وقع العمل الفنى فى التبسيطية والمباشرة والتسطيح ، وتضاءلت ابعاده الماورائية ، وقصرت اجنحته فلا يستطيع تحليقا الى سماء الكشف الخصب .

من هنا الاهمية البالغة لاقتصاد الاديب فى استخدام الرمز والاشارة ، بحيث يحافظ على المستويين فى عمله ، المستوى الحسى الظاهر والمستوى الخفى الباطن . منفصلين ومتصلين فى وقت واحد : منفصلين بمعنى ان تبقى الصورة الحسية مستقلة بذاتها ، مكتفية بعناصرها ، يستطيع ان يبصرها الانسان العادى ، فيستمتع بها ويفهمها فى حدودها الظاهرة، وان لم يستطع النفاذ الى كل معانيها الخفية على المستوى الفوقى او الباطنى .

وعلى سبيل المثال فان رواية «الطريق» لنجيب محفوظ يمكن للقارىء العادى ان يقراها ، فى صورتها الظاهرة ، كرواية عاطفية بوليسية ممتعة جداً ، ومفهومة ، دون ان يصل بالضرورة الى مستواها الثانى ، ووجهها الآخر الباطن ، من حيث هى رمز للانسان الباحث عن الله ، او عن الكائن السماوى ، على «طريق» هذه الحياة الوعرة والشاقة والغامضة .

فى هذا العمل الادبى الجيد ، نجد المستويين منفصلين ومتصلين فى الوقت ذاته . ونجد المؤشرات والايحاءات الرمزية مقتصدة وذكية ، بل وماكرة ! بحيث تسمح بالقراءتين ، القراءة الأولى الروائية ، والقراءة الثانية الفلسفية ، كل قراءة منهما متوازية مع الاخرى ، ولكن غير متداخلة معها ، فهما مستقلتان ومتحدتان ـ فى وقت واحد ـ بمفصل فنى مرن ودقيق لا تراه إلا العين المبصرة ، كثنائية الاشياء الملتقية فى وحدة الوجود او كالاقانيم الثلاثة المتحدة فى الواحد بسر خفى ...

هذه الثنائية فى تكوين العمل الادبى ، وهذه العلاقة الدقيقة التوازن بين طرفيها ، هى الشرط الاهم فى راينا المتواضع لأى عمل ادبى وفنى عظيم .

إن مسرحيات شكسبير يمكن ان تشاهدها الجماهير فى مختلف الازمنة والامكنة فتستمتع بتكوينها المسرحى الحسى المتقن دون ان تعي بوضوح ابعادها الفلسفية والكونية المتناهية .. وان كانت تدرك بالغريزة الانسانية الفطرية ما يطل من وراء الصورة المسرحية الشائقة من معان خالدة .

اما النقاد والمفكرون فيجدون ، بعد استمتاعهم بصورها الحسية ، تلك المفاتيح التى تؤدى بهم الى فتح الابواب الموصدة فيطلون على ذلك العالم الشكسبيرى الباطن الذى لا يقل روعة عن عالم كبار الرائين والقديسين والفلاسفة .

وبهذه «الثنائية» تسافر مسرحيات شكسبير من بلد الى آخر ، ومن زمن الى آخر ، ومن جيل الى جيل ، دون ان تفقد جدتها او عظمتها .

من هنا ليس صحيحا على الاطلاق ، ما يتعلل به بعض ادبائنا «البرج ـ عاجيين» من ان العمل الادبى العظيم لا تدركه الجماهير ولا يمكن ان تتذوقه جموع الشعب .

ان الجماهير تدرك بفطرتها الصافية المغزى الخفى وراء العمل العظيم وإن يكن بنوع من الادراك الغريزى المبهم ، شرط ان يكون «مبنى» العمل متقنا ومتوازنا مع معناه الخفى .

الأدب الظاهرى

وهذه الحقيقة تفسر لنا كيف نفذت الكتب الدينية العظيمة الى اعماق الجماهير غير المتعلمة ، وكيف ادركت هذه الجماهير بفطرتها المعانى الماورائية الكبرى الكامنة وراء الرموز والصور فى القصص الدينى والتعاليم الدينية .

وإذا كان الخالق العظيم قد خاطب العباد بهذا الاسلوب الجامع بين الظاهر والباطن ، مراعاة لطبيعتهم وتكوينهم وافهامهم ، افلا يجدر بالفنان ، وهو مبدع صغير يستهدى بعمل خالقه ، ان يتعلم من هذه الامثولة بتواضع ؟

هذا إذا اراد ان يقدم عملا عظيما بالفعل ...

اما إذا اراد ان يمتهن الفن امتهانا فبامكانه عندئذ ان يحبك من الروايات ما

يشاء فى حدود الحس الظاهرى كما فعلت «اغاثا كريستى» فى رواياتها البوليسية التى تقف عند الظاهر دون اى ايحاء آخر ..

او ان يتحول واعظا كما فعل ابو العتاهية بمعانيه الملقاة على قارعة الطريق دون تجسيدها فى صور فنية باقية متميزة .

من النوع «الظاهرى» الاول قول الشاعر العربى :

ولمّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كلَّ حاجَةٍ
ومسّحَ بالأركانِ من هو ماسحُ
اخذنا باطرافِ الاحاديثِ بيننا
وسالَتْ بأعناقِ المطِيِّ الأباطِحُ

فصورة «سالت باعناق المطىّ الاباطح» هى بلا جدال صورة متحركة حية مثيرة لمنظر الجمال والنوق وهى تمثل سيلا مندفعا باعناقها الطويلة مع سرعة السير ... ولكن !

ولكن هل توحى هذه الصورة بشىء ما وراءها ؟

هذه صورة ظاهرية جميلة جدا ، لكنها تفتقد الفنى الباطنى . ونحن نقبلها من الشاعر فى حدودها الظاهرية التى أبدع فيها ، ونقول له هذا عمل حسن لكنه لا يمثل نواة لعمل عظيم !

لان العمل العظيم يطل بنا على ما هو ابعد من الاباطح السائلة باعناق المطىّ .. على ما فى الصورة من إتقان الريشة .

على الجانب الآخر يقول لنا شاعر المعرة :

بلَوْتُ أمُورَ النـاسِ من عَهْدِ آدمٍ
فلَمْ أرَ إلا هالِكًا إثْرَ هَالِكِ
إذا كان هذا التُّرْبُ يجْمَعُ بيننا
فاهلُ الرَّزَايا مثل أهْلِ المَعَالِكِ

هذا هو نقيض النموذج الظاهرى الحسى . إنه نموذج «معنوى» بلا جسد حى ولا تقاطيع حلوة ولا ملامح متميزة .

فعلى عمق الفكرة هنا ـ مقابل جمال الصورة هناك ـ لا نجد ان هذين البيتين خَلَقَا كائنا فنيا حيا متميزا ، باقيا على مر العصور وكم من حكيم كرر هذا المعنى او ما يقرب منه بشكل اجود او اقل جودة .

وهذا النمط الذهنى التجريدى هو اكثر



وليم شكسبير



اجاثا كريستى

ما يضر بالشعر العربى فى العصر الحديث لانه عصر الصورة المتجسدة الناطقة وعصر الوسائل السمعية ـ البصرية المتقنة " Audio-Visuel ". انه عصر تعود فيه الناس على تلمس المعنى ، اى معنى ، من خلال الصورة الناطقة والمحسوسة والملموسة قبل كل شىء ، وهذا ما يجب ان يتذكره اى اديب عربى يطمح اليوم لمخاطبة العالم .

الطريق الصعب

اما الطريق الوسط الصعب بين الصورة الظاهرة : «وسالت باعناق المطىّ الاباطحُ» وبين المعنى الذهنى المجرد : «فاهل الرزايا مثل اهل الممالك» ؛ الطريق الوسط الصعب ـ طريق الادب العظيم ـ فيرتسم فى الابيات التالية للشاعر العربى العظيم ابن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مُدَامةً
سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرمُ
ولولا شذاها ما اهتديتُ لحانها
ولولا سناها ما تصوَّرها الوهمُ
يقولون لي صِفْها ، فانت بوَصْفِها
خبيرٌ ، أجَلْ عندي بأوصَافِهَا عِلْمُ
وعنديَ منها نشوةٌ قبل نَشْأَتِي
معى ابداً تبقى وإن بَلِيَ العَظْمُ
على نفسه فليبكِ من ضاع عمرُهُ
وليس له فيها نصيبٌ ولا سهْمُ

هل يحتاج الامر الى شرح ؟!

اليس الافضل ان نبقى مع هذه النشوة فى صمت ابلغ من كل نطق ؟

ولكن ماذا نفعل ونحن فى عصر التحليل والتفسير ؟ بل فى عصر العقم الذى لا يفهم معنى نشوة الإبداع ؟!

هذه الابيات يمكن ان ياخذها الشارب النواسى على انها تعنى خمرته الحسية ، ولن يجد اجمل منها فى كل ما قيل من اشعار الخمريات .. بل سيجد انها خمرة راقية ، ارقى من كل ما تذوق ، بل ربما كانت هى الخمرة التى بحث عنها كل حياته ـ وهو يصبو الى سكرة العمر ـ فلم يجدها فى اية حانة نواسية .

وعلى الطرف الآخر ، ياتى الباحث عن اليقين الوجودى فيرى تلك «المفاتيح» التى يعرفها جيدا : «من قبل ان يخلق الكرم» و «نشوة قبل نشاتى» و «معى ابدا تبقى وإن بليَ العظم» ..

فتكبر الصورة البنائية عن إطار الحانة النواسية وتتجاوزها بافاق وافاق ومعارج الى تلك الحقيقة الكبرى ، تبارك اسمها ، التى لا تسمى ولا تقال ، حيث لا عين رأيت ولا اذن سمعت .. فى عالم المتصوفة الرحيب ..

وان يصعد بك الفن فى إطار حانة نواسية الى شراب طهور يبقيك حيا وان بلي العظم ، فذلك بلاشك من ملامح الادب العظيم . وهذا هو اللقاء السعيد بين الظاهر والباطن فى نسيج واحد ...

ولكن هذا الادب العظيم لا يكون ولن يكون إلا بهذه الروح الايمانية العميقة التى ورثها ابن الفارض من تراثه العربى الاسلامى ...

فمن يرد لنا هذه الروح ؟

يا إلهى : من يرد لنا هذه الروح ؟!

د. محمد جابر الأنصارى

الحقيقة.. ليست "حرملك"

بقلم : عبد الله الجفري

كان النهار يقظا حتى الارهاق ..

يقظة مرهقة بكل ما فيها من اشياء تهمنا وفى غمرتها .. هناك محاولات الناس . يطارد بعضها البعض ، وهى لا تعدو ان تكون « مجرد » محاولات ! !

والمحاولات نستخدمها فى حياتنا .. لتقنين اهتماماتنا ..

مجرد محاولات .. الا اننا نعطيها مكان الصدارة من ثقتنا ، تماما مثلما « نتوسم » فهما وخلقا في مخلوق عرف اسلوب «الاندراج» بين الناس .. فاذا هو لا يمكن ان يكون سوى « محاولة انسان » ، واذا هو وسط الناس : « مختصر انسان » !!

اننا لا نتمسك احيانا بصلف الأخلاق فينا .. لكننا « نحاول » فقط ان نكون اصحاب اخلاق تتسم بالصلف .. فاما ان نتمكن من فرضها على الناس ، وإما ان تبدو بها « محاولة » ، وكثير يمتلك القدرة على تحويل محاولاته إلى مزاح !

ونحن لا نثق فى صمود النفس والارادة .. اننا نخجل ان يفشل صمودنا ، لكننا بعد ذلك لا نهتم اذا تحقق الفشل .. فقد اقنعنا ذاتنا انها كانت « مجرد » محاولة .. للثبات على رأي ، أو الوقوف بفكرة ، من الذى يحاول ان لا يتعرض للفشل ..

وفى عواطفنا ضباب .. اسبابه هذا الانفلاش الذى أوغر صدر الحقائق ، وشوه خطوط الجمال الانسانى فى النفس ، ومزق ثمن لوحة فى الوجدان .. اسمها : الثقة !

لقد استمرانا ان نحاول دائما .. وفي البداية كانت المحاولة تعنى الاجتهاد والمغامرة والتوثق .. أما اليوم فان أشياءنا هى مجرد محاولات .. أسرارنا تحكمها « محاولة » كتمها ، والابقاء عليها .. الغموض جعلناه « محاولة » لقراءة الشخصية .. والتحديق فى زوايا التعامل الاجتماعى ، وحتى فى زوايا النفس تحول إلى « محاولة » لا يهمنا كثيرا فى أعقابها ان نزيد رصيدنا المشرق بين الناس .. أو ان نفتح نافذة ضوء فى النفس لتحيا أكثر ! !

إن يقظة النهار فى عين الناس « محاولة » للتذكير .. يفيق كل واحد ، ويتذكر ما ينبغى ان ينجزه من عمل ليضمن يوما قادما لا يعرف عنه شيئا ، ويعطى للناس ما عنده من « بزنس !! » .. باعتبار ان هذا انطباع الزمن ، ويفكر : لماذا لا يتخابث مرة ليؤكد إلمامه بشؤون الناس .. فى نهار كله شمس ، والذين يعيشونه « يحاولون » زرع حدقاتهم فى عين الشمس .. مع ضرورة المحافظة على الرؤية الكاملة ؟ !

فى يقظة النهار .. يشمخ الآدمي بمقدرته على الحركة ، والتنقل ، وقرع المصالح ، والاستفادة من نتائج البشر عندما يفكرون ان هذه حياة يلتزم فيها الواحد بنبضه ، وببصره ، وبشرايينه ، ولا بأس ان يموت معنويا ، أو يموت خلقيا أو يموت بالسكتة .. فهو قد حاول ان يحيا للغد ! !

وفى هذا الوضوح المرئي .. يزعق الآدمي وهو يسرع الخطى ، وهو يبتسم ، وهو يحقد ، وهو يتعامل .. يصرخ باحثا عن الحقيقة ، وقد ارتكب كل تلك التصرفات ، محاولا .. متناسيا عدة حقائق قذفها فى أعماقه ، وقفل عليها غطاء الشعور الباطنى !

ان الحقائق لا تتلاءم مع المحاولات .

اننا لكى نؤكد حقيقة ، أو نسعى للفوز بحقيقة .. يتوجب علينا ان نتيقن من خطانا .. من تصرفاتنا .. من افكارنا .. من نوايانا كذلك ، نعطى ما يتفاعل فى النفس ، ونمزجه بما ينعكس علينا من الآخرين .. لنخلص الى حقيقة لا تقبل الجدل ..

غير أن الكثير من النفوس اعيتها المحاولات .. فرضت عليها انطباعا لازما .. وعليه ملامح الاضطراب .. كما قطعة الصلصال فى يد طفل يريد ان يحولها الى شكل .. الى قسمات .. الى صورة ، لكنه ليس أكثر من طفل « يحاول » .. وهو لا يعرف شيئا من فن النحت ، أو الرسم .

ان أمراضنا الذاتية ليست هى حقائقنا .. بل الحقائق نفسها أصابتها عدوى المرض ذاك .. فطمرت تحته ، وتقلصت ، وأصبحنا مرضى ، وأصحاب حقائق ضائعة .. لا ندرى انها فى أعماقنا تئن تحت ركام من المرضى !

كل عنعناتنا ، وآلامنا ، وشهواتنا ، ورغائبنا ، وطفرة الفرحة .. كلها حالات نحياها .. تلون ذات الحقيقة ، وتعطينا حق الملكية لتلك الحقيقة .

إن الحقيقة دائما بلورية وشفافة ، وصريحة ، وكاميرا اتوماتيك تلتقط حالات الانسان معها ـ امتزاجا ، واتحادا ـ لتكون الصورة بعد ذلك .. صورة حقائقنا .. عليها حالاتنا ومعها كل الأشياء التى ادعيناها ، واختلقناها وتاملنا منها ، وفرحنا بها ! !



مصطفى صادق الرافعي



جوته

وعلة حقائقنا ـ من بذور السوء ، والحقد ، والالتواء فى نفوسنا ـ اننا نُمرِّض حقائقنا بعللنا النفسية ، أو المسلكية ، أو كما قال الرافعى : « فى النفس الانسانية لا تمرض الحقيقة الا من سوء التخيل فيها .. كأن نعمة الخيال انما وهبت للانسان لتخرجه من حدود الحقائق .. فيفسدها ، ويفسد آثارها فيه » ! !

وقبل الرافعى .. تعاطى « جوته » نفسه .. فقال : « اننى اتجرع علقماً » ثم استطاع أن يتحرر من عقابيل كثير من « المحاولات » التى مارسها فى حياته قبل أن يصبح صاحب ذهن ناضج .

وجلس ذات ليلة يتامل حياته .. كانت فتاته التى وهبها قلبه قد توارت خلف ستائر زمنية أسدلت قبل فترة قريبة من تلك الليلة ، وفى وجدانه لازال « صدى » قلبه المتهاوى الى القاع .. ولا زال ذلك الصدى يؤرقه الليل ، ويمضّه فى النهار .. كان يبحث فى أحضان الليل عن « الحقيقة » .. كان يتساءل :

ـ ما هى « حقيقة » هذا الصدى .. هل هو شعور لم يزل يتقد ، ويتالم ، ويتعذب بحبها ، ورحيلها .. أم أنه مجرد صدى .. نعتبره ذكرى لأيام كانت ، وغابت كما تغيب الشمس آخر النهار ، وكما يحتجب القمر قبل بزوغ الفجر ؟ !

لقد تعاطى « جوته » نفسه ، فبصق منها كل « المحاولات » التى تراكمت من زمن .. بصق ما قاله الناس من أحاديث كانت تلاك فى أفواههم كجلد العنز التى نفقت من أيام .. وبصق « محاولات » الآخرين للنيل من سمعته ، واسمه ، وحياته .. فكان ما بصقه قطعة فحم تسللت الى غـــذائه فلم يلحظها (!!) .

وحينما استخلص « جوته » نفسه .. عادته ثانية تساؤلات عن هذا السهوم الذى يجره فى ليل وديع منصت ؟ ..

ان الليل ينتصر للحقائق دائماً ..

إننا فى أحضان الليل نترك الحرية لتصرفاتنا الخاصة ، وهذه حقائق !

وفى الليل نفكر فى الصور ، والخواطر ، والآراء ، والامانى التى نداريها عن الناس كخبر .. لأنها اسرار ، وهذه حقائق !

وفى الليل نمتلك شهواتنا بكل الابعاد .. وقد كنا فى يقظة النهار نخبئها .. وهذه حقائق ! !

لهذا .. وقف « جوته » ـ كما روى فى كتابه « الام فرتر » ـ امام النافذة وتطلع الى السماء الموشحة بالنجوم ، وفكر كيف يهز هذا الصمت القاتل ؟ .. ان « حقيقة » من حقائقه تصفو هذه اللحظة من كل « المحاولات » التى كانت فى نفسه ، وبصقها . حقيقة .. تعطى ظلالا لاكمال معانى اللوحة .. وفيها يقف « جوته » يقول بكل ثقة ، واصرار :

● « لا يمكن ان احيا كهذا .. ليست هذه حقيقتى .. اننى أظمأ .. اننى ابحث عن رواء .. عن عطاء .. عن منهل لروحى ، وفكرى ، ونفسى .. أينك انت يا حب ؟!! .

ويضيف « جوته » بعد ذلك ، وفى الفصل التالى .. فيروى .. ان ذلك كان تعبيراً عن احدى حقائقه ، وهو لم يستطع ان يؤطر ذلك التعبير ، وتلك الصـــورة بالكلمات والنطق ، الا لحظة صفائه ، وخلوده الى أصالة النفس فيه .. بعيداً عن كل محاولة .. اقتراباً من صدق ما نشعر به ومن حقيقة ما صاغنا كانسانيين .. نحس ، ونتالم ونفرح ، ونحب !!

إن البعض من البشر يعتقد انه محافظ جداً .. فيعود إلى حقائقه ، ويدثرها ، ويغطيها ، ويهيل عليها تراكماته النفسية ، ثم يقف بين الناس ويقول :

ـ اننى اخاف على حقائقى .. اننى احافظ عليها ، واحميها من السفور والتعرض لنظرات الناس وكلامهم .. لهذا اخبىء كل حقائقى بعيداً .. بعيـــداً ، وليعتبرنى الناس بلا حقيقة ! !

لكن هذا إجحاف بالنفس البشرية ، وتسلط على ابداع الانسان وهو يتوق ان يكون حضارياً ، وانسانياً ، وخلقياً ، ومدركاً لمعانى ضرورة الحياة ..

إن الحقيقة ليست من « الحرملك » .. إنها لا يمكن أن تكون زوجة فى بيت يحافظ على قسماتها ، ويهمل قيمتها ، وفعاليتها ! .

لكى لا تختنق الحقائق فى أعماقنا ، فنموت برائحة الاختناق .. يجب ان تكون حقائقنا عارية .. حتى من « الميكروجوب » !

ان الحقائق ليست انبهاراً نقف لنتفرج عليه .. بقدر ما هى « رحم » ، اذا أردناه أن يخصب ، ويلد .. علينا أن لا نكون مرضى بالعقم .. أو أن لا نكون مرضى بالضعف النفسى ! !

الأرمني الداهية
كالوستي جولبنكيان

بقلم : أحمد العناني

● رجل أثر فى تاريخ شعوب بأسرها ● ● كن كفواً يأتك خصومك ضارعين ● ● ● المغامرون الدوليون ● ● ● ● الطريق الى اعظم مجد دنيوى ● ● ● ● ● ●

فى قلب مدينة لشبونة عاصمة البرتغال يواجه الزائر عمائر ضخمة تشغلها مؤسسة تدعى « مؤسسة جولبنكيان » قد لاتكون وزارة رئيسية لدولة بارزة اشد منها لنشغالا او احفل بالحركة والنشاط .

وتوقفت هناك اسال مرافقى البرتغالى « كل هذه لرجل ارمنى » ؟

« وكيف عرفت انه ارمنى » ؟

« بمقطع يان » فى نهاية الاسم فهذه خصيصة من خصائص اللغة الارمنية واحسبها تعنى ابن ، ومن هنا فهى تتكرر فى السواد الغالب من أسماء ذلك الشعب المشتت ... وعلى كل حال فهذا رجل كان له دور بارز فى قصة البترول ... اليس كذلك ؟

وقال مرافقى متمتما بعبارة لاتبين ... نعم ... نعم ... وعلى كل حال دعنا نستعجل خطانا لموعدنا مع مدير دار الوثائق الوطنية البرتغالية فالوقت الباقى لا يتيح لنا التوقف او الحديث ، واشار بيده لسيارة صغيرة فتوقف السائق وراح يصعد بنا ناحية الدار اياها ....

لم يكن صعباً على أن أدرك أن الرجل البرتغالى لم يكن مرتاحا للحديث عن اجنبى نصف شرقى له فى عاصمة البرتغال مؤسسة كانها دولة داخل دولة .. ولكنى رحت أعاود استذكار الكتاب الذى كنت اقرا فيه غرائب عن ذلك الرجل الارمنى ، لكن مشاغل السفر وارتباطات العمل قذفت بالموضوع كله الى ارشيف الدماغ اللاشعورى ، وتراكمت بعده الامور ، فانسيته حتى كان مساء منذ فترة غير بعيدة كنت فيها مع مرجع عن تاريخ آسيا الوسطى فاذا بى مع قصة اذربيجان الغربية وكيف سقطت قطعة قطعة بايدى قياصرة الروس فى النصف الاول من القرن الماضى . فاذا بحر قزوين الذى كان بحيرة إسلامية ، وكان حوضه بالكامل شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ارضا اسلامية ومركزاً هاما من مراكز الحياة الاسلامية قد اصبح معظمه ضمن روسيا القيصرية بحدود عام ١٨٣٤ .

ويقرا المرء حديثا للتاريخ يدمى له القلب عن خلاف بين إمبراطورية الانجليز فى الهند ، وامبراطورية القياصرة الروس ، ولكنه خلاف ينتهى سراً إلى وفاق ناتج عن نهش كل جانب جزءا من ارض الإسلام ، وبتلك الطريقة تغاضى القياصرة عن عدوان الانجليز على املاك طيبو سلطان الاسلامية فى الهند ، فيما تغاضى الانجليز عن الحرب المريرة التى دامت حوالى اربعين سنة بين روسيا وإيران ، وانتهت بسقوط منطقة البترول من اذربيجان رسميا بايدى الروس بموجب معاهدة تركمان شاهي فى ٢١ فبراير من عام ١٨٢٨ م .

ولما كان القياصرة الروس فى حاجة مزمنة للمال لتغطية النفقات الباهظة لبذخهم ومغامراتهم فقد لجاوا إلى الاعلان عن بيع امتيازات التنقيب عن البترول فى اذربيجان فى مزادات علنية تداعى لها طائفة من انبغ دهاة المغامرين الدوليين وبخاصة الارمن واليهود .. وهذا كلام لا يطلق جزافا ، فبالاضافة إلى جولبنكيان الارمني نجد اسماء ارمنية اخرى لها مساس مباشر بالموضوعات النفطية كهاغوب باشا فى البلاط العثمانى ، والمليونير الارمنى الكسندر مانتا شوف الذى يرد ذكره لاحقا ضمن استعراض حياة جولبنكيان ، ومن اليهود على سبيل المثال دون الحصر اللورد ناثانييل روتشيلد واللورد صموئيل وولترليفي ، واسرة نوبل ، الفرد ، وروبرت ، وعمانوئيل ، ولودفيغ وغيرهم كثيرون .

رجل أثر فى تاريخ شعوب بأسرها

لكن أحداً من أولئك المقامرين لم يبلغ من الشان ما بلغه الارمني كالوست سركيس جولبنكيان ذلك الرجل الذى لعب اخطر الادوار العالمية على مسرح السياسات الدولية المتعلقة بالنفط او الناشئة عنه ، والذى استطاع ان يحظى كفرد بحصص من مشاركات النفط على قدم المساواة مع اضخم شركات النفط المدعومة بمداخلات مباشرة من دول بلادها ، والذى وصل قمة

النفوذ فى رسم ما عرف بالخط الاحمر ليقرر به ابعاد المناطق المدعاة كمناطق نفوذ للدول التى تقاسمت فيما بينها النفوذ فى إمبراطورية العثمانيين بعد انهيارها .

كن كفؤاً

من الآباء رجال يمتازون بالأثر الباقي الذى يتركونه فى ابنائهم بترسيخ أفكار معينة فى اذهانهم ، مستخدمين أساليب من التحريض اللامباشر الذى يشحن قلوب الأبناء بعواطف تظل متضاغطة إلى أن تهيىء لها الكفاية والارادة العارمة وسيلة الانطلاق فتبهر الدنيا بشدة اندفاعها . ذلك ما حصل للقائد القرطاجني هنيبال الذى شب ومعه فكرة من أبيه تراوده ليل نهار للانتقام من روما ، فما كان منه حين أصبح رجلا إلا انه ركز نفسه فى اسبانيا واستغل إمكاناتها فى الانفاق على جيش أحسن إنشاءه واختيار أفراده وتدريبهم تدريباً عنيفاً متواصلا ، فلما حانت ساعة الثار من روما فعل مالم يفعله رجل من قبله وهو اجتياز جبال الالب ذات الثلوج والوعورة وانقطاع الطرق ، ومعه الفيلة وأدوات الحرب والحصار ، ورغم خسائره الكبيرة استطاع أن يقهر جيوش روما حين باغتها من الشمال على غير توقع أو استعداد فكان له من الثار ما أراد . كذلك فعل سركيس جولبنكيان والد كالوستي . فلقد كان رجلا ذكياً وطموحاً ، ولكنه لم يستطع أن يتسامى بحظه من الحياة إلى شيء يستحق المقارنة بما حققه ارمني آخر يفيض غروراً وسفها وغطرسة وهو المليونير الارمني الكسندر مانتا شوف الذى أصاب حظاً هائلا فى بترول باكو عاصمة اذربيجان ، وكان رجلا فظاً قاسياً عرف عنه كلمة مشهورة حين سئل فى موضوع إنساني لمساعدة بعض فقراء العمال فقال « إنكم تقولون عنهم إنهم طيبون ـ لكن الضعفاء جميعاً طيبون لانه ليس عندهم قوة تكفيهم ليكونوا أشراراً » . وحين تحقق سركيس جولبنكيان من انه لن يستطيع أن ينافس مانتا شوف صمم على أن يهيىء ابنه كالوستى ليحقق له ما عجز هو عن تحقيقه . قال له وهو يناجيه صغيراً فى هذا الامر . « كل شيء ممكن يا بني .. إياك أن تصدق ان شيئاً ما يستحيل على الارادة البشرية إذا هى أعدت للأمر أسباب الاستطاعة . عليك أولا وقبل كل شيء أن تتعلم هندسة البترول فى أرقى المؤسسات العلمية ، ثم تدخل إلى عالم رجال الأعمال بارادة حازمة لفهم كل شيء واستكناه أدق التيارات الخفية فى ذلك العالم الخطر .. وعندئذ تستطيع أن تحرك الثروة المعقولة التى أتركها لك ، (وكان يملك كمية من أسهم بترول باكو كما حقق أرباحاً من تجارة البرافين فى اسطنبول ، وكانت هذه المادة تستخدم بكثرة قبل توفر البترول) . كن كفؤا يا بني ولسوف يضطر أعدى أعداء أبيك وأصدق أصدقائه ضارعين إلى ابتغاء ما عندك من المزايا العالية والكفاية المتفوقة .. إن فاقد الكفاءة هو انسان ميت تعاف جثته حتى الكلاب » .

وانطبعت كلمات الوالد فى ذهن الولد فتخرج بتفوق بارز فى العلوم والهندسة من جامعة لندن ثم انتقل إلى باكو وراح يتردد على الموصل وغيرها من المواقع التى كان يقدر وجود البترول فيها ، وفى عام ١٨٩٢ نشر كتاباً مطولا عن البترول وصناعاته ، وبدأ يثير اهتمام المحافل المالية فى عواصم الغرب ، خصوصاً بعدما تمكن من انتزاع ثقة المليونير مانتا شوف بفضل ضربة حظ رائع أتيحت له ذلك بانه خلال نقمة الاتراك والروس على الارمن ، وقيام المذابح فيهم حدث أن التقى جولبنكيان هو ومانتا شوف وزوجة الأخير على نفس السفينة التى هربوا بها إلى مصر ناجين من هول المذابح .. وكانت السفينة مثقلة بحمولتها من الفارين حين وصل مانتا شوف وزوجته التى كانت فى وضع نفسى سيىء ، ولولا وساطة كالوستي جولبنكيان لما امكن المليونير وزوجته المريضة الصعود إلى السفينة .. غير ان جولبنكيان لم يقتصر على أخذهما وانما استطاع أيضاً إخلاء حجرة على السفينة المكتظة للمرأة المريضة وأظهر لها ولزوجها من العناية والايناس ما جعل مانتا شوف يثق بالشاب الذى كان يعرف أباه ولا يحبه فتفاهم معه على أن يصبح سكرتيراً لمقر شركته بلندن مطلقاً يده فى تحريك امكانات ثروته الواسعة بالطريقة التى يراها ..

المغامرون الدوليون

إن طبيعة البحث عن الزيت فى باطن الأرض خصوصاً فى الأيام التى لم تكن التقنية العلمية قد بلغت ما وصلت اليوم من تقدم فى أبحاث التنقيب كانت تقتضى رجالا يستندون إلى شجاعة فذة ودعم مالي عظيم للاقدام على مجاهيل الزيت . صحيح أن مناطق كباكو والموصل كانت تنفث الزيت أو لهب الغاز المحترق منذ عصور طويلة مضت فلا يحتاج المرء إلى واسع علم ليدرك نجاعة التنقيب فيها ، ولكن أكثر مناطق التنقيب لم تكن فى مثل ذلك الوضوح .. بل إن المناطق القريبة من أماكن الظهور السطحي للزيت أو الدلائل عليه قد تخيب الظن بعد إنفاق مبالغ ضخمة على التنقيب فيها . من هنا كان أباطرة الزيت من رواد التنقيب رجالا مغامرين فى تكوينهم النفسي تتملكهم روح المقامرة بكل شيء .. والحقيقة انه فى مقابل كل ناجح منهم كدارسى الذى جمع ثروة هائلة من أشغال التنقيب عن الذهب فى استراليا ، ونجح لاحقاً فى استخراج الزيت من منطقة مسجد سليمان فى إيران الغربية ، كان هناك كثيرون ضاعت ثروات لهم ضخمة فى مغامرات مفلسة لم تسفر عن شيء .. لكن جولبنكيان لم يكن واحداً من هؤلاء على رغم الثروة التى تحصلت لوالده من تجاراته فى اسطنبول .. فقد كان ذكياً فطناً وحذراً ، وكان يزن التكهنات عن الزيت ، وأبحاث الجيولوجيين وزناً دقيقاً ، وفى الوقت نفسه كان إذا ما اتجه إلى المغامرة حمل مسئولياتها المالية حكومات قادرة .. ثم خرج ظافراً بنصيب ضخم قلما تيسر مثله لفرد واحد فى صناعة الزيت . ومما لوحظ فى حياة ذلك الرجل أن نجمه ظل فى صعود متواصل وانه لم يواجه إلا خيبة كبرى واحدة مع الحكومة العثمانية ، لكنه صبر وصابر حتى حقق الفوز تحت ظروف كان هو من أكبر العاملين على تحققها ، بعد أن زالت قبضة السلطان عبد الحميد عن أمور الدولة العثمانية .. وعلى عكس ذلك جرت حياة هولمز الذى اغتنى وأفلس مراراً .

الطريق للمجد الدنيوى

لقد فرض الاكفاء من الارمن وجودهم في أعلى مناصب الدولة العثمانية ، وكان طبيعياً أن يجد جولبنكيان تجاوبا من وزيرى البلاط العثماني هاغوب باشا وسليم أفندى عندما أثار اهتمامهما بوجود ثروة بترولية فى العراق كافية لاخراج حكومة السلطان من كل مشكلاتها المالية المتأزمة ، فوضع جولبنكيان فى فترة وجيزة لا تكاد تصدق تقريراً منسقاً غاية فى الاحاطة والشمول والدقة معلناً يقينه الحاسم بتوافر النفط بكميات ضخمة فى شمالى العراق وعلى الأثر اتخذ السلطان عبد الحميد قراراً بنقل سائر الأراضى التى اشار لها جولبنكيان إلى الملكية العامة ، لكن رائحة البترول اجتذبت اهتمام الدول والمؤسسات الغربية وصمت السلطان كان الأمر لا يشغل باله لكي يستطيع الظفر بجو هادىء يصدر فيه قراره على غيبة من أسماع الرقباء ، ولم يظفر جولبنكيان باكثر من عبارة من الباشا الأرمني حين قال له « فى أمان الله يا بني .. يكفيك شرفاً أنك خدمت السلطان » . ولما كان السلطان قد آثار حفيظة الصهاينة باحتقاره كل عروضهم له مقابل السماح لهم بتملك أراض فى فلسطين فقد التام شمل اليهود والأرمن فى العمل على اسقاطه متخذين من بريطانيا مقراً لنشاطهم ، وما لبثوا أن قلحوا فى استغلال سخط بعض الضباط المتحمسين فى سالونيك ، وبالتعاون الوثيق مع المدسوسين على تلك الحركة تم خلع السلطان عبد الحميد ، حيث ظهر إلى الوجود من بعده ما عرف باسم البنك الأهلى التركى وبين أعضاء مجلس ادارته جولبنكيان الذى أصبح أيضا المستشار الاقتصادى لسفارتي تركيا فى لندن وباريس وعلى الرغم من أن الالمان بنفوذهم القوى فى اسطنبول حصلوا من حكامها الجدد على وعد باخذ امتياز البترول ، ومن أن مذابح الأرمن لم يكن مضى عليها أكثر من اثنتي عشرة سنة إلا أن ذلك الأرمني الفذ استطاع الجمع بين الماء والنار ، وحل سائر الألغاز ، وطلع على العالم عام ١٩١١ بما عرف « بشركة النفط التركية » ، التى كانت ملكيتها على النحو التالى ، خمسة وثلاثون بالمئة للبنك الأهلى البريطاني المسمى بالتركى ، وخمسة عشر فى المئة لجولبنكيان. وخمسة وعشرون بالمئة للبنك الالمانى والباقى وهو خمسة وعشرون فى المئة لمجموعة شركات شل. ولاشك فى أن الذى حققه ذلك الفرد الأرمنى بعصاميته وذكائه وثقافته العميقة ، وقوة شخصيته فى مجال المفاوضة أمر لم يسبق له مثيل .

فرد يواجه دولا

لقد كانت كفاءة جولبنكيان هي التي تلجيء الحكومات لاحترامه إلى حد التهيب منه ، وكان هو أيضاً يعرف قدر نفسه فيصونها عن اللهفة الطائشة لتعجل الغنائم ، ويثبت في المفاوضات والمساومات المعقدة التي كانت تدور من وراء الستار ، أنه شخصية فذة تقف مع الدول على قدم المساواة .. ولما كانت بريطانيا قد قررت أن تستخدم الطاقة البترولية في تحريك أسطولها بدلا من الوسائل القديمة فقد تعاظم المسئولون فيها أن ينتزع منهم فرد واحد خمسة عشر بالمائة كمنتج وصاحب شركة. علماً بانهم هم أيضاً سيصبحون المستهلك الرئيسي لمنتوجات الشركة. ولذلك أوعزوا للبنك الاهلى البريطاني أن يتنازل عن حصته فى شركة النفط المسماة بالتركية إلى الشركة التى تملك حكومة بريطانيا نصف أسهمها وهي شركة النفط الأنجلو-إيرانية التى أسسها رائد النفط دارسي . وكان من رأي بريطانيا إقصاء ذلك الرجل جولبنكيان عن تلك المشاركة الدولية ولكن الرجل سرعان ما اثبت انه كان متنبها لخطط الانجليز ، فلما وجد هؤلاء أن تحركهم ضد الرجل الأرمني قد يتهدد المشروع كله بالخطر ضغطوا على شل والبنك الالمانى فتنازل الطرفان عن خمسة بالمئة من حصصهما لصالح جولبنكيان .. لقد كان ذلك يعني ثروة هائلة جعلت منه أغنى رجل فى العالم .

السيد خمسة فى المئة

الواقع ان النتيجة التى حصل عليها الأرمني النابغة لم تات بسهولة خصوصاً وان تشرشل كان بين أقوى المتحمسين لحرمانه من كل شيء ، ويحتمل أن يكون لجولبنكيان دور فى تمسك فرنسا بحيازة الموصل غداة المؤامرة السرية المعروفة باتفاقية سايكس بيكو لعام ١٩١٦ ، ولكن الانجليز كانوا يضمرون مواجهة فرنسا بأمر واقع، ولذلك سارعوا بمهاجمة العراق وسبقوا الفرنسيين إلى منطقة الزيت فى شماليها . واشتد الخلاف بين الحليفتين بعد أن وضعت الحرب أوزارها عام ١٩١٨ ، وأخرجت ثورة البلاشفة روسيا مما وعدت به فى اتفاقية سايكس بيكو ، فيما عمدت بريطانيا لمصادرة نصيب الالمان من شركة البترول التركية ، وعندما وصل الخلاف أشده بين الانجليز والفرنسيين تمكن جولبنكيان من حل عقدته فى سان ريمو عام ١٩٢٠ حين اقترح ان يذهب ميراث الالمان فى شركة البترول التركية إلى فرنسا فى مقابل تنازل الأخيرة عن مطالبها فى الموصل كما تعهدت بالتعاون التام مع الشركة التى أصبحت شريكا فيها لمد خطوط انابيبها عبر سوريا إلى مصبها على الساحل اللبناني . ولم يعكر صفو ذلك الترتيب سوى احتجاجات شديدة من الولايات المتحدة التى كان لها دورها فى انتصار الحلفاء الغربيين ، كما كانت شركاتها ممثلة فى شركة التنمية العثمانية ـ الامريكية برياسة كولبي شستر على وشك الظفر بامتياز الموصل من الحكومة العثمانية سابقاً للحرب الأولى لولا خطط جولبنكيان الماكرة لصالح الانجليز والهولنديين .

والغريب أن جولبنكيان نفسه هو الذى استطاع حل هذه العقدة أيضاً باعادة توزيع الاسهم فى بترول العراق على التساوى بين أمريكا وشل وفرنسا وشركة الانجلو ـ ايرانيان البريطانية على أن يتحمل كل نصيبه فى حصة الخمسة فى المئة لجولبنكيان ، الذى اكتسب فى المحافل الدولية لقب السيد خمسة فى المئة ..

لقد كانت المفاوضات والمناورات التى أسفرت عن تلك النتيجة عسيرة إلى أبعد ما يمكن وصفه بالكلمات .. وكان من أشق ما فيها موضوع الأراضى التى تغطيها الامتيازات البترولية .. وكان رأى الامريكان الذى ساندوه الانجليز فى مرحلة متأخرة أن يترك الباب مفتوحاً فى أراضي الدولة العثمانية سابقاً أمام الشركات لتتنافس فى الحصول على الامتيازات ، لكن فرنسا التى لم تكن فى موقف مناسب للتنافس مع الشركات الانجلو ـ سكسونية أصرت على

مبدأ المشاركة الجماعية فى امتيازات النفط فى أراضي التركة العثمانية ، وبقي أن يتقرر أي الأراضي يجب اعتبارها ملكية سابقة للعثمانيين،تقدم جولبنكيان فرسم بالقلم الأحمر خطاً لتلك الحدود بناء على درايته الدقيقة لأحوال تلك الدولة وحقوقها وقد أقر الجميع ذلك الخط واتفقوا على أن يكون الخط قسمة بينهم فى كل الأراضى الداخلة وراء ذلك الخط فلا تنفرد شركة أو دولة بامتياز لها بمفردها ..

الخروج من تحت أقدام الفيلة

كانت الريح تهب رخاء على سفينة جولبنكيان الذى تدرجت ارباحه السنوية من عشرين إلى خمسين مليون جنيه استرلينى فى فترة ما بين الحربين العالميتين فيما كان يعيش فى باريس بعد سبع وثلاثين سنة أنفقها فى متاهات السياسات الدولية والأطماع الاحتكارية ، عيشة فيها من الترف والبذخ ما بلغ غاية الغايات .

وحين هزمت فرنسا فى الحرب العالمية الثانية لم يتردد الانجليز والأمريكيون فى أن يحاولوا التفاهم على حساب فرنسا وجولبنكيان الذى كان قد سارع إلى الخروج من تحت أقدام الفيلة التى باتت تتصارع فى أخطر حيلة للاطماع الاشعبية على حساب المغلوبين على أمرهم من أهل الأرض والبترول لكن الثعلب الأرمني كان أشد نباهة من أن لا يتوقع وقوع ظرف دولى تهب فيه الرياح على عكس ما يشتهى ، ولذلك ملأ خزائنه فى لشبونه التى ارتحل لها بكل المذكرات والأوراق التى تسجل أخطر المعلومات السرية المحرجة ووسائل الشر التى لجأت لها شركات الاحتكار الكبرى لتحقيق أطماعها ، وحين هدد بنشر ذلك على الملأ سارع الشركاء القدامى فوقعوا مع نوباز جولبنكيان ـ ابن الرجل الذى استنكف عن مواجهة من حاولوا هضم حقوقه ـ اتفاقية لشبونه لعام ١٩٤٨ التى زادت دخل الرجل ثمانية ملايين دولار سنوياً ، لكنها انهت اتفاقية الخط الاحمر لصالح الشركات الامريكية .

أحمد العنانى

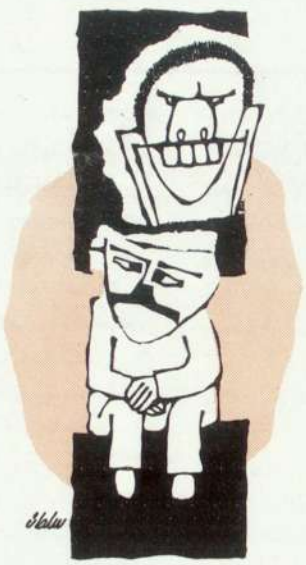
شعر: دكتور كمال نشأت

١ ـ شهيد

ترنَّحَتْ بخَيْمَةٍ فجْرِيَّةٍ وسقَطَتْ
إنغمَسَتْ
فى بركةِ الدِّمَاءْ
وقَبَّلَتْ جبينَه المُعَفَّرَ الشَّامِخَ كِبْرِيَاءْ
ما قيمةُ الأعياد
ما روعةُ الأمجادْ
هذا الفتى المخلد الذى ذَهَبْ
الثُّقْبُ فى جَبينِه دَرْبٌ جَدِيدٌ لِلْعَرَبْ ..

٢ ـ سميرة

بالأمس كنتِ الصغيرَةْ
تماوجينَ الضَّفيرَةْ
وكم لثَمْناكِ .. عطْفاً
أبُوَّةً .. يا «سميرة»
واليوم منكِ السلامةْ
والجسمُ يندَى دَسَامةْ
والله أبدعَ .. صورْ
من قَطْرةٍ .. لغَمَامَهْ .. !



تـأمّلات في حقيقـة أمـر أبي لهـب

يهوذا بني هاشم

بقلم : حسين أحمد أمين

«تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » .

ـ سُورَةُ الْمَسَد ـ

أثارت فى ذهنى قراءة « سُورَة الْمَسَد » عدداً من الاسئلة :

السؤال الأول : اذا كانت السورة من أوائل السور المكية كما يذهب كل أوجل المفسرين المسلمين واذا صح ما يقوله البعض من انه لما نزلت « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين » ، خرج رسول الله حتى صعد الصفا وهتف حتى اجتمع اليه قومه ، وإذ اخبرهم انه نذير لهم بينَ يدى عذاب شديد ، قال له ابو لهب تبا لك ! ألهذا جمعتنا؟ ثم قام منصرفا ودعا قومه الى أن ينفضوا من حول النبى فنزلت سورة المسد .

فما علة الإتيان بالفعل بلفظ الماضى فى هذه الآية والآية التى تليها « مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ » فى حين كان أبو لهب وقتها ـ كما هو واضح ـ لايزال حيا ممتعا بما رزق من ثراء ؟

الاجابة سهلة فيما يتعلق بالآية الاولى . فمن سنن العرب ان تاتى بالفعل بلفظ الماضى فى بعض الحالات وهو حاضر او مستقبل ، نحو : « أَتَى أَمْرُ اللَّه » اى ياتى ، و « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ » اى انتم ، ونحو استخدامنا لعبارات مثل : «رَحِمَهُ اللَّهُ» و «صَحِبَتْكَ السَّلَامَةُ» و «شُفِيتُمْ» و «بَارَكَ اللهُ فيكُم» . فتَبَّ هنا إذن فعل ماض يدل على المستقبل غير ان الاجابة اصعب فيما يتعلق باية : « مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ » .

فالقرآن الكريم لاترد فيه عبارة «مَا أَغْنَى» ومثيلاتها إلا للدلالة على حدث وقع من قبل : (وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ، قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما حبتم تستكبرون) ـ الاعراف ٤٨ ، (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِين . فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ـ الحجر ٨٣ ، ٨٤ ، (ثم جاءهم ما كانوا يُوعَدُون . وما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون) الشعراء ٢٠٦ ، ٢٠٧ وايات اخرى غيرها (انظر الزمر ٥٠ ، وغافر ٨٢ ـ والاحقاف ٢٦ ، والتوبة ٢٥) . ولو أن المستقبل كان المقصود هنا لاستعملت ـ والله اعلم ـ كلمة «يُغْنى» ، كما فى اية . « إن الذين كفروا لن تُغْنى عنهم اموالُهُم ولا اولادُهُم من الله شَيْئا » ـ ال عمران ١٠ ، او « من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا » ـ الجاثية ١٠ . (انظر ايضا الى ال عمران ١١٦ ، والانفال ١٩ والمجادلة ١٧) .

والغالب فى راينا ان السورة إنما نزلت عقب ورود الخبر بوفاة ابى لهب بعد وقعة بدر عام ٢ هـ / ٦٢٤ م بزمن قليل (قيل سبعة ايام كما

يروى ابن هشام) ، ولايصح الاحتجاج هنا بان قصر الآيات فى هذه السورة ـ وهو ما يميز السور المكية من السور المدنية بوجه عام ـ دليل على انها مكية . فمن السور المدنية ما هو قصير الآيات أيضاً ، مثل سورة النصر . أما ما ورد فى التفاسير من أن آية « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ » هى من قبيل الاجابة على قول ابى لهب للنبى : تباً لك ! ، فكثير ما يخترع المفسرون القصص ويختلقون المناسبات من اجل تفسير الآيات وبيان أسباب نزولها .

وعندى أن أقوى دليل على صحة ما نذهب اليه هو ماورد فى الطبقات الكبرى لابن سعد ـ وهو ثقة ـ من أنه حين توفى ابو طالب وخلفه أخوه ابو لهب فى زعامة بنى هاشم ، لزم النبى بيته ، واقل الخروج ، ونالت منه قريش مالم تكن تنال ولا تطمع فيه . وإذ بلغ ذلك أبا لهب جاء الى النبى فقال : « يامحمد ، امض لما اردت ، وماكنت صانعاً إذ كان ابو طالب حياً فاصنعه . لا واللات لايوصل اليك حتى أموت ! » ، وقيل ان ابن الغيطلة سب النبى ، فاقبل عليه ابو لهب فنال منه (اى من ابن الغيطلة) فولى وهو يصيح : « يامعشر قريش ، صبأ ابو لهب ! » . فاقبلت قريش حتى وقفوا على ابى لهب ، فرد عليهم بقوله : « مافارقت دين عبد المطلب ولكنى امنع ابن اخى ان يضام حتى يمضى لما يريد » . قالوا : « قد احسنت واجملت ووصلت الرحم » . فمكث رسول الله كذلك اياما يذهب ويأتى لا يعترض له احد من قريش ، وهابوا ابا لهب .

هـــذه القصـــة فى الطبقات لا يمكن تصور حدوثها إن كانت سورة المسد قد نزلت فى مستهل الدعوة . اذ ليس من المعقول ان يصر ابو لهب على حماية النبى بعد وفاة ابى طالب عام ٦١٩ م قبل الهجرة بثلاث سنوات فحسب ولا ان يقبل النبى منه هذه الحماية وقد جاء فى القرآن بشانه وشان امراته ما جاء .

وعلى اي الاحوال فان السورة فى راينا قد تكون مدنية ، فتفسر « تَبَّتْ » فى هذه الحالة على انها بيان الواقع او تقرير حال ، ويكون المعنى ان ماله وماكسب من جاه لم يدفعا عنه الموت ولا هما بدافعين عنه عذاب النار . اما إن كانت مكيّة ، كما يصر المفسرون ، فَتَبَّتْ إذن هى دعاء او استنزال للعنة .

استخدام الكنية

السؤال الثانى : إذا كان اســـتخدام الكنية هو عند العرب من قبيل الاعظام والتكرمة ، والاجلال عن التصريح بالاسم ، او ، على حد قول السيوطى فى « المزهر » : « لا يؤهل للكنية إلا ذو الشرف من القوم » ، فما علة تكنية القرآن لهذا الكافر ، واسمه فى الحقيقة عبـــد العـــزى بن عبد المطلب ، وإنما لقبه أبوه بابى لهب لحسنه وماله وإشراق وجهه ؟ .

الاجابة هنا أيضاً سهلة ، نجدها فى كشاف " الزمخشرى " وتفسير " القرطبى " وعند غيرهما .

فقد يكون أبو لهب مشتهراً بالكنية دون الاسم ، حتى صارت كنيته اشهر عَلَمِيَّه .

وقد يكون انه لما كان مآله إلى نار ذات لهب ، وافقت حاله كنيته ، فكان من المناسب ان يذكر بها .

والثالث ان العُزَّى صنم ، ولم يضـف الله فى القرآن العبودية إلى صنم .

« سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ »

السؤال الثالث : يفسر المفسرون آيـة « فى لوح محفوظ » من سورة البروج بانه لم الكتاب الذى منه انتسخ القرآن وسائر الكتب السماوية ، وان فيه بيان أمور الخلق وذكر آجالهم وأعمالهم ومآل عواقب أمورهم .

فهل كانت " سورة المسد " فى اللوح المحفوظ منذ البداية ، وفى كتاب الله من قبل أن يخلق أبو لهب وأبواه ، بحيث لم يكن فى وسع ابى لهب إلا ان يَصْلَى النار ، ولم يكن باستطاعته ان يقبل الاسلام دينا له ؟

غير ان محاولة الاجابة عن هذا السؤال من شانها ان تفضى بنا إلى مناقشة طويلة وجدل مضن حول الموضوع الازلى ، « هل الانسان مخير او مسير ؟ » وهو ما يشـغل مئات ومئات من الصفحات فى كتب علماء المسلمين . على أى حال فان القول بانه سَيَصْلَى ناراً ذات لهب ، ربما كان فيه دليل أخر على ان السورة مدنية لا مكيّة ، وعلى انها نزلت بعد وفاة ابى لهب حين انقضت فرصة اعتناقه الاسلام والتوبة والفرار بنفسه من النار .

« وامْرَأَتُه حَمَّالَةَ الحَطَبِ فى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ »

السؤال الرابع : ما المقصود بحمـــالة الحطب ؟

قال البعض ـ كما هو متوقع ومعهود من كثير من المفسرين ـ إن أم جميل ، زوج أبى لهب ، كانت تحمل الحطب على ظهرهـا لشدة بخلها حتى تكون فى غنى عن الخدم وقيل بل كانت تحمل الحسك والشوك فتطرحهما بالليـــل على طريق النبى واصحابه .

والمرجح عندنا أن المقصود ليس ما كانت تفعله أم جميل فى حياتها ، وإنما المقصود ان هذه المرأة ستجمع فى جهنم الحطب الذى سيوقد تلك النار . وربما صلح دليلا على ما نذهب إليه ، أن كلمة « حمَّالَةَ » منصوبة فى الآية (وفق قراءة عاصم) ولو كانت خبراً او نعتاً لامراته لكانت مرفوعة . غير أن البعض يرى انها ربما تكون قد وردت بالنصب على الذم ، فكانها اشتهرت بذلك فجاءت الصفة للذم لا للتخصيص .

كذلك نذهب إلى أن المقصود بآية « فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » انه سيكون فى عنقها فى جهنم حبل مفتول من الليف ، لا ما ذكره الضحاك وغيره من انها كانت فى الدنيا تحتطب وهى فى حبل تجعله فى جيدها ، فخنقها الله به فاهلكها .

ولكن ، لماذ أبو لهب ؟

السؤال الخامس ، وهو أهم هذه الأسئلة

يهود ابني هاشم

فى رأيى : لماذا خص الله أبا لهب بالذات دون سائر المشركين بالاسم ، وتخصيص سورة له ، دون أبى جهل مثلا أو أمية بن خلف أو عقبة بن أبى معيط أو النضر بن الحارث ، وكلهم من الد أعداء النبى فى قريش ، وأشدهم عليه ؟

إن القرآن لم يورد من اسماء معاصرى النبى عليه الصلاة والسلام غير اسمين اثنين لا غير ، أحدهما لمسلم وهو زيد بن حارثة ، والآخر لكافر وهو أبو لهب . فما علة نزول سورة فيه بالذات ؟

صحيح أننا نعلم أن الصحابى عبد الله ابن مسعود ـ وكان يعتبر نفسه أحد الثقات الكبار فى القرآن ـ ذهب إلى أن نسخة القرآن التى أقرها الخليفة عثمان بن عفان غير كاملة ، واتهم زيد بن ثابت وأصحابه ممن جمعوا القرآن باستبعاد آيات تلعن الامويين . غير أن هذا الاتهام غير مقبول . فقد كان على بن أبى طالب والكثيرون غيره من الصحابة أحياء وقت قيام زيد بمهمته ، ولم نسمع أن أحدهم أيد زعم ابن مسعود واحتج على استبعاد آيات .

لقد كان أبو لهب عم النبى . وكان فى وقت من الأوقات على علاقة طيبة بابن أخيه ، بدليل القصة التى أوردناها من كتاب الطبقات ، وبدليل أن ابنيه عتبة وعتيبة كانا متزوجين ، أو مخطوبين ، لابنتى النبى : الاول لرقية ، والثانى لام كلثوم . فما عسى أن يكون قد حدث بعد ذلك حتى أصبح أبو لهب من رءوس الكفر ومن أعدى أعداء الرسول ؟

كلمتان فى السورة هما عندى مفتاح الاجابة : ماله ، وامراته ولاشرح الآن ما أعنى :

تجار قريش

نحن نعلم أن المجتمعات الرعوية من البدو كانت دوماً فى حاجة إلى قدر عظيم من التضامن بين أفرادها ، كفيل بأن يحمى كيانها . فكان من واجب كل فرد من أفراد القبيلة أو العشيرة أو الرهط أن ينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً ، ومن واجب السيد أن يكفل الحماية لمن هم دونه ، ويساعد الفقراء منهم والمستضعفين .

غير أن تحول قريش فى مكة تدريجاً من الرعي إلى التجارة ادى إلى ضعف مطرد فى التضامن بين أفراد هذه القبيلة ، وبدا سادتها وشيوخها ينزعون إلى تكوين الثروات الضخمة الخاصة بهم . وقد ساعد على ذلك أن التجار كانوا يتعاملون أساساً فى سلع كمالية صغيرة الحجم سهلة الخزن ، مما مكنهم من زيادة ثرواتهم بغير حدود ، فى حين كانت الصورة الرئيسية للثراء عند البدو هى وفرة الابل ، وهو أمر يصعب معه حيازة ثروات كبيرة ، إذ يحتاج القطيع إلى عدد من الرجال يعنون به ويحمونه من غارات العدو ، ولابد أن يكون لدى هؤلاء من الولاء لصاحب القطيع ما يحفزهم على النهوض بهذه المهمة ، والمخاطرة بحياتهم فى سبيله .

وقد اتجه هؤلاء التجار من قريش إلى استغلال المستضعفين خاصة من اليتامى والارامل . وكان الرؤساء منهم يديرون الأموال الشائعة لعشائرهم فيستثمرونها ثم يحتفظون بالثمرة لانفسهم لا يفيد منها غيرهم . ومع ذلك فانه لم يتمكن من بين تجار قريش غير عدد محدود من أن يجمع لنفسه ثراء واسعاً ، وكان الصراع على اشده وقت نهوض النبى بالدعوة (حوالى عام ٦١٠ م) لا بين الأثرياء والفقراء ، بقدر ما كان بين واسعى الثراء ومعتدليه . وقد قلق هؤلاء الاخيرين ما لمسوه من وهن مطرد فى مشاعر التضامن بين أفراد القبيلة ونمو المشاعر الفردية الأنانية ، وانهيار القيم القبلية التقليدية التى كانت توفر للجميع قدراً من الاطمئنان للغد .

وقد أدت المصالح التجارية المشتركة إلى قيام روابط جديدة بين كبار تجار قريش . وسرعان ما ظهرت فى مكة جماعتان رئيسيتان متنافرتا المطامح ، فاما بنو هاشم ـ وهم الاقل ثراء ـ فتراسوا حلفاً يعرف بحلف الفضول من تلك الجماعات التى عجزت عن تنظيم قوافل مستقلة للتجارة تعود عليها بالربح الذى حرمت منه ظلماً . وكان هذا الحلف على عداء مع ما يعرف بالأحلاف ، وهو تنظيم أقامه أثرياء التجار ممن سعوا إلى فرض نوع من الاحتكار . وربما كان من بين البواعث التى حدت بالنبى عليه الصلاة والسلام إلى أن يوجه أكثر من نصف عدد المسلمين وقتها إلى الهجرة إلى الحبشة (١) (رغم ما قيل من أن الاضطهاد الذى تعرضوا له هو الباعث الوحيد على هذه الهجرة) ، رغبة فى السعى إلى كسر هذا الاحتكار بأن يبحث هؤلاء المسلمون عن طريق آخر للتجارة غير خاضع لسيطرة كبار التجار من قريش . ومما يدعم هذا الافتراض أمران : الأول : أن جل مهاجرة الحبشة كانوا من أفراد الجماعات الداخلة فى حلف الفضول ، والثانى : أن عدداً منهم بقي فى الحبشة حتى بعد هجرة النبى والمسلمين إلى المدينة وانقضاء ذلك الاضطهاد ، فلم يتركها إلى الحجاز حتى العام السابع من الهجرة .

دور أبى لهب

وقد حدث حوالى عام ٦١٦ م (أى بعد حوالى عام من تلك الهجرة إلى الحبشة) ، أن اجتمعت كلمة بطون قريش على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب ، ذوى الصلات الوثيقة ببنى هاشم ، وحظرت التعامل التجارى معهم أو الزواج منهم . وكان السبب الظاهر لهذه المقاطعة رفض أبى طالب أن يسقط الحماية عن ابن أخيه ، أو أن يقنعه بالعدول عن الدعوة إلى الدين الجديد . وبالرغم من أن العرب كانوا يرون عاراً عظيماً فى أن تتخلى العشيرة عن حماية أحد أفرادها لمجرد أن العشائر الاخرى هددتها بالعقاب إن هى لم تفعل ، فقد كان من السهل على أبى طالب أن ينتحل عذراً أو آخر للتخلى عن ابن أخيه

لو انه كان حقا راغبا فى تجنب مقاطعة بطون قريش لبنى هاشم .

والواقع أن استمرار تحدى بنى هاشم لهذه المقاطعة على مدى ثلاث سنوات ، لليل على انه كان لبنى هاشم مصلحة حقيقية فى موضوع الخلاف ، ودليل على انه قد ظل باستطاعتهم النهوض ببعض النشاط التجارى ولو على نطاق اضيق من ذى قبل . وقد انهارت المقاطعة فى النهاية حين انسحب منها بعض البطون . وذلك حين أدركت أن نجاحها إنما سيؤدى إلى تعاظم قوة اغنياء التجار ممن دشنها على نحو يتعدى الحدود التى كانوا يأملون فى الوقوف عندها .

وفى حوالى عام ٦١٩ م (اى بعد انتهاء المقاطعة بمدة قصيرة) ، مات ابو طالب ، وخلفه ابو لهب فى زعامة بنى هاشم . والذى يبدو لنا انه بعد عام او بعض عام من رياسته (وهى مدة سار فيها ابو لهب على نهج اخيه من حماية النبى ، كما نفهم من الفقرة التى اشرنا إليها من كتاب الطبقات) ، أدركت الاحلاف انه لن يكون بوسعها ممارسة الضغط على النبى وعلى بنى هاشم إلا إن جاء هذا الضغط من داخل رهط بنى هاشم انفسهم . وبالتالى فقد سعت ـ وكل سعيها بالنجاح ـ إلى ان تشترى ذمة ابى لهب ، وان تحوله عن انتهاج السياسة التقليدية لبنى هاشم ، بل وعن مراعاة المصالح الاقتصادية لعشيرته إلى خيانة هذه المصالح فى سبيل نفع شخصى محض . فالأرجح إذن انها اغرته بحصة من ارباحها ، او بالاشتراك معها فى عملياتها التجارية واحتكارها ، وقد ساهم فى نجاح مسعاها أمور ثلاثة .

أولها : خسة طبعه وغرامه بالمال وانيق العيش (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) .

وثانيها : زواجه من اخت ابى سفيان (حمّالة الحطب) ، وابو سفيان هذا من سادة بنى امية الاقوياء ، وواحد من اكبر تاجرين أو ثلاثة فى قريش . ولابد انه كان لهذه المرأة نفوذ عظيم على زوجها ، (وإلا لما قرنت به على هذا النحو الذى نراه فى سورة المسد) ، إما بفضل انتمائها إلى بنى امية ، او بفضل صفات خاصة بهـــا ، كجمالها أو ثرائها .

وثالثها : أن الاحلاف تمكنت من أن توفر لأبى لهب عذراً يقبل ضميره أن يتذرع به ، ومبرراً يلوح به فى وجوه بنى هاشم إن هم لنحوا عليه باللائمة وعيروه . فقد اقنعته ـ او هو اختار أن يقتنع ـ بان سب النبى لآلهة عبد المطلب وقوله إن ماله جهنم ، سببان وجيهان وكافيان لان يسقط عن ابن اخيه الحماية دون ان يجلل نفسه بالعار ، ودون أن يسقط فى أعين الناس .

إن قريشاً لم تكن ـ كمـــا يعتقد الكثيرون ـ شديدة التمسك بالهتها ، ولا كانت الوثنية عندها عميقة الجذور ، وإنما استمرت عبادتها للاوثان من قبيل التقليد المحض لسنة اسلافها ، ونتيجة للافتقار ـ حتى ظهور الاسلام ـ إلى اية معارضة منظمة لهذه العبادة ، ومما يدلنا على ذلك ما نعلمه من استخفاف الكثيرين منهم فى الجاهلية بهذه الآلهة ، ودعوة الحنفاء إلى عبادة اله واحد ، وتسفيههم لعقيدة قومهم دون أن يلحقهم اذى أو اضـــطهاد ، ثم ما نعلمه عن ذلك التقبل السهل المذهل من جانب قريش بعد فتح مكة لهدم أوثانها دون ان يصيبها شىء من لواعج الأسف او الحيرة أو الانزعاج . وإنما كانت معارضة قريش للنبى نابعة أساساً من مخاوف سياسية واقتصادية . فبالرغم من ان النبى لم يكن يهدف على الاطلاق إلى السيطرة على مكة ، فقد كان من شأن الاعتراف به رسولا لله ان يؤدى إلى تعاظم نفوذه السياسى ، ما دام هذا الاعتراف يتضمن إقراراً بأن ما يبلغهم إياه من احكام واوامر هى من عند الله ولا سبيل إلى مخالفتها ، وهو أمر كان سيسفر لا محالة عن تغير اقتصادى جذرى فى أوضاع مكة ، وفى موازين القوى داخل عشائر قريش .

على أيّ فقد تخلى ابو لهب عن حماية النبى ، فأصبح من الخطر كل الخطر أن يواصل الدعوة فى مكة ، أو حتى أن يستمر فى الاقامة بها . فإن كان النبى قد دخل فيما بعد فى جوار المطعم بن عدى ، سيد بنى نوفل ، فالغالب أن يكون المطعم قد اشترط على النبى أن يحد بعض الشىء من نطاق الدعوة ، وفرض بعض القيود على حريته فيها . وقد سعى النبى جـــاداً قبيل ذلك فى البحث عن مجال لدعوته فى غير مكة . فاتجه فكره اولا إلى الطائف المجاورة ، خاصة أن اهلها من بنى ثقيف كانوا فى الماضى من اكبر منافسى تجار قريش ، وإن صاروا اليوم خاضعين لنفوذهم . وبالرغم من أن اعتناقهم الاسلام كان يمكن ان يؤدى إلى خلاصهم من هذه التبعية المالية لمكة ، فقد أبوا ـ لسبب او آخر ـ (ربما لخوفهم هم أيضاً من قيام نفوذ سياسى للنبى) ان يقبلوا دعوة النبى ، فعاد إلى مكة دون أن يحقق طائلا . ثم نعلم جميعاً كيف لقيت مفاوضاته مع اهل يثرب ما لقيت من نجاح ، وهم الذين كانوا فى حاجة ماسة إلى نفوذ سياسى قوى يضع حداً للصراع الدموى بين الأوس والخزرج ، وكيف هاجر عام ٦٢٢ م إلى تلك المدينة مع نحو سبعين من المسلمين ، وكيف كان أحد عوامل انتصاره فى النهاية على مكة تضييق المسلمين الخناق على تجارة قريش حتى اضطرت إلى التسليم والاذعان

خلاصة القول أن مثل هذه الخيانة من جانب أبى لهب للنبى من أجل مصلحة مادية أنانية هى على حساب مصلحة عشيرته ، وبتأثير قوى من زوجته ، هو وحده ما يفسر لنا ذلك السخط الشديد عليهما مما نلمسه فى سورة المسد .

والله بعد ذلك أعلم بما أراد .

حسين أحمد أمين

---

(١) بلغ عدد مهاجرة الحبشة ٨٣ مسلما ، اصطحب الكثيرون منهم عائلاتهم معهم ، فى حين بلغ عدد المهاجرين إلى المدينة نحو سبعين مسلما .

إسحاق نافون

رئيس وزراء محتمل لتأخير الانفجار الطائفي في إسرائيل

مع ازدياد عمق الهوة الطائفية فى الكيان الصهيوني ، بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين ، اخذ نجم رئيس الكيان الحالي إسحاق نافون بالتالق كخليفة محتمل لرئيس الوزراء الحالي مناحم بيجن ، خاصة وان نافون سياسي صهيوني قديم ، وهو من «حمائم» حزب العمل المعارض منذ عام ١٩٦٨ ، لكن ابرز مؤهلات نافون لشغل منصب رئيس الوزراء القادم في اسرائيل ، هي كونه يهودياً شرقياً ، يحظى برصيد سياسي مؤثر بين الطوائف الشرقية ، على الرغم من صفته الحمائمية وعضويته فى حزب العمل ، الذى اصبح حزب «البيض» من اليهود الغربيين .

وقد اعلن نافون نفسه فى ايلول (سبتمبر) الماضى ، انه لا يستبعد العودة الى خوض غمار الحياة السياسية مجدداً فى العام الجديد (١٩٨٣) ، وقال انه سيقرر فى الشهر الحالى كانون الثانى (يناير) او فى الشهر القادم شباط (فبراير) ، فيما اذا كان سيرشح نفسه مرة اخرى «لرئاسة الدولة» لفترة خمسة اعوام قادمة .

بقلم : عصام شريح

من المعروف ان «رئيس الدولة» فى اسرائيل هو رئيس فخرى ، وصلاحياته هى مجرد صلاحيات احتفالية ، وهو كملكة (او ملك) بريطانيا ، يملك ولا يحكم ، وليس له من السلطة والتاثير فى صنع القرارات السياسية او غيرها اى شىء ، و «رئيس الدولة» فى المحصلة ليس اكثر من رمز لملوك اسرائيل السابقين فى عهد الاغتصاب الأول لأرض فلسطين العربية ، لكنه الرمز الذى يضفى عليه الاسرائيليون صفات العلم ، والثقافة ، والادب ، والتادب والفلسفة والتفلسف ، والرصانة والترصن والحصافة والتحصف ، والهدف من وراء إضفاء هذه الصفات هو خداع العالم المتمدن والراى العام العالمى ، ولاعطاء اسرائيل صفة «الدولة» العصرية ، بل وصفة الدولة المستقبلية دوما وابدا . ولوضع صورة حقيقية «لرئيس الدولة» فى



اسحاق نافون

إسرائيل ، وتبيان سلطاته الفخرية ، نشير الى صلاحياته المعلنة فى سبعة بنود ، وهى كما يلى :

- توقيع كافة القوانين باستثناء تلك المتعلقة بصلاحيات رئيس الدولة .
- توقيع المعاهدات بعد إقرارها فى الكنيست .
- تعيين مندوبى الدولة الدبلوماسيين بموجب توصية من وزير الخارجية ، وتسلم أوراق اعتماد المندوبين الدبلوماسيين للدول الاجنبية لدى اسرائيل .
- استلام التقارير عن جلسات الحكومة .
- قبول استقالة الحكومة والعمل على تشكيل حكومة جديدة عن طريق الاستشارات مع قوائم الاحزاب فى الكنيست ، وإلقاء مهمة تشكيل الحكومة على احد اعضاء الكنيست .

● اصدار العفو ، وتخفيف العقوبات عن السجناء بموجب توصية من الجهات الحكومية المختصة .

● تعيين مراقب الدولة وعميد بنك اسرائيل والقضاة المدنيين والقضاة الشرعيين للطوائف المختلفة .

وإذا كانت صلاحيات «رئيس الدولة» تقتصر على الجانب البروتوكولى ، فان الحكومة والكنيست هما اللذان يتقاسمان السلطة السياسية .

وقد درج الرؤساء السابقون فى الكيان الاسرائيلى على الالتزام بالهامش البروتوكولى من السلطة ، فالرؤساء الذين سبقوا الرئيس الحالى إسحق نافون ، وهم حاييم وايزمن ، واسحق بن زفي ، وزالمان شازار ، وافرايم كاتزير ، حـاولوا قتل اوقات الفراغ بالتظاهر ببذل نشاطات تتعلق بالثقافة والأدب والمجتمع ، فجعلوا مقر الرئاسـة ملتقـى للادبـاء والمفكريـن والسياسيين والكتاب والفنانين البارزين .

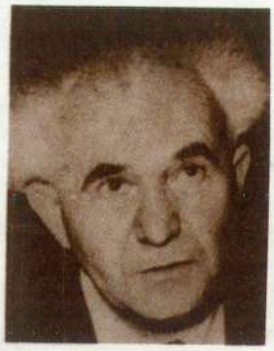
وقد تركز معظم هذا النشاط لرؤساء اسرائيل حول «ملتقى دراسة التوراة» الذى كان يحضره ويشرف عليه رئيس الوزراء الاسبق دافيد بن جوريون ، ثم «ملتقى وضع اليهود فى الدياسبورا» ، وهدف هذا الملتقى هو دراسة اوضاع اليهود فى «بلاد الشتات» ، وقد اضيفت الى هذه المهمة بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، مهمة اخرى هى بحث اثار «حرب يوم الغفران» على إسرائيل . وكان زالمان شازار اكثر الرؤساء الصهاينة نشاطا فى هذا الميدان ، فقد اشرف على عقد عدة مؤتمرات وندوات علمية ، دعا اليها علماء واختصاصيين يهوداً واوربيين واميركيين من الخارج ايضا ... والمهم ان رؤساء إسرائيل كانوا يحاولون على الدوام إضفاء الصفة الحضارية والعقلانية والتقدمية على الكيان الصهيونى من خلال نشاطاتهم الثقافية والأدبية ورعايتهم للمفكرين والفنانين .

لكن من الملاحظ ان إسحق نافون ـ وهو الرئيس الخامس ـ قد حاول الخروج على تقاليد اسلافه ، والقانون الذى حدد صلاحيات الرئيس ، ونسجل له هنا محاولتين فى هذا المضمار على الاقل هما :

اولا : « خـلال زيارته للقـاهرة فى ٢٦ ـ ١٠ ـ ١٩٨٠ ، وفى اعقاب اجتماعين عقدهما مع الرئيس المصرى الراحل انور السادات ، ادلى نافون بتصريحات سياسية تتعارض مع صلاحياته « كرئيس للدولة» ، وتتناقض بصورة جلية مع التقاليد التى سار عليها الرؤساء السابقون . ففى اعقاب الاجتماع الأول صرح نافون انه بحث مع



بيجن



بن جوريون



شوبنهور

الرئيس السادات فى إيجاد سبل لتوسيع حجم تطبيع العلاقات الثنائية ، وكذلك التطورات فى محادثات الحكم الذاتى . وبعد الاجتماع الثانى ، وخلال مؤتمر صحفى مشترك مع الرئيس السادات ، قال نافون : إنه توصل الى اتفاق مع الرئيس المصرى الراحل حول فتح الحدود البرية ودخول السياح الى دير سانت كاترين ، وشئون تطبيع العلاقات الثنائية .. الخ .

ثانيا : فى اعقاب مجزرة مخيمى صبرا وشاتيلا الفلسطينيين فى القطاع الغربى من بيروت ، خرج اسحق نافون عن «وقار» الرئاسة المزعوم ، وادلى بعدة تصريحات سياسية ، حاول خلالها «تبرئة» الجيش الاسرائيلى الغازى من المجزرة ، بالقاء تبعاتها على حزب الكتائب اللبنانى . وكان من عباراته الشهيرة فى هذا المقام ، قوله : «نريد ان نطهر ضمائرنا ، ولندع المذنب يدفع الثمن ، وينبغى ان ندين المعتدين ، ونحن نعرفهم : انهم الكتائبيون .. وان من يقتل النفس فكانه قتل العالم كله ؟!!» .

وبالطبع فان « استفاقة الضمير» التى يزعم نافون انها اصابته فى الصميم هى كذبة كبيرة ، لاننا لم نسمع نافون ينبس ببنت شفة ايام مجازر دير ياسين وقبية والسموع وبيروت ، واليوم مجازر جبل الشوف التى يقف وراءها الجيش الاسرائيلى الغازى بكل وضوح .. وعلى كل حال فان الكذب والخداع والغش وما شابه من صفات سفلية هى فى صميم الطبع والطبيعة اليهوديتين ، ولعل الفيلسوف الالمانى «شوبنهور» كان دقيقا الى ابعد الحدود عندما رسم صورة للطباع والطبيعة اليهوديتين بطرحه التساؤل التالى : اليس «الشعب المختار» هو اكذب شعب على وجه الأرض ؟؟» .

من هو نافون ؟

ينحدر نافون من اسرة يهودية شرقية ، هاجرت من اسبانيا الى المغرب ، ومن المغرب الى فلسطين قبل ٣٥٠ عاما ، وعندما انتخب «لرئاسة الدولة» فى الكيان الصهيونى فى ايار (مايو) ١٩٧٨ ، قال إن مهمته «هى تعزيز الاحساس بالوحدة فى دولة تتكون من شعب جاء من ١٠٢ دولة ، ويتكلم ٨١ لغة» !! ، واضاف «إن تاريخ اليهود هو ما فعل الآخرون لهم ، وليس ما فعلوه هم كدولة» ، واهم الخطوط فى حياة نافون يمكن تسجيلها فى الشريط التالى :

● ولد فى نيسان (ابريل) ١٩٢١ فى مدينة القدس العربية ، من ابوين يهوديين من اصل مغربى ، وله ولد واحد وبنت واحدة ، وهو خريج الجامعة العبرية فى القدس ، ومتخصص فى الادب العربى والثقافة الاسلامية ، إضافة الى تخصصه فى اصول تدريس الأدب العبرى .

● فى الفترة ما بين ١٩٤٦ ـ ١٩٤٩ عمل فى وظيفة سكرتير ثان فى بعثة دبلوماسية اوفدتها عصابة الهاغاناه (حكومة الظل فى عهد الانتداب البريطانى على فلسطين) الى الاوروجواى .

● ١٩٤٩ ـ ١٩٥١ عمل فى بعثة دبلوماسية لدى الارجنتين .

● ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ شغل منصب سكرتير سياسى لوزير الخارجية (موشى شاريت) .

● ١٩٥٢ ـ ١٩٦٣ : مدير مكتب رئيس الوزراء (دافيد بن جوريون) .

● ١٩٦٣ ـ ١٩٦٥ : رئيس الدائرة الثقافية بوزارة المعارف والثقافة .

● ١٩٦٥ ـ ١٩٧٨ : نائب فى الكنيست ، وخلال هذه الفترة الطويلة نسبيا ، شغل منصب نائب رئيس الكنيست ، ثم رئيس لجنة الدفاع والخارجية بالكنيست .

● ١٩٧٣ ـ ١٩٧٨ : رئيس «المجلس الصهيونى» .

اما بالنسبة لنشاطه الحزبى فقد تقلب إسحق نافون بين الاحزاب الاسرائيلية الرئيسية ، واستقر اخيراً (وحتى الآن) فى حزب العمل ، ففى الفترة من ١٩٥١ ـ ١٩٦٥ كان عضواً فى حزب الماباى (العمل)

إسحاق نافون
رئيس وزراء محتمل لتأخير الانفجار الطائفي في إسرائيل

وفى الفترة من ١٩٦٥ ـ ١٩٦٨ ، انتقل الى حزب «رافى» الذى شكله بن جوريون بعد خروج هذا الأخير من حزب المابای . وفى عام ١٩٦٨ عاد نافون الى حزب العمل ثانية .

نافون فى خضم الأزمة الطائفية

سواء رشح نافون نفسه لخلافة مناحيم بيجن فى رئاسة الوزراء ، او استمر فى منصبه الحالى «كرئيس للدولة» للسنوات الخمس القادمة ، فان انظار اليهود الشرقيين «السفارديم» تتطلع اليه كزعيم منتظر لهم ، حيث ان ثقافته واصله السفارديين ، إضافة كونه الشخصية السفاردية الاكثر شهرة فى الحياة السياسية فى اسرائيل ، خاصة بعد «تقزيم» شخصية وزير الاديان السابق ، ووزير العمل والشئون الاجتماعية واستيعاب المهاجرين حاليا ، اهارون ابو حصيرة الذى كان مرشحا قبل ادانته بارتكاب فضائح مالية فى وزارة الاديان ، لأن يصبح زعيما مرموقا لليهود الشرقيين . وفى اطار هذا التوقع المستقبلى فان اهم ما يمكن ان يواجهه نافون فى حال توليه الحكم فى إسرائيل كرئيس للوزراء ، هو مسالة الهوة الطائفية الآخذة بالاتساع بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين ، وهذه المسالة تمثل ازمة تاريخية ، باتت بسبب استفحالها تهدد مستقبل الكيان الصهيونى برمته من الداخل .

جذور الأزمة

لكن .. قبل الاسترسال فى وصف مظاهر الأزمة الطائفية فى الكيان الصهيونى ، سنحاول تلمس جذور هذه الأزمة . فالاسرائيليون اليوم ينقسمون الى طائفتين رئيسيتين هما :

● طائفة الاشكنازيم : وهم اليهود الغربيون ، الذين هاجروا الى اسرائيل من روسيا وبولونيا والمانيا بصورة خاصة ، ويعتبرون المؤسسين الحقيقيين للكيان الصهيونى ، وهم حكام هذا الكيان الفعليين ، ومعنى «اشكناز» بالعبرية الحديثة «المانيا» والياء للنسبة والميم للجمع (في اشكنازيم) ، ويهود هذه الطائفة يشبهون « السلاف » فى صفاتهم الجسدية ، ويطلق على لغتهم اسم «اليديش» ، وهي فى الاصل اللغة الالمانية التى كانت منتشرة ومستخدمة فى العصور الوسطى ، بعد ان دخلتها بعض المفردات العبرية والأجنبية (السلافية خاصة) . وقد نشات « اليديشية » فى المانيا ، لكن اليهود حملوها معهم حينما هاجروا الى بولندا وروسيا وفرنسا والنمسا فى القرنين الخامس والسادس عشر ، ومعظم اليهود الاشكنازيين يتكلمون اليديشية وليس العبرية ، كما ان صيغ الدين اليهودي لديهم تختلف عن الصيغ المعروفة لدى اليهود الشرقيين « السفاريم » ، نظرا لاختلاف المؤثرات الحضارية بين الفريقين ولهذا فان مصطلح « اشكناز » ليس له دلالة جغرافية فحسب ، وإنما له دلالة دينية وحضارية ايضا .

● طائفة السفارديم : وهم فى الاصل يهود اسبانيا وبلدان حوض البحر المتوسط وقد تسموا بهذا الاسم نسبة إلى مكان بشمال فلسطين كان يعرف باسم « سفارد » فى الحقبة التى اعقبت السبي البابلي لليهود القدماء ، ولكن معنى الكلمة يدل فى العصور الوسطى لدى اليهود على شبه جزيرة إيبريا (اسبانيا والبرتغال) ، وقد اطلقت هذه التسمية على نسل اولئك اليهود الذين عاشوا اصلا في اسبانيا والبرتغال ، في مقابل تسمية «الاشكنازيم» الذين عاشوا فى المانيا خاصة واوربا عامة وكان ليهود اسبانيا طريقتهم الخاصة فى الصلاة والطقوس الدينية التى تعد استمرارا للتقاليد الدينية اليهودية التى نشات وتطورت فى بابل ، فى حين كانت عبادة وطقوس الاشكنازيم مقتبسة من الأصول اليهودية القديمة . المهم هنا ان الفروق بين السفارديم (اليهود الشرقيين) ، والاشكنازيم (اليهود الغربيين) قد تعمقت نتيجة لتاثر الشرقيين فى عباداتهم وتلاواتهم وتراتيلهم وإنشادهم بالذوق والأسلوب والنغم العربي فى الاذكار والاناشيد والموسيقى ، كما انفرد هؤلاء بنصوص شعرية ونثرية فى ادعيتهم وصلواتهم ، قريبة الشبه بما يماثلها عند المسلمين ، ولكل هذا اكتسب اصطلاح «سفارد» دلالة دينية إلى جانب دلالته العرقية الأصلية . وحينما طرد يهود الاندلس ، اتجهوا إلى تركيا واليونان وشمال افريقيا ، واتبع معظم يهود المنطقة طريقتهم فى العبادة ، مما اسبغ على مصطلح «السفارديم» دلالة اوسع واشمل ، بحيث اصبح يطلق على جميع اليهود الذين يتبعون التقاليد السفاردية فى العبادة ، سواء كانوا من اصل اسباني ام لا وفي وقتنا الحاضر ، يطلق هذا المصطلح على كل اليهود الذين ليسوا من اصل اشكنازي ـ غربي فى الكيان الصهيوني .

ومع ان نسبة اليهود الشرقيين الى مجموع اليهود فى العالم (١٤ مليونا) لا تتجاوز ١٥ بالمائة ، فان هؤلاء اصبحوا يشكلون نسبة متفوقة فى اسرائيل ، حيث بلغت نسبة الشرقيين الى الغربيين حاليا حوالي ستين بالمائة .

مستقبل مظلم

وإزاء هذا الانقسام الطائفى فى الكيان الصهيونى ، فان دعوات خطيرة جدا قد بدأت تطفو على سطح الاحداث ، لا لتعلن التمرد ضد سيطرة اليهود الغربيين فحسب ، وإنما مطالبة بفصل «الشراكة» الزائفة بين الغربيين والشرقيين ، لان «الوحدة» لها معنى واحد ليس إلا ، هو سيطرة الاشكنازيم على السفارديم ، بل إن بعض الشرقيين رفعوا اصواتهم بقوة قائلين إنهم يهود عرب ، وكما ان هناك عربا مسلمين ، وعربا مسيحيين ، فهناك ايضا عرب يهود . لقد كان واضحا منذ قيام الكيان الصهيونى على ارض فلسطين المغتصبة فى عام ١٩٤٨ ، ان الغربيين ـ اى اليهود القادمون من المجتمعات الغربية ـ يرفضون باصرار بالغ تحويل اسرائيل الى مجتمع شرقى ، اى الاندماج بالمنطقة العربية ، وكانوا يصرون على انهم جزء من اوروبا والعالم الغربى ، ولذلك فانهم لن يسمحوا تحت اى ظروف بالتهاون فى فرض سيطرتهم الكاملة على «الدولة» وفرض مفاهيمهم «الغربية» على جميع مرافق الحياة فى اسرائيل .

ولقد كان «بن جوريون» ـ اول رئيس

وزراء فى اسرائيل ـ كان واضحا فى احتقاره للشرق وللثقافة اليهودية الشرقية وهو دون شك احد القادة القلائل فى الحركة الصهيونية الذين ارسوا اسس العرقية الاشكنازية فى الكيان الصهيونى ، والوضوح عند بن جوريون فى هذا المجال قائم فى قوله : «اننا لا نريد ان يصبح الاسرائيليون عربا ، وان من واجبنا ان نحارب الروح المشرقية التى تفسد الافراد والمجتمعات ، وان نصون القيم اليهودية الشرعية كما كانت مجسدة فى يهود المجتمعات الغربية» ، او فى قوله : «لا اريد لثقافة مراكش ان تكون عندنا هنا ، كما اننى لا ارى اية مشاركة يمكن ان يقدمها اليهود الايرانيون ... ومن الافضل صهر اليهود الشرقيين ودمجهم فى المجتمع الاسرائيلى الغربى بعد ان نرسخ فى اذهانهم العقلية الغربية ، بدلا من ان يجرونا نحو استشراق مخالف للطبيعة» !!

ويكمل موشى دايان صورة الحقد على الشرق ، كما ارسى اسسها بن جوريون ، بقوله لسايروس سولز بيرجر (كاتب اميركى) : «إن اسرائيل ترتبط باوروبا الغربية وبالولايات المتحدة الاميركية اكثر من ارتباطها بالشرق الاوسط» ، وتساءل دايان متعجبا : «اى شىء مشترك يربطنا بسوريا او بمصر ؟؟!! .. لا شىء .. بالمقارنة مع روابطنا مع الغرب» !

وفى مواجهة هذا التعنت من قبل اليهود الغربيين باحتكار السلطة فى الكيان الصهيونى وفرض مفاهيمهم «الغربية» على هذا الكيان ، ورفض مشاركة اليهود الشرقيين لهم فى اى مجال من مجالات الحكم او الحياة العامة ، كان لابد لليهود الشرقيين من التحرك ، مادام التململ والالتماس لا ياتيان بالمشاركة والمساواة . وهكذا وقع الانفجار الاول فى حى وادى الصليب بحيفا على شكل تظاهرات دامية بين السفارديم وقوات الامن التى تحرس نظام الاشكنازيم ، وكان ذلك فى عام ١٩٥٩ ، اى فى وقت اتسم بالهدوء بين اسرائيل ودول المواجهة العربية ، وقد تكرر الانفجار ثانية فى عام ١٩٧١ ، بانبثاق حركة «الفهود السود» فى حى المصرارة بالقدس المحتلة ، تلك الحركة التى اخذت ترفع صوتها عاليا فى وجه احتكار السلطة من قبل البيض وضد الامتيازات التى يتمتع بها هؤلاء ، فى حين يعانى الشرقيون من جميع انواع القهر والقمع والفقر والاذلال ، وقد اصطدم الفهود السود بقوات الامن ـ حارسة النظام الاشكنازى ـ اكثر من مرة خلال تظاهرات صاخبة بالقدس المحتلة .. لكن هذه الحركة لم تستطع الصمود طويلا امام عمليات القمع والتفتيت الداخلى الذى مارسه النظام ضدها . إلا ان خمود نيران البركان ، لا يعنى باية حال ان هذه النيران قد انطفات نهائيا ، وانها لن تثور ثانية ، إذ ان البراكين تثور عادة خلال فترات متقطعة ، وبعد وصول حالة إشباع فى داخلها نتيجة لتراكم الابخرة والغازات ، وهذا القانون يحكم المجتمعات البشرية ايضا . وما جرى فى حيفا (وادي الصليب) ، وفى القدس (حي المصراره) ، سيتكرر بالتاكيد ، وربما بعنف اشد واقوى، مادام التمييز قائما فى اسرائيل بين الغربيين والشرقيين .

ويصف لنا شارلي بيطون (احد قادة الفهود السود ، والذي اصبح نائبا في الكنيست التاسع) يصف لنا النظام الاشكنازي فى اسرائيل فيقول : « قبل ان اصبح نائبا ، لم اكن اعي كل ذلك ، فبعد التدرج في الاعمال والوظائف البرلمانية يتحقق الواحد منا من ان كلحزب يمثل مصالحه الخاصة ، ثم مصالح المهيمنين على الحكم قبل ان يفكر بمصالح الدولة العليا . وهكذا يتم توجيه دفة الدولة وتحديد الخط الذي يسير عليه الوطن ، كما انه من الواضح ايضا ان كل حزب يجهد نفسه فى سبيل ان يكون له ممثل عن السود (اليهود الشرقيين) .. ان يكون له «عم توم» (نسبة لرواية العم توم الامريكية) ، ففي حزب الليكود يوجد الوزير ديفيد ليفي ، الذي لا يمل من ان يردد امام الراي العام ، وفي كل مناسبة ، انه كان عامل بناء ، وانه اب لاسرة شرقية تتالف من خمسة عشر فردا .. فهذا الرجل هو الشخص الذي تستخدمه السلطة لتحطيم جميع الدعوات المطالبة بزيادة الاجور للفقراء » .

اما سعاديا مرسيانو (ابرز قادة الفهود السود) ، فيتنبا ببروز حركة بديلة لحركة الفهود السود ، ولكن اكثر تصميما على الثورة ، ويقول « إن جيل تلك الحركة البديلة ، سيكون اكثر عزما وتصميما ، وسيكون اكثر عنفا وفعالية ، وبالنتيجة فسيكون الانفجار اشد وادهى » .

ويراهن شارلي بيطون على السلام مع العرب ، كعامل اساسي فى تفجير الصراع الداخلي ، ولصالح اليهود الشرقيين ، ويستشهد على ذلك بان المطالب السفرادية كانت تبرز باستمرار خلال فترات الهدوء النسبي على الحدود ، حيث ان التمرد الذي وقع في حي وادي الصليب بحيفا في عام ١٩٥٩ ، حصل في اعقاب الهدوء الذي ساد بعد «حملة» سيناء (العدوان الثلاثي على مصر) ، كما ان حركة الفهود السود برزت الى الوجود في اعقاب حرب الاستنزاف (١٩٦٨ ـ ١٩٧٠) .

ويرفض « كوهافي شيمش » ان يوصف حتى بانه سفرادي ، ويقول : « انا لست سفراديا ، بل انا شرقي ، وبكلمة ادق إنني يهودي عربي » يهودي احمل ثقافة عربية .. إذ لا شيء يجمعني مع يهودي سفرادي بلغاري او يوغوسلافي ؟؟ .

ويبرر شيمش ، انحياز اليهود الشرقيين إلى جانب حزب الليكود ، بالياس من حزب العمل الذي اذاق الشرقيين صنوف الذل والهوان ، ولكنه يتكهن بالانقلاب على الليكود لصالح حركة شرقية صرفة ، عندما تنضج الظروف الموضوعية المطلوبة لذلك .

ويمضي شيمش بعيداً في مطالبة فك العلاقة الهشة بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، ويقول « إن القضية الشرقية تبدا فى تضاد مع الايديولوجية الصهيونية ، لان اعتناق العقيدة الصهيونية ، يعنى التخلى عن الثقافة الشرقية الاصلية ـ اي الثقافة العربية ، لأن الايديولوجية الصهيونية ترتكز على ثقافة اليهود الغربيين ، وهى ثقافة معروفة جداً بتناقضها المباشر مع الثقافة الشرقية ـ العربية » .

نافون .. هل يكون مرحلة ؟

وامام قضية اليهود الشرقيين ، والهوة الطائفية الآخذة بالاستفحال في الكيان الصهيوني ، وإزاء ازدياد تاثير اليهود الشرقيين في صنع الكنيست والحكومات مستقبلا ، فان إسحق نافون ، قد يكون المخرج المنسب امام اليهود الغربيين ، الذين أخذوا يدركون ، من خلال تقهقر شعبية حزب العمل (حزب البيض) ، والاستقطاب الطائفي الواضح والمدمر فى انتخابات الكنيست التاسع ثم الكنيست العاشر ، حيث ان نافون عضو فى حزب العمل ـ حزب الاشكنازيم ـ وهو يوصف عادة بالاعتدال ، وبالابتعاد عن جموح في الراي والمواقف المبدئية .. لكن إسحق نافون ـ إذا جاء إلى الحكم كخليفة لمناحم بيجن ـ لن يستطيع مهما اوتي من الحنكة السياسية والمرونة فى اتخاذ المواقف ، من منع انفجار البركان الطائفي ، وإن كان باستطاعته تاخيره إلى حين .

عصام شريح

علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني

١٥١٧ - ١٧٩٨م

بقلم: د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

علاقة بلاد الشام بمصر ، اقدم بكثير من العصر العثمانى ، فهى علاقة ممتدة عبر العصور التاريخية وكانت بلاد الشام خلال العصر المملوكى وحتى عام ٩٢٣ هـ ، تمثل جزءاً من الدولة المملوكية ، وكان حكام مناطقها نواباً للسلطان المملوكى فى القاهرة (١) ، وكان لبلاد الشام جيشها المملوكى منوطة به مهة حماية بلاد الشام ، وله ديوانه الخاص به (٢) ، وعن طريق نواب بلاد الشام ، كان السلطان الغورى يتابع أخبار الصراع العثمانى الصفوى ، ويعمل على حماية بلاد الشام وبخاصة حلب التى وصلته الانباء بانه يخشى عليها من العثمانيين ، ولذا قرر ارسال تجريدة تقيم بها وتحرس البلاد ، بل اشيع فى البلاد أن السلطان الغورى نفسه سوف يسافر الى حلب ، مما أدى الى ارتباك الأحوال فى القاهرة ، والاضطراب بين العسكر ، حتى تحقق أمر سفر السلطان الى البلاد الشامية ، حينما برز الى الريدانية فى ٦ ربيع الآخر ٩٢٢ هـ الموافق ٩ مايو ١٥١٦ م لمواجهة الخطر العثمانى الذى وصلته الأنباء بان حلب سوف تتعرض له ، من ناحية ، وتامين الطريق الذى يمر به التجار الذين يجلبون المماليك الشراكسة الى بلاد السلطنة المملوكية ، ولذا فان السلطان الغورى تحرك فعلا فى ١٥ ربيع الثانى ٩٢٢ هـ الموافق ١٨ مايو ١٥١٦ م «قاصداً نحو البلاد الشامية والحلبية (٣) . ووصل الى دمشق فى ١٨ جمادى الأول ٩٢٢ هـ الموافق ٢٠ يونيو ١٥١٦ م ، واستقبل فيها استقبالا حافلا .. برز فيه كبار الاداريين المماليك والقضاة والعلماء والفرنجة المستامنون فى دمشق ، ونثر صدقة اليهودى ، المسئول عن دار ضرب النقود ، وقنصل الفرنجة الدراهم على الاهلين بهذه المناسبة للتعبير عن ولائهما ولكسب رضى السلطان» (٤) ، ثم اتجه الى حلب ، وانضم اليه كل من خاير بك نائب حلب وجانبردى الغزالى نائب حماة ، ودخلت الجيوش المملوكية حماة فى ١٠ جمادى الثانى ٩٢٢ هـ الموافق ١١ يوليه ١٥١٦ م ، وحاول مراسلة الشاه اسماعيل الصفوى للتفاوض معه من اجل التحالف ضد العثمانيين ، ولكن مراسلاته وقعت فى أيدى العثمانيين ، مما دفع بالسلطان سليم الى الاسراع فى مهاجمة المماليك ، فاحتل عنتاب واستعد للسير نحو حلب للقاء الغورى (٥) . ثم كان لقاء الجيشين المملوكى والعثمانى فى ٢٤ رجب ٩٢٢ هـ - ٢٣ اغسطس ١٥١٦ م ، وحلت الهزيمة بالمماليك ، وكانت هذه الهزيمة نذيراً بانهيار النفوذ المملوكى فى بلاد الشام بل وانهيار النظام المملوكى برمته فى كل من بلاد الشام ومصر ، وقد تم هذا الانهيار بعد ان حددت معركة الريدانية مصير هذا النظام ، وبداية عهد جديد فى تاريخ المنطقة هو العهد العثمانى (٦) ، وهو مجال هذا البحث ، ورغم أن العثمانيين قضوا على النظام المملوكى ، فان انهيار النظام المملوكى لا يعنى مطلقا انقطاع الصلة بين مصر وبلاد الشام خلال العصر العثمانى ، فان استقراء تاريخ المنطقة من فظانه الاصلية يثبت لنا استمرار العلاقة بين الاقليمين سياسيا وثقافيا ، واقتصاديا واجتماعيا .

أولا : الناحية السياسية

إن المتتبع للاحداث التاريخية فى كلا الاقليمين ، منذ البداية يدرك انعكاس اثر الأحداث التى كان يمر بها كل من الاقليمين على احداث الاقليم الآخر ، فمثلا حينما راجت شائعات عن هزيمة قوات السلطان سليم فى مصر ، فان اهالى بلاد الشام استغلوا هذه الشائعات ، وثاروا ضد العثمانيين فى كل من صفد ودمشق ، مما اضطر السلطات العثمانية فى دمشق فى صفر ٩٢٣ هـ - فبراير ١٥١٧ م ، ان تذكر فى بلاغاتها الرسمية اشادتها بالعناصر المملوكية التى تعاونت معها ، وتنكيلها بالعناصر الشعبية التى وقفت ضدها وساعدت الجيش المملوكى «وفى هذا تذكير



قام الشوام بدور بارز فى تاريخ مصر فى العصر العثمانى

لعوام وزعر دمشق بوجوب الخضوع للعثمانيين ، وتشجيع للموالين للعثمانيين على غرار خاير بك» (٧) ، كما انه كان لاعلان نبا القبض على السلطان طومان باى ، اثر كبير على تعاظم نفوذ العثمانيين فى بلاد الشام ، وتوطيد سلطتهم ، واتخذت اجراءات كثيرة لادخال تنظيمات جديدة «كتخفيض سعر العملة العثمانية بمقدار النصف» (٨) واتخاذ اجراءات امن مشددة لردع الزعر وارهاب الاهالى ، وضبط الممتلكات ، والتفتيش على المستندات المتعلقة لمعرفة المزورة منها ، ودققت مستندات الأوقاف ، وبذلك «استغلت انتصارات العثمانيين فى مصر لادخال كثير من التنظيمات فى بلاد الشام» (٩) بل كان «كل ظفر للعثمانيين على المماليك فى مصر ، كان يتلوه اتخاذ اجراءات غير شعبية فى بلاد الشام» (١٠) .

وفى الحقيقة فان التنظيمات العثمانية التى تمت فى بداية الحكم العثمانى فى كل من مصر وبلاد الشام ، لم تكن دقيقة وإنما كان الهدف الأساسى منها فى تلك الفترة تسيير الامور بصورة مؤقتة ، كما انها اهتمت فى المقام الأول بالشئون المالية وفرض الضرائب ، وهو الامر الذى كان يهم العثمانيون بالدرجة الأولى مما جعل الناس فى كلا الاقليمين يتذمرون ضد الحكم العثمانى منذ البداية (١١) . هكذا نرى كيف ان كلا من الاقليمين كان يتاثر سياسيا بالاحداث التى كانت تحدث فى كليهما ، وبعد ان خضع الاقليمان كلية للحكم العثمانى ، وبدا العثمانيون يمارسون سلطتهم فى كل من مصر وبلاد الشام عن طريق ولاتهما ، فان استمرار تاثير الاحداث فى تاريخ البلدين استمر ، فتذكر لنا المصادر المعاصرة انه حينما حدثت اول انتفاضة ضد الحكم العثمانى فى بلاد الشام ، بزعامة جان بردى الغزالى والى الشام الذى عمل على الغاء التنظيمات العثمانية بالتدريج لمحاولة كسب ود الاهالى ، حدث اتصال بين والى الشام وخاير بك والى مصر للتعاون فيما بينهما ضد الحكم العثمانى ، حقيقة فان الغزالى لم يحظ بتاييد خاير بك ، الذى ظل على ولائه للعثمانيين بل انه ابدى استعداده لارسال جيش ضد الغزالى ، رغم ان الغزالى «عرض عليه فصل بلاد الشام ومصر عن العثمانيين وإعادة السلطنة المملوكية ، ووعد الغزالى خاير بك باقتسام السلطة وان يكون الغزالى حاكما على بلاد الشام وخاير بك على مصر» (١٢) وهكذا كانت اول فتنة ضد الحكم العثمانى تنشد التعاون بين مصر وبلاد الشام ، من اجل اعادتهما الى الحوزة المملوكية الخالصة مرة ثانية ، ولو قدر لهذا التعاون ان يتم لربما تغير وجه تاريخ المنطقة ، ولكن عدم تعاون خاير بك مع الغزالى ساهم بصورة واضحة فى فشل هذه الثورة المملوكية ضد النظام العثمانى فى تلك المرحلة من تاريخ المنطقة بل «ويعتبر القضاء على الغزالى قضاء على آخر نفوذ للمماليك فى بلاد الشام وبداية لحكم العثمانيين الفعلى لها (١٣) . ورغم موقف خاير بك العدائى من ثورة جان بردى الغزالى ، فان ذلك لم يمنع من وجود عناصر مملوكية فى مصر اثلجها نبا هذه الثورة ، وتمردت على السلطة العثمانية فى مصر ، ولاذت بالفرار الى بلاد الشام وانضمت الى جانب جان بردى الغزالى ، اى ان رد الفعل إزاء ثورة الغزالى فى مصر كان قويا حتى ان المماليك كانوا «ينتظرون هجوم الغزالى على مصر ... ليعلنوا ثورتهم» .

ولذا فان السلطان سليمان كان يخشى ثورة المماليك فى مصر فطلب من خاير بك ان يبقى بقواته فى مصر «وهو يتدبر امر الغزالى» (١٤) ، كما ان نفوذ البدو ازداد فى تلك الفترة الانتقالية حتى انهم سيطروا «على اكثر المناطق الواقعة خارج المدن فى ولاية مصر فى هذه الفترة» بل إن جانم السيفى واينال السيفى ، حينما قاما بثورتهما ضد الحكم العثمانى تم التنسيق بينهما على «الالتقاء بقواتهما فى الشرقية حيث يمكنها السيطرة على الطريق التجارية مع الشام» (١٥) اعتقاداً منهما

لاهمية الصلة بين مصر وبلاد الشام ، وبعد ان استقر الحكم العثمانى فى كل من مصر وبلاد الشام ، وبخاصة بعد القضاء على الثورات المملوكية التى واجهها هذا الحكم فى بدايته ، نجد ان الوضع فى الاقليمين تميز - وحتى الربع الاخير من القرن السادس عشر حينما بدات ثورات الجند - بالهدوء ، وانعكس اثر ذلك كما يتضح من استقراء تاريخ الاقليمين فى تلك الفترة على العلاقات السياسية بين الاقليمين ، وقد اتاح هذا الهدوء الفرصة للولاة ان يقوموا ببعض المشروعات الخيرية ، وتامين طرق الاتصال بين البلدين ، ولكن حينما بدات تمردات العسكر ضد الحكم العثمانى ، نجد ان التمردات حدثت فى الاقليمين فى فترة زمنية واحدة (١٦) ، بل ان خزنة مصر المرسلة الى استانبول فى عام ١٥٨٤ م ، هوجمت فى منطقة عكار فى لبنان ، وفى الفترة التى كانت تشهد تمردات جند السباهية فى مصر فى مطلع القرن السابع عشر كانت تشهد منطقة حلب ببلاد الشام تمردات افراد اسرة آل جانبلاط وبخاصة تمرد علي بن احمد بن جانبلاط الذى تمكن من الاستيلاء على ولاية حلب قهراً ، وكون جيشا كبيراً من السكبان ورفض دفع اموال الميرى ، وتذكر المصادر المعاصرة ان السلطان العثمانى ، كلف والي مصر بارسال تجريدة من طرفه للمشاركة فى القضاء على هذا التمرد الذى وقع في بلاد الشام ضد الحكم العثماني ، وفعلا سافرت تجريدة من مصر وشاركت في القضاء على هذه الفتنة المحلية ، ثم تكرر إرسال مثل هذه التجريدات من مصر الى بلاد الشام للقضاء على الفتن التى كانت تحدث من جانب الامراء المحليين ، او من البدو ضد الحكم العثمانى حتى القضاء على نفوذ اسرة آل العظم فى الربع الاخير من القرن الثامن عشر حيث تم ذلك بناء على تدخل من جانب السلطات المملوكية فى مصر ، ومما يؤكد ارتباط احداث تاريخ الاقليمين السياسى ، ان اول غزو اجنبى فى العصر الحديث على المنطقة ، ونعنى به الحملة الفرنسية ، كان يستهدف الاقليمين معاً ، وقد قووم هذا الغزو من جانب الشعبين المصرى والشامى ، مقاومة عنيفة بل ان قائل كليبر احد قواد الحملة كان من ابناء حلب بالشام (١٧) .

هكذا نرى أن علاقة مصر ببلاد الشام من الناحية السياسية لم تنقطع بانهيار الدولة المملوكية التى كانت تسيطر على الاقليمين وإنما فوق ان كلا البلدين خضع لنفوذ حاكم اعلى واحد هو السلطان العثمانى ، فان الاحداث المحلية التى كانت تحدث فى اى من الاقليمين كانت تؤثر فى الاقليم الآخر إن سلباً وإن إيجاباً ، وكثيراً ما كان حاكم مصر او واليها من قبل السلطان العثمانى يكون قد سبق له ممارسة العمل فى حكم ولايات الشام بل وكثيراً ما كان والي مصر ياتى عن طريق بلاد الشام ، وهو ما كان يعرف بالطريق البرى آنذاك . (١٨)

إن العمل السياسى بين الاقليمين ظل مستمراً بل إنه خلال القرن الثامن عشر وحينما تعاظم نفوذ القوى المحلية فى كليهما حدث بين بعض اطراف هذه القوى تنسيق واتفاق فى العمل ضد الحكم العثمانى ، ولو قدر لهذه القوى ان تعطى لعملها شيئاً من الجدية والرغبة فى الانفصال عن الدولة العثمانية بصورة تامة لتحقق لها ذلك ، ولكن من الملاحظ ان هذه القوى كانت راضية بالنفوذ الذى وصلت اليه فى مناطقها دون الرغبة الجدية فى الانفصال عن السلطان العثمانى ، خليفة المسلمين .

ثانياً : العلاقات الاقتصادية :

كانت مصر ، في العصر العثماني بمثابة المحور الرئيسي ، الذي تتم عن طريقه عملية التبادل التجاري ، والاستثمارات الاقتصادية ، بين البلدان العربية ، فمنها تخرج القوافل التجارية ، إلى المناطق العربية المختلفة فى المغرب والمشرق على السواء . وإليها تعود هذه القوافل محملة بمنتجات هذه المناطق . وكذلك كانت مصر مركزاً لعمليات التصدير والاستيراد ، مع كل البلدان الأوربية والافريقية والآسيوية .

وقد كان لموقع مصر ، في قلب الوطن العربي ، اثره على هذه المحورية ، فضلا عن اشرافها على البحرين ، المتوسط والاحمر ، حيث المسالك البحرية التى تربط ذات القارات السابقة ، بعضها ببعض ، وبذلك اصبحت مصر سوقا اقتصاديا مفتوحا للتبادل ، وممارسة النشاط التجاري ، لابناء الولايات العربية جميعا ، ومن بينهم ابناء الشام الذين قدر لعدد كبير منهم ، أن يشتغل بالتجارة سواء في داخل مصر ، او ممارسة هذا العمل مابين مصر ، وبلاد الشام ، وقد سبق لنا في العدد السابق ان عالجنا الدور الذي كان يقوم به ابناء فلسطين في هذا المجال (١٩) ، ونعالج هنا الدور الذى كان يقوم به ابناء المناطق الشامية الاخرى ، فتذكر لنا وثائق المحاكم الشرعية كثيراً من التجار الشوام الذين حملوا نسبة الدمشقى ، والحلبى ، والحمصى ، والطرابلسى ، والحموى ، وقد اشتغل هؤلاء التجار بالمتاجرة ، فى مختلف السلع التى كانت رائجة آنذاك ، من اقمشة قطنية وحريرية ، وتبغ وصابون ، ومشروبات وحلوى ، ومشمش مجفف ، وتين مجفف ، وقمر الدين ، كانوا ياتون بها من دمشق ، واللاذقية ، وصور وصيدا وحلب ، الى السوق المصرية ، ويقومون بدورهم بنقل السلع المصرية والمستوردة اليها الى اسواق بلاد الشام ، واهم هذه السلع : الارز ، والقمح ، والعدس ، والحمص ، والكمون ، والزعفران ، والكتان وجلود حمراء ، وبن يمنى ، وبذور النيلة ، وعقاقير من انواع مختلفة ، وتمر هندى ، وسمسم ، وصدف الاحجار الكريمة ، والزنجبيل ، والعبيد السود (٢٠) .

واستطاع بعض هؤلاء التجار الشوام ، ان يكون شركات خاصة ببعض هذه السلع كما قام البعض ، بدور المستورد والمصدر على نطاق واسع ، وخير مثال لذلك : الذمى نقولا النصرانى الحمصى الشامى ، الذى كان يقوم باستيراد المرجان ، ويقوم بتصديره الى اوروبا ، ويوزعه على التجار المشتغلين بالتجارة في هذه السلعة بوكالة المرجان بالقاهرة (٢١) . كذلك اشتغل بعض التجار الشوام بالمتاجرة فى المجوهرات ، فيقف الباحث فى وثائق المحاكم الشرعية على اسماء كثير من التجار الشوام ، فى سوق الصاغة بالقاهرة كما يعثر على اسماء تجار شوام فى الاسواق والوكالات الاخرى ، مثل سوق الحمزاوى ، وسوق الغورية ، وسوق طولون وسوق باب الشعرية ، وسوق النحاسين ، وسوق السلاح ، وسوق الجملون ، وسوق الشرب ، ووكالات السكر ، والمرجان ، والغورية والكعكيين ، والشرايبى (٢٢) .

وكذلك وجد تجار شوام باسواق الاسكندرية ، ودمياط ، ورشيد ، والمنصورة والمحلة ، وزفتى ، وميت غمر ، وغيرها من المدن والموانى المصرية .

وقد كان حجم التجارة المتبادلة بين مصر وبلاد الشام كبيراً ، فقد ذكر شابرول ضمن قائمة البضائع المستوردة الى مصر عام ١٧٧٥ م ، ان الاقمشة القطنية والحريرية ، التى استوردت الى مصر ، من كل من دمشق وحلب ، بلغ حجمها مائة طرد (١٠٠ طرد) وكمية الحرير التى استوردت من بيروت (٥٠٠ بالة) ، ومن طرابلس (٥٠٠ بالة) ، وكميات اخرى لم يحدد حجمها (٢٣) .

كذلك اشتغل بعض الشوام فى داخل المجتمع المصرى ببعض الصناعات والمهن الحرفية ، ومهن الخدمات ، وقد اشتهر الشوام فى القاهرة بصناعة الحلوى والبقسماط مثل «الشيخ عمر والحاج محمد ولد المرحوم الحاج احمد الشامي البقسماطي كلاهما » (٢٤) ، وكذلك صناعة الأسلحة ، اما المهن التى اشتهر الشوام بالاشتغال بها ، فهى الحياكة ، والدباغة وغيرها . وقد اصبح للتجار الشوام ، وكلاء تجاريون ، يعملون باسمهم فى موانى البحر الاحمر فى «جدة» و «المخا» ، و «السويس» ولم يقتصر نشاطهم على المتاجرة فى السلع الشامية ، وإنما امتد ليشمل السلع اليمنية والهندية (٢٥) ، التى راجت فى مصر فى ذلك العصر رواجا كبيراً . وقد استثمر هؤلاء التجار والحرفيون ، فائض راس المال الذى توفر لديهم ، فى مختلف اوجه الاستثمار التى سبق لنا معالجتها ، فى البحث الخاص بمصر وفلسطين فى العصر العثمانى . ومما تجدر الاشارة اليه ان العلاقة الاقتصادية بين مصر وبلاد الشام ، لم تكن قصراً على نشاط الشوام فقط ، دون ان يقوم ابناء مصر ، بمثل هذا الدور ، فى بلاد الشام فقد ثبت من دراسة وثائق المحاكم الشرعية بكل من حلب ودمشق ، ان هناك جالية مصرية كبيرة وجدت ببلاد الشام ، واشتغلت بمختلف انواع التجارات ، التى سبقت معالجتها ، وقامت بنفس الدور الذى قام به الشوام فى مصر ، وكثير منهم استقر فى المدن والقرى الشامية ، وفى نفس الوقت حافظوا على نسبتهم المصرية ، وبذلك حافظ كل من التجار الشوام الذين وجدوا بمصر ، والتجار المصريون الذين وجدوا ببلاد الشام على استمرار العلاقات الاقتصادية بين مصر وبلاد الشام ، طوال العصر العثمانى (٢٦) .

ثانياً : العلاقات الثقافية

سبقت لنا معالجة العلاقة الثقافية بين مصر وفلسطين ، فى العصر العثمانى ورأينا ان عدداً كبيراً من ابناء فلسطين ، تلقوا تعليمهم فى الأزهر الشريف ، والمدارس المصرية الاخرى ، كما انه قدر لبعضهم ان يشتغل بالتدريس فى الأزهر ، ويتولى كثير من المناصب العلمية والقضائية . كما عالجنا الدور الذى كان يلعبه رواق الشوام فى الأزهر (٢٧) .

والواقع ان العلاقات الثقافية بين مصر وبلاد الشام ، لم تكن قاصرة على فلسطين فقط ، وإنما امتدت لتشمل جميع المناطق الشامية ، بدليل توافر عدد كبير من العلماء الذين ينتسبون الى هذه المناطق ، والذين تلقوا علومهم بالأزهر واجيزوا على يد علمائه ، كما ان كثيراً من علماء الجامع الأموى بدمشق ، نزلوا مصر ودرسوا بازهرها ، وكانت لهم صلات علمية بعلمائه فالجبرتى والمحبى ووثائق المحاكم الشرعى يرصدون لنا تراجم عدد كبير من الدمشقيين والحلبيين ، الذين تعلموا بالأزهر ، وتقلدوا وظائف علمية وقضائية بمصر ، مثل «احمد بن ابراهيم ، المعروف بابن تاج الدين الحنفى الدمشقى» والذى كان يعد من صدور اهل الشام ، فقد تمكن هذا العالم ، من ان يصبح قاضياً بفوه بمصر ، وبعد ان ترك القضاء تولى «تدريس المدرسة الاحمدية ، بالمشهد الشرقى بجامع بنى امية ، المعروفة بدار الحديث» (٢٨) ، والشيخ حسن بن زين الدين الشهيد العاملى الشهير بالشامى ،

كما اتى الى مصر للاخذ على علمائها ، القاضى حسين بن محمود بن محمد بن عيسى بن موسى العدوى الزوكارى الصالحى ، القاضى الفقيه الأديب الشافعى المذهب ، الذى اخذ عن البرهان اللقانى ، وابى العباس المقرى وغيرهما . وعاد وولى قضاء الشافعية بمحكمة الميدان ، والمحكمة الكبرى بدمشق ، وافتى على مذهب الشافعية مدة . ومن الامثلة كذلك الشيخ شحادة بن ابراهيم الحلبى الشافعى ، الذى ولي مشيخة الجامع الأزهر ، ووصف بانه «علامة المعقول والمنقول ، وشيخ اهل الفروع والاصول ووحيد عصره ، وعميد مصره ، وشيخ الجامع الأزهر ومشكاة مصباحه الانور ، وليس العلم الذى لا يجارى ، وليث الفضل الذى لا يبارى» (٣٠) . وغير هؤلاء من العلماء الشوام الذين تفيض المصادر بذكرهم ، فضلا عن العلماء الشوام من ابناء فلسطين والذين سبق لنا ذكرهم .

وكذلك تذكر لنا المصادر بعض العلماء المصريين الذين تلقوا علومهم بالجامع الاموى بدمشق ، او بالمسجد الاقصى . كما تذكر بعض العلماء المصريين الذين تصدوا للتدريس فى المدارس الشامية ، واصبح لاهل الشام فيهم اعتقاد مثل «بعث الله المصرى الحنفى نزيل دمشق» (٣١) .

وبذلك كانت الصلة الثقافية بين الاقليمين قائمة ومستمرة ، فكانت بمثابة ما يعرف فى وقتنا هذا بالتبادل الثقافى بين المؤسسات التعليمية الذاتية التى كانت قائمة آنذاك مثل الجامع الاموى ببلاد الشام ، والمسجد الاقصى بفلسطين ، والجامع الأزهر والمدارس الاخرى التى كانت قائمة بالقاهرة بمصر (٣٢) . اى ان التاثير كان متبادلا بين البلدين ، مما اوجد بينهما تكاملا ثقافياً قائماً على الأخذ والعطاء .

رابعاً : العلاقات الاجتماعية

اما عن العلاقات الاجتماعية ، فقد كانت نتاجاً طبيعياً للعلاقات الاقتصادية والثقافية . فالمتتبع للخريطة العمرانية لكل من المدن المصرية مثل القاهرة والاسكندرية والمنصورة بالذات ، لا يكاد يجد حياً من احياء هذه المدن ، التى كانت قائمة فى العصر العثمانى ، لا يقطنه بعض الشوام ، ممن يمارسون احد الانشطة الاقتصادية التى سبق لنا معالجتها (٣٣) ، ونتيجة لاشتغال هؤلاء الشوام بالمهن التجارية والحرفية التى تمس حياة المجتمع اليومية فانه حدث اختلاط كبير بينهم وبين ابناء المجتمع المصرى ، وعن طريق تعاملهم اندمجوا بفئات هذا المجتمع ، وازداد هذا الاندماج قوة عن طريق عمليات التزاوج التى تمت بين شوام ومصريات ، وبين شاميات ومصريين ، كما ان كثيراً من الأسر الشامية استقرت بالمدن والأرياف المصرية وتاثروا بالعادات والتقاليد المصرية ، واثروا بدورهم فى هذا المجتمع ، واعجب المجتمع المصرى بكثير من العادات والتقاليد الشامية ، وتعدى هذا الاعجاب

العادات والتقاليد إلى الأعجاب بالشخصية الشامية التى حازت شهرة واسعة ، فشخصية «ابو الشام» اصبحت فى نظر المصرى ، محل التقدير والاحترام ، حتى أن هذا اللقب ، اصبح من الالقاب التى يطلقها المصريون ، بعضهم على بعض للاعجاب والتقدير ، فهو فى نظرتهم يدل على الشهامة والكرم ، تلك الصفات التى يتمتع بها اهل الشام ، كما اعجب الشوام من جانبهم بالشخصية المصرية ، وحمل بعضهم نسبة المصرى ، الى جانب نسبة الشامى «مصرى الاقامة» ، شامى الاصل (٣٤) .

من الاستعراض السابق ، نجد ان الشوام ، قد لعبوا دوراً بارزاً فى تاريخ مصر فى العصر العثمانى ، كما لعب المصريون مثل هذا الدور فى تاريخ بلاد الشام ورغم التغيير الذى حدث فى السلطة الاداريه والسياسية ، بسقوط الدولة المملوكية التى كان الاقليمان يكونان فى ظلها جناحين لجسم واحد ، فان العلاقة بينهما فى ظل الحكم العثمانى ، بقيت قائمة (٣٧) ، فارتبطت احداث الاقليمين السياسية ، ارتباطا كبيراً ، كما أن العلاقات التجارية فيما بينهما قويت الى درجة كبيرة ، وازداد حجم السلع التجارية بصورة ملحوظة ، كما راينا . كما أن الاتصال الثقافى والعلمى ظل قائما ومتبادلا ، وقد نتج عن ذلك اندماج اجتماعى واسع النطاق بين فئات المجتمع ، ومما يسر استمرارية ارتباط الاقليمين عدم وجود حواجز طبيعية او سياسية ، على حرية حركة السكان بين الاقليمين الذين ارتبطوا ارتباطا مؤثراً وفعالا .

د. عبد الرحيم عبد الرحمن

هوامش

(١) يذكر لنا ابن اياس ان نواب البلاد الشامية فى ٩٢٢ هـ ـ ١٥١٦ م من قبل السلطان الغورى هم « المقر السيفى سيباى من بخذجا نائب الشام ، والمقر السيفى خاير بك من ملباى نائب حلب ، وتمراز الاشرفى نائب طرابلس ، وجان بردي الغزالى نائب حماة ، ويوسف الذى كان نائب القدس انتقل إلى نيابة صفد ، ونائب غزة دولات باى ، وقد اضيف اليه نيابة القدس والكرك مع نيابة غزة » ، انظر محمد بن احمد بن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جـ ٥ ، ص ٤ .

(٢) حيث ذكر نفس المصدر ، ان « الامير شرف الدين يونس النابلسى استادار العالية ، كان والآن صار متحدثا فى استيفاء ديوان جيش الشام » نفسه ص ٩ .

(٣) نفسه ، جـ ٥ ص ٢٩ .

(٤) دكتور عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر ، من الفتح العثمانى الى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦ ـ ١٧٩٨ م ، ص ٩٨ .

(٥) نفسه ، ص ٩٨ .

6. Abdul Rahim Abdul Rahman, the ottoman rule and its effect on Egyptian Society, in Journal of Asian and African studies No. 13, Tokyo, 1977, P. 156.

(٧) دكتور عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٨) نفسه ، ص ١٠٩ .

(٩) نفسه ، ص ١٠٩ .

(١٠) نفسه ، ص ١١٢ .

(١١) دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، القضاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) ، ضمن كتاب بحوث فى التاريخ الحديث ، طبع جامعة عين شمس ص ١٧١ .

(١٢) دكتور عبد الكريم رافق المصدر السابق ، ص ٩٢٢ ، يذكر ابن اياس بشان الاتصال بين جان بردى الغزالى وخاير بك ، انه فى يوم الاربعاء ٢٦ نو القعدة ٩٢٦ / ٦ نوفمبر ١٥١٩ م حضر قاصد من عند نائب الشام الامير جان بردى الغزالى ، يقال له خشقدم اليحياوى ، ودفع إلى خاير بك بمطالعة نائب الشام ومطالعات إلى الامراء ، فلما قراها خاير بك اضطربت احواله ، ثم تزايد القيل والقال ، واشيع عصيان نائب الشام ، « فلما تحقق ملك الامراء ذلك أرسل يعلم السلطان سليمان بن عثمان من أمر سلطته بالشام وأرسل اليه المطالعات التى وردت عنه بما جرى منه » ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

(١٣) دكتور عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(١٤) نفسه ، ص ١٣٠ .

(١٥) نفسه ، ص ١٣٩ ، يذكر ابن اياس ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٨٨ ان خاير بك « رسم للوالى بان كل من كان عند الغزالى من المماليك وحضر إلى مصر يوسطه من غير إذن ولو كان من الامراء » .

(١٦) لمزيد من التفصيل حول فتن العساكر ضد الحكم العثمانى انظر : « كشف الكربة فى رفع الطلبة تاليف محمد بن ابى السرور البكر » الصديقى ، « بلوغ الارب برفع الطلب » تاليف محمد البرلس السعدى ، تقديم وتحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، نشرتا بالمجلة التاريخية المصرية بالعددين ٢٣ ، ٢٤ ، عامى ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ م ، وانظر كذلك ، دكتور عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ ـ ١٧٦ ، ثورات العساكر فى القاهرة ، طبع دمشق .

(١٧) بخصوص تفاصيل هذه الاحداث انظر ، دكتور عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ص ١٩٥ ـ ٢١٧ ، احمد شلبى بن عبد الغنى ، اوضح الاشارات ، فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات ، مخطوطة اعددتها للنشر حاليا ، فى مواضع متفرقة من ورقة ٣٩ إلى ورقة ٨٢ .

(١٨) انظر ، احمد شلبى بن عبد الغنى ، المصدر السابق ، احمد كتخدا عزبان ، الدرة المنصانة فى اخبار الكنانة ، مخطوطة ، بالمتحف البريطانى ، نسخة مصورة فى حوزتى ، حيث يصف كل منهما ، كيفية مجيء الولاة إلى مصر ، وكانوا يذكرون دائما عن الباشا الذى ياتى عن طريق بلاد الشام انه قدم .. بالطريق البرى .

(١٩) انظر : «الدوحة» ، العدد (٨٤) ، صفر ١٤٠٣هـ / ديسمبر ١٩٨٢ ص ١٦ ـ ٢١ .

(٢٠) ارشيف المحكمة الشرعية : سجلات محكمة الصالحية النجمية ، سجل (٥١٩) ، ص ٢٧٠ ، وثيقة ٥٣٦ . ـ جبرار ، (ب ـ س) ، موسوعة الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر ، الجزء الاول ، (الزراعة ، الصناعات ، الحرف ، التجارة) ، ترجمة الشايب،زهير ، الترجمة الكاملة . « وصف مصر »(٤) ، ص ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ .

(٢١) ارشيف المحكمة الشرعية : محكمة القسمة العسكرية ، سجل (١٧٥) ، مادة (٣٨٣) ، ص ٢٧٠ .

(٢٢) ارشيف المحكمة الشرعية : محكمة طولون سجل (٢٠٤) ، ص ٢٥٠ ، مادة (١٠١٨) .

: محكمة القسمة العسكرية سجل (١٧٥) ، ص ٣١٢ ، مادة (٤٣٥) .

(٢٣) شابرول (ج .دى) : دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ضمن ابحاث وصف مصر ، ترجمة : الشايب ، زهير ، طبع القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٦ .

(٢٤) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل (٦٨٤) ، ص ١٠٦ ، مادة (٢٢٧) .

(٢٥) عبد الرحيم عبد الرحمن ، النشاط التجارى فى البحر الاحمر فى العصر العثمانى (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) مجلة الدارة ، العدد الثانى ، السنة السادسة ، ربيع اول ١٤٠١ هـ يناير ١٩٨١ م ، ص ص ٩٠ ـ ١٠٧ .

(٢٦) ارشيف المحكمة الشرعية : سجلات اسقاط القرى ، (٧) ، (١٨) ، سجلات القسمة العسكرية ، (١٦٣) ، (١٧٠) ، (١٧١) ، (١٧٥) ، والسجلات التالية : سجلات محكمة طولون ، سجلات الصالحية النجمية .

(٢٧) خفاجى ، محمد عبد المنعم ، الازهر فى الف عام الجزء الثانى ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢٨) المحبى ، محمد ، خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر ، الجزء الاول ، ص ١٥٨ ، وانظر كذلك بخصوص تراجم العلماء الشوام ، الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، ٤ اجزاء ، عبد الغنى ، احمد شلبى ، اوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الملوك والباشات .

(٢٩) نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢١ .

(٣٠) نفسه ، جـ ٢ ، ص ١١٦ .

(٣١) نفسه ، جـ ١ ، ص ٤٥٣ .

(٣٢) ارشيف المحكمة الشرعية : سجلات تقارير النظر ، من رقم (١ ـ ٢٢) .

(٣٣) الدوحة ، العدد السابق . دار الوثائق القومية (القاهرة) محكمة المنصورة ، سجل (٨) ، ص ٣٩ ، ص ١٤٢ ، ص ١٧٠ ، سجل (١٠) ، مادة (٦٢) ، (٦٣) .

(٣٤) الدوحة ، العدد السابق .

(٣٥) عبد الرحيم عبد الرحمن ، الريف المصرى فى القرن الثامن عشر .

(٣٦) نفسه . الدوحة ، العدد السابق .

(٣٧) الدوحة ، العدد السابق .

أخطاء لغويّة معاصرة

بقلم : الدكتور عبدالله العبادي
جامعة قطر

هناك أخطاء لغوية شائعة فى عصرنا لم ينتبه اليها كثير من الأدباء ، والكتاب العرب ، تمرمر الكرام ، تجدها فى الصحف والمجلات ، والمؤلفات ، وتسمعها كثيراً من المذيعين ، والمحاضرين ، والخطباء .
وشيوع مثل ذلك يرجع الى أن الخطيب أو المذيع ، أو المحاضر يسمع غيره فيقلده فى النطق ، أو يراها مكتوبة فينقلها كما هى دون أن يعرف الصواب من الخطأ .

وهذه الأخطاء منها ما هو خطأ فى الأملاء ، ومنها ما هو خطأ فى النطق ، ومنها ما هو خطأ فى النطق والاملاء .
وسنتناول بعض الكلمات الشائعة بالدراسة ، والتحليل ، ونبين وجه الخطأ من الصواب فيها :

الكلمة الأولى التى تكتب خطأ ، هى كلمة « عَمْرو » فتكتب فى حالة النصب هكذا « عَمْرواً » فى قولك « زُرْتُ عَمْرواً » والصواب « عَمْراً » بدون واو ، فالواو وضعت فى حالة الرفع ، والجر للفرق بينها وبين « عُمَر » لأن كلمة « عُمَر » إسم لاينصرف ، فلا ينون ابداً ، فتكتب كما هى فى حالة الرفع ، والنصب والجر ، فتقول : جاء عُمَرُ ، وقابلت عُمَرَ ، وهذا الكتاب لعُمَرَ فاثبتت « الواو » فى « عَمْرو » فى حالة « الرفع والجر » للفرق بينها ، وبين « عُمَر » اما فى حالة النصب فيزول الالتباس ، حيث ثبوت الألف ، فتقول جاء عَمْرُو ، وقابلت عَمْراً ، وهذا الكتاب لعمرٍو ، لأنه اسم ينصرف .

٢ ـ الكلمة الثانية التى تنطق خطأ كلمة « غيبة » فينطقها البعض « غَيْبَة » ويقصدون ذكر مساوىء الشخص فى غيابه عن المجلس بفتح أولها وسكون ثانيها وفتح ثالثها وهذا خطأ .

والصواب « غِيْبَة » بكسر أولها وسكون ثانيها وفتح ثالثها ، لأنها مصدر من اغتاب يغتاب أى ذكر عيوبه فى غيابه ، وقد جاء فى القرآن الكريم « وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » الحجرات آية ١٢ . وجاء فى الحديث « أتدرون ماالغِيْبَة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال ذكرك أخاك بما يكره » .
أما « الغَيْبَة » بفتح أولها ، فهى من غاب يغيب . تقول ، غابت الشمس غَيْبَةً وغِيابا اذا غربت ، والرجل فى غَيْبُوبَة اذا فقد وعيه .

٣ ـ ومن الخطأ الشائع جداً فى النطق ضم ما قبل واو الجماعة فى الفعل الناقص إذا كان آخره ألفاً ، وأسند إلى واو الجماعة ، ماضياً كان أم مضارعاً ، فيقولون فى « مشى : مَشُوْا بضم الشين ، وفى « رمى » : رَمُوا بضم الميم ، وفى « دعا » : دَعُوا بضم العين وفى « يسعى » : يَسْعُون ، وفى « يرقى » : يَرْقُون بضم العين فى الفعل الاول ، وضم القاف فى الفعل الثانى وهكذا ...

والنطق الصحيح أن يفتح ما قبل واو الجماعة ، فتقول « مَشَوْا » بفتح الشين و « رَمَوْا » بفتح الميم ، و « دَعَوْا » بفتح العين و « يَسْعَوْن » بفتح العين ، و « يَرْقَوْن » بفتح القاف وهكذا فى كل فعل ناقص ادخلت عليه واو الجماعة .

ذلك أن الألف فى هذه الأفعال انقلبت عن « ياء » ، أو عن « واو » ، فمثلا مشى : أصلها : مَشَى على وزن « فعل » تحركت الياء وما قبلها مفتوح فقلبت الفاً ، وبالمثل « رمى » و « دعا » ، تحركت الياء والواو وماقبلها مفتوح فقلبت الفا ، ومثلها يسعى ، ويرقى ، ففى الكلمات السابقة حذفت الألف لالتقاء الساكنين : الألف وواو الجماعة ، وبقيت الفتحة دليل عليها .

ولعل الخطأ هنا التبس بالفعل الصحيح الذى يجب فيه ضم ما قبل الواو : كتسابقُوا ، وناضلُوا ، وكتبُوا ... بضم ما قبل الواو ، لأن الواو يناسبها ضم ما قبلها ، فاخذ كقاعدة على كل الأفعال .

وقد يقال ولماذا لايضم ما قبل الواو فى تلك الأفعال الناقصة ، لأن الواو يناسبها ضم ما قبلها ، فالجواب أن لام الكلمة أى الألف المنقلب عن الياء والواو فى تلك الأفعال قد حذفت ، وهو جزء من الفعل فلا بد من وجود علاقة تدل على حذفه ، فكانت الفتحة ، لأن الألف يناسبها فتح ما قبلها .

٤ ـ ومن الخطأ فى النطق والاملاء معاً كلمة « مدراء » فنحن نقرأ كثيراً فى الصحف والمجلات ، ونسمع المحاضرين والمذيعين يقولون مثلا : اقيمت حفلة حضرها الوزراء والسفراء والمدراء ، والصواب « مديرون » فى حالة الرفع و « مديرين » فى حالة النصب والجر ، أى أنها تجمع على جمع المذكر السالم وليس على جمع التكسير .

والتحقيق فى ذلك أن كلمة « مدير » أصلها « مُدْيِر » على وزن « مُفْعِل » بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وكسر ثالثه من ادار يدير ، فهو فعل رباعى على وزن « أَفْعَلَ » « يُفْعِلُ » لذلك جاء أسم الفاعل منه على وزن « مُفْعِل » والقاعدة الصرفية فى هذه الكلمة أن حرف العلة ، وهى الياء تحركت وما قبلها حرف صحيح ساكن ، فنقلت الحركة الى ما قبلها ، فاصبحت « مُدِيْر » بضم أوله ، وكسر ثانية ، وسكون ثالثه والمعروف أن ما جاء على وزن « مُفْعِل » لايجمع على وزن فُعَلاء حيث يشترط فى الصفة التى تجمع على (فُعَلاء) أن تكون صفة لمذكر عاقل صحيحة اللام غير مضاعفة ، وتدل على سجية مدح ، أو ذم على وزن « فَعِيْل » بمعنى « فاعل » ككريم ، يجمع على كرماء ، وكلئيم يجمع على لؤماء

٥ ـ ومن الخطأ فى اللفظ والاملاء كذلك كلمة « جريحة » فالخطأ الشائع فى الصحف ، والمجلات أنهم يقولون «الفدائي الجريح ، والفدائية الجريحة » . ويقولون « زرنا الفدائيات الجريحات » والصواب أن نقول عادت الفدائية الجريح ، لأن الوصف اذا كان على وزن « فَعِيْل » بمعنى مفعول فانه لاتلحقه تاء التانيث ، ويستوى فيه المذكر ، والمؤنث . نقول « رجل جريح » و « امرأة جريح » ، وكذلك اذا جاء الوصف على وزن « فعول » بمعنى فاعل ، كصبور ، فيستوى فيه المذكر والمؤنث ، فيقول : رجل صبور ، وامرأة صبور ، ويجمع جريح على جرحى تقول : زرت الفدائيات الجرحى فى المستشفى ، لأن الكلمة لا تجمع جمع المؤنث السالم ، إلا اذا لحقتها تاء التانيث فى آخرها كصالحة ، فتجمع على صالحات وفاتنة تجمع على فاتنات .

علي يوسف:

عمامة عظيمة على رأس فلاح

بقلم: فتحي رضوان

الدور الآن فى الكلام على « عمامة » عظيمة حقاً ، لبسها فلاح ، لم يظفر من التعليم إلا بالقليل، ولم يتدرج فى مراتب القوة والسلطة وذيوع الإسم ، كما تدرج سواه من لداته وأنداده ، أو خصومه وحساده . فلم يبدأ موظفاً صغيراً ثم كبر ، ولا شخصاً مجهولا ثم عُرف ، بل بدأ حياته فى المجال الذى تألق فيه ، وأوفى على الغاية . اختاره وبقي فيه ، ليكون ملء السمع والبصر ، يجرى إسمه على الألسن ، ويحسب الأقوياء حسابه ، ويتملقونه ويترضونه ، أو يعادونه ويكيدون له ، وهو راسخ فى موقعه ، ثابت فى مكانه . مسلح بقواه التى لا تنضب ، وبسيفه الذى لا يثلم : إرادته القاطعة النافذة ، وقلمه الحاد الباتر .

وأعنى بهذا كله الشيخ على يوسف صاحب المؤيد الذى طلب العلم فى الأزهر ، ولم يصل إلى نهاية سني التعليم فيه .

بدأ حياته العملية باصدار مجلة سماها « الآداب » ، كانت تصدر أسبوعية ابتداء من سنة ١٨٨٩ ، ثم فكر فجأة ، بل قل قفز الى فكرة إصدار جريدة يومية ، أسماها المؤيد ، واستصدر لها رخصة من وزارة الداخلية لعهد رياض باشا ، وما لبثت أن صدرت فى اليوم الأول من شهر ديسمبر فى تلك السنة .

يعنى أنه بدأ حياته بالصحافة ، وقد بقي صحفياً ، حتى اعتزل الحياة العامة قبيل وفاته وقد اختار هذا المسلك الوعر، فى وقت لم تكن فيه فى مصر جريدة يومية تشتغل بالسياسية إلا جريدة « المقطم » ، التى أصدرها الدكتور فارس نمر سنة ١٨٨٨ ، ومعه اثنان من مواطنيه اللبنانيين الموارنة هما يعقوب صروف ، واسكندر شاهين . ولكن هذه الجريدة كانت لسان حال الاحتلال البريطانى ، أصدرها اللورد كرومر ، مندوب هذا الاحتلال ومعتمده ، لتدافع عن باطل هذا الاحتلال ، وتصوره للمصريين على انه حق ، وتموه حقائق الحياة السياسية فى ظل العسف البريطانى ، لتبدو تلك الحياة نظاماً رفيعاً وحرية سابغة ، وأمناً شاملا ورقياً مستمراً .

فالصحافة فى سنة ١٨٨٩ سنة صدور « المؤيد » ، لم تكن مهنة رائجة ، بحيث لا يستغرب من فتى قادم من الصعيد ، لا يعرف أحداً من أهل السلطة ، أو من ذوى الجاه الأدبى ، أو ممن يتصلون بالصحافة أو بالسياسة أو بالعمل العام ، يبصره بمداخل هذه المهنة الشاقة التى لا تزال تسمى بمهنة المتاعب . فما الذى حدا بالشاب (علي يوسف) أن يقدم على هذا العمل المغلق فى وجه المصريين ، والذى يشكو منه ويئن ، الذين اختاروه فى أنحاء العالم ؟

بعض أسرار الفتى

لننظر فى حياة الفتى ، لعلنا واقفون



الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد الجريدة التى كان لها مواقف من جميع مشكلات الوطن .

على شيء من أسرارها ، يعيننا على أن نفهم ما وراء هذا القرار الخطير . قرار الاحتراف بالصحافة ، وإلقاء نفسه فى بحرها الهائج ، وموجها المتلاطم .

علي يوسف صعيدى من أبناء الصعيد الأعلى . ولد سنة ١٨٦٣ فى بلصفورة من أعمال سوهاج ، **فهي موطن** لصاحب عمامة تحدثنا عنه وهو الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى . وبلصفورة بلد (علي يوسف) وطهطا بلد (رفاعة) متقاربتان . وكما سافر « رفاعة » إلى قنا التماساً للرزق وبحثاً عن أسباب تحسين الحال ، سافر علي يوسف إلى بلدة « بنى عدي » من أعمال محافظة أسيوط ، تابعة لمركز منفلوط التى أخرجت لنا صاحب عمامة سنكتب عنه فى حلقة قادمة ، وهو مصطفى لطفى المنفلوطى . وكما كفل أخوال « رفاعة » ابن شقيقتهم ، **كفل اخوال علي «علياً» ثم اعانه الحظ فتلقفه في «بني عدي» عدد من شيوخ الأزهر ، كانت** تزدان القرية بوجودهم فيها ، وفى مقدمتهم الشيخ (حسن الهوارى) الذى لازمه الصبى ثمانى سنوات ، صقل فيها ذهنه ووصله بعلم الدين ، وحبب إليه الأدب ، ومهد له طريق البيان .

وكما وفد إلى القاهرة كل أصحاب العمائم الذين كان لهم دور فى تاريخ مصر الحديث ، ليلتحقوا بالأزهر ، ويبقوا فى لزوقته ، وتحت قبته ، وهم يغالبون السأم من أسلوب التعليم ، ومن وعورة الكتب ، وامتلاء معظمها بالغث ، حتى يغلبهم السأم ، فيخوضون فى معامع الحياة العامة ، يصارعون شدائدها ، حتى يثبت لهم قدم ، ويبين أمامهم طريق ، فعل الشيء نفسه (علي يوسف) ثم خرج من الأزهر ، وقد تلقى الفقه على الشيخ حسن داود ، كما تلقى النحو والبلاغة على الشيخ أحمد أبي الفضل ، فقرأ عليه كتاب « الأشمونى » و « حاشية الصبان » ، وكتاب « السعد للتفتازانى فى البيان والبديع والمعاني»، ثم قرأ قسطاً كبيراً من كتاب « جمع الجوامع فى الأصول » . ثم قرأ كتباً كثيرة فى « الحديث » و « التفسير » و « المنطق » و « التوحيد » و « آداب البحث » ، على أساتذة كبار كالشيخ الامبابى والبحيرى والمغربي ، كما يروى لنا الأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمزة فى موسوعة (أدب المقالة الصحفية فى مصر) .

فانا أؤمن أن هذا القدر من العلم المتنوع ، كفيل بأن يحرث عقل الشاب الذى وهبه الله حسن الاستعداد لأمرين : لتلقى المعرفة ، ولو كان سبيل التلقى خطف المعرفة خطفاً ، ومزج ما يقرؤه هنا ، بما يقف عليه هناك ، ثم الانطلاق فى الحياة الهائجة المائجة ، بأعين مفتوحة ، ونفس طموحة ، وقلب يحس ويشعر ، والأمر الثانى أن يكون الشاب شاعراً بأن هناك مستقبلا ينتظره ، وأن له دوراً يؤديه ، وأنه خلق لشيء أكبر مما بدأ به حياته ، وقد كان .

فقد أخرج مع صديق له اسمه الشيخ أحمد ماضى ، جريدة « الآداب » ، وكان فى جيب الشيخ أحمد ماضى بعض المال ، وكان فى قلبه حب للأدب ، يقرؤه ويتذوقه، ويكتبه . وخرجت مجلة (الآداب) ، يدفع اليها (علي يوسف) من دم قلبه الحار المتدفق دماً ، ويعطيها الشيخ أحمد ماضى كل ما فى يده من مال قليل ، ما يعينها على الصدور ، وقرأ الناس المجلة الوليدة ، التى خرجت إلى الحياة فى أشد عصور الصحافة المصرية حلوكة . فالاحتلال البريطانى دهم المصريين فى ١٤ من سبتمبر ١٨٨٢ ، فكان صدمة زلزلت العزائم وأرهقت النفوس ، فبدا للناس أن الطريق مسدود ، ولا سبيل للسعى فيه ، وتعاظمهم شأن الاحتلال ، فنزع من قلوبهم الثقة ، فخيل اليهم أنه باق لن يتزحزح ، ثابت لن يريم .

وكان عهد الناس فى مصر بالصحف ، قد بعد منذ جرائد الثورة العرابية وما قبلها . جرائد عبد الله النديم ، وفارس الشدياق ، وجرائد أخريات فى عهد الخديو اسماعيل ، كجريدة (وادى النيل) التى أخرجها عبد الله أبو السعود ، ولكن الغريب ـ كما سلفت الاشارة ـ أن نجاح مجلة الآداب ، حفز الشابين على يوسف وأحمد ماضى على إصدار جريدة يومية فى آخر شهر من شهور سنة ١٨٨٩ .

وكان الشابان وحدهما لا يكفيان لمواجهة صعاب إصدار جريدة يومية فى ذلك العهد ولكن أبى الحظ الا أن يترك علي يوسف

عمامة عظيمة على رأس فلاح

وحيداً ، فقد مرض زميله ، ولما عوفى اختلف معه فتركه للأبد .

اللورد كرومر يغضب !

ولعل علي يوسف ، لو لم يترك وحده ، لما كشف للناس عن مواهبه النفسية من عزم صادق ، وجلد على العمل نادر ، وإيمان بالنجاح لا يتزعزع ، وقدرة على مداراة المتاعب ، ومناجزة المصاعب لا تبارى ، ورغبة فى التجديد والتحسين ، لا تنفد ولا تنضب .

ولقد كان العهد الذى صدرت فيه المؤيد ، فى تصورنا ، جديراً بأن يطوى صفحتها ، ويوسدها تراب القبر ، ولكن ما يخفى على الناس أعظم – فى الأغلب الأعم – مما يبين لهم .

وقد كان سباق الزمن فى ذلك العهد ، لأكبر صحفيين فيه ، وهما علي يوسف ومصطفى كامل ، سنداً وظهيراً فى شخص الأمير عباس حلمى ، الذى ولد فى سنة ١٨٧٤ وهى نفس السنة التى ولد فيها مصطفى كامل ، فلما خلف اباه سنة ١٨٩٢ كان فى الثامنة عشرة من عمره أى فى عنفوان شبابه ، فاغراه هذا الشباب المبكر على أن ينازل الاحتلال البريطانى ، فاتصلت أسبابه بمصطفى كامل ، ثم بالشيخ علي يوسف .

ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزه رحمه الله : وبقيت الصداقة بين عباس وعلي يوسف تنمو مع الأيام ، حتى أصبح الشيخ جليس الأمير ، وحافظ اسراره ، لا يعمل الأمير عملا إلا بمشورته ، ولا يقدم على خطة إلا بعد اخذ رايه . وقد كانت هذه الصلة بالأمير – عدو الاحتلال – جديرة بأن تثير غضب اللورد كرومر معتمد الاحتلال البريطانى ، فيقصف عمرها ، وينهى حياتها . وقد حاول اللورد ذلك باكثر من وسيلة ، أولها وابسطها ، انه أصدر لوامره لرؤساء المصالح ألا يمدوا جريدة « المؤيد » بخبر ، وألا يدعوا مندوبيها ومراسليها ، يدخلون إلى المكاتب والدواوين لتصبح « المؤيد » مجرد منشور ، لا يحمل إلى الناس إلا كلام صاحب الجريدة .



ولكن علي يوسف لم يدخل ميدان الصحافة ، لتنزعه من اصوله أول ريح تهب عليه ، فقد صمد لهذه المحنة ، حتى تجاوزها ونجا منها ، ثم حدثنا بعد ذلك عنها ، في بعض ما كتبه في سنة ١٩٠٦ ، وبمناسبة ظهور المؤيد فى ثوب جديد .

الوشاية .. والحقيقة

قبل سبعة عشر عاما هجرية وبضعة أشهر ، وفى أواخر سنة ١٨٨٩ أفرنجية ، كان صاحب الجريدة ، يصدر صحيفة أدبية أسبوعية باسم « الآداب » ، وكان كثير من القراء يعجبون بها ، فكانت همته منصرفة يومئذ الى تحسينها ولم يكن يفكر فى إصدار صحيفة سياسية يومية للأسباب الآتية :

«قدمت الى دولة الوزير الجليل رياض باشا ، وكان يومئذ رئيس الوزارة المصرية فى عهد الخديو السابق توفيق باشا ، فاشار علىّ بعض المقربين من دولته ، أن أسترخص منه اصدار جريدة سياسية يومية . ولكنى ترددت كثيراً فى ذلك لعلمى بأن جريدة يومية سياسية تصدر من مصرى مسلم ، بعد خلو القطر من جرائد مصرية مسلمة سبع سنين ، جريدة قادرة على أن تعيش بين الصحف القوية التى كانت قابضة اذ ذاك على أميال القراء اختياراً أو اضطراراً ، جريدة لا تتاثر بدسائس الدساسين ، ووشايات الواشين من الأوربيين وغير الأوربيين ، تحتاج إلى رأس مال أكثر من مالى ، والى حول أكبر من حولى ، والى معارف جمة ، ووسائل عدة ، أنا خلو من كثير منها .»

«ولكن ظهر لى دافع قوى بعد ذلك من استحسان دولة الوزير أو إشارته ، فتقدمت إلى نظارته مسترخصاً بهذه الجريدة ، وفى اليوم الذى التمست فيه الرخصة نلتها ، وظهر العدد الأول من المؤيد فى ٨ ربيع الأول سنة ١٣٠٧ هـ (أول نيسمبر سنة ١٨٨٩ م) فى حجم أربع صحف قليلة المواد ، كما يرى القراء ، نسخته المنقولة برمتها فى الصحيفة الرابعة من عدد اليوم ، وحسبهم فارقاً ، بين ما نشأ عليه وما صار إليه ، أن يروا العدد الأول كما هو فى صفحة واحدة من صحفه الثمان » .

ثم حدثنا عن ضيق الاحتلاليين وأعوانهم وصنائعهم ، بالمؤيد ، وعملهم على وأده ، ونجاحهم فى ذلك بعض الوقت إذ توقف عن الظهور فى ٣٠ من سبتمبر سنة ١٨٩١ ، ثم ظهر المؤيد بعد ذلك **الاحتجاب ، وليس له من راس مال غير القلم والصبر والاحتمال . ثم قال :**

« وكانت رياسة النظار يومئذ فى يد عطوفتلو مصطفى فهمى ، والدسائس ضد المؤيد أقوى منها من قبل ، وقد هال أعداءه ظهوره ثانية ، فوشوا إلى الحكومة أن هناك

جمعية سرية ذات مقاصد خفية ، اخذت على نفسها الإنفاق على المؤيد ، والكتابة فيه ضد الاحتلال والحكومة ، وكادت ريح الشر تؤذى أولئك الأفاضل الذين مدوا يد المساعدة بالشكل الذى ترضاه ، لولا أن مقرباً من الوكالة البريطانية ومن عطوفة رئيس النظار (ونعنى به المرحوم محمد بك بيرم) تولى يومئذ تحقيق تلك الوشاية بنفسه ، فظهرت له الحقيقة .»

« وجد للمؤيد من ذلك الحين أيضاً ، حساد وأعداء ، ثم وجد بعد ذلك اضطهاد من الحكومة ظهر بأقبح مظاهره حتى وصل الى حد إقفال أبواب الدواوين فى وجه صاحبه وكتابه ومخبريه ، ولم ينته هذا الدور حتى جاءت وزارة دولة رياض باشا فى يناير سنة ١٨٩٣ ، ويومئذ الغى عمل قلم (المطبوعات) الذى انشىء لمضايقة المؤيد ليس إلا ، يوم كانت وظيفة البارون (دى مالورتى) مدير قلم المطبوعات محصورة فى مطاردة المؤيد وصاحبه .

إن هذه السطور التى ننقلها عن الشيخ علي يوسف لا ترينا فقط مدى صلابة نفسه وقوة عزيمته ، وإصراره على القتال مع اقوى القوي ، لا في مصر وحدها، بل في العالم باسره ، إذ كانت القوة التى تخاصمه ، وتقعد له كل مرصد ، هى قوة الاحتلال البريطانى التى هى حاكمة العالم شرقا وغربا ، والتي لا تغرب عنها الشمس والتى عرفت كيف تخضع الشعوب ، وتخيف المجاهدين ، وتفرق الهيئات الوطنية ، بالدسيسة والوقيعة والوعد والوعيد .

على أن هذه السطور ترينا شيئا اخر وهو مدى خوف الطغاة المستعمرين من جريدة يصدرها رجل وحده ، لايؤيده حزب ولاتقف وراءه هيئة . كان قلمه واصراره وعزمه ، وموهبته كصحفى . هى كل العدة ولكنها عدة لايستهان بها ولا يغض من شانها .

الأمر الثالث ، ترينا هذه السطور نفسها كيف تستطيع أن تفعل جريدة فى بلد محتل، الأمية ضاربة اطنابها فيه ، والقلة القليلة المثقفة هى وحدها التى تقرؤها وتؤيدها.

ولكن الصحيفة حين تكون في يد صحفي قدير ، يؤمن بحق وطنه ويتصدى لمشكلاته ، يكون في مقدرته ان يؤلب الناس على الاحتلال . والثابت ان تاريخ الصحف قبل الاحتلال وبعده ، كان هو الموقف الوطني ، أو قل السياسي : فالمؤيد الذي صدر كما علمنا فى اول ديسمبر سنة ١٨٨٩ واللواء الذى صدر فى الثلاثاء الثانى من يناير ١٩٠٠ ، والجريدة التى ظهرت سنة ١٩٠٧ ، وإن كانت تمالىء الاحتلال وتصطنع سياسة المهادنة معه ، والنطق باسم الأغنياء من أصحاب الاطيان، والمقطم الاحتلالية التى تنفث سموم كرومر وتنشر دعاوى الاستعمار ، وتؤيد طغيانه. هذه الجرائد هى التى خلقت الحياة السياسية فى مصر ، واخرجت الوفا من الشباب المؤمن بحق مصر فى الاستقلال وفى تحريرها من الاحتلال ، وفى اقامة حكومة نيابية سليمة ، وفى عمل من اجل الاصلاح ونشر التعليم وإقامة الصناعة وتجديد الزراعة ومكافحة الأمية .

والحق أن جريدة « المؤيد » ، نهضت باعبائها فى تلك الفترة ، قبل ان ينضم إليها ويؤيدها ثم يسبقها ، اللواء ـ لواء مصطفى كامل ، فلم تكن « المؤيد » فقط صحيفة تقرأ في مصر ، وتنير الطريق الوطني امام الشعب المصري ، وتجمع صفوفه ، وتؤكد عزمه على النضال ، وترد سهام الاحتلال إلى نحره ، وتكشف عن عواره ، وعن ظلمه ، وعن إفساده ، وعن بطلانه . بل كانت فوق ذلك مدرسة مفتوحة الأبواب ، تعلم المصريين اجمل اساليب لغتهم ، ومعهداً يروي لهم تاريخهم ، ويبصرهم بشئون السياسة الداخلية والخارجية ، ويلقنهم اصول الاقتصاد العامة ، ومباديء السياسة الاساسية ، ويصل المصريين بكل العالم الاسلامي ، ويتحدث إلى هذا العالم الفسيح المترامي ، الذي تراخت صلاته بعضه ببعض ، ووهت علائقه شرقه بغربه ، وشماله بجنوبه ، وهو فى واقع الامر وحدة لا تنفصم ، وجماعة لاتتفرق ، ودرة حضارة وعقيدة لا تخمد .

صور قلمية

وقد كان للمؤيد مواقف من جميع مشكلات الوطن ، وقضايا عامة ، لابد ان نقدمها او نقدم بعضها ، كنماذج للاسلوب الذي اختطته هذه الصحيفة المجيدة ، ولكن هذا حديث يطول ، نبقيه للقادم من الفصول .

وإن كان من الواجب قبل ان نفرغ من حديث اليوم ان نقدم للشيخ على يوسف صوراً قلمية كتب إحداها الخديو عباس حلمي ، وكتب الثانية الشيخ عبد العزيز البشري ، فانها صورة ، تكشف عن صفات الرجل وخصائصه ، وبواطن نفسه ، واسرار ذاته .

قال الخديو عباس فى مذكراته التي ترجمت جزءاً منها جريدة المصري ونشرتها فى عددها الصادر في ١٣ مايو سنة ١٩٥١ :

« كنت أريد أن تكون لي صحيفة قادرة على ان تثير الشعب وتقوده شيئا فشيئا إلى إدراك اكثر وضوحاً للوطن وواجبات المواطن ، فدعوت كاتباً من كتاب اللغة العربية كنت قد سمعت عن صفاته ومزاياه وهو الشيخ على يوسف ، وكان قد تردد على مدرسة المعلمين وكان خارجاً من الجامعة الازهرية ، وكان قد لفت إليه الانظار إن لم يكن باتساع افقه الفكري ، فبحماسته فى المناقشة ، وبموهبة مجادل حقيقية ، وبقدرته المشهودة على هضم المسائل ، وخاصة إذا ذكرنا انه لم يتكلم لغة غير العربية ولم يدرس إلا في المساجد

وكان الشيخ علي يوسف ـ وهو من اهل الصعيد ـ يعرف عقلية مواطنيه ومطامعهم وكان ـ رغم انه تربى فى بيئة دينية ـ يعرف كيف يفرق بين واجبات الفرد نحو بلاده والاحترام الواجب للدين . وكانت سياسته تستند احيانا على نفوذ الخليفة العثماني ، ولكنها لم تكن على الخصوص تركية اسلامية.

وهذه الوان قد لا يحسن الوطنيون فى الوقت الحاضر إدراكها ، ولكنها في بداية نشاطها قد زادت من تاثير الشيخ (على يوسف) على الشعب .

وكان الشيخ على يوسف يتخذ احيانا مظهر مدافع عن الاسلام اكثر من كونه محركا للشعور الوطني ، وكان الغرض من هذا (التكتيك) ان تجتمع كل القوى المشتتة حول فكرة زعامة واحدة قوية . وخلق عاطفة التماسك والترابط عند الجماهير . وهي العاطفة التي لا يتم بدونها عمل ، وفضلا عن ذلك فقد كان الشيخ على يوسف فى بداية نشاطه يتخذ

عمامة عظيمة على رأس فلاح

على الاخص ستار الكثير من الشخصيات البارزة التي كانت تحمل إلى الجريدة عند زيارتها لصاحب الجريدة ، ثمرة ملاحظاتها، وخلاصة تجاربها فى حياة كرست للارادة أو لتسيير العدالة فى طريقها السوي . وكان أكبر رجال البلاد اقتداراً وأعلاهم تمييزاً يساهمون فى عمله هذا . وكان معروفاً أن القصر يؤيد ذلك ، فكان قاريء لسان حال التحرير يقتطف من اعمدته زهرة الفكرة المصري .

وسرعان ما غدا (المؤيد) بفضل هذه الوسائل إحدى الصحف العربية الرئيسية، يقرؤه الناس من طنجة إلى الهند ، ومن تركيا إلى زنجبار .

« وقد افلح على يوسف فى بعث الاحساس فى قلوب مواطنيه بشخصيتهم القومية ، لفرط ما استمع إلى الحديث عن علاقات مصر ، وعن ماضيها وحقوقها ، ولفرط ما ناقش معاونوه الاعلام في السياسة العامة وعلاقاتها بالموقف الراهن ، كما كان استحضاره للعصور الغابرة ـ التى كان حسن الالمام بها ـ يفتح له إيقاظ الذكريات المجيدة ، فيبعث فى نفوس قرائه الايمان بالمستقبل .

لقد كانت تلك مرحلة أولى . وكان علينا أن نجتازها . كنت أرى من سوء التصرف أن نظل شعباً نائماً ـ بدون فترة انتقال ـ إلى نور الاحداث الجارية الساطع ، وأن نزعج يقظته ببهر مفاجيء .

وقد كان على يوسف بارعاً فى استخدام الرباط الطبيعي القوي الذي يربط المصريين منذ عهد بعيد ، بارعاً فى تاسيس وطنية على أساس من تلك العاطفة العميقة الجذور . ولم يكن تعلمه الديني يؤثر إلا قليلا على نزعاته التحررية . وكان يرى انه يقود أمته نحو الاستقلال .

وكان قد زار أوربا وخاصة فرنسا وانجلترا وتركيا ، ولكنه ظل مغلق النفس أمام مفاتن حضارة لم يكن يعرف غير واجهاتها ، وأمام إغراء البادشاه (اي سلطان تركيا) الذى كان قد استقبله .

والحق أن الشيخ على يوسف لم يكن يوماً ما رجل تركيا ، وإذا كان فى بعض الاحيان قد ايد الخليفة ، فانه لم يكن يعني سلطان القسطنطينية ، وإنما زعيم الاسلام .

كان ذلك الذي قاد الرجال ، وأدرك معنى الامة ، ومعنى الاخلاص ، مصرياً قبل كل شيء ـ وقد نجح أيما كانت شخصيته وآراؤه ـ في أن يستميل الراي العام ويجمعه ويعلمه التفكير ».

وقال الخديو فى موضع آخر من مذكراته :

« كان المؤيد فى الواقع يحفل بالمقالات العظيمة بأسلوبها البارع وأفكارها العميقة وكان الشيخ بأسلوبه اللاذع وبلاغته التى لا تغيض ، وعاطفته التى كان يطامن غلواءها ، فلسفة إنسانية فائقة ، قد غدا أستاذاً بفضل اتصاله اليومي بالشخصيات فى كل علم وفن . وكان يتحدث الى القراء فى مسائل تستثير مخيلاتهم لانها تمس البلاد وتاريخها فى الوقت نفسه » .

وقد وصفه الشيخ عبد العزيز البشري فقال :

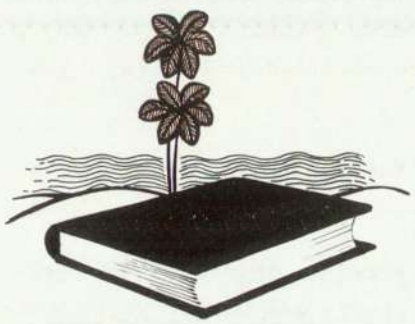
« ليس بالطويل البائن ، ولا القصير المتردد . على انه كان إلى الطول يظهر فى مرأى العين نحيلا . ولكنه كام مكتنز اللحم ، مستطيل الوجه واسعا مساحة الجبهة ، أزرق العينين ، طويل الهدبين ، كثيراً ما ترى له إطراقة نظرة غريبة ساجية ، ضيق الفم ، على ان فى شفتيه الحمراوين شيئا من الغلظ . تعلوه صفرة ما أحسبها من أثر مرض ، وشعر لحيته الدقيقة المنسقة يميل إلى الشقرة ، رقيق الصوت لينه إذا تحدث ، فاذا رفع صوته ضمر بعض الضمور ، وتسلخ بعض التسلخ ، فلم يكن من تلك الاصوات التى تصلح للخطابة »

« وكان بعد رجلا شديد العقل ، قوي النفس ، حديد العزم ، وافر الشجاعة لا تتعاظمه قوة خصم بالغة ما بلغت قوة ذلك الخصم ، وإذا تحداه متحد ركب راسه فى نضاله ، لا يبالي اين يقع المصير .

« وكان في كثير من الأزمات التى تعرض لها المؤيد كثيراً ما يقول « والله لا يعنيني أن يكون الناس جميعاً في صف واحد . وأنا والحق الذي اعتقده بازائهم في صف واحد . ومما يشاع عنه كذلك انه كان يقول: « أنا لا ابالي أن اخسر هذا البلد ، ففي إمكاني أن اعود فاكسبه بثلاث مقالات » .

« وإنني لا اعرف رجلا سياسيا عظيما كان اقل الناس اهلا . واكثرهم خصوما كما كان الشيخ على يوسف . وخصومه على كثرتهم قد كانوا من جميع الطبقات ، وكانوا من جميع الهيئات . وإنهم ليحيطون به إحاطة الطوق من كل جانب ، وكلهم عامل على إسقاطه ، جاهد ما امتد به الجهد فى هدم المؤيد ، يدفعه بتهمة الخيانة الوطنية فما دونها فى غير هوادة ولا إشفاق . ثم إذا الشيخ يتجمع ، وإذا هو يشرع القلم شرع الرمح ، وإذا هو يطعن الطعنة الكبيرة ، هنا مرة ، وهاهنا مرة ، فلا يصيب إلا الكلى والمفاصل ، وإذا هؤلاء الخصوم يتطايرون تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، وإذا المؤيد يرن فى البلد رنينه بعد ما تردد وتاوه وطال انينه . » .

« وفي يوم الجلي ، تحدث الاحداث القومية ، ينفض الناس قلوبهم ، حتى يتساقط منها كل ما علق بها من الحقد على الشيخ على يوسف ، يلوون اعناقهم نحو المؤيد ، شاخصة ابصارهم ، مرهفة آذانهم ، معلقة فى انتظار ما يقول الشيخ انفاسهم ، فاذا النمر الجبار يثب على فريسته من عدوان العادين وثبة ، فلا يزال يوسعها تمزيقا بمخلبه ، ومضغا بانيبه ، حتى ما يدعها إلا أعظما وجلوداً » .



فتحي رضوان

نهر بلا عودة

شعر : محيي الدين فارس

بيني وبينكِ ألفُ صحراءٍ ..
وأسوارٌ من الأشواكِ
.. والطرقاتُ مقفلةٌ .. ومقبرةٌ وبابْ
والصمتُ حُرّاسٌ تحدّق من
شبابيكِ الضّبابْ
وسمعت صوتَكِ تحت جُنْح الليلِ ..
.. في القبوِ الخَرابْ
متصاعداً كدخانِ قنديلٍ تميلُ به الرياحْ
وحدي أُنَقّبُ عن ثقوبٍ في جِدارِ القَبْوِ
.. عن بابٍ قديمْ
عن كُوّةٍ منسيّةٍ في أضْلُعِ الليلِ البَهيمْ
طوّفْتُ منتَعِلاً جلودَ الرّيحِ .. مختَفِياً ..
أُسافِرُ في جَدائِلِها .. الغُبارِ
وأتيتُ حينَ غَفَتْ مصابيحُ النّهارْ
فلقد حَمَلْتُ إليكِ زادَ محبّتي
وشويْتُ أفكاري .. وتَبّلْتُ القَديدْ
أدْري .. بأن طعامَهُم لا يُسْتَساغْ
وأنّ وجْهَكِ لا يريد .
ودلفت .. تعبس لي دهاليز ..
تحملق في ارتيابْ
باب تحركه الرياحُ .. وتغلقُ الاشباحُ بابْ
من أين أدخلُ ؟ والمدينة بابُها الحجريّ ..
يعلو كالهِضَابْ
وملأت غليوني بتبغِ الحُبِّ عطّرْتُ السّياجْ

وذرعت ميناءَ الخواطرِ هائماً ..
متصفّحاً وجْهَ الفضاءْ
والريحُ تحمِلُ ذيلَها الغجريَّ تركضُ في البحارْ
وبكت على قدميّ ، وارتعشت على كتفيّ ..
واحتملتْ معي .. وَجَعَ الرّؤى .. والإنتظارْ
ولمحتُ ثُقْباً في الجدارْ
وتسلّقت سورَ المدينةِ مقلتايْ
هذي ملامحُكِ النّضيرةُ ما تزالْ
هذي عيونُكِ حقْلُ حنْطَهْ
والشعر موّالٌ وفي شفتيك أُغْنيَةٌ
وفي قدميْكِ . مَا صَدِيءَ الجديدْ
ومددتُ كفّيّ .. كانت الطرقاتُ مطرقةً
فما لمحَتْ رؤايْ
وهمَمْتُ .. لكنّ الجيادَ تحرّكَتْ ..
والنهرُ قوّسَ زندَهُ العاري ..
فقد شَمّروا خُطَايْ .
وتسرّبَتْ في الليل أعينُهُمْ
تصيخُ إليّ .. تبحثُ عن صدَايْ
فحصدت أجيالا من الأزمانِ موحشة اليبابْ
أقتات من همّي .. واشرب من ينابيعِ السرابْ
ورجعتُ في حلقي غُبَارْ
وبمقلتيّ مدامعٌ خرساءُ تَهْمِي في انْكِسَارْ
فالليلُ جباناتُ موتَى .
لا تحرّكها احتفالاتُ الرؤى الخضراء في عرسِ البحارْ

جاربو

في عينيها قرأ المحبّون أحلامهم

بقلم : جمال الكناني

تربعت على عرش السينما الذى لم يجلس عليه غيرها من قبل ، ولن يجلس عليه بعدها أحد . وصفها الناس بالغموض وهى فى الواقع سر الغموض عاشت عمرها تؤثر الوحدة والبعد عن الناس ، لا لأنها تكره الناس ، ولكن لأنها تحب استقلالها وتقدسه وتعتز بفرديتها وترتاح إلى العزلة . وهى تقول « أنا أقضى وقتى هرباً من شىء أو من شخص . وأعرف لا شعورياً أن السعادة لم تكتب لى » ... وفكرتها عن السعادة فكرة متواضعة ومفهومها للسعادة يكاد يكون بدائياً . بيت ريفى صغير فيه مستوقد تجلس بقربه ، وتطلق العنان لأحلامها .. اذا جاعت أكلت أبسط الطعام . ولا بأس أن يقاسمها إياه صديق قليل الكلام لا يسألها عما تفكر فيه .. أعز أمانيها أن يفهمها الناس دون أن تلجأ الى شرح ، وأن يكون لها كامل الحرية .. تفعل ما تشاء دون أن تلتزم بتفسير أو تبرير ما تعمل .



جريتا جاربو الفنانة التى تربعت على عرش السينما .. وهي هنا في احد ادوارها في فيلم « المغرية » الذي مثلته فى اكتوبر عام ١٩٢٦م .

جاربو تنفر بطبيعتها من الاغراب وتثير العطف والحنان فى قلوب من يعرفون بؤس حياتها . طفولتها كانت ملفوفة فى طيات الفقر ، فلما كبرت لم تذق طعم الحياة المنزلية العادية . وانتقلت إلى هوليوود فلم تشته نفسها بيتاً مستقراً تعشش فيه ، بل اخذت تنتقل فى بيوت تستاجرها أو فنادق تغيرها كما تغير حذاءها .. عاشت فى هوليوود ست عشرة سنة غيرت مسكنها خلالها إحدى عشرة مرة ..

الذى ينظر إلى جاربو يرى وجهاً لا ينسى . صورته تقفز إلى الذاكرة دون أن تستدعى والذى يرى وجه جاربو مرة يعرف السبب فى أنها لن تهرم كما يهرم غيرها من الناس لما تدركهم الشيخوخة . وجهها يصدر إشعاعات تبهر ، تخرج من منارتين هما عيناها اللتان تفصحان عن الكثير وتعبران عن كل شيء .. تاتمنان الناظر إليهما كما تامن عيون الاطفال من ينظر اليها ، ويدرك الناظر اليهما أنهما تعرفان كل ما تعرف النساء ، وأن فيهما صفحاً وغفرانا لا يرى إلا فى عيون الأمهات .

فمها الواسع العريض .. مرن .. مليء ... منحوت فى شفته السفلى أصداء قوة كامنة وشفته العليا تصدر إشارات ورسائل فيها حزم وإرادة•جفونها ثقيلة برموش باهظة الطول .. جلد الوجه نصف شفاف يغطى عظام الخدين العريضة ، التى تمكن جاربو من التعبير عن مختلف العواطف فى دقة ويسر ..

يؤكد كل مصور ماهر أن لكل وجه زاويتين ، إحداهما تناسب الكاميرا والاخرى لاتبرز جمال الوجه بل قد يكون فيها بعض التشويه .. والذى ماز وجه جاربو هو أنه يرحب بالكاميرا من أى زاوية جاءت ..

جاربو اليوم ، كجاربو هوليوود ، تؤثر العزلة التى تفرضها على نفسها . وحياء جاربو غريزى غير مصطنع أو متكلف .. هى تؤثر أبدا أن تعيش فيما تختار لنفسها من دنيا الاحلام .. وهرب جاربو من واقع الحياة هو السبب فى بعض بؤسها .. وليس من بين المقربين منها من يعرف سبب هروبها من الواقع ... أهو تفكيرها المكتئب فى الماضى أم هو مجرد ملل من الحياة نفسها ؟! وجاربو لا تتردد فى التصريح بأنها تحس بالقلق طول الوقت وفى كل مكان ..

جاربو تنظر إلى الحياة من خلال منظار أصغر .. فى شيء من اليأس . وتتساءل لم لا يتكاتف المفكرون والقادة ويستعملون عقولهم لتحويل هذا العالم الى عالم يسوده السلام ؟ ..

وجاربو تشكو وتتالم من « ضياع عمرها » ولكنها ترفض مثلا أن تصرف بعض وقتها فى أعمال خيرية وتقول « التمثيل مهنتى ولست عاملة اجتماعية » .

والمعروف أن جاربو تتمتع بصحة جيدة وان كانت تشكو أحياناً من ألم فى ظهرها ، وهى تعنى بصحتها عناية تامة وتمارس الرياضة وخاصة رياضة المشي والسباحة .. وهى تدخن باعتدال أما افة جاربو فهو الأرق .. فهى تجد صعوبة شديدة فى الاستغراق فى النوم .

● بين الفقر والمسرح !

فى شقة متواضعة فى المبنى رقم ٣٢ ، وهو مبنى من خمسة طوابق تطل على خرائب استكهولهم عاصمة السويد ، وعلى اقذر أحياء العمال فيها ، عاشت جريتا صباها مع أسرتها فى فقر ومسغبة . أبوها كان كناساً يقدم على نظافة الشوارع .. وقضى عليه الشراب وهو فى اوائل العقد الخامس من عمره .. وفى مستشفى الولادة فى ذلك الحى القذر ولدت جريتا لويزا جوستافسن يوم ١٨سبتمبر ١٩٠٥ وابوها على درجة من الفقر حفزت رئيسه فى العمل لان يتقدم لتبنى المولودة الجديدة ليخفف عن أسرتها الفقيرةعبء تربيتها ، ولكن الأب على فقره رفض ذلك ، وقالت أمها « الله يعطيك الخبز لما يعطيك الخلف » .

ولم تكن طفولة جريتا شقية أو سعيدة بصفة خاصة وهى تقول « لا أذكر أنى كنت صغيرة أبداً ، صغيرة بحق ، كغيرى من الاطفال .. كان لى رأيى فى بعض المواضيع ولكنى كنت لا أصرح برأيى أبداً » .. التحقت جريتا بمدرسة ابتدائية حكومية .. وكانت تكره الحساب والجغرافيا وتحب التاريخ ولكنها كانت منصرفة بكلياتها إلى المسرح الذى كانت تعشقه. فى سن السادسة أو السابعة كانت تقف عند الباب الخلفى لهذا المسرح أو ذاك وتحاول الاستماع الى ما يقول الممثلون فاذا كان لها ثمن تذكرة الدخول راحت تعب من المسرح ثم تقضى بعد ذلك أياماً تصبغ وجهها بالوان الرسم العادية وترتدى ملابس أخيها ثم تخرج إلى الشارع لترى كيف ينخدع الناس بتنكرها .. الوان الرسم كانت أصباغ ماكياجها والشارع مسرحها ..

مات أبو جريتا وهى فى الرابعة عشرة وحزنت لموته أشد الحزن لأنه قاسى فى مرضه كثيراً .. كانت فى تلك الأيام تحاول كسب ما يعين الأسرة على العيش .. تخرج من المدرسة الى دكان حلاق تعمل فيه بعض الوقت .. تضع رغوة الصابون على وجوه من يرغبون فى حلاقة لحاهم ..



اشهر صورها التى استخدمتها إحدى الشركات السينمائية في الاعلان عن النجمة الصاعدة .

جاربو

في عينيها قرأ المحبون أحلامهم

وتركت جريتا المدرسة فى ٢٦ يوليه ١٩٢٠ والتحقت بخدمة أحد المتاجر الكبرى فى العاصمة براتب قدره (٣٥ دولاراً) فى الأسبوع . وفى أوائل ١٩٢١ وقفت جريتا كمحترفة امام آلة التصوير.ذلك لأن المتجر كلفها بعرض أزياء قبعات الموسم . وعقب ذلك مباشرة كان أول لقاء لها مع كاميرا السينما إذ اختارها احد مديري أفلام الدعاية التجارية لتظهر فى فيلم فكاهى عنوانه « كيف لا تلبس ملابسك » .. وجاء بعد ذلك فيلم فكاهى آخر عن مخبز يعلن عن كعكه وفطائره ، تلتهمها فتاة هجرت « رجيماً » صارماً .. وكانت جريتا إذ ذاك على شىء من السمنة .

● شىء غير عادى

حدث أن زار المتجر الذى تعمل فيه جريتا واحد من مخرجى الأفلام الرخيصة ، وعرض عليها العمل لحسابه فاستقالت من عملها فى المتجر ، لتعمل فى السينما ! ! وسُرت إحدى المجلات تعليقاً على أول فيلم لها مع تلك الشركة وتنبأ المعلق بأن جريتا جوستافسن قد تصبح كوكباً من كواكب السينما فى السويد .. ولم تقنع جريتا بذلك بل أخذت تبذل الجهد والعرق لتحقق هدفها فهى منذ طفولتها تقول « أنا أفكر فى أن أكون ممثلة عظيمة » . واكد لها المخرجون أنها لن تحقق ذلك الأمل الا اذا تعلمت فن التمثيل وتدربت عليه .. فما كان منها الا أن تقدمت لامتحان يؤهل لجائزة علمية فى التمثيل تعقده الاكاديمية الملكية للمسرح فى استكهولم .. وساعدها مخرج اسمه بتشلر بأن كلف ابنته الممثلة ، بتدريب جريتا قبل امتحان الاكاديمية .. وكان ان نجحت جريتا وفازت بجائزة مكنتها من الالتحاق بالاكاديمية مجاناً . كان نظام الاكاديمية صارماً يفرض على الطلاب مواظبة ومراناً وعملاً متواصلاً .. وابدت جريتا تفوقاً ملحوظاً أثناء دراستها .. وحدث أن المخرج بتشلر تحدث إلى أكبر مخرجى السينما فى السويد ، وهو ستيللر عن جريتا وامتيازها .. وزار ستيللر الاكاديمية خلسة وشاهد جريتا أثناء عملها دون أن تدرى هى بوجوده ، فلما بدأ توزيع ادوار فيلمه الجديد زار الاكاديمية مرة أخرى وحدد لجريتا موعداً لتزوره فى بيته ..

وراحت جريتا فى الموعد المحدد فلم تجد ستيللر واضطرت للانتظار ساعتين وصل بعدهما ذلك المخرج اليهودى وكان صاحب الكلمة العليا فى عالم الفيلم السويدى إذ ذاك .. وتظاهر بأنه نسي الموعد ثم وجه إليها الحديث وقال « آنسة جوستافسن ، أنت سمينة جداً.لابد من أن ينقص وزنك ٢٠ رطلا قبل أن أسمح لك بالقيام بالدور الذى اختاره لك .. وسأبعث فى طلبك بعد أيام لاختبارك على الشاشة » .. وخرجت جريتا والتفت المخرج ستيللر نحو ممثل كان معه وقال « فى هذه الفتاة شىء غير عادى ، لابد أن أكتشفه .. » .

وبعد أيام وصلت رسالةتليفونية من ستيللر .. وراحت لتختبرها الكاميرا .. وثبتت صلاحية وجهها للشاشة البيضاء .. ولعبت جريتا أول دور رسمى لها وهو دور الكونتيسة دونا ، ونجحت تماماً .. وقدمها ستيللر لمدير شركة الأفلام السويدية وقال له « هذا وجه لا نعثر عليه إلا مرة كل قرن » وأبرمت الشركة عقداً مع جريتا لمدة ستة أشهر بأجر قدره ٦٠٠ دولار وكان عمرها ١٨ سنة .

لم يكن لاسم أسرة جريتا وهو « جوستافسن » رنة سينمائية وقرر المخرج ستيللر تغييره وكانت هى نفسها تسعى لتغييره باسم أقصر . وتذكر احدى صديقاتها انها زارت اذ ذاك مزرعة اسمها « جاربودا » .. ويحتمل ان يكون اسم « جاربو » اختصاراً لكلمة « جاربودا » . وهناك قصص أخرى عن تغيير الاسم الى « جاربو » ولكن لا يقوم على أى منها دليل قاطع ، لهذا نكتفى بالقصة التى أوردناها .

قبض ستيللر على جاربو بيد من حديد فكانت لا تقدم على أمر دون موافقته .. كان يدربها أثناء الاخراج ويكلفها باعادة المشهد الواحد مرات ومرات حتى يطمئن إلى أنها اعطته غاية ما تستطيع تقديمه .. كان يطالب بالكمال فى الأداء ويصر على طلبه .. واستحالت جاربو عجينة فى يده يشكلها كيف شاء ، وهناك من قال انها اضحت أمة له يأمرها فيطاع ، وظن البعض أن العلاقة بين ذلك المخرج الذى كان يكبرها بربع قرن تعدت حدود علاقة العمل بكثير .. ولكن الدليل لا يقوم على ذلك .. وحيثما يسود الغموض تروج سوق الشائعات .

بدأ ستيللر يبنى ويشكل ذلك الكوكب الذى اضاء سماء هوليوود سنوات .. وكانت جريتا قد بلغت الثامنة عشرة ، فى عام ١٩٢٣ .. ويذكر أنها لما أتمت أول فلامها تحت اشراف واخراج ستيللر قالت لاحد الصحفيين « نعمت بعملى فى ذلك الفيلم ولكن التجربة كانت أشبه ما تكون بعبور أتون تاجج ناره » وبعد خمسين عاماً من ذلك قالت جاربو عن علاقتها بذلك المخرج الذى عرف بصلفه « كانت العلاقة بيننا حب وكراهية ، أحبنى بعض الوقت بقدر ما كرهته » .



جريتا جاربو فى لقطة من فيلمها الشهير « السيل » الذي اخرجه « مونتا بيل » فى عام ١٩٢٦ .

وعادت جاربو إلى الاكاديمية تتم دراسة لتمثيل ، تنفيذاً لتعليمات ستيللر ... ويجدر بالذكر أن النقاد لم يتحمسوا لذلك الفيلم السويدى ، وبالغ بعضهم فى نقد جاربو فتصدى لهم ستيللر وقال « إنهـا مازالت عصبية عديمة التجربة ولكن فى شخصيتها شىء غير عادى .. فوق العادى .. وعندما أفرغ من تدريبها ، سيعجب الجميع بأدائها » .. وهذا الفيلم الذى لم يعجب نقاد السويد نجح فى المانيا نجاحاً منقطع النظير ودفعت فيه شركة تريانو ٢٥٠٠٠ دولار كما دفعت لجاربو كل نفقات سفرها إلى برلين لحضور العرض الأول للفيلم وكان بعنوان « جوستا برلنج » .. وطلبت الشركة من ستيللر أن يخرج فيلماً ثانيا لجاربو ، فاختار مذكرات لاجىء روسى وفيها دور اعتبره المخرج نموذجياً بالنسبة لجاربو وهو دور فتاة روسية ارستقراطية تهرب من دير فى بتروجراد وينتهى بها الأمر فى حريم قصر من قصـــور القسطنطينية عاصمة تركيا إذ ذاك .

قرر ستيللر أن يضع الشركة أمام الأمر الواقع فصحب جاربو والمصورين والممثلين إلى العاصمة التركية ونزل فى أفخـم فنادقها .. وأخذ يرسل البرقيات يطلب من الشركة ان ترسل اليه ما ينفق على الفيلم والمشتركين فى إخراجه .. ولم يدر ان الشركة افلست .. واضطرت القنصلية السويدية أن تدفع نفقات عودة جاربو والمخرج إلى السويد عن طريق المانيا .

فى ذات الوقت كان أحد الألمان ، جورج بابست ، يعد لاخراج فيلم اسمه « شارع الأحزان » يسانده فى ذلك رأسمال أمريكى .. وسعى المخرج وراء التعاقد مع جاربو ووافق ستيللر على اشتراكها شريطة ان يكون هو مستشار الاخراج . وقبضت جاربو ٤٠٠٠ دولار نظير هذا الفيلم الذى استغرق اخراجه فى برلين شهراً واحداً .. وجدير بالذكر ان مارلين ديترتش اشتركت بدور صغير فى ذلك الفيلم .

وتصادف أثناء اخراج هذا الفيلم فى برلين ان زار العاصمة الالمانية قيصر هوليوود ، المستر لويس بى ماير ، نائب الرئيس الأعلى وكبير مخـــرجى مترو جولدوين ماير .. وكان المخرج السويدى الكبير فيكتور سبوستروم قد اشار على لويس ماير بأن يقابل ستيللر وان يشاهد بعض افلامه وقال « استورد ستيللر وضع جريتا جاربو بين حقائبه !! » . ورتب الوسطاء لقاء بين ماير وستيللر .. واكتشف كل من الرجلين عند اللقاء انه لا يتكلم لغة الآخر ولكن كان كل منهما يعرف ان الآخر يهودى مثله ، يعرف القليل من اليديش ، فاتخذاها لغة للتخاطب واستعانا بمترجم كذلك ..



« المـرأة الرائعة » .. احـد أهـم أفلامها .. مثلته فى يناير عام ١٩٢٨ .

● جاربو تفكر فى الانتحار !

طلب ماير مشاهدة فيلم «جوستا برلنج» .. وادرك لما شاهده أن المخرج ـ ستيللر ـ موهوب فالتفت ماير للمترجم وقال « قـل للمستر ستيللر إن رجلا له مواهبه يجب أن يكون فى هوليوود .. أنا مستعد لابرام عقد معه لمدة ثلاث سنوات ، وأن أدفع له أول الأمر ١٥٠٠ دولار فى الأسبوع » .. ولم يرد ستيللر فوراً .. ثم سأل « وماذا تنوى بالنسبة لجاربو ؟ إنك لم تشر إليها بكلمة واحدة » ، ورد ماير بغير اهتمام « ومن تكون جاربو هذه ؟ » قال ذلك رغم اعجابه بادائها فى الفيلم الذى شاهده .. ولكن ذلك نهج اليهود عند عقد صفقة مهمة .. وأخذ ستيللر يعدد مناقب جاربو فقال ماير « أقل الواجب هو أن أقابلها أولا ولكن الأهم هو أن أعرف موعد حضورك إلى هوليـــود ـ فقال ستيللر ـ لن أسافر الى امريكا الا وجاربو فى صحبتى وفى يدها عقد من شركتكم .. ويسرنى ان تتناول العشاء معى » وقبل ماير الدعوة ورتب ستيللر لحضور جاربو وأوصاها بأن ترد على ماير إذا حدثها فى أمر العقد بجملة واحدة « أنا انفذ ما يقرره المستر ستيللر » .. وقبـل نهاية السهرة وافق ماير على أن يتعاقد مع جاربو لمدة ٣ سنوات بمرتب ٣٥٠ دولاراً فى الأسبوع فى أول الأمر . والتفت ماير للمترجم وقال « قل لها ان الرجال فى امريكا لا يحبون المرأة السمينة » .. وهبت جاربو واقفة وانصرفت بعد أن قررت فى نفسها أن تتبع « رجيما » صارما تنقص وزنها خلال الشهرين قبل رحيلها إلى امريكا .

وابحرت جاربو إلى امريكا مع المخرج ستيللر وتوقعا استقبالا حافلا فى نيويورك يضم كبار رجال مترو جولدوين ماير ورجال الصحافة والسينما والمسرح .. وأخـذ ستيللر يحفظ جاربو جملة باللغـــة الانجليزية ترد بها على الصحفيين فى نيويورك « هذه أسعد لحظة فى حياتى .. بارك الله امريكا » .

واستحال الحلم الى كابوس وتحطمت الآمال عند وصولهما إلى نيويورك .. اذ لم يكن فى انتظارهما غير خيبة الأمل والمهانة .. كانت هيئة الاستقبال مصوراً واحداً ورجلا من العلاقات العامة كلف بقيادة سيارة الضيفين .. وفاضت عيون جاربو الجميلة بالدموع وحاول ستيللر الاتصال بماير تليفونياً .. وكان الرد دائما انه مشغول فى اجتماع هام .. اترك رقم تليفونك وهو يرد مكالمتك .. ولم يرد ماير المكالمات .. واستمر الحال على ذلك مدة شهرين .. وكتبت جاربو لصديقة لها فى السويد تقول « أشعر بدافع قوى على الانتحار .. إما أغرق نفسى أو أقفز من أعلى نافذة .. لكن تعوزنى الشجاعة » .

وقررت جاربو وستيللر العودة إلى السويد .. وفى مكتب للسفريات السويدية لقيت جاربو صديقة لها « مارتا هـدمان » المغنية السويدية المشهورة التى كانت تنوى العودة للسويد فى اجازة .. وسمعت مارتا ما جرى لجاربو وصاحبها فوعـدت بالمساعدة واتصلت بمصور مشهور وطلبت منه العون .. ورأى المصور جاربو .. فأخذ بجمالها .. وطلب أن يصورها .. وكان له ما أراد .. واختـار هـو وجاربو أفضل الصور وعرضهـا على محـــرري أكبـــر المجـــلات ونشرت الصـور وتحتها عبـارة « كوكب جديد من الشمال ـ جريتا جاربو ».

ووزعت المجلات فى أنحـاء الولايات المتحدة ومنها كاليفورنيا .. ووقعت عين ماير على الصور وبهره ما رأى ولم يدرك ان الصور هى صور الفتاة التى تنتظر أوامره فى نيويورك فأمر بحضورها ومعهـا ستيللر .

جـــاربـــو
في عينيها قرأ المحبون أحلامهم

● نجمة من طراز جديد

وصلت جاربو إلى هوليود فلم يتحرك فيها ساكن .. وعاد الاستديو إلى صمته واهمل شانها ، وبعد اشهر وافق رئيس الاخراج على عمل اختبار جديد على الشاشة لجاربو ... وكان للنتيجة وقع السحر ... وتحرك الاستديو واهتم ماير وامر جراح الاسنان الذي يعمل في الشركة باصلاح اسنان جاربو لان الفجوات بينها كبيرة ... وامر بان ينقص وزنها قبل اشتراكها في اي فيلم .

كانت جاربو نجمة من طراز جديد لم تالفه استديوهات هوليود .. النجوم عادة نحيلات صغيرات الحجم ، وجاربو طويلة عريضة الكتفين ... كان الاستديو قد بدا فى تصوير فيلم « السيل » يخرجه مونتا بل وبطلته ألما روبنز التى كانت تلعب دور ليونورا أمام البطل ريكاردو كورتيز ... وحدث أن مرضت البطلة ألما روبنز .. فراح المخرج يستغل الوقت في مراجعة بعض ما صور من أشرطة ، وبدأ العرض ، وفجاة رأى المخرج شريطاً عليه جاربو ـ شريط اختبار الشاشة ـ وأدرك عارض الأفلام انه اخطا ، فتوقف عن العرض ، ولكن المخرج أمره بالاستمرار ، فلما انتهى الفيلم طلب منه إعادة عرضه ... وفى آخر الفيلم ورد اسم جريتا جاربو وتاريخ الاختبار ... وتحمس المخرج لما رأى بمحض الصدفة ، وسارع إلى غرفة رئيس الاخراج فى الشركة واقنعه بوجوب استبدال ألما روبنز المريضة بهذا الوجه الجديد ... وقبل الرئيس ... وبدأت جريتا جاربو تؤدى أول دور لها في فيلم من افلام مترو جولدوين ماير فى هوليوود .

بدأت جاربو عملها وأخذ بعض النقاد يعلقون على شخصها تعليقاً لا مجاملة فيه وذهب واحد منهم انه اكتشف الحجم الصحيح لقدمي جاربو ـ وقدماها فى حجم أقدام الرجال ـ وكان بعض عمال الاستديو يسخرون من طولها ... ومنهم من أطلق عليها اسم « ناطحة السحاب » ... وهكذا بدأت جاربو حياتها فى هوليوود موضع سخرية ، وانتهى بها الأمر معشوقة للجماهير .

استغرق اخراج فيلم « السيل » ستة أسابيع وعرض فى نيويورك لأول مرة في ٢١ فبراير ١٩٢٦ ، وكسر الرقم القياسي لعدد المشاهدين ... ونجحت جاربو وأشاد بعض النقاد بما تتميز به من فردية وجاذبية ... وأشار بعضهم الآخر إلى وجهها وملامحها وقدرتها على الأداء والتمثيل ، وإلى شخصيتها النفاذة .

وأرادت شركة مترو جولدوين ماير أن تستغل لهفة الجماهير واقبالها على هذه النجمة الجديدة ، فبادرت بالاعداد لثاني أفلامها واختارت قصة عنوانها « المغرية » وكلفت ستيللر بالاخراج ، ولكن الشركة قررت طرده قبل أن يتم عمله ... ولا غرابة إذن أن هذا الفيلم لم يصب نجاحاً .

شاع بين المخرجين أن جاربو تبذل جهداً جباراً فى تحضير الأدوار التى توكل إليها ، وانها تسهر الليل وتجهد نفسها فى الاعداد لأداء تلك الأدوار وانها تطيع تعليمات المخرج بدقة ، فارتاح المخرجون للعمل معها . وكانوا يتسابقون للفوز باخراج أفلامها ... وعرف المخرجون أن جاربو لشدة حيائها الغريزي تضطرب إذا أحست أن هناك من يراقبها اثناء الأداء فى الاستديو ، لهذا كان المخرجون يحيطون المشهد والكاميرات بستائر تحد من تجمع الزوار ... واستعانت ابواق الدعاية فى الشركة بالاسم الذي أطلقه بعض المعجبين



أمام الممثل « جون جلبرت » في فيلم «قصة حب» وهي مقتبسة عن قصة «انا كارنينا» لتولستوى



في فيلم «انا كارنينا» الذي مثلته في اغسطس ١٩٣٥ امام « فردريك مارش » .

على جاربو وهو « فينوس استكهولم » ...

فيلم « الجسد والشيطان » في عام ١٩٢٦ كان ثالث افلام جاربو فى هوليوود ... قرات جاربو القصة فوجدت ان دورها ، كالدورين في الفيلمين السابقين ، هو دور امراة تعمل على إغراء الرجال والعبث بعواطفهم ، فلم تعجبها القصة فاحتجت لدى « ماير » فنهرها فى وحشية وامرها ان تمتثل للأوامر ... فامتثلت على مضض ولكنها اخذت قرارا فى نفسها ... قام بدور البطل في هذا الفيلم جون جلبرت ... وعرض الفيلم لاول مرة في نيويورك فى يناير ١٩٢٧ وكتبت صحيفة الهيرالد تربيون عن جاربو تقول : « لم نر على شاشة السينما من قبل امراة على مثل هذا القدر من السحر والجاذبية ، فيها رشاقة افتك من اي جمال مجرد » .

وبالغت الشركة فى نشر شائعات عن غرام بين جاربو وجلبرت ... وارتاحت الجماهير لهذا الوضع وزاد الاقبال على الفيلم رغم أن «ماير» نفسه لم يرض عنه من الناحية الفنية ... ومن هنا بدات جاربو تتميز عن كل نجمة من نجوم السينما ... فهي معشوقة النساء والرجال جميعاً .

وحل موعد الفيلم الرابع .. اختارت الشركة « النساء يعشقن الماس » ووجدت جاربو للمرة الرابعة الدور الذى لابد تلعبه دور امراة همها إغراء الرجال والعبث بعواطفهم أو كما أسمت هى تلك الأدوار « أدوار امراة فاسدة » فرفضت العمل وامتنعت عن زيارة الاستديو وهددها «ماير» بأنها بامتناعها إنما تكسر العقد بينها وبين الشركة .. وكان راتب جاربو قد ارتفع إلى ٦٠٠ دولار أسبوعياً وعرفت من جون جلبرت أنه يتقاضى ١٠٫٠٠٠ دولار أسبوعياً فطلبت زيادة راتبها إلى ٥٠٠٠ دولار ... فلما عرض ماير عليها نصف ذلك المبلغ قالت « اعتقد انى لابد أعود إلى وطنى » .. وغادرت مكتبه وغابت سبعة أشهر لم تتقاض خلالها فلساً واحداً .

وقف جون جلبرت بجانبها ونصحها بأن تستعين بخدمات هارى ادنجتون ليكون مديراً يمثلها أمام الشركة وتم لها ذلك .. واصر ادنجتون على راتب قدره ٥٠٠٠ دولار يدفع على مدار السنة ، وكانت الشركة تقتطع راتب الاجازات .. واصر على اعفاء جاربو من العمل فى فيلم « النساء يعشقن الماس » واختار لها قصة « حب » وهى قصة مقتبسة من قصة « انا كارينينا » لتولستوى .. وتم توقيع العقد الجديد فى يونيه ١٩٢٧ .

وتعاقبت بعد ذلك أفلام جاربو « المراة المقدسة » و « السيدة الغامضة » وغيرها مما هو معروف .

وجاربو عانس حتى اليوم .. لم تتزوج قط .. فى عام ١٩٢٨ وهى فى مستهل عمرها كتبت الى صديقها لارس هانسون الممثل السويدى تقول « افكر فى اليوم الذى اتقاعد فيه والزم دارى وأخلد للهدوء وعندها نقضى معاً أمسيات العزاب ، لأنى اعتقد أنى لن أتزوج .. إذ لست أتصور نفسى زوجة ـ يالها من كلمة نابية » .

ولعل المخرج ستيللر كان أقرب رجل إلى قلب جاربو وان كان العارفون يؤكدون أن العلاقة بينهما لم تكن غرامية وان كان الحب عنصراً من عناصرها .. ولما مات ستيللر افتقدته جاربو وبدت وكأنها سفينة بغير دفة توجهها .. ويكفى أن جاربو قالت « لو قدر لى أن أحب رجلا لكان ذلك الرجل موريتز ستيللر .»

نذكر من بين من أحبوا جاربو الممثل السويدى لارس هانسون الذى لم تبادله جاربو حبه رغم انها احتفظت بصداقته على البعد وهى فى امريكا وهو فى السويد ، على أن الرجل الذى لازم اسمه اسم جاربو فترة طويلة كان جون جلبرت الذى لعب دور البطولة فى عدد من أفلامها،على أنها قالت « لم يكن بيننا أى غرام ولست أدرى ما أعجبنى فيه » والمعروف أن جاربو وجلبرت اتفقا على موعد للزواج ورسما خطة لشهر العسل يقضيانه على ظهر يخت فى جنوب المحيط الهادى .. ولكن لما حل اليوم الموعود لاذت جاربو بالفرار وتزوج جلبرت غيرها .

ويشاع أن جاربو كادت ان تتزوج من صديق صباها ماكس جميل وهو مهندس مليونير سويدى ولكن الزواج لم يتم .

وفى حياة جاربو عدد من الغراميات العابرة منها ما هو مع روبن مامولیان ، وهو مخرج سينمائى أرمنى ، والموسيقار ستوكسكى ، والدكتور جايلورد هاوزر ، وجورج شلى وسيسل بيتون .

على أن كل ما جرى بين جاربو وأى من محبيها سر أودع فى بطن المحيط .. غرامياتها وشخصيتها وحياتها لغز يزداد غموضاً كلما امتد العمر بها وكلما تعمق البحث وراء حل لهذا الطلسم .

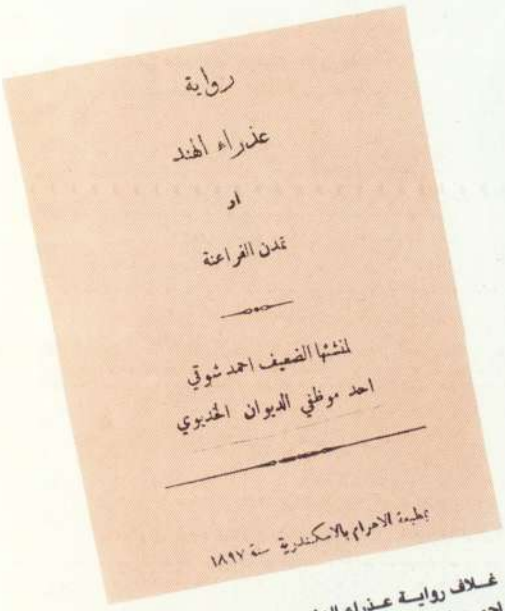
يكفى ان نعرف أنها سر الغموض .. جريتا جاربو مد الله فى عمرها .

جمال الكنانى

صفحة مجهولة في أدبنا المعاصر

أحمد شوقي كاتبًا روائيًا

بقلم : محمود على


رواية
عذراء الهند
او
تمدن الفراعنة
لمنشئها الضعيف احمد شوقي
احد موظفي الديوان الخديوي
بمطبعة الاهرام بالاسكندرية سنة ١٨٩٧

غلاف رواية عذراء الهند التى كتبها احمد شوقي وطبعت في عام ١٨٩٧ .

قد يبدو هذا العنوان غريباً على شاعر مصر والعروبة احمد شوقى ! فعهدنا به شاعراً واميراً للشعراء ، واول من طرق باب المسرح الشعرى .

و .. الحقيقة ان احمد شوقى طرق ميدان الرواية ايضاً فى باكورة حياته ومحاولاته تكاد ان تكون مجهولة .. ان لم تكن كذلك فعلا..لا نعرف عنها شيئاً يذكر . بعض من ارخوا لتاريخ الرواية العربية تجاهلها تماماً . وآخرون اكتفوا بذكر اسماء رواياته دون ان يتطرقوا لمناقشتها .

و .. كلاهما معذور . فاعمال شوقى الروائية ليست تحت ايديهم . ويزيد الامر غرابة ان احمد شوقى نفسه فى مقدمة الطبعة الاولى من شوقياته (١٨٩٩) لا يذكرها ضمن اعماله .

لم يذكر إلا رواية «علي بك او فيما هى دولة المماليك» التى كتبها وهو طالب علم فى باريس وارسلها الى رشدى باشا ليعرضها على الخديوى والذى علم منه «بان الجناب العالى قد تفكه بقراءتها ويدعو لك بالمزيد من النجاح» (١) . دون ان يذكر روايته النثرية الثانية «عذراء الهند» (١٨٩٧) . وكذلك فعل سكرتيره فى ذكرياته عنه بعد وفاته . الوحيد الذى ذكر شيئاً عن احدى رواياته وهى «عذراء الهند» ، كان رفيق شبابه الامير شكيب ارسلان فى كتابه «شوقى .. او صداقة اربعين عاماً» «ط ١٩٣٦» كما سنرى .. ثم يذكر طاهر الطناحى فى كتابه عن شوقى وحافظ نصاً نادراً لشوقى ارسله الى الزعيم محمد فريد إثر جفوة بينه وبين الحزب الوطنى بعد وفاة مؤسسه مصطفى كامل يشير الى اعماله الوطنية .. يقول فيها :

«وطنيتى فى الشوقيات قليلها الذى ظهر وكثيرها المستتر . وفى «عذراء الهند» و«دل وتيمان» و «لارياس» و «بنتاءور» . ولو إطلعت على واحد من هذه الآثار التى تقتنيها ربات الجمال ويفهمها الرجال والاطفال لعلمت كما علم كثير من العقلاء قبلك اننى كما وصفنى المرحوم مصطفى كامل .. ذلك الغدير الصافى فى لفائف الغاب يسقى الارض ولا يبصره الناظرون» (٢) .

الرواية قبل المسرح

شوقى إذن طرق باب الرواية قبل ان يطرق باب المسرحية الشعرية . وفى فترة مبكرة من حياته وحياة الرواية العربية والمصرية فقد كتب : عذراء الهند او تمدن الفراعنة سنة ١٨٩٧ و «لادياس» او «آخر الفراعنة سنة ١٨٩٩» .. ثم رواية «دل وتيّمان» فى نفس العام وتعتبر الجزء الثانى لرواية «لادياس»،ثم شيطان بنتاءور (١٩٠١) (٣) واخيراً «ورقة الآس» .

من بين هذه الأعمال تظل رواياته الثلاث الأولى اكثرها غموضاً للباحث .. وهى الروايات التى تحت ايدينا الآن .

لكن .. ما سر تجاهل احمد شوقى لهذه الأعمال ؟ .. بل وتجاهل نقاد عصره لهذه المحاولات الروائية الأولى فى تاريخ الرواية المصرية ؟ سوف نجد بعضاً من الاجابة على السؤالين فى مقدمة احمد شوقى لشوقياته من طبعتها الاولى .. ثم فى الظروف التاريخية التى احاطت بظهور قصصه .. ومنها «عذراء الهند» ! .



الشاعر احمد شوقي

دفاعاً عن النثر

يقول شوقى فى مقدمته دفاعاً عن النثر واهميته وامكانية ان يجمع الشاعر بين النثر والشعر معا :

«ان البعض يستنتج من كون الناثر لا ينظم ان الشاعر لا ينثر كذلك .. ولا ينبغى له . وهذا وهم يدانى فى اليقين عندهم . وقد جاوز الشعراء فى الانخداع به حداً اضر بهم» (٤) .

ثم يعطى نماذج من شعراء الغرب الذين ساهموا فى مجال «القصص والانشاء ..» حتى ان بعضهم يقدم «الاشقياء» لفكتور هوجو على سائر مؤلفاته وفيها الشعر . كما يرون « اعتراف فتى العصر » لالفريد دي موسيه اجمل اثر له بين كثير من الآثار وفيها الروايات المنظومة والاشعار . وكلا الشاعرين مطبوع لم يختلف فى سليقته اثنان . (٥) شوقى بهذا يقدم تبريراً لمعاصريه لنزوله ميدان النثر الفنى من خلال قوالب جديدة ، لكن عصره لم يكن يستسيغه . فالرواية المؤلفة حينذاك كانت فى دور جنيني .. لم يشتد عودها بعد .. لانه فن لم يالفه الادب العربى . يرى فيه المحافظون نوعاً من «الشرك الفنى» لا يجوز لاديب ـ خاصة الشاعر ـ ان يخوض فيه . وقد ادرك شوقى هذا تماما .. فنراه بعد سطور يعترف باحجامه فى خوض ميدان النثر الفنى رغم اعترافه باهميته قائلا :

«على انى كنت اول من انقاد بازمة هذا الوهم . وطالما اوذيت به فكنت إذا عرضت لي كتابة اشفق منها واجفل عنها فصرت مثلى مثل الشاعر الفرنسوى الذى يحكى انه لما راى اهل باريز يبالغون فى الحفاوة به ويكثرون من دعوته الى موائدهم ومجالسهم ليسمعوا حديثه على ظن انه يقول ما لا يقوله الناس .. بلغ به الاحتراس منهم الى ان كان إذا دعى الى وليمة حضر والقوم على المائدة فاكل صامتاً ثم انصرف والقوم لم يفرغوا من الطعام . فقيل له لم ذلك . فقال : انا على المائدة كاحدكم فاذا جلست إزاء مكتبتى فتصورونى كيف شئتم» . (٦)

لقد عاش شوقى فى باريس .. مدينة النور والنار .. ورأى وشاهد .. وكتب من هناك رواية «علي بك الكبير» ثم ترجمته لقصيدة «لامارتين» .. البحيرة . وترجم حكايات للاطفال عن لافونتين . وحكاية قصيدته «خدعوها بقولهم حسناء» التي منعت من النشر ، والتى ذكرها فى المقدمة ، كل هذا جعله يدرك بضرورة الحذر :

«إن احتراسى من المفاجاة بالشعر الجديد دفعة واحدة إنما كان فى محله .. وان الزلل معى إذا ما استعجلت» .

شوقى يقول هذا عن الشعر .. وله من المكانة ما له .. فما بالكم بالقصص النثرى؟.

حملة من النقد

لقد جرت عليه رواية «عذراء الهند» عند نشرها حملة من النقد تزعمها ابراهيم اليازجى فى مجلته «البيان» جعلت شوقى يلجا الى صديقه الامير شكيب ارسلان ليدفع عنه غائلته . بدا اليازجى نقده قائلا بعد سطور من تقديم الشاعر والرواية او رسالته «كما سماها» .. «والذى تبين لنا بعد تصفح جانب منها ان مؤلفها لم يقصد من وصفها إلا تمثيل ما كان عليه اهل العصر من الخرافات والترهات . ولذلك اكثر فيها من ذكر الجان والعفاريت والسحرة والمنجمين والرقى والطلاسم ووصف عجائب المخلوقات والصور الوهمية» . (٧)

ثم ترك الرواية ليتتبع اخطاء المؤلف اللغوية من اول اهداء المؤلف كتابه للخديوى .. حتى يقول : «وهذا يدلك على ان كلا من النظم والنثر لغة قائمة بذاتها لا يحسنها غير اهلها . وان ما اشتهر من قولهم كل شاعر ناثر قولا لا يطرد صدقه ولا يبنى عليه قياس ... ويشهد الله انا كنا نود للمؤلف لو لم يجز بهذا التاليف قلما فان الرجل معروف بالشعر من الطبقة العالية . مشهود له فيه بانه من الطراز الاول . وحقيق بمن بلغ فى امر من الامور منزلة يكون فيها من رؤساء اربابه ان لا يتعدى للدخول فى فئة ينزل فيها عن رتبته ويعد بينهم آخراً .

فان اهمال بعض الامر لا عيب فيه إذ لا يتعين على المرء الاشتغال بالامور كلها . ولكن العيب على من انتحل امراً وقعد فيه» (٨)

وكان شوقى فى مقدمته لشوقياته كان يرد على هذا المعنى .. على القول بان الشاعر يكفيه شعره .. وللنثر اصحابه ولا يمكن الجمع بينهما !

لا يكتفى اليازجى بهذا القول بل يصب نقده كما قلنا على الفاظ وجمل بعينها وكانه اراد كما يقول الامير شكيب ارسلان ان يسقط منزلة شوقى بين الادباء «لان الاديب لا يصح ان يكون اديباً إلا إذا استكمل ادواته من اللغة والنحو والصرف والبيان ... وان من نقص حظه من النحو نقص حظه من الادب» (٩) . الامر الذى جعله ينشر رداً نشر فى الاهرام واعاد نشره فى كتابه السابق . المشكلة فى نظر الامير شكيب ان شعر شوقى قتل نثره .. «فبينما هو فى الشعر الفذ الذى يجرى ولا يجرى معه إذا هو فى النثر احد جماعة يجرى معه الناس مثنى وثلاث ورباع .. فى حين أن له نثراً رائعاً وترسلا مؤنقا وفصولا شائقة كانت تخلّد فى عالم الادب لو لم تفتك به قصائده» .

و .. يبدو ان شوقى اقتنع بهذا بعد فترة اقتناعاً جعله يحذف من اعماله ما كتبه من روايات نثرية ! .

شوقى يقنع بالشعر

اما الظروف التاريخية فترتبط بنشاة الرواية العربية والمصرية واكتساب شرعيتها ضمن نفوذ الادب العربى ، وهى ظروف جعلته يقنع بامارة الشعر وسبقه فى ميدانه عن الانتظار طويلا للاعتراف به

أحمد شوقي
كاتبًا روائيًا

فى ميدان الرواية أيضاً كما يحدث فى الغرب !!

فى عام ١٨٩٧ ظهرت الطبعة الأولى لرواية احمد شوقى «عذراء الهند» بعد ان نشرت مسلسلة فى احدى الصحف (١٠) . ومن هذا التاريخ نستطيع القول بانه طرق مجالا جديداً هو عالم الرواية لم يسبق لمصرى أن طرقه من قبل . فمنذ الحملة الفرنسية وحتى هذا التاريخ .. ورغم كثرة ما ترجم والف فاننا لا نجد احداً قبله طرق هذا الميدان ترجمة أو تاليفا إلا ثلاثة : رفاعة الطهطاوى الذى ترجم رواية «تليماك» (١٨٣٤) ومحمد عثمان جلال الذى قام بتمصير رواية «بول وفرجينى» تحت عنوان «الامانى والمنى فى حديث قبول ورد جنة» .. ثم «علم الدين» لعلي مبارك . وهى الأعمال التى يدرجها الدكتور عبدالمحسن بدر تجاوزاً ضمن ما يسميه بالروايات التعليمية (١١) . أما الرواية المترجمة فلم تعرف طريقها الى القراء وبشكل منتظم إلا من خلال الصحافة .. وعلى ايدى السوريين واللبنانيين بدأت على استحياء أول الأمر ثم سرعان ما طغت على ما عداها حتى اننا نجد مؤلفاً مثل احمد فتحى زغلول يرجع ضعف حركة التاليف العلمى فى مقدمة كتابه «سر تقدم الانجليز السكسونيين (١٨٩٩) ..» الى الاقبال على مطالعة القصص والخرافات والتهافت على اقتناء التافه من المؤلفات والتسابق على حفظ كتب المجون والروايات (١٢) . وكان من أبرز ما ترجم فى هذه الفترة الروايات التاريخية .. وخاصة اعمال «والتر سكوت» و«الكسندر دوماس» الشعبية والتى شجعت جورجي زيدان» لأن يسير على نهجها .. وخاصة عند «سكوت» .. فى سلسلة رواياته التاريخية التى بدأت عام ١٨٩٣ . وعلى هذا فان ظهور «عذراء الهند» (١٨٩٧) وما تلاها من روايات لشوقى تعتبر خطوة رائدة نحو خلق وتاصيل القصة فى التربة المصرية .. وهو ما تجاهله الكثيرون!

وإذا كان «جورجى زيدان» قد حرص على أن تغطى رواياته كل مراحل التاريخ العربى منذ العصر الجاهلى حتى العصر الحديث «٢٢ رواية» ، فان شوقى اتخذ وجهة أخرى . وغرف من معين آخر هو تاريخ الفراعنة محاولا بعث أحد وجوه الشخصية المصرية التى حاول الاحتلال البريطانى تشويهها . فاذا كان قد تغنى بانتماء مصر للخلافة الاسلامية وتابع أحداث العواصم العربية شعراً .. فلا اقل من أن يشيد بالحضارة الفرعونية .. ويبين للحاكم والمحكومين مواطن الزلل وعوامل تدهور الأمم .

فى «عذراء الهند» يختار فترة من ازهى فترات التاريخ الفرعونى وهو زمن رمسيس الثانى .. أو بمعنى أدق .. فترة أواخر حكمه .. ثم يعود ليتناول فى «لادياس» و «دل وتيمان» أو آخر الفراعنة كما يسميها .. فترة انحلال فى تاريخ مصر الفرعونية هى فترة غزو الفرس لها ، والتى يعود اليها بعد ذلك فى مسرحيته الشعرية «قمبيز» . ورغم أن شوقى يقرر فى مقدمة «عذراء الهند» .. أن أشخاص الحقيقة فى الرواية أربعة هم : رمسيس الثانى ، والأمير كيوم أو شميوم المحرف اسمه فى الرواية الى آشيم أكبر أولاد الملك ، والأميرة «اثرت» كريمة الملك .. و«بنتاءور» .. شاعره .. وان ما عداهم من شخصيات فمن وضع الخيال (١٣) . رغم انه يقرر ذلك إلا اننا نكتشف مع الصفحات الأولى للرواية انه جعل التاريخ خادماً لفنه وخياله كما فعل قبله رواد هذا الاتجاه «سكوت» و«دوماس» اللذان كانا يمثلان طوراً فى تطور هذا اللون القصصى – ليس أنضجه فنياً بالتاكيد – حيث تغلب الرومانسية .. ويفسر التاريخ فيها من الخارج .. وترضى الخيال الشعبى بما تقدمه من مغامرات غريبة أكثر مما ترضى الحقيقة التاريخية . وكان هذا الاتجاه هو السائد فى حركة التاليف منذ رواية «ذات الخدر» (١٨٨٤) لسعيد البستانى ومن بعده سليم البستانى فى لبنان .. حتى «جورجى زيدان» فى مصر . بل إن سعيد البستانى يصرح بهذا التقصير فى مقدمة روايته بقوله : «ان هذا الفن لايزال عندنا فى حال النشاة مع أنه أصبح عندهم (الغرب) من أعلى درجات الكمال وغاية الاتقان وكل شىء فى أوله عسير (١٤) . ومع أن واحداً من ألمع من كتبوا الرواية التاريخية الأكثر نضجاً فى تلك الفترة وهو الالمانى «جورج ايبرس» قد ترجمت روايته الأولى «الأميرة المصرية» فى مصر عام ١٨٩٨ ومن بعدها روايته «وردة» وتدوران فى جو مصر الفرعونية . أقول رغم ذلك فلم يكن له تأثير على كتاب تلك الفترة

وقد يبرر سيادة الاتجاه الأول على ما الف من روايات تاريخية مبكرة فى مصر أو فى لبنان أنها تتيح لخيال كاتبها – ومن ثم خيال القارىء العربى – أن يقدم انواعاً من المغامرات والأساطير والغرائب قريبة مما تعوده القارىء أو المستمع من أدبه الشعبى من خلال حواديت علي الزيبق ، وسيف بن ذي يزن والظاهر بيبرس .. وغيرها

هذه لمحات سريعة عن الحالة التى كان عليها التاليف القصصى .. والمناخ الذى بذرت فيه . وهو المناخ الذى ساعد على فرار شوقى من ميدان القصة بعد تجربة قصيرة .

وإذا كان شعر «شوقى» قد قتل نثره فى أيامه فهل نظلمه الآن ثانية بعد مرور نصف قرن على وفاته .. وبعد أن أصبحت أعماله الروائية تحت أيدينا ؟ .

محمود علي

هـــوامـــش

١ – مجلة الهلال – عدد خاص عن شوقي نوفمبر ١٩٦٨ .

٢ – نقلا عن كتاب احمد شوقي للدكتور ماهر حسن فهمي .

٣ – أعاد نشرها الاستاذ محمد سعيد العريان .

٤ – كتاب الهلال نوفمبر ١٩٦٨ .

٥ – المرجع السابق

٦ – المرجع السابق ،.

٧ – مجلة البيان – السنة الأولى ديسمبر ١٨٩٧ .

٨ – المصدر السابق .

٩ – الأمير شكيب ارسلان – شـــوقي – أو صداقة اربعين عاماً .

١٠ – المرجع السابق

١١ – عبد المحسن بدر – تطور الرواية العربية .

١٢ – جاك تاجر – حركة الترجمة في مصر.

١٣ – رواية عذراء الهند .

١٤ – د. عبد المحسن بدر – تطور الرواية العربية الحديثة .



بقلم : الدكتور محمد البهي

"الغنيمة"

يقول الله تعالى فى سورة الفتح : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة (وكان هذا فى صلح الحديبية قبيل فتح مكة مباشرة) فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحاً قريباً (وهو فتح مكة) . ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً . وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه (غنائم خيبر) وكف أيدى الناس عنكم (وهم اليهود فى شمال المدينة) ، ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً . وأخرى (أى ومغانم أخرى) لم تقدروا عليها (فى بداية غزوة حنين فى الجولة الأولى فيها) قد احاط الله بها (أى لم يدع الله هذه الغنائم الاخرى فى حنين تفلت من نطاق قدرته حتى أخذها المؤمنون فى جولتهم الثانية التى انتهت بالنصر لهم على هوازن وثقيف فى موقعة ما بين الطائف ومكة) وكان الله على كل شىء قديراً » .

وتتحدث هذه الآيات الأربع عن مغانم ـ وهى جمع مغنم . والمغنم والغنيمة واحد ـ وعد الله بها المؤمنين . وهى أموال مختلفة يحصلون عليها من اعدائهم . وفى الوقت نفسه تشير هذه الآيات ذاتها الى موقعتين اشتبك المؤمنون فيهما بالقتال مع اعدائهم : واقعة خيبر فى السنة السابعة من الهجرة ، بعد صلح الحديبية بسنة وهى التى أشير اليها هنا بقول الله تعالى : « فعجل لكم هذه ، وكف ايدى الناس عنكم» وخيبر قرية تقع شمال المدينة الى الشام . وكانت ذات حصون ومزارع ، كما كان سكانها من اليهود ويمثلون رأس اليهود عامة فى الحجاز . وقد اصابها المسلمون عنوة اى حصلوا عليها بقتال اليهود هناك حتى انتصروا عليهم ، واصبحت أموالهم غنائم لهم . والموقعة الثانية موقعة حنين فى جنوب مكة ، فيما بينها وبين الطائف . وهذه أشير اليها هنا فى قوله تعالى : « وأخرى (أى ومغانم أخرى) لم تقدروا عليها ، قد احاط الله بها ، وكان الله على كل شىء قديراً » .. وما جرى فى حنين من تردد أمر المؤمنين فيها بين الهزيمة ثم النصر فالغنائم : يقصه الله جل شانه فى سورة التوبة فى قوله : « ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وانزل جنوداً لم تروها ، وعذب الذين كفروا (أى بالقتل وبالأسر معاً) وذلك جزاء الكافرين » وغزوة حنين كانت فى السادس من شوال من سنة الفتح .

فالمغانم هى أموال للعدو ، حصل عليها المؤمنون ، ولكن ليس بطريق الصلح بل بطريق القتال والنصر فيه على الأعداء .

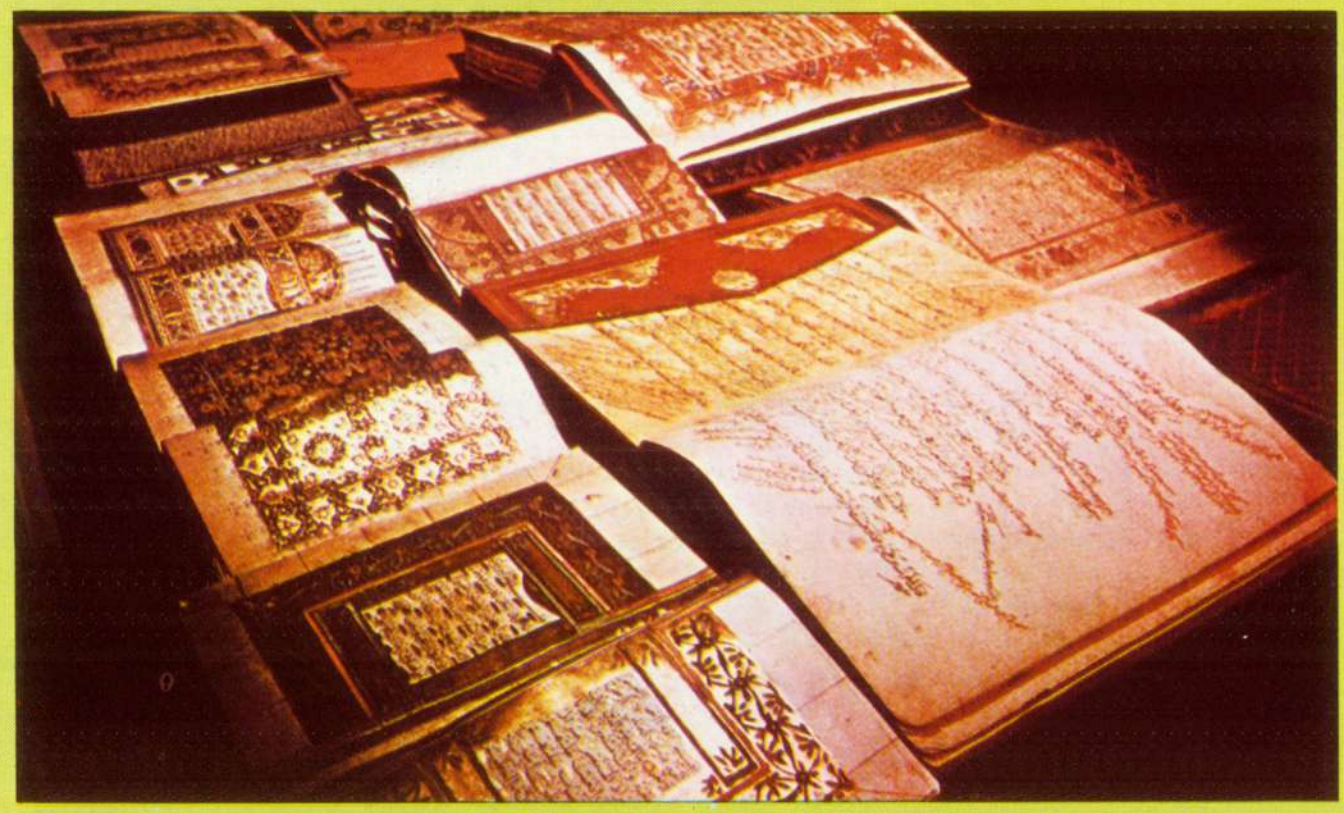
ولذا : يختلف الأمر فى توزيعها عن توزيع الفىء الذى هو مال للعدو ، جاء عن طريق الصلح . فتوزع أربعة أخماس الغنيمة على المحاربين الذين اشتركوا فى القتال مع الأعداء . والخمس الباقى بعد ذلك يجزأ الى خمسة انصبة : لله (أى فى سبيل الله) وللرسول (أى يوضع تحت تصرفه عليه السلام) ولذى القربى (أى من قريش فى حياته من المهاجرين معه) واليتامى (وهم أولاد الشهداء المقاتلين) والمساكين وابن السبيل . وذلك على نحو ما تقول الآية : « واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه ، وللرسول ، ولذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل » ... وأما بعد وفاة الرسول عليه السلام فيسقط سهمه ، وكذلك سهم ذوى القربى له . واذا أعطى ذوو القربى فيعطون بسبب الفقر فقط . ولا يعطى اغنياؤهم . ويقسم الخمس آنئذ على الأصناف الثلاثة اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل . وأخماس الغنائم الأربعة الباقية تقسم بين الغانمين من المقاتلين : للراجل سهم ، وللفارس سهمان .

ويروى ان ابا بكر رضى الله عنه : « انه منع ـ فى خلافته ـ بنى هاشم : الخمس . وقال : انما لكم أن يعطى فقيركم .. وتزوج أيمكم (والأيم غير المتزوج من الرجال والنساء ، تزوج من قبل أم لم يتزوج) .. ويخدم من لا خادم له منكم ومن عداهم فهو بمنزلة ابن السبيل : الغنى لا يعطى من الصدقة شيئاً .

الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

المصحف الشريف

من الكتابة على جريد النخل إلى فن التذهيب



مخطوطات قديمة ونادرة من المصاحف الكريمة موجودة بدولة قطر .

ليس فى يد البشر كتاب أكمل ولا أهدى من القرآن الكريم ..

وليس هناك من كتاب تناوله البشر بالتلاوة والقراءة ، وأفادوا منه وأثر فى حياتهم مثله .

وليس هناك من كتاب نال من العناية والاهتمام ما ناله هذا الكتاب الحكيم ..

بل ليس هناك كتاب قدر له التوثيق ، والحفظ ، والخلود إلا القرآن العظيم ، وصدق الله قائله ومنزله (إن علينا جمعه وقرآنه) أى قراءته ، (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ، وقد قيض الله له من الحفظ ما لم يقيض لغيره من كتاب ضماناً لخلوده ، وهيمنته ، قيض له الحفظ فى (الصدور) فكم من الملايين عبر الأجيال جمعته وحفظته ومازالت وناهيك بأربعة عشر قرناً يتعبد المسلمون فيها الى ربهم بحفظه فرادى وجماعات وأمماً ، ونهضت لذلك مدارس ، وعلوم شتى ، لا يخلو منها جيل ..

وقيض له الحفظ فى (السطور) فكم من ملايين الصفحات سطرت به فى كل جيل وضمت بين دفتيها آيات هذا الكتاب وسوره وتنم عن الجهد البالغ فى حفظه وجمال تسطيره ما بين مخطوط ومطبوع ، ثم كان الجمع الصوتى مسجلا ، مجوداً ، ومرتلا ، وبحفظ الله له لم يصبه ما أصاب غيره من الكتب الماضية والحاضرة من التحريف والتبديل والضياع ..

هذا القرآن

من الحق الذى لا يمارى فيه إلا مبطل أن هذا القرآن جاء من عند الله منزلا على نبيه الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم (نزل به الروح الأمين على قلبك) وقد سماه الله







مصحف تونسي مخطوط بماء الذهب .. ولوحـــة تمثل نساخا للمصـــحف .. ومصحف تونسي انيق من المخطوطات الاسلاميـــة

قرآنا ، وكتابا ، وكلاما ، وفرقانا ، وذكرا ، وقولا .

اما تسميته بالمصحف ـ ومعناه الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين ـ فهى تسمية متاخرة ، جاءت بعد جمع القرآن ، وكتابته ، وكانت من وضع الناس ..

والقرآن يحتوي على اربع عشرة ومائة سورة مختلفة الأطوال تحوى اكثر من مائتين وستة آلاف آية تسطر كل آية منها ـ فى المتوسط ـ فى سطر او اكثر ، ونصه المحفوظ والمسطور هو هو من يوم أن انزله الله والى أن تقوم الساعة وكما املاه الرسول صلى الله عليه وسلم لكتبة الوحي ..

اما شكله الخارجى ـ فى كتابته او طباعته ـ فقط طرأ على هذا الشكل تطور كثير انتهى به الى ما هو بين ايدينا اليوم ، فهو فى (طبعته) العادية يقع فى مجلد واحد ، ويتكون من حوالى خمسمائة صفحة تكثر فيها علامات التشكيل ، والنقط ، والعلامات الصوتية ، والاملائية ، والوقف لارشاد القارىء لكيفية النطق والقراءة والوقف ، ... فكيف بدأ ذلك وكيف تطور ؟..

مما هو معلوم أن القرآن الكريم نزل اجزاء متفرقة متباينة فى أطوالها من سورة كاملة الى مجموعة من الآيات ، الى آية واحدة ، بل الى جزء آية ..

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلو كل جزء ينزل عليه ويعلمه للسامعين ليصل عن طريقهم الى من لم يسمعه من فم الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة ..

وكذلك كان كلما جاءه الوحى بالقرآن وتلاه على الحاضرين املاه من فوره على كتبة الوحى ليدونوه على ما اعتادوا التدوين فيه مما هو فى متناول ايديهم ، روى البراء : حين نزل قول الله تعالى

المصحف الشريف

من الكتابة على جريد النخل إلى فن التذهيب



(لا يستوى القاعدون ...) قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ادع لي (زيداً) وليجيء باللوح ، والدواة ، والكتف ، ثم قال : اكتب: (لا يستوى ..) أى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يملى على كاتبه لساعته ، وأن الكتبة كانوا يكتبون باملائه ، وأن هذا المكتوب كانوا يتناقلونه ..

كتبة الوحى

ويذكر العلماء الثقاة أن عدد كتبة الوحى بلغ تسعة وعشرين كاتباً اشهرهم الخلفاء الراشدون الأربعة ، ثم جمع من اجلاء الصحابة منهم : معاوية ، والزبير ، وسعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص ، وأبيّ ، وزيد بن ثابت ، وكان معاوية ، وزيد أكثر ارتباطاً بهذا العمل الجليل ..

ولم يتوان المسلمون منذ البداية ـ بل وخلال صنوف الاضطهاد التى تعرضوا لها ـ عن تسطير وتدوين الآيات القرانية التى تتنزل ، ومنهم من كان يدونها فى مخطوطات شخصية ، بل كان اسلام عمر راجعاً الى قراءته بعض آيات من أول سورة طه وجدها مكتوبة عند اخته .. ومن الواضح أن هذه المخطوطات على هيئتها الأولى البدائية لم تكن ـ فى شكلها الخارجى ـ تمثل مجموعة متجانسة ومنظمة ، ومرقمة ، وإنما كانت متفرقة ، ولم تاخذ شكلها النهائى إلا قرب نهاية حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ..

ولم يمض عام واحد ـ بعد أن قُبض الرسول صلى الله عليه وسلم ـ إلا وبدت الحاجة ملحة لجمع هذه المكتوبات على تنوع أشكالها من ورق ، وحجر ، وعظام الخ فى مجموعة مدونة سهلة الاستعمال ، وقد عهد الخليفة الأول ابو بكر رضى الله عنه بهذه المهمة الى الصحابى الجليل (زيد بن ثابت) قائلا له (إنك رجل ذكى لا نتهمك وكنت تكتب الوحى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم) وقد وضعت قاعدة لهذا العمل تقضى بالا يؤخذ باى مخطوط إلا بعد أن يشهد شخصان انه مكتوب باملاء الرسول ذاته ، وليس من ذاكرة الكاتب ، وانه جزء من التنزيل فى صورته النهائية ، وكان ابو بكر يقول لعمر ولزيد : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه ، ويروى البخارى أن (زيد بن ثابت) حين كلفه ابو بكر بجمع القرآن مضى يجمعه من العُسُب ، واللخاف ، وصدور الرجال ..

وبعد جمع القرآن وكتابته هكذا بكل هذه الاحتياطات احتفظ به ابو بكر طول خلافته ، ثم عهد به قبل موته الى (عمر) المرشح للخلافة من بعده ، ثم قام (عمر) بتسليمه الى ابنته (حفصة) أم المؤمنين عند موته ..

ويمكن أن نشبه هذا المصحف المجموع هكذا فى شكله الخارجى بملف يجمع صحفاً مرتبة ؛ لكن فرصة نشره وتعميمه فى الأمة لم تتح إلا فى خلافة (عثمان) بعد معارك ارمينية وأذربيجان واشتداد الحاجة الى نشره فى ارجاء الأمة كلها ..

وقد نهض الخليفة الثالث (عثمان) رضى الله عنه بذلك فشكل (لجنة) من اربعة كتبة منهم : زيد بن ثابت نفسه ـ وهو من الأنصار ـ وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ـ من المهاجرين ـ وكلفهم بنسخ عدد من هذا المصحف يعادل عدد الأمصار الرئيسية فى الدولة الاسلامية وقال لهم : (ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم) ، وكان يسال : من اكتب الناس ؟ فيقول الناس : كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت ، فيقول عثمان : فاي الناس أعرب ؟ فيقولون: سعيد بن العاص ـ وكان سعيد اشبههم لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيقول عثمان : فليمل سعيد ، وليكتب زيد ؛ ثم جلدت هذه النسخ ، ووزعت على الأمصار باعتبارها نماذج لا بديل لها وحبس عنده نسخة بالمدينة ، واصبح هذا النموذج هو وحده المتداول فى العالم الاسلامى حتى اليوم ، ومن اجل هذا وغيره سمى (المصحف الامام) ؛ وهو الذى بين ايدينا اليوم اقوم ما يكون ضبطاً واصح ما يكون شكلا ؛ يقول موير فى كتابه (حياة محمد) : (إن المصحف الذى جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل الينا دون اى تحريف ، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرا عليه اى تغيير يذكر ، بل نستطيع ان نقول إنه لم يطرا عليه اى تغيير على الاطلاق فى النسخ التى لا حصر لها والمتداولة فى البلاد الاسلامية الواسعة فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الاسلامية المتنازعة ، وهذا الاستعمال الاجماعى لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يعد اكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا والذى يرجع الى الخليفة عثمان ..) .

كيف كانت الكتابة للمصحف ؟

حين قُبض الرسول صلى الله عليه وسلم كان القرآن كله مكتوباً على :

- العُسُب ـ بضم العين والسين ـ جمع عسيب وهو السعفة او جريدة النخل إذا يبست ونزع خوصها . .
- الكرانيف ـ جمع كرنافة وهى اصل السعفة الغليظ الملتزق بجذع النخلة ؛
- القضم ـ وهو الجلد الأبيض الذى يكتب فيه .
- الأديم ـ وهو الجلد الاحمر او المدبوغ .
- اللخاف ـ وهى الحجارة البيض الرقاق.
- الأكتاف ـ وهى عظام اكتاف الابل والغنم واضلاعها .

يروى الزهرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قبض (والقرآن فى العسب والقضم والكرانيف) .

ولقد كانت الكتابة بلغة قريش ، ولم تكن الأمة العربية عهد كتابة الوحى امة عريقة فى الكتابة ، بل لم يكن الخط العربى حينها والى ايام (عبد الملك بن مروان) يعرف النقط المميز للحروف فى صورته الاخيرة كما لم يكن يعرف شكل الكلمات ؛ فما كانت الكتابة العربية على حالها اليوم من التجويد ، والكمال إملاء ورسماً ..

ومن حديث ذلك : أن العرب كانوا قبيل الاسلام يكتبون بالخط (الحيرى) نسبة الى (الحيرة) ثم سمى هذا الخط بعد الاسلام بالخط (الكوفى) ؛ وهذا الخط (الكوفى) فرع ـ كما يقال ـ من الخط (السريانى) ، وعنهم انتقل الى العرب قبل الاسلام ، ثم كان منه هذا الخط (الكوفى) الذى كانوا

يستخدمونه لكتابة القرآن الكريم ؛ غير أن الخط (الكوفى) نفسه كان أشكالا ، واستمر ذلك الى مطلع القرن الخامس تقريباً ..

ثم ظهر الخط (الثلث) وعاش من القرن الخامس الى ما يقرب من القرن التاسع ؛ الى أن ظهر القلم (النسخ) الذى هو أساس الخط العربى الى اليوم .

ولقد كتب القرآن الكريم بالخط (الكوفى) أيام الخلفاء الراشدين ، ثم أيام بنى أمية ؛ وفى أيام بنى أمية صار هذا الخط الكوفى الى أقلام أربعة ..

ويعزى هذا التشكل فى الأقلام الى كاتب اسمه (قطبة) وكان كاتب أهل زمانه ، وكان يكتب لبنى أمية المصاحف ؛ وكانت المصاحف فى أول الأمر خالية من النقط والشكل ، وأقدم المصاحف الموجودة حالياً فى شتى أنحاء العالم هكذا خالية من النقط والشكل ، ومع بداية العصر الأموى دخلت الكتابة العربية مرحلة (الشكل والاعجام ـ النقط ـ) ، فأما الشكل فقد بدأ نقطاً على أواخر الكلمات ، ولم يلبث أن امتد الى بعض حروفها ثم تطور الى الحركات التى نعرفها اليوم ..

وأما اعجام الحروف أو نقطها للتفريق بين التشابه منها فقد حدث فى عهد (بنى أمية) لأن العرب كانت فى أول عهدها بالكتابة لا تعرف التنقيط كما يظهر من النقوش العربية القديمة ؛ وفى عهد الدولة العباسية بلغت الأقلام العربية اثنى عشر قلماً ؛ ثم زادت الخطوط على عشرين شكلا ولكنها كلها من (الكوفى) ، حتى كان أوائل القرن الرابع الهجرى ، وظهر (ابن مقلة) فنقل الخط من صورة القلم (الكوفى) الى صورة القلم (النسخى) وجعله على قاعدة جميلة كانت أساسا لكتابة المصاحف ..

يقول ابن اسحاق : أول من كتب المصاحف فى الصدر الأول ويوصف بحسن الخط (خالد بن أبى الهياج) ورأيت مصحفاً بخطه ؛ و (مالك بن دينار) ويكنى أبا يحيى وكان يكتب المصاحف باجر ، ثم ذكر (ابن اسحاق) نفراً من كتبة المصاحف بالخط (الكوفى) وبالخط (المحقق المشتق) ؛ وقد تبارت الأقلام فى كل زمان فى كتابة المصحف كما كتب بأقلام غير (الكوفى والمحقق المشتق) ومنها قلم (إسياقت وشكسته) ..

وقد ظلت كتابة المصحف على هذا الحال والتطور الى أن ظهرت المطابع فى منتصف القرن الخامس عشر م ، وكان أول مصحف طبع بالخط العربى فى مدينة (همبرج) بالمانيا ، ثم فى (البندقية) فى القرن السادس عشر م ، ثم شاعت الطباعة ، وشاع طبع المصحف بها حتى وصل الى ما وصل اليه فى يومنا هذا ..



نموذج مزخرف ومذهب ، ضبط شكله بالنقط الحمراء ، ويرجع إلى القرن الخامس الهجـري .

التجليد فى المصاحف

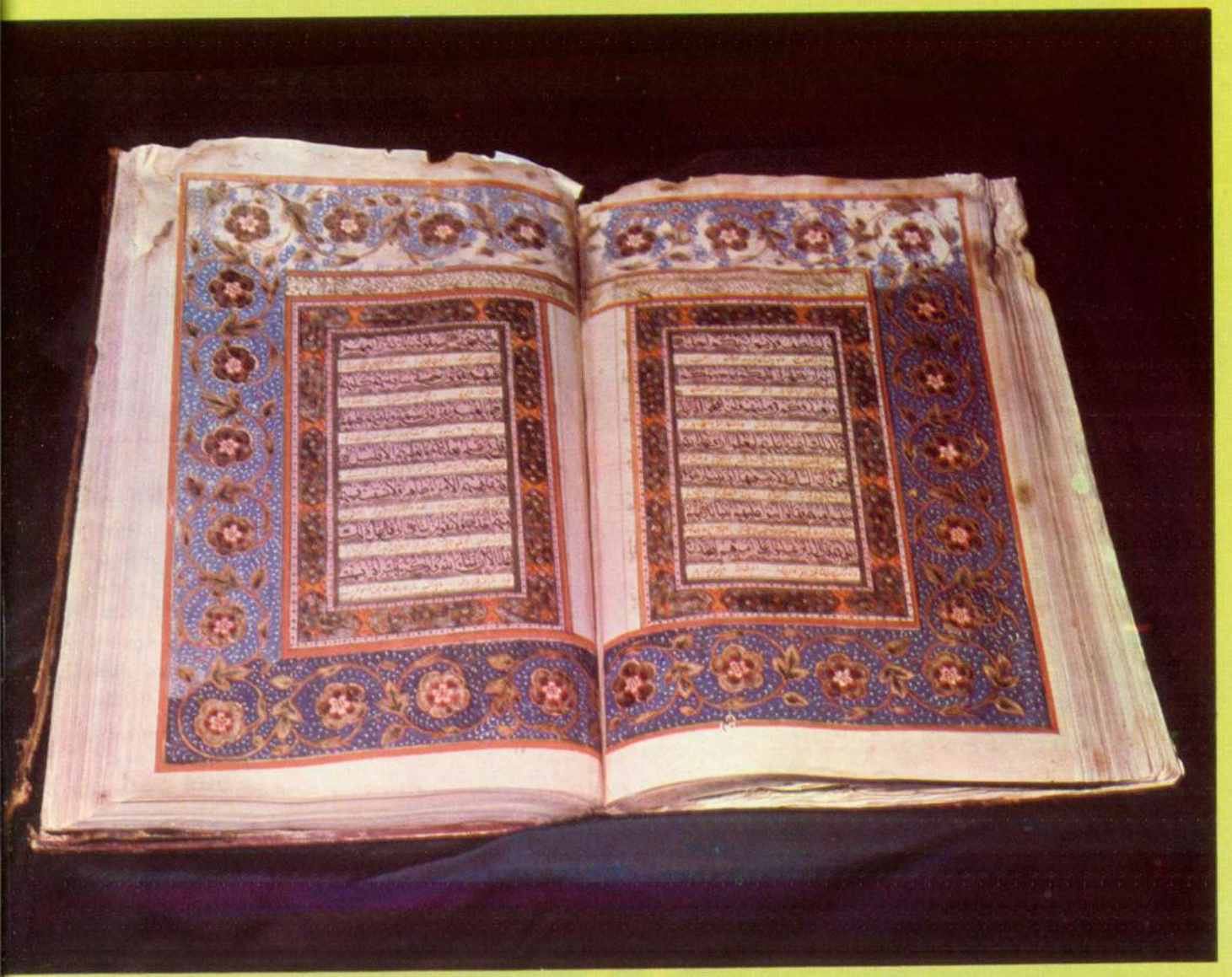
ينقل السيوطى فى (الاتقان) : أن القرآن الكريم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مفرقاً فى الرقاع ، والأكتاف ، والعسب ، وأن الصديق أبا بكر رضى الله عنه أمر بنسخه من مكان الى مكان مجتمعاً أى أمر بنقله ونسخه من هذه الأشياء الى صحف تشكل فيما بينها صورة (الملف) أو (الدفاتر) أو (الكراريس) أو (المصاحف) ؛ ويمكن أن يقال : إنه أول من جمع القرآن بين لوحين ؛ وبذلك يكون المصحف هو أول مخطوط عربى جلد أى وضعت أوراقه بين لوحين ليس غير ..

ثم كان التجليد ـ فى صورته الأولى ـ عبارة عن وضع المخطوط بين لوحين من الخشب مثقوبين من مكانين متباعدين من ناحية القاعدة ويمر بكل ثقب منهما خيط رفيع من ليف النخيل يبدأ باحد اللوحتين ثم تخرز به صحف المخطوط حتى ينفذ إلى اللوح الآخر من الناحية المقابلة ويعقد ومازال كثير من المخطوطات محفوظاً هكذا ، بل ظل الخشب هو المادة المفضلة فى تجليد المصاحف من الحجم الكبير خلال القرون الأولى للاسلام ؛ وحتى منتصف القرن الثانى الهجرى لم يكن لدى العرب كتاب يمكن أن يجلد غير المصحف الشريف ..

ثم زاد أهل مصر على التغليف بالخشب زخارف فنية وطعموها بالعاج لتزيين أغلفة المصاحف من الحجم الكبير ؛ ثم اصطنعوا طريقة تغطية الواح الخشب بالجلد وزخرفة هذا الكساء الجلدى بالوان مختلفة من الزخارف العربية ..

هذا عن الأحجام الكبيرة ، أما المتوسطة والصغيرة فقد استعاضوا فى تجليدها عن الخشب بورق (البردى) فكانوا يصنعون من لبابه ورقا مقوى يستخدمونه فى تغليف المصاحف ثم لم يلبث الورق أن انتشر ، وحل محل (البردى) فى التجليد ..

ويذكر (المقدسى) أن أمير (عدن) بعث اليه مصحفاً يجلده له ، وأن أهل اليمن كان يعجبهم التجليد الحسن ، ويبذلون فيه الأجرة الوافرة ، وكذلك كان لأهل الشام طريقتهم فى التجليد .. وقد استعمل فى القرن الرابع الهجرى ما يعرف باللسان



صفحتان رائعتان من المصحف الشريف ، تبدو فيهما روعة الزخرفة الاسلامية .

وهو امتداد فى الجلدة اليسرى يثنى بحيث يغطى أطراف الاوراق ويقيها من التمزق ، ومازال المجلدون العرب يتفننون ويبتكرون حتى وصلوا بصناعة التجليد الى درجة عالية من الأصالة الفنية صاحبتها وانتقلت معها الى أوربا ، وكان المصحف هو المجال الأول والأكبر لبراعة هذا الفن ، وكان المجلدون يثابون على إتقانهم بإجزال العطاء لهم حتى بلغت تكاليف تجليد المصحف دينارين ..

الزخارف القرآنية

لم تقتصر الزخرفة على الغلاف الخارجى لجلدة الكتاب ولكنها امتدت الى باطن الغلاف ، ويبدو ذلك واضحا فى المصاحف الكريمة والربعات الشريفة ؛

ويوجد بمكتبة (البرتينا) بڤيينا جلدتان من جلود المصاحف لا تجاوزان القرن الرابع الهجرى وهما غنيتان بالزخارف النباتية والهندسية الدقيقة.على أن العرب

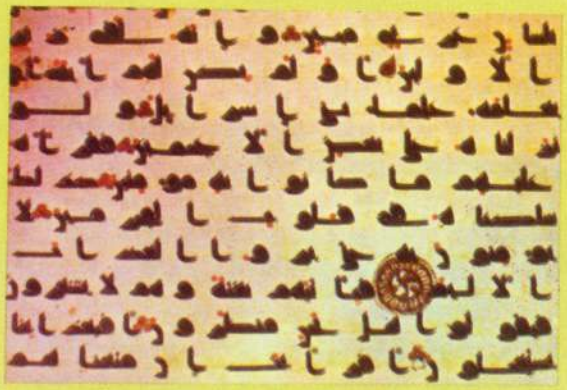
قد وصلوا فى ذلك التاريخ الى درجة من إتقان الصنع ، كما وصل الينا من النصف الثانى من القرن السابع عشر غلاف

مصحف معروض فى (متحف الفن الاسلامى) فى استانبول نسخ فى سنة ١٠٣٧ هـ / ١٦٦٥ م ، هذا بالاضافة الى

جهد المصريين فى هذا المجال والذى اشرنا اليه آنفا ..

التذهيب

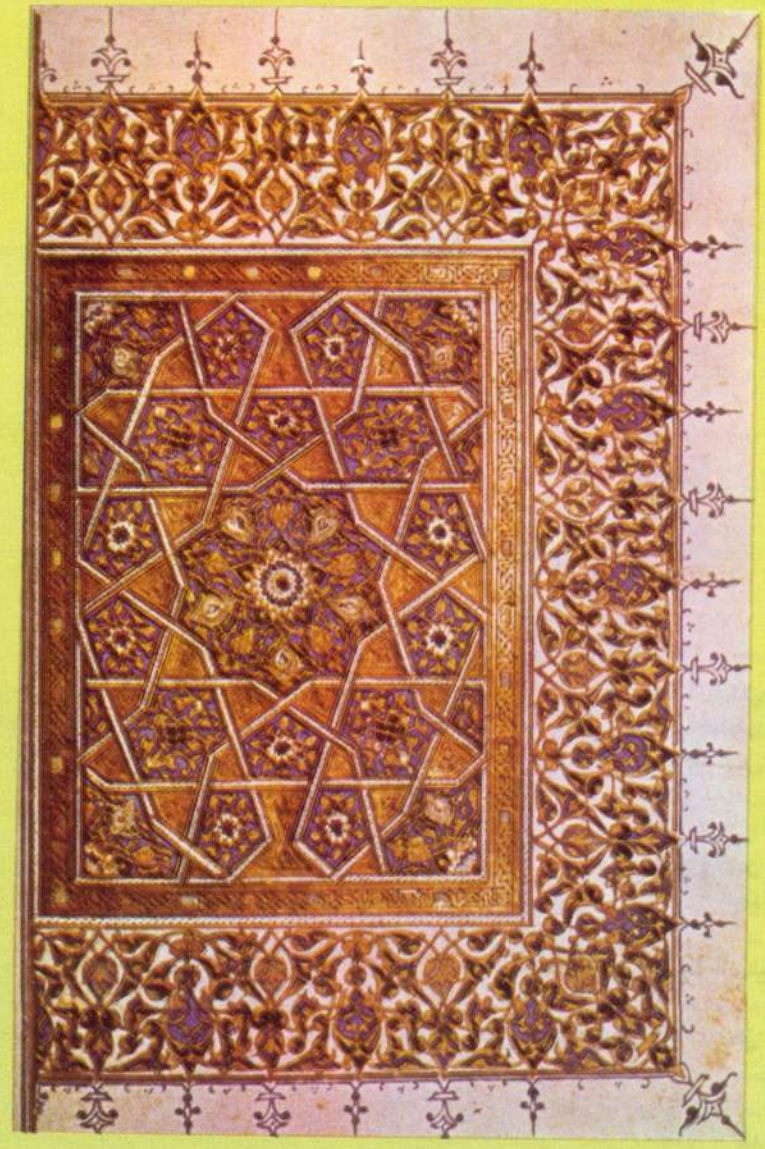
تاتى وظيفة المذهب مكملة لوظيفة الخطاط ، وقد عرف العرب فن التذهيب ، واستعمله الملوك والامراء فى مراسلاتهم وكتبهم منذ القرن الثالث الهجرى ، وقد كان المصحف الشريف هو الكتاب الوحيد الذى ارتبط به أولا فن التذهيب منذ نشاته عند العرب ، ذلك أن تعظيم القرآن كان يبعث كثيرين من الفنانين على العناية بتذهيب المصاحف ، وكان لتذهيبها صلة وثيقة بكتابتها بالخط الجميل.غير انه لم يقبل المسلمون على كتابة القرآن الكريم بمداد الذهب نظراً لما فى ذلك من الاسراف والبعد عن البساطة والتقشف ، ولكن هذا التحرج لم يمنع بعض الخطاطين من نسخ بعض



آيات من سورة الشعراء ، كتبت بخط كوفي يرجع إلى القرنين الثاني والثالث من الهجرة .



نموذج لزخارف التجليد وتذهيبه .



تجليد فاخر للمصحف الكريم .

المصاحف بماء الذهب وخاصة فى رسم فواصل السور ، وفواصل الآيات ، وفى بعض الزخارف فى هوامش بعض صفحات المصحف ؛ ولقد ظل ارتباط التذهيب بالمصاحف قائما طوال القرون الأولى للاسلام ، وقد تجلت براعة المذهبين فى زخرفة الصفحتين الأولى والثانية من المصحف الشريف وكذلك فى الصفحة او الصفحتين الأخيرتين منه إذ استخدم ماء الذهب مع الألوان المختلفة لاسيما اللون الأزرق الفيروزى بمهارة تامة ؛ وتعتبر تلك الصفحات التى فى مقدمة المصحف وفى مؤخرته لوحات فنية يتوفر فيها كل ما يجب أن يتوفر فى أى عمل فنى رائع من زخرفة ، والوان متناسقة حسب الأشكال الزخرفية ، وتوازن بين هذه الأشكال ، وانسجام بين الألوان ، كما بلغت الرسوم الهندسية المذهبة فى المصاحف درجة عالية من الاتقان ..

ولقد عنى العثمانيون عناية فائقة بفن التذهيب ، وممن اشتهروا فى هذا العهد (حسن شلبى الأحدب) فى القرن السابع عشر م ، ويعتبر من مشاهير المذهبين ، وقد أسهم فى تذهيب معظم ما كتبه الخطاط المشهور (حافظ عثمان) من مصاحف ، وكان يوقع بعبارة (ذَهَّبَهُ الفقير حسن). هذا ويوجد بمتحف (المتروبوليتان) نسخة جميلة من القرآن الكريم ترجع الى القرن الثالث عشر او أوائل الرابع عشر ، وقد كتبت بماء الذهب ، وبها علامات الوقف من اللون الأحمر والأزرق ، وتعتبر بعض الصفحات نماذج زخرفية رائعة جمعت بين خط (النسخ) وزخارف التوريق باللونين الذهبى والأزرق ؛ كما يحتفظ متحف الفنون الجميلة بمدينة (بوسطن) بجزء من مصحف كتبه (عبد الله بن احمد) فى شوال سنة ٧٣٨ هـ - ابريل سنة ١٣٣٨ م وتتجلى فى صفحات هذا المصحف قدرة المذهبين الايرانيين الفائقة فى التوفيق بين الكتابة والزخرفة واخراجهما فى شكل زخرفى موحد .

هذا وقد روى عن ابى الدرداء وابى هريرة وابن عباس وغيرهم كراهية كتابة المصاحف بالذهب والفضة ، ويروى أيضا عن غيرهم الترخيص فى تحلية المصاحف وإن لم يحدد نوع هذه الحلية ..

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر
جامعة قطر

بقلم: عباس خضر

الحصان

أريد أن أتحدث مع أحد .. أى أحد .. حديثاً سلمياً !

فقد خرجت من المنزل ضائقاً بالحديث غير السلمى مع زوجتى .. ضقت ذرعاً بطلباتها التى لا تنتهى ولهجتها التى تشبه التانيب ولو لم يكن هناك ما يدعو الى التانيب ، مما يدفعنى الى معاملتها بالمثل ، وتكون النتيجة «العكننة» . والأولاد سافروا الى بلاد بعيدة وتركونا فى خواء ما بعده خواء .. — لا صديق لي فى هذا الحى الذى نسكن فيه ، أصدقائى بعيدون يقتضى اللقاء بهم فى أماكنهم البعيدة معاناة المواصلات ، فلا سيارة أجرة تقف ولا مكان فى سيارة عامة (أوتوبيس) إذا وقف ولم «يحرق» المحطة ..

وحتى لو تيسرت سيارات الأجرة ووقفت لنا عندما نشير اليها ونضرع الى سائقها ، فمن أين لنا ما ندفعه لها ، ولاسيما أن سائقيها لا يستعملون العداد ، فان أعملوه لم يكتفوا بما يكتب ..

وإذا تجشمت ذلك وذهبت الى النادى أجده مقفراً .. وناديا يشغل شقة فى عمارة تشبه شقتنا .

ليس لي عمل أتحدث فيه مع زملاء أو أتسلى بمزاولته ، فقد أحالونى الى المعاش وأسلمونى الى الضياع .. قالوا لي : اذهب لتستريح بعد العمر الطويل الذى قضيته فى الخدمة ، وخذ هذا الوسام جزاء لك ، فرحت بنشر أسمى فى الصحف مقرونا بنيل الوسام ، ثم ماذا ؟ لم أسترح ، وأين أجد الراحة ؟ الذين يضعون القوانين لم يجربوا هذه «الراحة» لأنهم لايزالون فى الخدمة ..

وارتمى بى الحال حتى أنى لا أجد من أكلمه وأقطع معه الوقت الذى شبهوه بالسيف ، فهل أستسلم للسيف يقطعنى ؟

كنت فى العمل أتكلم مع زملائى أكثر مما نعمل .. كنا نتوقف عن العمل لأجل أن «ندردش» والآن فقدت العمل بالتقاعد وفقدت من أتكلم معه ، وحق على القول «ما عاش من كان فى المعاش» .

لابد من الجلوس فى القهوة ، وهى تجذبنى عندما أرى الناس جالسين بها وخاصة على الرصيف أمامها فى الهواء الطلق وبعيداً عن «دوشة الدماغ» التى يحدثها الراديو .

ولكن لما أجلس وأفرغ أو أشبع من تأمل الرائحين والغادين والرائحات والغاديات أتلفت حولى لعلي أجد من أتحدث معه فلا أجد إلا «عبد الظاهر» وهو ضعيف السمع يقتضى الحديث معه رفع الصوت ، وهو محال الى المعاش مثلى ، أنظر اليه كأنما أستنجد به من قرصة الجوع الى الكلام !

تذكرت «حصان تشيكوف» الذى أفضى اليه صاحبه الحوذى بآلامه لفقد ولده ، وقد نهره وانشغل عنه كل من ركب معه فى العربة ، وكان كلما شرع فى الحديث عن مأساة ولده أعرضوا عنه ولم يصغوا اليه . وأخيراً وصل الى الاسطبل ، ففك الحصان وربت عليه فى حنان ، ومسح دموعه ، وحكى له ما استعصى عليه أن يحكيه للناس .

قلت : آه ، فليكن عبد الظاهر حصانى .. لم أكن فاقداً ولا ثاكلا ، ولم أتحدث الى أحد فأعرض عنى ، كل ما فى الأمر أنى أشعر بالحاجة الى الكلام ، ولا أجد أمامى إلا عبد الظاهر ، فلأقل له .. أقول له ماذا ؟ كان قد اشترى الملوخية الخضراء ووضعها فى سلة الى جانبه حتى يعود الى امرأته التى لابد تنتظره لتطبخ الملوخية .. قلت له :

— الملوخية بكم ؟

وعلى عادته شرع فى الشكوى من الغلاء وتضخيم الأسعار .. قال رافعاً صوته فى شبه صراخ :

— كيلو الملوخية بخمسة وعشرين قرشاً الملوخية التى كانت عشرة أرطال بقرش !

ولم أسأله عن الجوافة ، ولكنه انطلق يقول :

— والجوافة يا أستاذ محمود ..

— اسمع ، ليس اسمى محمود ، أنا اسمى محمد .

— محمود مثل محمد !

— لكن أنا اسمى محمد فكيف تنادينى بمحمود ؟

— لا أهمية للإسم ...

— كيف لا أهمية للإسم ؟ أنت إسمك عبد الظاهر فهل أخاطبك : يا عبد الرحمن ؟

— دعنا من هذا ، الجوافة يا أستاذ ...

— محمد .

— صار الكيلو بخمسين قرشا .. ألا تذكر زماناً كانت فيه الأقة بقرش ؟

— إنها الآن فى أول موسمها ، وسترخص فيما بعد .

لم يلتفت الى كلامى ، وأخذ ينشد كما كان ينادى باعة الجوافة فى الزمن الماضى :

— «عال يا جوافة .. بقرش الوقة (الأنة)

— بصاغ الوقة !

أخذته «الوحدة» وحلاوة التوقيع فاستمر كأنه منبه لم يغلق صاحبه مفتاح



الحجرس ..

التفت الينا شبان كانوا يلعبون النرد بجوارنا ، وأصغوا مشدوهين .. قال أحدهم

ـ عجيب ! الجوافة كانت بقرش ؟

اجابه صاحبه :

ـ القرش كان عزيز المنال !

ومر ماسح أحذية ، فقال ذلك الشاب :

ـ ماسح الأحذية الآن يأخذ عشرة قروش على مسح الحذاء .

قال آخر :

ـ أبوه أو من كان قبله كان يأخذ خمسة مليمات .

ـ كان المليم مليماً .. أما الآن فليس القرش ـ وهو عشرة مليمات ـ شيئاً ..

ـ لكن ما هى «الوقة» التى يقول عنها ؟

ـ وحدة ميزان أكبر من «الكيلو» كانت مستعملة أيامهم .

وهكذا دخلت الأقة التاريخ هى وإخوتها أوو أبناؤها الرطل والأوقية والدرهم .

قال عبد الظاهر وهو يرفع صوته كأنه يختتم لحن الجوافة :

ـ الجنيه الآن صار مثل القرش .. أليس كذلك يا أستاذ محمود .. ؟

ـ من فضلك .. اسمى محمد ، قلت لك !

واستأنف عبد الظاهر يقول دون أن يلتفت الى تصحيح الإسم وهو يشير الى بائع الشطائر فى كشك على الرصيف :

ـ هات يا ولد سندوتش كبدة .

قال ذلك زاعقاً ، ثم خفض صوته قائلا :

ـ سيأخذ هذا منى عشرين قرشاً مقابل السندوتش الصغير الذى لا يحتوى إلا على قطعة صغيرة مفتتة من الكبد ..

ـ اسمع يا عبد الظاهر ، كم كان مرتبك أيام كانت أقة الجوافة بقرش ؟

ـ كان سبعة جنيهات ، ولكن كان فيها البركة .

ـ البركة شىء فى نفسك ، وكم يبلغ معاشك الآن ؟

ـ ستين جنيها .

ـ انظر ، المسألة نسبية .

فتح عبد الظاهر فمه دون أن يفهم المسألة النسبية ، قال كأنه يخلص نفسه من هذه «الفلسفة» :

ـ أمس ذهبت الى البنك لأخذ المعاش ، ولكن لما وصلت هناك علمت أنى نسيت الخاتم .

ـ الخاتم ؟ ألا توقع بخطك ؟ ألم تكن موظفاً ؟

فتح فمه الخالى من الأسنان ولم يقل شيئاً ، فقلت مشفقاً وأنا أنظر الى يده التى تمسك الشطيرة وهى تهتز :

ـ لاباس .. يدك تهتز ..

ولحظت أنه يأكل بدون أسنان : يقطع اللقمة من الشطيرة بيده ـ فهو لا يقضم ـ ويلوكها فى فمه ثم يزدردها ..

فقلت له :

ـ لماذا لا تركب طقم أسنان ؟

ـ ماذا ؟ طقم أسنان ؟ عملته ورميته .

ـ لماذا ؟

ـ لم أطقه ، أحسست أنه فى فمى مثل «الزلط» ولم أستطع أن أمضغ به .

ولما هممت أن أشرح له الطريقة المثلى فى استعمال الأسنان الصناعية ـ حسب تجربتى ـ ترددت ، لأنى توقعت أنه لن يقتنع ، وقد لا يفهم .. ولكنى قلت فى نفسى : أنا أحدثه ، فهم أم لم يفهم ، فأنا أريد أن أتكلم كما تكلم ذلك الحوذى مع الحصان . ولهذا قلت له :

ـ اسمع ، إن الانسان عندما يركب طقم أسنان فى فمه يشعر أولا بالضيق منه وأنه شىء غريب فى فمه ، وعندما يأكل يحس ـ كما تقول ـ كأنه يمضغ «الزلط» ولكن لابد من احتمال ذلك بضعة أيام ، ثم يعتاده ويصبح كأن لا شىء غريباً فى فمه ، بل على العكس يشعر اذا خلعه كأن شيئاً ناقصاً فى فمه ، ويأكل كأن له أسناناً طبيعية .

ـ ماذا تقول يا أستاذ محمود ؟

ـ محمد من فضلك ؟

لم يعر احتجاجى أية أهمية ، واستمر يقول وهو يلوك الكلام مثل ما يلوك اللقمة :

ـ أنا مستريح هكذا ..

ـ كما تريد .

وقلت فى نفسى حريصاً على ألا يسمع : وأنا مالي ؟

ثم قال بدون مناسبة ، أو لعله رآني أكلم نفسى :

ـ زوجتى تكلم نفسها .. انها سيدة طيبة تحبنى ، بعد تناول الطعام أقول لها : هل هنالك شىء حلو ؟ فتقول : افتح الثلاجة وخذ واحدة من المنجة ، فآخذ واحدة وآكلها ، فتقول لي : خذ واحدة أخرى .. وتلح علي فى ذلك ..

ولكن الذى يقلقنى أنها تكلم نفسها .. وذلك عندما نكون منفردين ليس معنا أحد من الأولاد أو غيرهم .. ما رأيك فى ذلك ياأستاذ محمود ؟!

قلت فى نفسى : لا فائدة ، محمود محمود .. وقلت له :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ هل هى مجنونة أم عاقلة ؟

ـ إنها عاقلة جداً !

ـ وهل هى تحبك ؟!

عندما وصل الأمر الى حد هذا السؤال حسدت «الحوذى» على أنه كلم حصاناً لا يتكلم .. فأنت تستطيع أن تتخيل أى شىء من جماد أو حيوان غير ناطق ـ تتخيل أنه يعي ويدرك ما تقول له ، ويتكلم طبقاً لما تتخيل ، فتشعر أنك تتفاهم فعلا ، ويحلو لك الحديث ...

أما أن تكلم انساناً فتجده يهرف كأن لا عقل له .. فلن هذا يسد أمامك باب التخيل ويضعك أمام كلام فارغ تضيق به وبصاحبه. إذن لم ألب حاجتى الى التكلم مع أحد ، فلأعد الى زوجتى ، نارها ولا جنة عبد الظاهر !

مع الأقنعة الزنجية الإفريقية

رحلة في الفن والتاريخ

بقلم : بلند الحيدري



قناع افريقي تتمثل فيه المبالغة في التزيين والربط ما بين القيم الرمزية والقيم الجمالية

أيتها الأقنعة ! إيــه أيتهــا الأقنعة
أيها القناع الأسود ويا أيها القناع الأحمر . إنكما تقنّعان الأبيض والأسود .
أيتها الأقنعة فى الجهات الأربع حيث تهب الروح،أحييك فى أعماق الصمت .
ولست أنت الأخير ، أيها الجد العتيق ذو رأس الأسد أنت تحرس هذا المكان الذي ضاع
من ضحكة كل امــرأة .
ومن كل ابتسامــة ذابـــلة .

سنغور



قناع مــن « انجولا » يســتخدم عــادة في حفــلات تجـــاوز مراحـــل الطفولـــــة .

منذ أن وعي الانسان نفسه كائناً اجتماعياً جهد في أن يتعلم ويتقن لعبة الأقنعة ويتمرس بصنع الوجوه المستعارة التى تتيح له الفرصة كي يختفي بوجه مستعار ، أو اسم مستعار ، أو رمز ، عن نفسه أو عن الآخرين حيناً ، أو أن يسعى لايقاع الرهبة والمهابة فى قلوب الناس حيناً آخر ، أو أن يتملق ويمالىء فى غيرهما أو أن يحجب مشاعره وأحاسيسه الحقيقية عن عيون المتطفلين عليها فى أحيان أخرى ، وكان له فى غير تلك أن استنجد بقناع كبير واستعان بمضخم صوت وبطوالتين من خشب ليمد بقامته طولا على كثير رغبة في أن يكون بطلا فى غابة أو سيداً أو نصف سيد على مسرح اغريقي ولا نزال نحتمي بعشرات الأقنعة في طيات ملابسنا وأناقتها وألوان ربطات عنقنا وأشكال وانواع أحذيتنا ، ولا نزال نرتجف هلعاً من كل يد تمتد لتمزيق تلك الأقنعة .

وإذا كانت طواعية بشرة وجوه بعضنا قد اكتسبت وعبر مران ومعاناة طويلين قدرة مدهشة على أن تلبس لكل حال لبوسها لحجب أحاسيسها ، وأن تصنع كل لحظة وجهاً تواجه به وجوه الآخرين دون أن تكلف صاحبها تعباً أو نصباً فى نحته على قطعة من عاج أو لحاء شجرة فان ثمة أقواماً وأناساً ظلوا على شديد حاجة إلى أن يصبغوا وجوههم وأجسادهم بمختلف الألوان الصارخة لاضاعة شيء من حقيقتهم أو الاعلان عن شيء آخر منها ، وقد يستكملون لعبة الايهام هذه بارتداء الأقنعة التى يوكل لها الدور الأساسي فى التعبير عن مشاعرهم الخفية ومخاوفهم وتطلعاتهم فى حلقات من الرقص الجماعي السحري المملوء بالتوتر النفسي والعضلي والمكتنف بالأساطير والطقوس الطوطمية التى يزخر بها مجتمع ضيق يحاول أن يجد استقراره وأمنه النفسي وطمأنينته من خلالها كما يشير إلى ذلك المفكر الزنـجي « فرانز فانون » فى كتابه (بشرة سوداء وأقنعة بيضاء) بالنسبة لمجتمعه الأفريقي وحيث يكون لتقاليد مجتمعه الموروثة عبرها أن تسهم وتساعد لحد بعيد على تفريغ الانفعالات النفسية المكبوتة ، ففى ظل الأزمات وتحت وطأة الظروف الصعبة والشعور بالاجحاف والضياع والقلق لا مناص لتلك الجماعات من أن تبتلع احلامها وآمالها وأن تنطوي على نفسها الى حين تجد لها منفذاً أو توسع لها مسرباً من خلال هذه الحركات العضلية المتوترة التى توحدها رغبة فى التجانس ما بين الظواهر والنوازع الداخلية والفرد والمجموع كمسعى لتأكيد مشاعر الاستقرار وبغية احكام الصلة ما بين عالمين يتمثل احدهما فى الشكل الظاهري والمادي للأشياء والكائنات،ويومىء الثاني الى القوة الخفية التى تكمن فيها والتى يطلق عليها اســم ـ المانا ـ ، وانهم وبمساعدة هذا المناخ السحري سيكون لهم ان يتحرزوا من اي خطر داهم او يتمرنوا على الحذر والحيطة منه والقبض على زمام المبادرة ضد كل ما يعترض سبيلهم فى الحياة .

أهداف هذا الفن

وإذا كان حقاً بان وراء نشوء الرقص عند غير شعب من شعوب الأرض ومنها الأفريقية ، فكرة السحر فقد كان للاستعانة بالأقنعة أن ساعدت على تجسيد الأفكار والأرواح وتكثيف الايحاء بسلطتها المعنوية والأدبية ، وتبادل مراكز القوى ما بين الشبيه والأصل الذى غالباً ما يكون على هيئة حيوان ، وان استعارة راسه عبر قناع يشابهه من ناحية ويحرفه ويشوهه أو يبالغ فى تزيينه من ناحية أخرى على مثل ما تعمل قبيلة «بالوبا» فى الكونغو ، أو يوجز فى رسم ونحت ملامحه الى حد رائع فى الاختزال التلميحى كما هو موجود فى أقنعة غينيا الجديدة إنما يظل الهدف بالنسبة لمرتدى الأقنعة محصوراً بالرغبة فى اكتساب المناعة ضد تلك القوة الهائلة المتمركزة فى رأس الحيوان والوقاية من الشرور والمكائد ، وان على لابسي الأقنعة ان يجيدوا كل الاجادة تقليد حركات وأصوات الحيوانات التى يعتمدونها وان يتفننوا فى ادائها لتأكيد القدرة الايهامية على كسر الحدود ما بين العالم المرئى والعالم اللامرئى وما بين جميع حدود الكون والبشر والحيوان والنبات .

ويرى البحاثة الالمانى «فردريك فون ديولاين» فى كتابه «الحكاية الخرافية» بان لشيوع الأساطير عن الحيوانات وتشابهها فى جميع انحاء العالم واحتفاظها بمقدرتها على الحياة ما يرتبط بالمواجهة ما بين الانسان والحيوان فى واقع بدائى يتنافس عليه الاثنان «فالحيوان يعيش فى عالم قائم بذاته وهذا العالم اما ان يكون صورة شبيهة بعالم الانسان وإما معارضة له كذلك ... وكثيراً ما يمتلك الحيوان فى

مع الأقنعة الزنجية الإفريقية
رحلة في الفن والتاريخ





جذوع الاشجار والاغصان لها دلالاتها الرمزية في الاقنعة

الحكايات الخرافية السلطان على العناصر الثلاثة : الماء والنار والنور وهو يتحكم فى الأنهار وغير ذلك . وغالبا ما يتحتم على الانسان أن يلجأ اليه لكى يسترد منه ممتلكاته ... وفى حكاياتنا الخرافية يمتلك الانسان كذلك أحيانا القدرة على تحويل نفسه الى حيوان فاذا ظهر الحيوان فى الحكايات البدائية فى هيئة أشباح فان هذا معناه أنه ينتمى الى العالم غير الانسانى وكثيراً ما يتحول الموتى كذلك الى أشكال حيوانية » .

ويذهب «رنيه هويغ» فى الجزء الأول من كتابه «الفن : تاويله وسبيله» بأن نزعة التنكر وتبادل المواقع والتقمص قد وجدت منذ نشأة الحياة.« مثال ذلك قناع مغارة الأخوة الثلاثة ، واستعمال القناع جار فى جميع القارات ومايزال موجوداً فى بعض التقاليد الشعبية الأوروبية ، لكن البدائيين يجعلون له صفة تجسد حقيقى ، فى بعض قبائل هنود أميركا الشمالية ، حين يلاقى الشاب فى الغابة الروح الذى يحرسه يشعر أن هذا الروح قد استولى عليه ، يصنع عندئذ للمرة الأولى القناع الذى يؤكد هذا الاستيلاء ويظهره للعيان» . وبقدر ما تستطيع الأسطورة ان تكثف حضورها من خلال مساهمة العديد من حواس الانسان وبقدر ما يكون لها ان توجز اصواتها فى رقص إيمائى او شكل قناع ، بقدر ما تعزز سيطرتها الايحائية عبر تجسيد ما هو ليس مرئياً بما هو مرئى وما هو مالوف بما ليس مالوفا فتخرج صناعة الأقنعة بالضرورة ، على التشبيه الواقعى بتحوير أشكال المرئيات او تشويهها او المبالغة فى تزيينها بغية رفع القدرة الايحائية بعمق الصلات ما بين عالمى الروح والجسد ولابراز القدرة الأدائية فى التقليد والتماثل وهكذا تختلف أهداف هذا الفن كل الاختلاف عن «معظم الفن الأوروبى الواقعى الى حد بعيد فهو يشير الى صور فكرية بدلا من صور مرئية يؤثر الأسلوبية الصارمة على الطبيعة الواقعية وان مقتضيات الشكل النفعى فى السحر تعوق عادة أى دافع الى هذه الطبيعة والواقعية ـ رالف لينتون.» ولقد كان لهذا النزوع الضرورى الى انتهاج أساليب التحريف للواقع او تشويهه أن مد الفنان الافريقى ، صانع الأقنعة ، بشىء غير قليل من الحرية فى مكنته الاستيحائية وتحقيق رؤاه الداخلية وتحسين أسلوبه الأدائى وقدراته الابداعية رغم ضعف استيعابه للمفاهيم الجمالية وضعف منهجيته التطويرية كما هو شأن أى فن ينمو فى مجتمع مغلق لحد ما .

وعلى الرغم من اننا لا نعرف الكيفية التى تقدر فيها ابداعات الفنانين فثمة فنانون كانوا موضع تقدير واعجاب كبيرين فى وسط مجتمعهم الافريقى وقد يبلغ الأمر أحياناً الى مستوى رفع شانهم واحاطتهم بهالات من التبجيل والتكريم «وان لم يكن يميز جيداً بين موهبتهم الفنية وفعاليتهم السحرية ـ هويغ» . بل ورغم خضوعهم لصرامة الطقوس ودقة التقنية المدروسة وحتمية الالتزام بها فانهم لا يقعون فى التكرار الممل لان كل فنان منهم يحقق فى عمله شعوره الغريزى تجاه موضوعه وانه على كثير علم بخصائص مواده من خشب او عاج أو طين وبخصوصية تعامله مع أى

منها وبكيفية المزاوجة ما بين معطيات التصوير اللونية ونتوءات النحت البارز وأساليب اللصق ـ الكولاج ـ بحس فطرى متميز وموازنة دقيقة بين كل اجزاء ومكونات القناع وزواياه المتعددة التى تؤكد الصرامة والقوة ، وخطوطه المنسابة بانحناءات عاطفية . ويفسر هربرت ريد فى كتابه «الفن والمجتمع» الطبيعة الفنية لدى الرجل البدائى بقوله انه : «لا يميز نشاطه الفنى عن سواه ، إنه بكل بساطة جزء من نشاط حياته ، إنه نشاط معقد بحيث يتضمن كل مواهبه فيما يخص عالم الاحساس الملغز الذى هو وحدة فريدة ، ولكنها تضمن الموهبة الجمالية داخل عملية الحياة غير المتميزة لا تهدم هويته ولا صفة التنوع من حيث الخصوصيات والافتراض بان الباعث الجمالى غير موجود بالنسبة للرجل البدائى ، ذلك لأنه لا يستطيع الاطلاع عليه ، هذا يعنى باننا نخلط بين حالة الوعى وحالة الوجود» .

تأكيد الهوية القومية

ويظل فن صناعة الاقنعة ، وعلى امتداد القارة الافريقية من شرقها الى غربها الى جنوبها الى حوض الكونغو واطرافه ومن ثم الى الدول المحاذية له ، يظل بالنسبة لمواطنى تلك المناطق من اكثر الفنون المتداولة إثارة للاعجاب وذلك لبراعتهم الفائقة فى صنعها وغزارة مداليلها ولما توليها من عظيم اهتمامها بها مما كانت سبباً فى تنوع اشكالها واختلاف هيئاتها وما يضمن تواصل وتداخل المعانى التجريدية بالظواهر التشخيصية وتبعاً لاختلاف الاغراض المرجوة منها واختلاف الشعوب التى تقوم بصناعتها ، وبعد أن تكفلت بالتبشير بغير جانب من جوانب حياة الافريقى الاجتماعية وتشعبت مداليلها الايجازية لعباداتهم وافراح زواجهم وبلوغ سن الرشد لاولادهم وختان أطفالهم وجنى محاصيلهم ... الخ.وذلك قبل اتصال تلك المناطق بالحضارات الأوروبية الوافدة اليها بمناهج مدارسها القديمة والحديثة وما تحمل من صيغ ادائية جديدة انتصر لها نخبة من فنانيها ومثقفيها من الجيل الجديد ، يطعمون بها اعمالهم الابداعية أو يمارسونها فى تقليد حرفى ونقل سطحى بدعوى التشبه بما هو موجود فى الغرب مما كاد أن يقضى على تلك السمة المتميزة بغنى تعبيريتها وشدة حساسيتها وشفافية رموزها والمتمثلة فى الدرجة الأولى فى الاقنعة الافريقية ، لولا ما واكب نهضة افريقيا الحديثة من



قناع من الخشب متعدد الالوان من غينيا يثير الانتباه والدهشة

احساس قوى بالانتماء لواقعهم فى الأرض والتاريخ والتراث عند ابنائها من ناحية ومن ناحية اخرى ما كان لفنونهم من اثر على الفنون المعاصرة فى العالم التى اقتبست منها واشادت باهميتها مما دفع ببعض فنانى الدول الافريقية الى البحث عما يؤكد هويتهم القومية فى فنهم ضمن توازن ضرورى ما بين تراثيتهم ومعاصرتهم ويبقى على فرادة سمتهم المتميزة بحيث يظل للشكل الرمزى الذى أوجز مشهداً تمثيلياً لمقطع من حياتهم واختزل نفسه فى شكل هندسى ذى دلالة معنوية ، ما يحقق مرماه فى بعد تشكيلى جديد يوائم ما بين حضارتهم الافريقية وخصوصيتها واستيعابهم لها وبين تفاعلهم مع منجزات العصر بمعنى فى الافادة من التراث افادة تشكيلية واستلهام طقوسه الروحية والسحرية والدينية من خلال رؤية فنية حديثة واقامة حسن الجوار والعلاقة الوثيقة ما بين تلك الاقنعة كابرز معطيات فنونهم واعمالهم الابداعية الجديدة وهو ما يؤكد عليه واحد من ابرز فنانيهم «اوكيكى» حيث يقول : «يجب على الفنان الافريقى ان يعنى ويقدر تراثه لكى يكون على وئام مع نفسه» ...

وما نلمسه فى دراسة «اولي باير» عن «الفن الحديث فى افريقيا» بعد أن تفرغ لفترة غير قصيرة لمناقشة هموم فنانى القارة السوداء وتاكد من أن الفنانين الافريقيين شانهم شان باقى المثقفين «المعروفين بحيويتهم والآخذين بالازدياد يريدون توطيد هويتهم كافريقيين ولئن كانت المناقشات الحادة حول الشخصية الافريقية والزنجية ضبابية على الاكثر فانها افلحت فى خلق جو جديد يستحيل فيه الخجل من التقاليد الافريقية ويصبح الفنان فجاة شخصاً هاماً عليه واجب قومى هام» وعبر ولادة جديدة من خلال تلك الاقنعة فى منظورها وقيمها الجمالية



المبالغة في التزيين حتى يكون القناع جديراً بدوره بين افراد القبيلة

الغنية بمعطياتها الفنية والتعبيرية .

وظيفة القناع

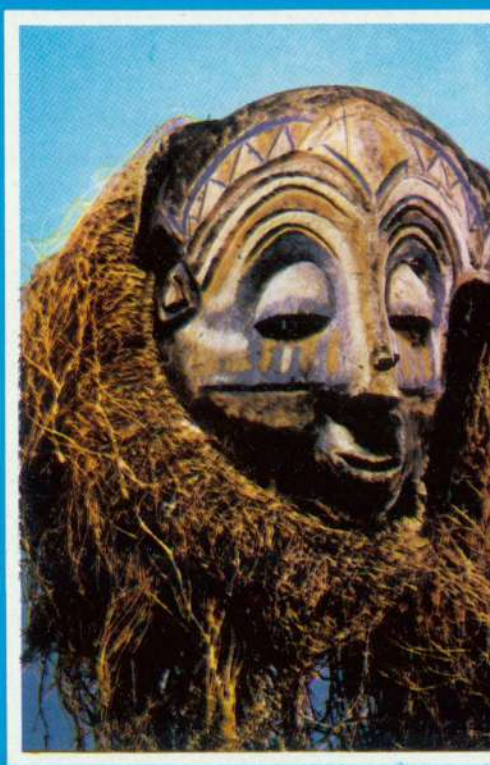
ومما لاريب فيه أن لتلك الطقوس السحرية والمشاعر على اختلاف مشاربها وتنوع ضروبها الشائعة فى تلك المناطق وتباين اساليب ممارستها ما يشكل واقعاً اساسياً لتلك المجتمعات ومحوراً رئيسياً لتدفق حياة الافريقى المشدودة الى دكنة غاباته الكثيفة ولون بشرته الأسود ، وانها لتاخذ اشكالاً واوضاعاً عديدة ضمن طبيعة ومعتقدات كل قبيلة او منطقة ، فمن القبائل من مدت بعقائدها على مستويات طبقية ذات صيغ هرمية انعكست على نماذج اقنعتها ، ومنها من تذهب مذاهب اتباع السلف المحتفظ بحيويته المؤثرة على حياتهم ، ومنها من لا ترى فى سلسلة انسابها اية قدسية فتهب الطبيعة باشجارها وانهارها وغاباتها جل اهتمامها بينما كان لغير قبيلة من القبائل ان وجدت فى الاقنعة الحرز الحريز لصيانة قدسية معتقداتها فبالغت فى تزويقها وتزيينها وتنسيق الوانها لتكون جديرة بما أوكل لها بمعنى فى المقام اللائق لسكن تلك القوة المتمثلة في المعتقد والكامنة فى كل جزء من اجزاء القناع .

وهكذا كان للاقنعة وعلى الاخص فى الاقسام الغربية من افريقيا ان تكفلت بالنهوض بما عهد اليها من وظائف دينية منذ اقدم العصور بالاضافة الى التاكيد على الطابع الجمالى المحلى الذى تتطور فيه وتتسع مداليله ومفاهيمه من خلال قدرة الفنان على التفاعل والتجاوب مع كل شكل من أشكال حياته اليومية المنعكسة عن حياة أخرى ، وفى مجتمع تتوزع مجريات احداثه (المانا) و (التابو) وتنمو المعرفة فيه بوتائر من الخبر المتوارثة لا بوتائر هندسية ، ويرى مؤلفا كتاب (الثقافة

مع الأقنعة الزنجية الإفريقية
رحلة في الفن والتاريخ



لقطتان .. الأولى لاستخدام الحشائش في الأقنعة كظاهرة مألوفة .. والثانية لقناع من الكونغو





الأفريقية) وليم باسكوم وملفيل سكوفتز بان ثمة روايات تتداولها الأوساط المحلية فى افريقيا تنسب أصل نشوء فكرة استخدام الأقنعة الى عوامل مختلفة منها الوحى أو التعليمات التى تصدر عن الموتى أثناء الاحلام أو الاقتباس من شعوب أقدم كما هى الحال عند (الدوجون) ورغم وجود مجتمعات سرية على درجات متفاوتة من الوازع الدينى فى جميع أنحاء المنطقة إلا أنها لا تستعمل كلها الأقنعة المنحوتة، فمثلا لا يرتدى أعضاء بعض مجتمعات (اليوربا) إلا أزياء من القماش تغطى الجسم كلياً ويقوم أحد الراقصين بتمثيل الروح الرئيسية وقد يضع على رأسه صحناً صغيراً صلداً غطى سطحه المنبسط بالقماش لتهبط عليه الروح إذا ما حضرت خلال اقامة احدى الشعائر الدينية بينما قد يلبس راقص آخر على رأسه غطاء منمقاً من الريش يرمز الى القوى التى تشرف على الزى ، وفى مثل هذه الحالات نجد أن المغزى الدينى يتوزع عبر العديد من الرموز على غير جزء من الاجزاء البينة والظاهرة من الملابس التى يرتديها الراقص ولا تنحصر القدسية بالقناع وحده بل تمتد الى حركاته وايماءات أطرافه واشاراتها المختلفة والى القيم التعبيرية والرمزية لطيات ملابسه وألوانها .

وتولى الكثرة الكاثرة من تلك القبائل أهمية خاصة للاحتفالات المعدة للاعلان عن تجاوز ابنائهم سن الطفولة الى سن أخرى فيكون للأقنعة فيها ما يرمز الى تعزيز مشاعر الرجولة وتجسيد كبر مسئوليته العائلية والاجتماعية وما صار عليه أن يعيه من أمور دينه ودنياه ، وثمة أقنعة عديدة خصت للاحتفال ببعض الظواهر الطبيعية كزفاف القمر الى الشمس ، وبعضها اكتفى باستخدامها كرقية من الرقى التى تحفظ من شر متوقع أو أكيد يسعى به الانسان أو الحيوان أو لجلب خير مرغوب فيه ، وفى بعض المناطق من افريقيا كما يشير الى ذلك مؤلفا كتاب (الثقافة الافريقية) يجرى «تعريف المتفرجين الى قوة الروح الخاصة بالشجرة التى صنع منها القناع وكذلك الى قوة الروح التى يمثلها القناع كما هى الحال عند (الدوجون) مثلا وقد تكون الروح كبيرة جداً فيكلف بحملها ثلاثة رجال يرتدون ثلاثة أقنعة متماثلة كما يحدث عند الايجيبو من اليوربا ، وقد يكفى قناع آخر يرتديه شخص لايواء قوة عدة أرواح مع رسلها كما هى الحال عند الاوبو من اليوربا ايضاً» . وقبائل «الغاندا» المتاخمة لحدود منطقة الكونغو تشتهر بصناعة الأقنعة من الأعشاب والقش وجذور الشجيرات الصغيرة التى لها صفة فى التقدير الخاص دينياً أو طبيعياً ، وتكثر من استعمال هذه الأقنعة فى حفلات ختان الأطفال أو عند تحولهم من مرحلة فى الطفولة الى مرحلة في المراهقة ، بينما تضع قبيلة «الساكوندا» أقنعتها من الخشب وإن كانت الأغراض والمناسبات متشابهة عند القبيلتين وإنها لتؤلف الأنواع الوحيدة من النتاجات الفنية لتلك الشعوب والقبائل الى جانب التماثيل الخشبية الصغيرة .

وللأقنعة فى أفريقيا الغربية ايماءات رمزية ذات ابعاد عديدة فمنها ماينفرد فى معنى واحد من معانى الاشارة الى القوة الخارقة ، ومنها ما تتمثل فيها صفات لعدد من أسلاف القبيلة أو العائلة ، أو لعدد من صفات حيوانية .. وعادة لا تستخدم الأقنعة إلا في الاحتفالات المعدة لتكريم مناسبة من المناسبات وضمن ضروب من الرقص المخصص لهذه الاغراض وما تكاد تنتهي تلك الاحتفالات حتى تعود الأقنعة الى مخابئها الامينة حيث تحفظ وتصان فى أحدى الغابات الصغيرة والقريبة من الحى الى حين تخرج مرة أخرى فى مناسبة ثانية وقد يسمح أن يعهد بحفظها فى بعض الأحيان الى واحد من زعماء القبيلة البارزين ممن ينتمون بنسب الي شيء قدسى من تراب تلك القبيلة وذلك باثر من دوافع عديدة تتمثل فى رغبة فى حمايتها وتأمين حراستها أو فى رغبة فى الاحتماء بها من الأرواح الشريرة .

وكما لأنواع الأخشاب وجذور الشجيرات الصغيرة والقش التى تصنع منها الأقنعة مراميها البعيدة فى الرموز التى تشير الى نسب القبيلة أو نسب الراقص أو مكانة الشجرة فان لكل مادة تثبت على القناع دلالتها الرمزية من حيث قيمتها المعنوية فى القدرة الايحائية ومن حيث موقعها من القناع كالأحجار بأنواعها أو عظام الحيوانات أو الخرز الملون ، وذلك بالاضافة الى أهميتها التزيينية ذات الطابع التوظيفى فى سلم القيم الاجتماعية ، وباضافة الى ما يوكل اليها من غاية فى

التعبير عن انفعال معين ضمن ترابط كلى متجانس أو متضاد أو الايحاء الى مجاورة عدة انطباعات فى القناع من خلال حوار الجزئيات التى يقوم عليها .

إن قدرة الزنجى الأفريقى على أن يعيش الحياة فى ضرب من الافتراض بأن انسانيته ليست بأكثر من مظهر من مظاهر الروح الكونية التى تتغلغل عميقاً فى كل الكائنات الحية وفى كل الأشياء التى تفرزها الطبيعة حجراً أو شجراً أو نهراً أو بحراً قد أمدته بالطاقة على أن يتجاوز خصوصيته البشرية ليمتزج بشمولية الروح الكونية ، وهو اذ يوجزها فى قناع إنما يفعل ذلك ليعبر فى ابسط الأشكال عن تلك الشمولية الكبيرة والواسعة حيث يصير للجزء الصغير أن يتمثل فيه الكل واذا كان هربرت ريد بعقلانيته الأوربية لا يرى فى ديانة الزنجى الأفريقى غير نوع من « حيوية المادة ـ انيمستيك ـ ANIMISTIC بحيث يرى أرواحاً واشخاصاً خلال المظاهر الحسية الطبيعية فبحكم خوفه من مثل هذه القوى اتجه نحو خداعها على طريقته الساذجة : هكذا خلق بديلا عن الواقع ، هكذا بدأ يتهرب من الحقيقة » فان ليوبلد سنغور يجد فيها ما يفترضه خصيصة ذاتية فهو اذ يعير للأشياء انسانيته وروحه وإرادته وحساسيته انما يعيرها روحاً « لانسان زنجي » لتنتعش بحضوره ، « انها تتانسن بالمعنى الأصيل والراهن للكلمة ، فليست الحيوانات وظواهر الطبيعة تتحول الى بشر وحسب وانما ينتظم هذا التحول الشجر والحصى ، بنسبة ما يشمل المطر والريح والرعد والجبل والنهر . وهى تصبح كائنات بشرية وتحتفظ بخصائصها الطبيعية الأصلية كأدوات وعلامات لروحها الشخصية وتلك هى السمة الأكثر عمقاً ، السمة الأبدية للروح الزنجية » وإنه باستحضارها عبر قناع يرتديه يؤكد حضوره فى العالم الشامل لا كمركز له ولكن كجزء لا يمكن أن يكون هناك عالم من دونه

الأقنعة والفن المعاصر

وكما ترحل فنون الحضارات القديمة ، وكما ترحل فنوننا العربية الاسلامية الى كل مكان فى العالم لتلهم فنانى العصر ولتغنى تجاربهم المعاصرة ، ترحل افريقيا اليوم بموسيقاها وايقاعاتها الغنية وبتماثيلها وأقنعتها الى أعمال كبار



من الاقنعة ذات الرؤوس الحيوانية

الفنانين العالميين ، ورغم ادعاء بيكاسو بأنه لايعرف شيئاً عن أثر الفن الزنجى عليه (الفن الزنجى .. لا أدرى .. !) فان غير قناع من الاقنعة الافريقية يمكن أن نعثر عليها فى العديد من أعماله وحسبك لوحته الشهيرة (فتيات افنيون) وذلك ما يشير اليه « رنيه هويغ » بقوله : كان انتشار الفن الزنجى في مطلع العصر وابتداء من عام ١٩٠٦ وكانت اقنعة مستخرجة من مخازن خردة نقطة انطلاق لتحرك سيصل بفضل ماتيس والجيل اللاحق له ، فلامنك وديران وبيكاسو وبواسطة التاجر بول غليوم خاصة الى صالات الهواة الجامعين.وفى كتاب «البدائية فى التصوير الحديث» يوسع مؤلفه «روبرت جولدووتر» مجال البحث ومناقشة تأثيرات الاقنعة وتماثيل افريقيا بل اللون الأفريقى الذى يرى فيه «ماتيس» انجازاً «فلسفياً فذاً كطريق سحرى يوصل بين الانسان ذى المشاعر الدقيقة المعقدة والقوة المسيطرة» ويصنف «جولد ووتر» تلك التأثيرات حسب وقعها عند أبرز فنانى العصر الحديث وحسب ما استطاع كل منهم أن يعبر من خلالها عن اشكالات انساننا المعاصر ورؤيته الفنية وتامله فيها. فالبساطة الهندسية عند سيزان (هى الفن الزنجى) والفن الزنجى عند « اندريه ديران » اعمال خارقة «تبعث فى النفس مشاعر جنونية» وهى فى نظر بيكاسو «رسل موفدة من تلك التى جئنا منها والتى سنذهب اليها» وانها جهد ابداعى لا يعرف التقليد ، ثم ما كان يبدو من أثر للأقنعة على أعمال «برنكوزى» و «موديلانى» وغيرهما من كبار فنانى العصر ، وان هذا التواصل ما بين الفنان المعاصر والفن الزنجى الافريقى يضع فى موضع الشك عند «توماس مونرو» مؤلف كتاب «تطور الفنون» الرأى القائل بأن الفنون تتطور على مثل ما تتطور وتنمو الانمطة الحضارية الأخرى فى المجالات العلمية والاجتماعية «عندما كف العلم عن الافتراض بأن الفن البدائى كان اقل قدراً من الفن الحديث كان من نتائج ذلك القاء قدر أكبر من الشك على نظرية التطور الثقافى» .

وقد بهتت أهمية الاقنعة الزنجية الأفريقية ، أسوة بالتماثيل الأفريقية لشيوعها التجاري وضياع أصالتها وتحريفها لما يرضى السياح وهو ما أشار اليه عدد من الكتاب الاجانب فيقول ج.د. سانز فى كتابه « البدائيون الأفريقيون » عن النحات الزنجى بانه أصبح «مجرد عامل ماهر فى مصنع لإنتاج الاعمال المزورة» وفى كتاب « فن الشعوب الزنجية » تقول السي ليوزنغو : « وإذا كان السياح يطلبون الاقنعة والتماثيل التذكارية فلهم فى هذه الحالة ان يحصلوا عليها باية كمية يريدونها،ولكن قيمة ما يتم انجازه تبقى مشكوكاً فيها .. انها أعمال ليست لها اية جذور ثقافية ...» وهو ما تذهب اليه مارغريت تراول فى كتابها «النحت الأفريقى الكلاسيكى» حيث ترى أن هذه الرعاية من جانب الزبائن غير القادرين «على فهم المعالجة النفسية لفن اى شعب غير شعبه سيكون لها مع الأسف تأثير مفسد على الأشكال الفنية المحلية» .

ولكن مع ذلك فان أهميتها الفنية الأصيلة المتأكدة فى منابعها ، ستظل مصدر الهام كبير للفنون المعاصرة ما دامت جذورها تغور بعيداً فى الطبيعة والانسان وتتجاوز الأطر الشكلية الآنية .

بلند الحيدرى

القدس: المسجد الأقصى

بقلم : يوسف الخطيب
إعداد الفنان : عزيز إسماعيل

في كتاب الله العزيز : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله » (الاسراء – ١) ، وفى الحديث النبوي الشريف : لا تشد الرحال إلا لثلاث ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » .

يستمد المسجد الاقصى قيمته الدينية العالية عند جميع المسلمين ، من انه كان اول قبلة صلى المسلمون باتجاهها فى زمن النبي ثم كونه ثانيا ، ثالث مكان اسلامي مقدس على وجه الارض ، من بعد كل من المسجد الحرام والمسجد النبوي بالمدينة المنورة . فهو هكذا « اولى القبلتين ، وثالث الحرمين » . ولقد ظل القبلة التى يصلي إليها المسلمون شطراً لا يستهان به من حياة الرسول .

ثم امر الله الرسول بان يولي المسلمون وجوههم شطر المسجد الحرام بمكة ، عوضاً عن المسجد الاقصى بالقدس : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » (البقرة – ١٤٤) . فلما انتقد المشركون هذا التحول فى القبلة فى صلاة المسلمين ، نزل قول الله تعالى على الرسول : «سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » (البقرة – ١٤٢)

نشاهد الآن ، فى هذه الصورة ، واجهة المسجد الاقصى ، منظوراً إليها من الشمال الغربي ، إلى الجنوب الشرقي ، أي باتجاه مكة المكرمة ، وتبدو لنا فى مقدمة الصورة بركة الوضوء فى منتصف ساحة المسجد . هذه الساحة التى شهدت مع فتح الصليبيين للقدس ، (يوم الجمعة ١٥ تموز ١٠٩٩) ابشع مذبحة بربرية يمكن ان تعيها ذاكرة النوع البشري عبر تاريخه الطويل . فلقد ذبح الصليبيون هنا ٧٥ الف مسلم ، هم جميع سكان المدينة الذين حاولوا عبثا ان يحتموا بحرمة المسجد الدينية من حراب الفاتحين ، حتى لقد بعث قائد صليبي إلى البابا اوربانوس الثاني يبشره بالنصر ، ويصف تلك المذبحة بقوله : « لقد خاضت خيولنا حتى ركبها فى بحر من دماء المسلمين » .

واما فى عصرنا الحاضر ، فان الأيديولوجية الصهيونية ، سليلة الروح الصليبية ، وبديلتها فى القرن العشرين ، قد اختارت ، بموجب مقتضيات العصر ان تنشر مذابحها الوحشية عبر عشرات المواقع المتفرقة ، كدير ياسين ، وكفر قاسم ، وصبرا وشاتيلا ... ، وغيرها وغيرها ، بدلا من ان تحشر ضحاياها من العرب الفلسطينيين فى مذبحة واحدة هائلة ، بينما دابت سلطات الاحتلال الصهيونية ، منذ حزيران ١٩٦٧ ، فى تعميق حفرياتها الخطيرة تحت اسس هذا المسجد ، في محاولة يائسة تماما ، وغير مجدية إطلاقا ، لاثبات ان الهيكل السليماني كان يقوم هاهنا مكان المسجد ، مع إعادة بناء الهيكل السليماني بدلا منه . ومن خلال هذه النزعة دون ريب ، عمد الغزاة الصهيونيون إلى إحراق المنبر الأثري داخل المسجد الاقصى يوم ٢١ آب ١٩٦٩ ، وهو الذي يرجع عهد بنائه إلى زمن صلاح الدين ويعتبر آية رائعة من آيات الزخرف العربي الرفيع ، ولقد جرت جريمة الحرق تلك من خلال ما يعرف بحكاية « مايكل روهان المخلول » .

« وقضينا إلى بني اسرائيل فى الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً (٤) فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا (٥) ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً (٦) إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم ، وإن أسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة ، وليتبروا ما عَلَوْا تتْبيرا (٧) » (سورة الاسراء) .

يوسف الخطيب



القدس : المسجد الأقصى



متحف قطر الوطني سنة ٢٠٠٠

بقلم : درويش مصطفى الفار

استجابة لفلسفة دولة قطر ، فى مواكبة المسيرة الحضارية العلمية المعاصرة ، داخل إطار واضح المعالم من التراث العربى الاسلامى ، الذى ينتمى اليه الشعب القطرى فى باديته وحاضرته ، افتتح حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، متحف قطر الوطنى عصر يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٥ من هجرة خاتم المرسلين (١٩٧٥/٦/٢٣) كمؤسسة حضارية تضيف بعداً جديداً للعاصمة الدوحة ، فى مجال العلم والثقافة والترويح ...

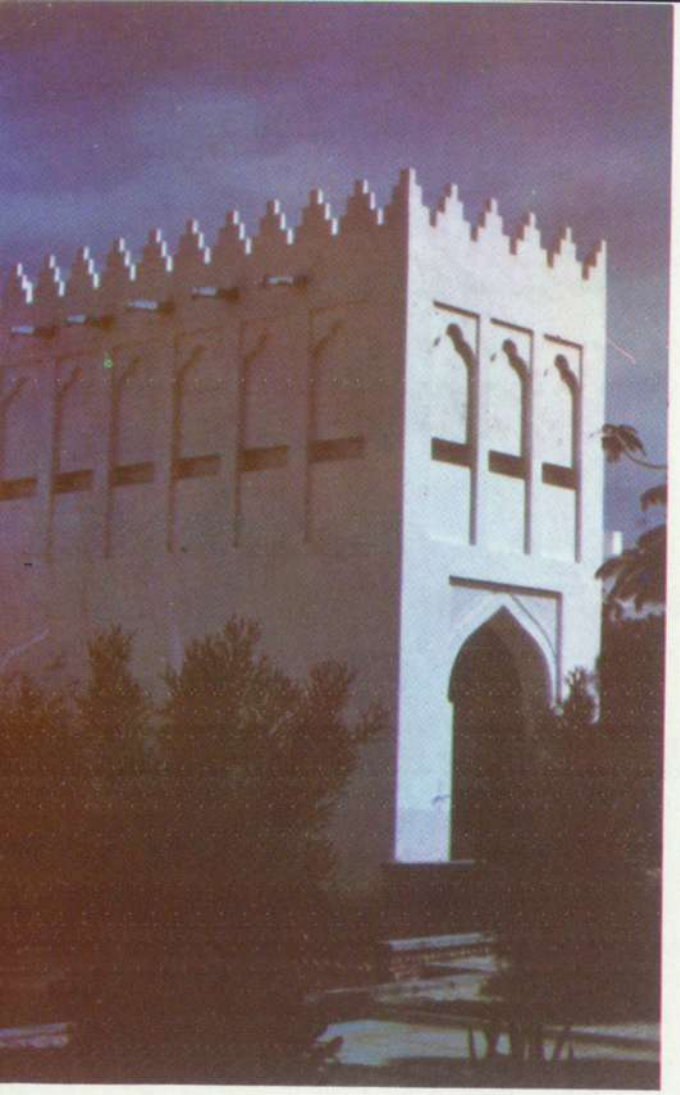
وعلى مدى السنوات السبع المنصرمة ، استطاع هذا المتحف أن يكتسب شهرته العالمية والعربية ، حتى أضحى مطلب كل وافد الى الدوحة.

فى مدينة مستمرة النمو والاتساع ، كالدوحة ، لا يسهل تحديد موقع اى منشاة تحديداً ثابتاً ، ولكن باعتبار اننا نعرف ان الدوحة كانت تنقسم الى احياء يسمى كل حي منها باسم الفريق او القبيلة التى تتكون اغلبية سكانه منها ، نقول بان موقع المتحف هو فريق او حي السليطى ، حيث كان المرحوم الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثانى ، مؤسس الدولة الحديثة فى قطر ، قد بنى له قصراً للسكنى والحكم فى مطلع القرن العشرين الميلادى ، واصبحت وحدات هذا القصر الاحدى عشرة ، نواة المتحف ، بعد ان رممتها وزارة الأشغال القطرية ، طبقاً لذات الطراز البنائى العربى الاسلامى الذى كان قد بناه عليه المهندس العربى المشهور فى المنطقة ، عبد الله الميل ... وتغطى منشات المتحف زهاء خمسين الف متر مربع قرب الساحل فيما بين راس ابي عبود ، وميناء الدوحة ..

مم يتكون المتحف ؟

يتكون متحف قطر الوطنى من خمسة اقسام اساسية :

● القصر القديم ، وهو مجموعة الابنية العربية الاسلامية الطراز والتى كانت قبل هجرها ، فى الثلاثينات الميلادية ، مسكنا ومقراً للحكم وادارة شئون البلاد ، وقد

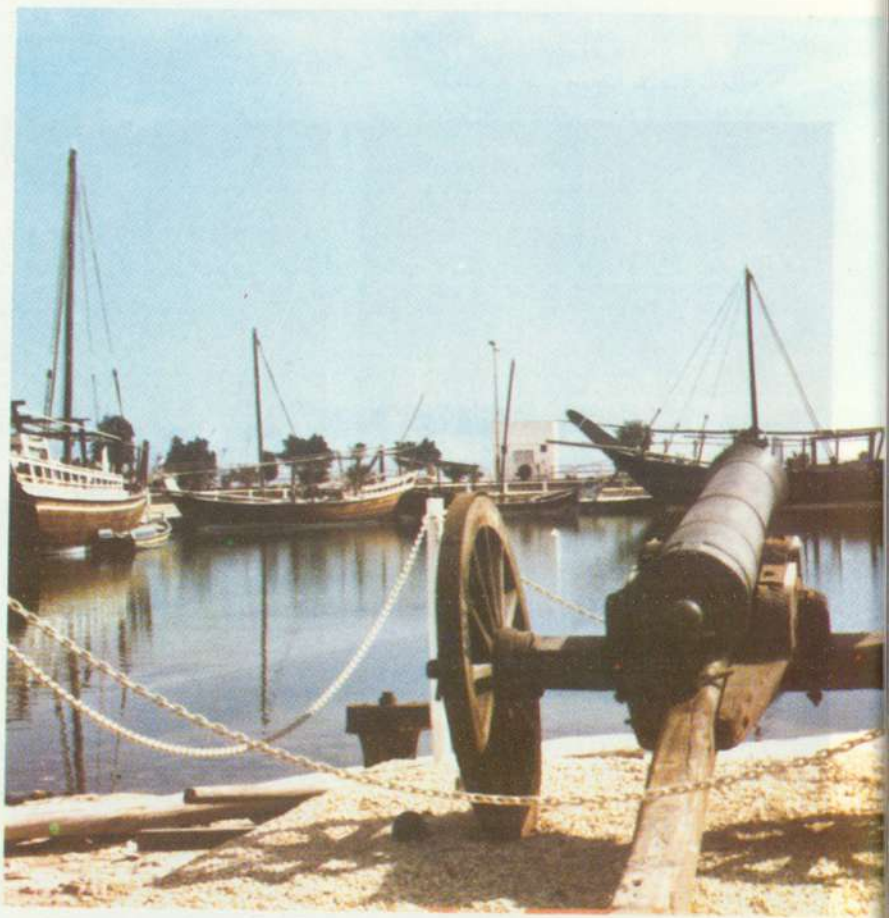


البوابة الشمالية للقصر القديم .



لقطة للمجلس الرسمي حيث كانت تحل امور الدولة والناس .

نماذج قوارب عربية بحجمها الطبيعي تحكي قصة تراث على سطح البحيرة الصناعية بالمتحف .



استخدم كل بناء منها فى عرض مادة بعينها من صميم البيئة العربية القطرية قبل عصر البترول .

● القصر الجديد ، وهو بناء استحدث اثناء عملية ترميم وحدات القصر القديم فيما بين سنة ١٩٧٢ ، ١٩٧٥ وذلك ليستوعب معروضات الارسميولوجيا ، والاثنوغرافيا ، والتاريخ الطبيعى ، والعلوم والفنون الاسلامية والتاريخ الحديث والبترول ، وما يتعلق بالحياة العربية فى الحاضرة والبادية فى الأسلحة والغزل والنسيج والجمل والحصان والصيد والعادات والتقاليد .

● القسم البحرى ، وفيه جانب من المعروضات عن حياة البحر والصيد والغوص وتجارة اللؤلؤ ، واللؤلؤ المستزرع ، وانجازات العرب فى علوم البحار وبناء السفن وتقاليد البحر ، والأحياء المائية التى تعرض للزائر كما لو كانت فى بحرها حول شبه الجزيرة القطرية التابعة لها فى مياه الدولة

الاقليمية ..

● البحيرة الصناعية ، وهى امتداد طبيعى للخليج تحتويه حديقة المتحف ولا يفصله عن الخليج إلا شارع الكورنيش ، ويحتفظ المتحف فيها بمجموعة من السفن والقوارب الشراعية مما كان العرب به سادة البحار قبل استحداث السفن والبواخر المعاصرة . ويتخذ البيولوجيون بالمتحف ، هذه البحيرة مسرحاً لتجاربهم العلمية المختلفة على الاحياء المائية من أسماك ولا فقاريات واعشاب .

● الحديقة النباتية ، وهذه تتخلل الارجاء فيما بين ابنية المتحف وحول بحيرته ، ويجرى تطويرها حسب الظروف المتاحة بحيث تصبح حاوية لكل انواع النباتات الصحراوية من مختلف ارجاء العالم ، مما سوف يجعلها مستقبلا مختبراً طبيعياً لدراسات تلك النباتات بانواعها ...

متحف بيئى

فمتحف قطر الوطنى ، طبقاً لما أسلفنا ، متحف بيئى ، يتناول البيئة القطرية ، كجزء لا ينفصل بحال عن الوطن العربى والعالم الاسلامى ، يقتنى ويعرض ويصنف ويدرس ويحفظ ، كل ما يتعلق بهذه البيئة ، التى هى فى أساسها صحراوية بحرية ، فى الماضى والحاضر ، بحيث يمكن اتخاذ كل معرض فيه او قسم قائم ، نواة لمتحف متكامل عن أى موضوع بعينه من المواضيع التى يحتويها المتحف اليوم .

طموحات المستقبل

على ضوء ان المتحف كما ذكرنا ، متحف بيئى ، فان طموحات تطويره والاضافة اليه وتنمية أقسامه وفروعها لا يمكن أن تقف عند حد طالما وضعنا نصب أعيننا ضرورة ادراك الفرق الجوهرى بين (المعرض) و (المتحف) ... إذ أن (المتحف) بخلاف (المعرض) كائن حى ، ديناميكى دائم الحركة.

وهو بالضرورة بعد ان تسوى دولته التى أنشأته على أرضها ، إقامته ، يصبح ملكاً للانسانية المتحضرة كلها ، تماماً ، كالحال فى انشاء منارة فى عرض البحر لهداية السفن وارشادها وتعريفها بموقعها ، لا يملك منشؤها إلا أن يستمر فى العناية بها وصيانتها وتحديثها طبقاً لمنجزات العلم والتكنولوجيا المتطورة المستمرة ...

ومن هنا فان الأمل كبير ، بعون الله وهدايته ، أن يصبح متحف قطر الوطنى لدى سنة ٢٠٠٠ م ، فى سعيه نحو التكامل والتعبير التام عن البيئة القطرية بمفهومها العربى الصحراوى البحرى وتراثها الاسلامى كما أسلفنا ، وقد استوعب الفروع التالية واستكمل الشوط فى اقتناء وعرض ما يلى :

● معشبة (هرباريوم) كاملة يعرض فيها كل الأصناف النباتية الطبيعية القطرية ، معرفة تعريفاً علمياً كاملا ، ومعروفة الخصائص الدوائية والغذائية ، بصفاتها الاكاديمية بكل ابعادها .

● جميع أنواع الطيور ، المهاجرة والمقيمة والزواحف والثدييات والحشرات ، محنطة تحنيطاً علمياً راقياً فى صورة تحكى بيئتها الطبيعية ، وتجعل الناظر اليها ، دارساً كان أم مستروحاً ، كانما يراها فى حالة طبيعية حقيقية .

● جميع أنواع الحفريات المستحجرة من النبات والحيوان ، مما وجد فى طبقات الصخور القطرية او الخليجية ، معرفة تعريفاً علمياً تاماً ، ومرتبة ترتيباً استراتيغرافيا ، مع الصخور والحجارة القطرية من فوق ومن تحت سطح الأرض . موزعة على خريطة مجسمة لدولة قطر بحجم مناسب .

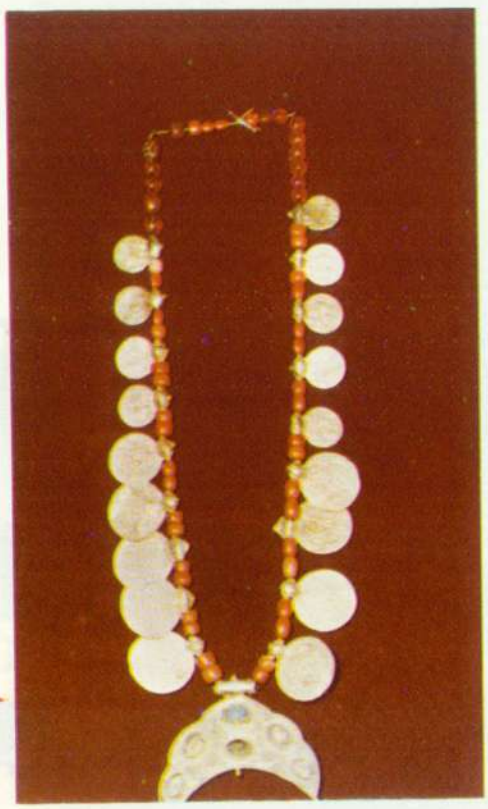
ويتبع هذا بالضرورة ، عرض متكامل شيق للثروة المعدنية على سعة الوطن العربى بين محيطه وخليجه ، مما يعطى للشباب العربى على وجه الخصوص ضوءاً من الانتماء الكامل للوطن على سعته .

وكذلك قصة البترول وتاريخه فى قطر والعالم ، وكيمياؤه ، واقتصادياته ،

حلية من فضة واحجار كريمة داخل المتحف



حلية من ذهب واحجار كريمة .





بعض مصنوعات البادية



نسيج يدوي



غرفة المرحوم الشيخ حمد بن عبد الله ال ثاني التي تمثل بساطة الحياة في تلك الفترة .

وانتشاره في الوطن العربي والاسلامي والعالم اجمع ، وعرض نماذج من كل اقطار العالم من البترول .

● عرض كامل لنماذج حية للقلاع والحصون التي لازالت آثارها منذ العصر العباسي باقية في ارجاء مختلفة من شبه جزيرة قطر ، ويتبع ذلك عرض كامل في نماذج مجسمة بمقياس رسم مبين ، لجميع معارك الاسلام الكبرى من بدر واحد وحطين وعين جالوت ونهاوند وبلاط الشهداء وغيرها من المعارك ذات التاثير في التاريخ العربي الاسلامي الذي تنتمي اليه قطر دون ادنى شك او ارتياب ...

● تنمية الاركان الخاصة بتاريخ العلوم والتكنولوجيا عند العرب والمسلمين ، وانشاء قاعات تحمل كل منها اسم عالم عظيم ، فقاعة لعلم الفلك باسم البيروني ، وقاعة للطب باسم الرازي ، وقاعة للرياضيات باسم الخوارزمي ، وقاعة للفيزياء باسم الحسن بن الهيثم ، وقاعة للكيمياء باسم جابر بن حيان ، وقاعة لعلم الاعشاب باسم ابن البيطار ، وقاعة لعلم الحيوان باسم الدميري ، وقاعة للتكنولوجيا والحيل الهندسية باسم ابن الجزري وهكذا ، مما يحيي في نفوس الشباب الهمة ويغمرهم بالحماس للعمل الجاد المنتج تجديداً لانتمائهم لأولئك الأفاضل الخالدين ...

● انشاء قسم متكامل لتاريخ صناعة الخبز في الصحراء العربية وانواع الحبوب ، واحصائيات وخرائط ومشاريع انتاج الحبوب في الوطن العربي على وجه الخصوص ومقارنة ذلك بمعدل تزايد السكان .

● انشاء قسم متكامل عن النخلة والتمور وتاريخ هذه الثمرة في الوطن العربي ، واحصائياتها المعاصرة ، وعرض كل ما يتعلق بالتمور نباتياً وغذائياً ودوائياً واقتصادياً ، زراعة ونمواً وتطوراً وتصنيفاً بحكم ان النخلة والتمر جزء من تراثنا العربي منذ قرون لا تحصى ...

● انجاز ذلك المشروع الأول من نوعه في العالم ، لدراسة المسكوكات الاسلامية تاريخياً وميتاليرجياً وتعدينياً وجغرافياً ، في معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية المقرر انشاؤه في الأرض الفضاء شمال غرب منظومة المتحف الحالية .

الماضي والمستقبل

ذلك بعض أمل مما يتطلع المتحف الى اضافته الى رحابه حتى منصرم القرن الحالي ان شاء الله .

وهذا يستدعي الافادة من الأرض الفضاء شمالي المتحف وجنوبه ويتطلب توجيه جيل من الشباب لارتياد الدراسات العلمية المختلفة التي تحتاجها تلك التوسعات التي أسلفنا ، وغيرها ، وعلى وجه الخصوص في مجالات علوم البحار ، إذ أن البحر عمود من عمد الحياة العربيه في الماضي والمستقبل بكل تاكيد .

ولا يفوتنا في الختام ان نؤكد ان اقتراح انشاء قاعات لتاريخ العلم والتكنولوجيا عند العرب والمسلمين لا يقتصر على ما انجز في الماضي ، بل يتعدى الى احدث ما وصل اليه العلم اليوم في تطوره ، بحيث لا نغفل مثلا ان يكون في قاعة ابن الهيثم للفيزياء بمتحف قطر الوطني عرض متكامل لكل ما وصل اليه الباحثون في مضمار الطاقة الشمسية فنحن في هذا المتحف لا نريد ان نقتصر على التغني بالماضي وامجاده ، إذ :

ليس الفتى من يقول كان ابي
إن الفتى من يقول ها انذا

وتلك من أهم قواعد رسالة متحف قطر الوطني .

درويش مصطفى الفار



داخل محلات بيع المجوهرات التى تنتشر في كل مكان بهولندا .

هولندا

بلاد الماس والزهور والصراع بين البحر والإرادة!

هولندا من : نادية رزق

بدت لى هذه البلاد ـ عندما حاولت أن القى عليها نظرة من الطائرة ـ وكأنها جنة خضراء تجرى فيها المياه .. ومع هبوط الطائرة كان الشكل أكثر وضوحا .. الأبنية ذات السقوف الحمراء تحيط بها من كل جانب بينما ترى بشكل هندسى الخضرة والأنهار وجداول المياه التى لا تكاد أن تغيب عن العين إطلاقا ! .



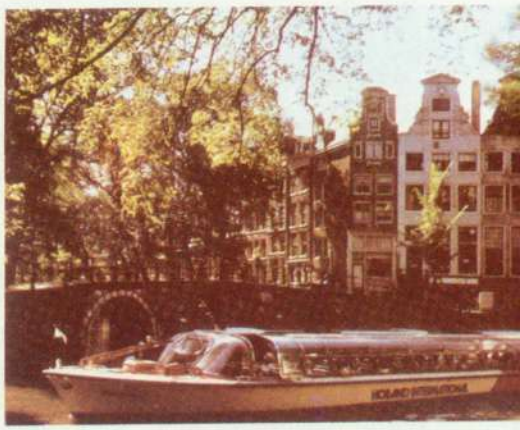
الأضواء تنعكس على مياه القنوات بينما تقف البيوت القديمة شامخة تحيطها خضرة الأشجار .. إنها لوحة منقوشة بابدع الالوان في قلب العاصمة امستردام .

وداخل مطار أمستردام الذى يبدو وكانه مدينة حديثة واسعة الأرجاء ، تنتشر المحال التجارية بكثرة ، الا أن أكثر ما يلفت النظر « ويزغلل » العين هو الفترينات المعروض بداخلها الماس بطريقة جذابة .

وفى الطريق الى قلب المدينة لفت نظرى احترام السائقين للاشارات الضوئية ولغيرهم من السيارات .. مما يعطيك انطباعا لمدى احترام الناس لقواعد وآداب المرور .. كما انك ستشعر منذ أول وهلة انك داخل قرية ضخمة ، فالأراضى شاسعة ترعى فيها الابقار .. وعلى البعد تبدو العمارات الزجاجية الشاهقة التى يقل ظهورها بالتدريج حتى تختفى تماما بمجرد الوصول الى مشارف المدينة !

وفى الصباح عندما تشرق الشمس تتلألأ أمستردام العاصمة بالاف الالوان ، وتنعكس خضرة الأشجار على مياه القنوات ، كما تنعكس عليها ألوان الأسقف الحمراء وزجاج النوافذ اللامع .. فتبدو المنازل وكانها منقوشة بابدع الالوان ...

وأثناء سيرى فى الشوارع القديمة ورؤيتي للترام العتيق الذى يخترق أهم المناطق ، والمراكب التى تتهادى فوق القنوات .. كان يخيل الى أننى اعيش فى



هولندا



مزارع هولنـــدي يعبر بابقاره إحـدى القنـوات في الريـف الـذي يتميز بالبسـاطة والجمـــال .

القرن السابع عشر ، فكل ما حولى يوحى بذلك ، ولهذا تصورت أننى أسير داخل بلاتوه سينمائى ضخم أقيمت ديكوراته فى هذا العصر ، لتصوير أحد المشـــاهد السينمائية التاريخية ، فالمبانى على حالها وقصور التجار والبحارة تنتشر على جانبى القنوات ، وفى وسط المدينة مربعات سكنية وشوارع بأكملها مازالت كما هى ، وحتى ما يبنى حديثاً فى هذه المناطق لابد وأن يطابق نفس الطراز للمحافظة على الشكل العام للمدينة القديمة !

والواقع أن مدينة امستردام تضم وحدها حوالى ٦٧٠٠ مسكن ، تعتبر أبنية تاريخية أثرية تساهم الحكومة مع أصحابها فى صيانتها وتكاليف العناية بها .. كما يعيش بعض سكان المدينة فى مراكب هى « منازلهم » أو « متاجرهم ! » ..

ومن المناظر المألوفة فى المدينة أن تتوقف المراكب التى تقل السائحين لشراء ما يريدون من هذه المتاجر المائية ، أو لمداعبة الأطفال ورد تحيتهم ! .

وقد سميت « امستردام » على اسم السد المقام أمام « الأمستيل » أو النهر الذى يخترقها .. ولن نعجب إذا عرفنا أنها مبنية على حوالى تسعين جزيرة ولذلك يطلق عليها « بندقية الشمال » .. ولو حسبنا القنوات داخل المدينة لوجدنا طولها ثمانين كيلومتراً ، أقيم فوقها أكثر من الف جسر !

وبما أن القنوات تشكل أكثر من خمس مساحة البلاد الكلية وتعوق حركة البناء والعمران ، فقد لجأوا الى حيلة هندسية وهى تجفيف عدد من البحيرات وإقامة سواتر خرسانية وسط المدينة ، ثم سحب هذه المياه وردمها بكميات هائلة من الرمال ، وبالتالى تحويلها الى أراض جديدة تساعد فى حل مشكلة الازدحام الحاد فى السكان ، ففى داخل الكيلومتر المربع الواحد يعيش حوالى ألف شخص ، وهى أعلى كثافة سكانية فى العالم ! .

العدو الحبيب

منذ قرون وهولندا فى حالة حرب .. حرب مع البحر نظراً لانخفاض أراضيها أربعة أمتار تحت سطحه ولذلك تســمى بالأراضى الواطئة ، وربما لن تستطيع هذه البلاد ان تنهى هذا الصراع أبداً ، فقوى البحر لا تهدأ قط .. والمعركة معه تنتقل من جيل الى جيل ، فهو عدو شرس ، لا ينسى أبداً أن أرض هولندا كانت ملكاً له ، ودائماً يسعى الى استردادها !

وفى مواجهة هذا « الغول » الشرس ، لجأ الهولنديون لحماية أنفسهم ببناء السدود والخزانات عند مداخل البحر لتقليل حدوث الفيضانات ومواجهتها .. وقد شهد عام ١٩٥٣ أسوأ فيضان فى هذا القرن إذ سبب خسائر قيمتها مائة مليون جنيه استرلينى ، وتحت تأثير هذا الخطر الداهم أنهى الهولنديون عام ١٩٨٠ مشروعاً ضخماً سمى « بمشروع الدلتا » ..

وإذا كان بحر الشمال عدواً رهيباً فى تاريخ هولندا ، فقد استطاع الهولنديون أن يتعاملوا معه الآن بقدر من الحب وان يحولوه الى حليف يستعينون به فى تنمية الصيد والتجارة ! .

وقد لعب بحر الشمال دوراً هاماً فى صراع هولندا الأكبر من أجل الاستقلال عن اسبانيا !

ففى عام ١٥٧٢ تمكن من عرفوا باسم « شحاذو البحر » فى إقليم هولندا من



سوق من اسواق الجبن المنتشرة فى هولندا .

السيطرة على منطقة « بويل وفلشنج » واستخلصوها من يد الاسبان وادى ذلك الى قيام ثورة عامة أدت الى انفصال المقاطعات السبع المتحدة وهى التى شكلت « الأراضى المنخفضة » عن كل من اسبانيا ومما يعرف الآن ببلجيكا .. كما استخدم الثوار عام ١٥٧٤ البحر مرة اخرى فى إغراق البلاد لحمايتها أمام هجمات الأسبان خلال حصار « ليدن » .

مركز عالمى للماس

ومن حسنات بحر الشمال أنه سمح للبلاد بالاستيراد بأسعار زهيدة . واول ما تستورده هولندا المواد الأولية لصناعاتها التى تمثل ٣٨٪ من دخلها القومى ، وان كانت صناعتها مازالت تقوم أساساً على إعادة تشغيل وتصنيع المواد الأولية الأجنبية ، أما انتاجها من هذه المواد فيتمثل فى ٩٧ الف مليون متر مكعب من الغاز الطبيعى سنوياً ، وهذه الكمية تكفى احتياجات نصف دول السوق الأوروبية ، و ١٫٤ مليون طن من البترول كما أن بها أضخم مصاف للبترول فى أوروبا ، فضلا عن ٣ ملايين طن من الملح ..

وهذا بخلاف صناعة الجلود ..وصناعة الأخشاب والصناعات اليدوية التى مازالت تشتهر بها هولندا مثل «الأحذية الخشبية» وهى على رأس الصناعات الشعبية ، وإن كان الحرفيون قد تناقصوا ، وتزايدات المصانع الآلية حتى بلغ انتاجها السنوى حوالى ثلاثة ملايين حذاء ..

أما صناعة « صقل الماس » فتبدو واضحة لأى زائر فمحال بيع وتثمين الماس تنتشر بكثرة فى كل شارع،وفى هولندا الاف المصانع التى تشترى الماس من جنوب افريقية على هيئة حجر خام يتم صقله بمهارة شديدة ، يخرج بعدها الماس الرائع الذى يخطف الأبصار ، فتتم إعادة تصديره بمبالغ خيالية لكل بلدان العالم ! .

أما أكثر الصناعات رواجاً فهى « صناعة الدراجات » ويبلغ عددها تقريباً مثل عدد السكان أى حوالى ١٤ مليون ، وهذا يعنى أن كثيراً من الأهالى يمتلكون أكثر من دراجة .. ومنظر راكبى الدراجات فى الشوارع الهولندية بديع ، فللدراجات قنوات خاصة لا يتعدى عليها أحد ، ومن المألوف رؤية الشبان والشابات والكهول والشيوخ وهم على دراجاتهم مما يخفف أزمة المواصلات العامة .

وكثيراً ما يرى الهولنديون ملكتهم السابقة « جوليانا » وهى تقوم بنزهتها الصباحية على الدراجة !

ومنذ قديم الأزل وهولندا تشتهر بمراعيها الخصبة وتربية الماشية ، ومنذ القرنين الثالث عشر والرابع عشر وانتاج البلاد يفيض عن احتياجاتها ، ومن ثم تصدر كمية كبيرة منه ، ويكفى ان نعلم أن انتاجها من أنواع الجبن بلغ ١٧٠ نوعاً اشهرها الفلمنك والجروييرا وبذلك تشتهر البلاد بأنها « أكبر مزرعة للألبان فى العالم » .

وفى مواجهة البحر كانت التكنولوجيا الحديثة التى وفرت امكانيات أفضل لتهزم بها الظروف الطبيعية ، ولتصبح الزراعة وسيلة لتحقيق صناعات زراعية قوية فى غيبة المصادر الطبيعية كالمناجم والمواد الخام ! .

فن وتجارة الزهور

السائر فى الشوارع الهولندية يصعب عليه رؤية أى شىء من خلال النوافذ عندما تكون مفتوحة لكثرة الورود والأزهار التى فوقها وحولها .. والواقع أن الهولنديين يعشقون الزهور ولون العشب الأخضر ..

والزهور فى هولندا ليست وسيلة للتجميل فقط بل هى تجارة ، ومربحة أيضاً حيث تبلغ أرباحها سنوياً حوالى ١٢٥ مليون جنيه استرلينى ، وتعد هولندا من أكبر الدول المصدرة للزهور وتقاويها ، كما أن بها أكبر حديقة للورد تسمى « كوكن هوف » تبلغ مساحتها ٦٦ هكتاراً ، وتنتج هولندا ٣٢ نوعاً من زهور التيوليب ، كما تشتهر بالقرنفل والورود والزنابق والأوركيد ..

وكما تشتهر هولندا بزهورها ومياهها وقنواتها وقباقيبها الخشبية تشتهر أيضاً بطواحين الهواء .. ويوماً ما كانت هذه الطواحين منتشرة بكثرة عبر البلاد لاستخدامها كمصادر للطاقة لطحن الحبوب واستخراج المياه لرى الحقول ، أما الآن فلم يتبق من هذا التراث سوى ٩٥٠ طاحونة يعمل منها ٢٠٠ فقط ، وتحاول الحكومة اتخاذ اجراءات مشددة للحفاظ على هذه الذكرى التى تعطى طابعاً متميزاً للبلاد !



لوحة تمثل ابن الفنان العالمي « رامبرنت » .. رسمها فى عام ١٦٤٨ .. يعتبر الفنان الهولندي « رامبرنست » من اعظم رسامي عصر النهضة الأوربية .

واستجابة لدعوة بعض العائلات كانت زيارتى لمدينة « ماديورادام » وهى اصغر مدينة فى العالم ، فهى هولندا المصغرة بكل ما فيها من معالم .. مبانيها .. شوارعها .. قصورها.. المطار .. الكبارى .. الحدائق ..

ومن يراها يظنها « ماكيت » مصغر لأحد المشاريع الهندسية ، فهى مدينة تذهل الجميع كباراً وصغاراً على السواء ، ولهذه المدينة قصة !! فقد فقدت احدى الأسر الثرية ابنها الوحيد وبدلا من أن تبكيه بنت هذه المدينة الصغيرة تخليداً لذكراه وبهذه الطريقة يستمتع الالوف بقضاء يوم ممتع داخلها .. وفى اثناء جولتى داخل هذه المدينة الساحرة وجدت أحد المصورين وهو يلتقط صورة لكل زائر بدون ان يشعر ، ويسلمها له عند الباب لتصبح مفاجأة وذكرى لطيفة !

حكاية مدينتين !

وكانت جولتى التالية فى مدينة « لاهاى » المدينة الهادئة التى تعد ثانى المدن فى هولندا .. وداخل المدينة تشعر بانك قد دخلت الى مكان لا يجوز فيه الا التقاليد الرسمية ، فالمدينة تضم البرلمان والمحكمة والمبانى الادارية والسفارات



طفلة بالزي الهولندي التقليدي يمسك ذراعها في « شقاوة » اخوها الذي يحمل باقة من الزهور .. ارباح الزهور فى هولندا تبلغ حوالي ١٢٥ مليون جنيه استرليني سنويا !





الزي الشعبي المتوارث في الريف الهولندي .. ثم لقطة لراكبة دراجة

ووقد اقاموها فوق كوخ لصياد ولذلك تسمى « إس جرافنهاج » ومعناه «كوخ الكونت» !

وترجع شهرة « لاهاى » بالطبع الى وجود محكمة العدل الدولية التى تعتبر من أهم الهيئات الدولية

أما المدينة الرابعة الشهيرة فى هولندا التى زرتها فهى « روتردام » وأهميتها تعود إلى كونها ميناء عالمي ضخما ، وقد أعيد بناء هذه المدينة مرة ثانية بعد ان قصفها الألمان فى ١٤ مايو ١٩٤٠ فأزالوها من الوجود فى خلال ٥٠ دقيقة .. غير أن الهولنديين بما جبلوا عليه من صبر ضد غوائل البحر استطاعوا بناءها ، واستعانوا بكل موارد وسبل البناء الحديثة للاحتفاظ بطابعها القديم فى الضواحى ، بينما شيدوا وسط المدينة بصورة عصرية ، فالشوارع والعمارات الشاهقة الزجاجية تبدو لنا على احدث طراز ..

وتعد الآن مدينة « روتردام » من أكثر موانى أوروبا ازدحاما بالحركة ، حيث يستقبل ميناؤها ١٧٥ سفينة مرة واحدة وتدخله سنويا حوالى ٣٢ الف سفينة ما بين سفن ركاب أو شحن أو ناقلات بترول ، بالاضافة الى استقباله لـ ١٢٠٠ سفينة للخطوط الداخلية ، وعلى ضفاف الميناء يمكنك مشاهدة مصانع تكرير البترول التى تزود كل أوروبا بحاجتها من الوقود .

وتشتهر هولندا بطرقها السريعة « الاوتوستراد » التى ربطت بينها وبين جيرانها فرنسا والمانيا وبلجيكا .. فما على الراغب فى التوجه لأى بلد من تلك البلاد سوى أن يسلك إحدى هذه الطرق الحريرية !

المسلمون فى هولندا

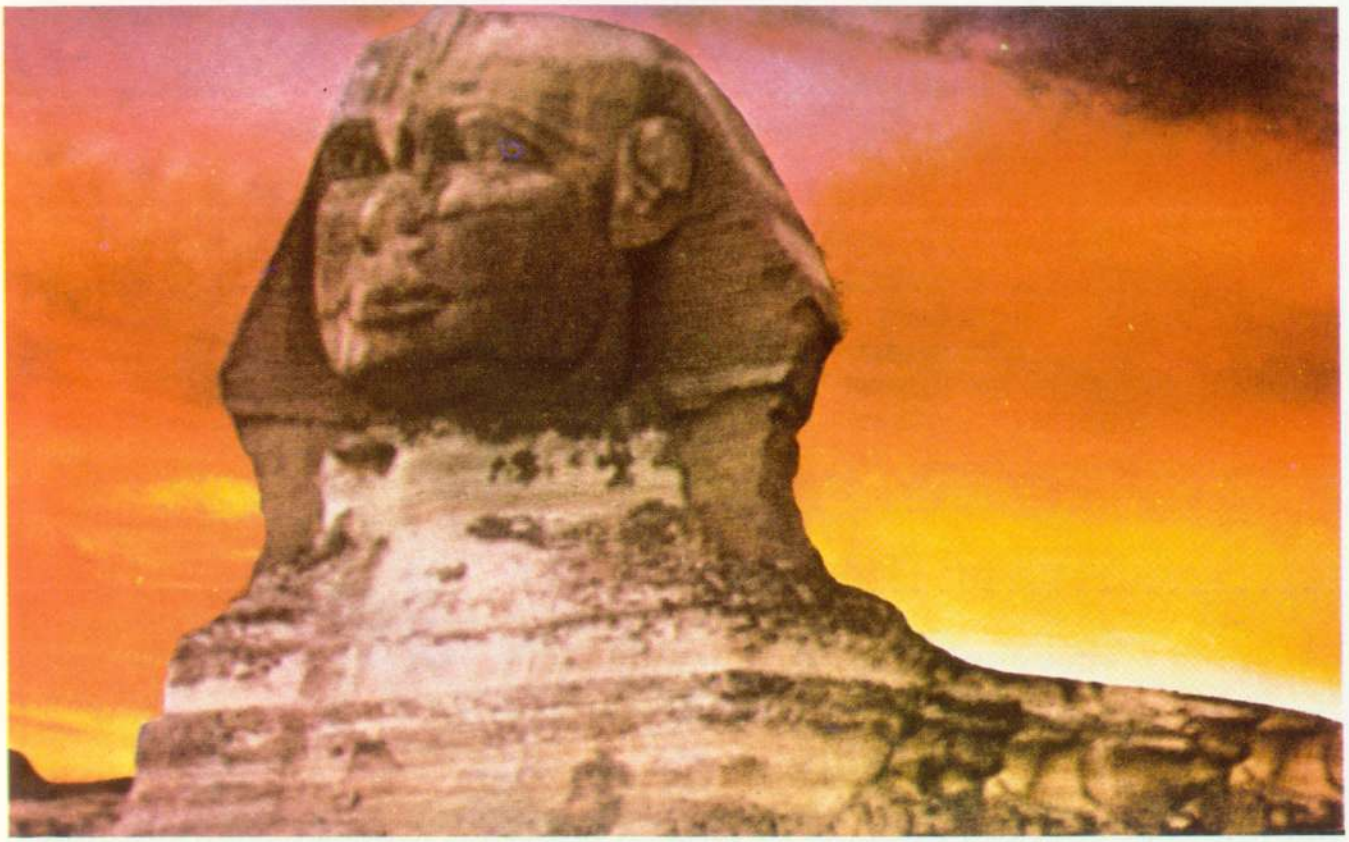
وفي هولندا يوجد أكثر من ٣٠٠ الف مسلم من جنسيات مختلفة مثل المغرب ، تونس ، اندونيسيا ، ماليزيا ، الهند ، تركيا وجزر الأنتيل التى كانت مستعمرة هولندية سابقة فى البحر الكاريبى ..

وقبل أن أغادر هولندا كان لابد من زيارة متاحفها ، وبالطبع عجزت عن رؤية معظمها فعددها يبلغ حوالى ٤٠٠ متحف تحتوى على أعداد هائلة ونادرة من لوحات الرسامين الهولنديين الذين كانوا من أعظم رسامى عصر النهضة الأوروبية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر مثل رامبرانت ، فيرمير ، وهالز ، وفان جوخ .

وهناك متاحف يونانية ورومانية قديمة ، ومتاحف للآلات البدائية ، ومتاحف للتاريخ الهولندى المائى والملاحى ، ومتاحف للأقمشة القديمة ، و السكك الحديدية والمواصلات ، وللتكنولوجيا الحديثة .. وغيرها .. وغيرها .. وكل مدينة بها عدد من المتاحف يأتى فى صدرها المتحف الوطنى ، ومتحف « رُبِك » ..

وعندما ودعت هولندا ، كانت هناك بعض الأشياء تدور فى مخيلتى ولا تبرحها مطلقا .. ألوان السقوف الحمراء ، ومجموعات الزهور التى تخطف الأبصار ، والخضرة التى تعطيك انطباعا بالراحة والهدوء ، وصوت جداول المياه ، ولوحات رامبرانت الرائعة التى انتهت حياته بالفشل ومات فقيرا معدما ! وغير ذلك من الأشياء التى لا يمكن ان تضيع من عقولنا ، ونحن نودع الأرض التى رأت أكثر انواع الصراع إثارة : الصراع بين البحر والارادة ! .

نادية رزق



على وجه « ابو الهول » وجسمه ، يبدو التآكل واضحا بفعل عوامل التعرية التى تسلطت عليه لبضع الاف من السنين ، وهناك محاولات جبارة لانقاذه من مزيد من التآكل .. لكن هيهات ، اللهم إلا إذا عزلناه تماما عن فعل تلك العوامل .

التعرية الطبيعية تقدم فنونها التشكيلية ؟!

بقلم : د . عبد المحسن صالح

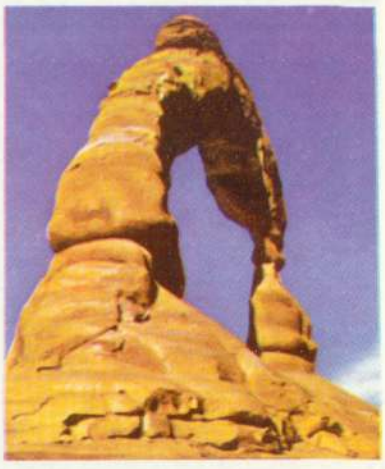
جولة سريعة فى مشارق الأرض ومغاربها .. فى هضابها ووديانها .. على شواطىء البحار ، أو فى الفيافى والقفار ، ستكشف لنا عن أشكال غريبة ، وتكوينات فريدة ، قد نحسبها من صنع فنان ، وما هى بكذلك ، بل جاءت عن طريق عوامل طبيعية نطلق عليها عوامل التعرية ، وهى التى تنحت فى الحجارة والصخور ، فتعطينا بعض ما نراه فى الصور المنشورة ضمن هذا المقال ، وكأنما هى من نحت انسان .

وعوامل التعرية كثيرة ومتنوعة ، منها على سبيل المثال لا الحصر سقوط الأمطار ، أو اختلاف درجات الحرارة بالليل والنهار ، أو لطم اليابسة بامواج المحيطات والبحار ، أو باندفاع مياه الجداول والأنهار ، أو بحبيبات الرمال التى تحملها الرياح ، أو بالرياح ذاتها .... الخ .. صحيح أن العملية جد بطيئة ، لكن اعطها عمراً طويلا يقدر بالاف وملايين السنين ، تعطيك نتيجة واضحة فى أشكال وتكوينات جذبت — ولا تزال — فكر الانسان فى كل آن وحين . وأحيانا ما ينسج حولها الحكايات والأساطير ، وقد يعيدها الى قوى خفية فيريح بذلك عقله من عناء البحث والتفكير!

لكن مما لاشك فيه أن كل شىء على هذا الكوكب يتبدل ويتغير ، أى أن دوام الحال من المحال — كما يقولون ، فلا الجبال تبقى



بعد بضع مئات أو آلاف السنين ، على أكثر تقدير ، سوف « تأكل » الأمواج هذه الصخور وتزيلها من الوجود ، لترسب في القاع على هيئة رمال .



كأنما هو تمثال جالس على ربوة ، ينظر إلى الأفق البعيد من فوق جبل .. لقد نحتت الأمطار والرياح الصخرة ، وأبرزت منها ذلك الفن المثير !

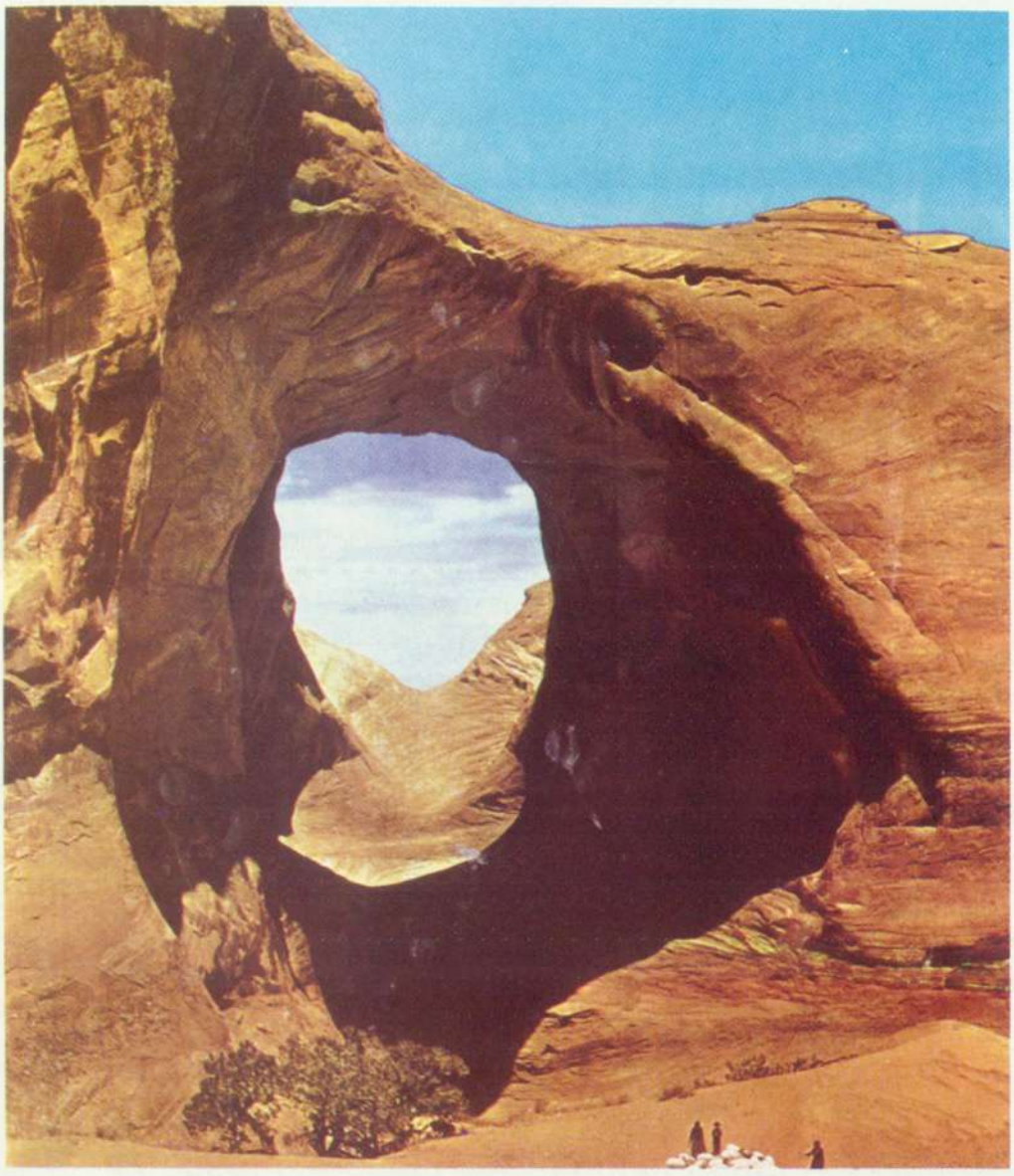


عندما تتساقط الأمطار ، أو تجري الأنهار ، تحدث عوامل التآكل والتعرية بمرور ملايين السنين ، ولا تترك إلا الحصى شديد الصلابة .

على حالها ، ولا الشواطىء تحتفظ باشكالها ، ولا القارات ثابتة فى مكانها ، ولا الكائنات الحية تستمر فى شبابها ـ بل ان كل شىء ـ حيا كان أو جامدا ـ يتعرض دائما لعوامل كثيرة تنال منه بوسيلة أو بأخرى ، فلا تبقى فيه ولا تذر .

ويبدو أن لكل عملية أو ظاهرة ـ فى الكون والحياة ـ وجهين متلازمين .. فحيث تكون التعرية ، فلابد أن يصحبها تغطية ، أو عندما يحدث تآكل فى منطقة ، فلا مناص من عملية ترسيب فى منطقة أخرى مجاورة ، أو قد تبعد عنها عشرات أو مئات أو آلاف الأميال .. فتربة وادى النيل الزراعية ليست فى الحقيقة الا جزءا من جبال الحبشة ، اذ عندما تتساقط عليها الأمطار بغزارة فى كل عام ، تحمل معها ملايين الأطنان من الغرين ، فتسرى بها مندفعة نحو النيل ، حيث يترسب منها جزء فى السودان ، والجزء الآخر يترسب فى مصر ، وباستمرار هذه العملية لملايين السنين ، يحدث التآكل فى الحبشة ، والترسيب فى مصر والسودان ، لتنتج منها ملايين الأفدنة من الأرض الزراعية الخصبة .. وما يجرى على نهر النيل ، يجرى فى أنهار العالم الأخرى ، وقد يصحبها وديان ودلتا كما هو الحال فى دلتا مصر سواء بسواء .

التعرية الطبيعية
تقدم فنونها التشكيلية ؟!



بوابة أو فجوة كبيرة متوجة بما يشبه الكوبري الطبيعي .. وهي نتيجة لتآكل الحجر الرملي في هذه الربوة بفعل المياه والرياح المحملة بالرمال



ليس من نحت إنس ولا جان ، بل من رياح شكلت ونحتت ، فكان هذا التمثال الذي يثير في العقل الخيال ! .

وكما تفعل مياه الأمطار والأنهار ، تفعل أيضاً الأعاصير والرياح ، فعندما تهب هذه أو تلك على مستوى ضخم ، تحمل معها أيضاً ملايين الأطنان من الغبار والرمال الكائنة في الصحارى والقفار ، وتسقطها في أماكن نائية وطبقة رقيقة من فوق طبقة من فوق طبقة .. الخ تعطينا أكواماً على مر مئات وآلاف السنين ، وقد تدفن تحتها الآثار والمباني القديمة ، وقد يكتشفها الانسان بعد ذلك ، وليس أدل على ذلك من أن تمثال أبي الهول قد غطته الرمال ودفنته لمئات كثيرة من السنين ، الى أن اكتشف الأثريون وجوده ، فأزيلت الرمال وظهر التمثال .

ثم أن عملية التآكل أو التعرية التي تقوم بها العوامل الطبيعية المختلفة ، ليست مقصورة فقط على الجبال ، بل نراها بوضوح في كل الآثار القديمة والحديثة نسبياً ، ونظرة عابرة على التماثيل أو الأهرامات أو المعابد والمنشآت القديمة ، تعطينا دليلاً حياً على تآكل واضح يحسب له المهتمون بالآثار ألف حساب وحساب .

لكن ذلك كله لا يوضح لنا سر تكوين هذه التماثيل أو التشكيلات الطبيعية التي تظهر على هيئة صخور شبه معلقة ، أو أشباه قصور وأعمدة وتماثيل من كل شكل وحجم ولون ... فلماذا مثلاً لا يحدث التآكل ، أو تتم التعرية بطريقة تدريجية ومستوية ، ودون أن يبرز جزء على حساب الآخر ، أو تحدث فيه تقوسات وفجوات وبروزات ، وكأنما هي توحي بالفعل أن هناك من قام بتشكيلها ونحتها ، لتجيء على هيئات شتى .

الواقع أن ذلك يرجع أساساً الى طبيعة الصخور أو الاحجار التي نشأ منها التكوين ، فهي تتكون عادة من مواد غير متشابهة في التركيب ، بمعنى أن بعض الأجزاء قد يكون صلداً ، وبعضها هشاً وغيرها رخواً ، أو ما بين ذلك تكون طبيعة المواد المتداخلة في التكوين الأساسي والقديم ، وطبيعي أن عوامل التآكل أو التعرية تؤثر في الأجزاء الهشة بسرعة أكبر من الأجزاء الصلبة ، ومن هنا يحدث النحت أو النحر بدرجات متفاوتة ، فيؤدي الى هذه الأشكال التي عرضنا منها جانباً ضئيلاً ، وبما يتسع له المجال .

خذ على سبيل المثال تكوينا يتركب من طبقة أو طبقات من صخور البازلت أو الجرانيت أو الكوارتز التى ترتكز على ما تحتها من أحجار أقل صلابة ، وعندئذ سوف يحدث التآكل فى الطبقات الجيرية السفلية بمعدلات أكبر ، ولا تزال هذه العملية سارية ببطء شديد ، ومن خلال زمنة تقدر بآلاف أو ملايين السنين،الى أن ينتج عنها رؤوس أو تكوينات صخرية ، ترتكز على قوائم أو أعمدة جيرية ، ثم لا بد أن يأتى الزمن الذى ينهار فيه التكوين الجيرى تحت ثقل الكتلة الصخرية ، اذ لا شىء الى خلود أو صمود مادامت معرضة الى تلك العوامل التى تتسلط عليها ليل نهار .

ثم أن التآكل فى أجزاء بمعدلات أكبر من أجزاء أخرى ، يرجع ايضا الى طبيعة المنطقة ، والمناخ السائد فيها ، فالأجزاء التى تواجه الرياح ، أو التى تتعرض لهطول الأمطار من ناحية أكثر من الأخرى ، أو التى تعترض مجرى مائيا متدفقا بمسارات أو روايا مختلفة ، كل هذا وغيره قد يؤدى الى تكوينات تجذب لغرابتها انتباه الانسان ، خاصة اذا كانت متعددة الألوان ، نتيجة لاحتوائها على تكاسد المعادن المختلفة ، وكأنما ينطبق عليها وصف الآية الكريمة « وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ ، وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ الوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ» (فاطر / ٢٧) ، والواقع أن هذا الوصف يدعو الى التأمل فى الطبيعة ، وهو يشير أيضا الى آيات الخلق ، حتى ولو كان ذلك على مستوى الجبال التى تزخر بها شبه جزيرة العرب ، ولها ـ ولغيرها ـ تعرض القرآن ، اذ أن فيها من التشكيلات العجيبة ، والألوان المتداخلة ما يستحق ملحمة شعرية لها وزنها



تآكل كيميائي سريع نسبيا وبغيض ، فطمس معالم هذا التمثال المرمري ، وكل تمثال آخر سواه مقام على كاتدرائية ميلانو بايطاليا نتيجة لتساقط الأمطار المحملة بالأحماض التى تنطلق من عمليات الاحتراق فى المصانع والسيارات ! .

دلائل ملموسة

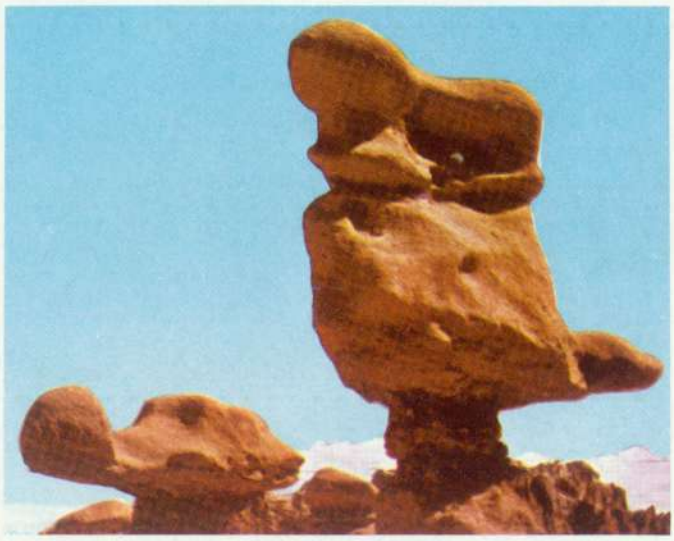
وقد يتصور الكثيرون أن عملية التعرية أو التآكل لا يمكن أن تؤدى الى كل ذلك خاصة وأنها قد تزيل جبالا لها مهابتها ، وقد ينشأ هذا التصور ، من كون الناس لم تشهد ذلك على الطبيعة ، وهم لن يشهدوه أبدا ، لأن الفترة التى يعيشون فيها لا تكاد تذكر بالحقب التى تقدر بملايين السنين فالعملية ـ كما سبق أن ذكرنا ـ جد بطيئة

ومع ذلك فمن الممكن رؤية أثر هذا التآكل البطىء على شواهد القبور ، أو جدران المنازل القديمة نسبيا ، وكلما كانت هذه البنايات معرضة لعوامل التعرية أكثر ، كان ظهور الأثر أسرع .. فالذين يقطنون بجوار شواطىء البحار ، حيث تسود الرياح والأمطار ، يلاحظون أن التآكل قد بدأ يسرى بمعدلات سريعة على الحوائط الخارجية أو النوافذ ، أو حتى الحديد (لأنه يصدأ أسرع ، والصدأ فى حد ذاته يعتبر نوعا من التآكل المعدنى) ... وقد يبدو ذلك واضحا بعد بضع سنين ، خاصة اذا تالفت عوامل الحرارة والأمطار والرياح على إحداث ذلك ، وهنا قد يرمم الناس ما تآكل .

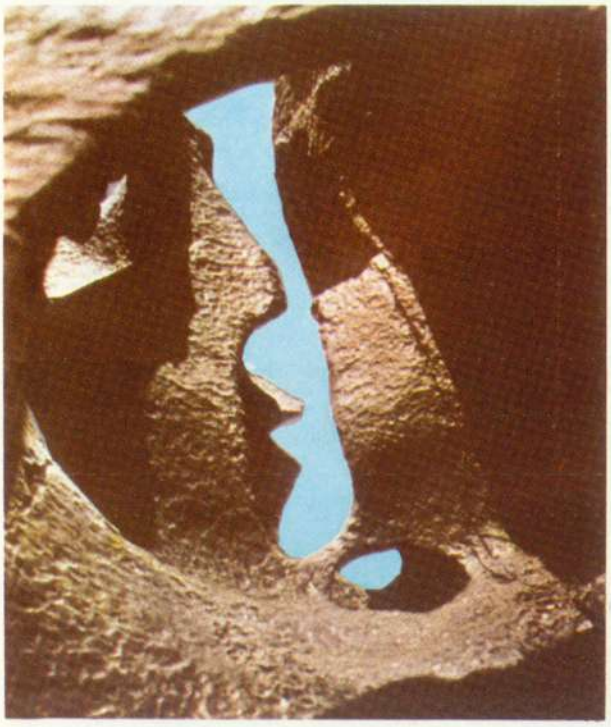
أذكر أننى رأيت لوحا زجاجيا معتما (أو كأنما هو مصنفر) فى إحدى صالات المتحف القومى بواشنطن ، والذى جذبنى إليه هو حب الاستطلاع ، اذ طرأ على الذهن تساؤل : وماذا يعنى وضع هذا اللوح هنا ؟ ... لابد أن له قصة ، وبالفعل كتبت عليه بيانات توضح أن هذا اللوح الزجاجى كان الواجهة الأمامية لاحدى السيارات التى داهمتها عاصفة رملية شديدة ، ففعلت به حبيبات الرمل المندفعة ما فعلت ، وهو نوع من التآكل الميكانيكى أو الاحتكاكى .

والذين يسكنون الصحارى يعلمون تماما ماذا تعنى العواصف الرملية ، ولقد عبر عن ذلك القرآن الكريم أدق وأوجز تعبير «وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ، فَتَرَى القَوْمَ فيها صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ، فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ

التعرية الطبيعية
تقدم فنونها التشكيلية ؟!



من كاليفورنيا ننقل ما تمخضت عنه عوامل التعرية هناك .. فالى اليمين صخرة « معلقة » وكانما تحمل تمثالا بدائيا لحيوان يشبه الأسد ، وإلى اليسار تشكيل يشبه سمكة متحجرة او اي شكل اخر قد يروق لك . !



هذا التشكيل الصخري الغريب الذي يشبه فى ناحية من وجه إنسان ، يمكن أن تراه فى مجرى النيل عند اسوان فلقد نحتت المياه الصخر فكان هذا الفن التشكيلي

بَاقِيَة» (الحاقة ٦ / ٨) .

وهى ايضا تلك الرياح ، أو الأمطار ، أو العواصف المحملة بالرمال ... الخ هى التى «تاكل» الجبال والهضاب والشواطىء وآثار الانسان القديمة ، واحيانا تجعلها فى كل أو بعض أجزائها خاوية أو متاكلة ، وكل هذا يحتاج الى زمن ، والزمن لا يرحم ، بل ينطلق كسهم مارق ، فيترك بصماته التى نراها على قسمات الناس ، وعلى الزرع والضرع ، والحجارة والصخور والجبال. وأضف الى ذلك ما تشاء ، فكل شيء الى اضمحلال وزوال ، ولايبقى الا وجه ربك ذى الجلال والاكرام .

ومع أن عملية الاضمحلال أو التاكل الكائنة على هذا الكوكب هى صنوان لعملية الهدم البطيئة ، إلا أن هذا الهدم فيه حياة للانسان والحيوان والنبات ، إذ أن التربة الزراعية لم تكن لتظهر الى الوجود ، لو لم تحدث عمليات التفتت والتاكل فى الأحجار والصخور ، وهذا ما نلحظه دائما فى الوديان التى تجرى فيها الأنهار ، أو التى تنحدر اليها مياه الأمطار من قمم الجبال ، فتمدها بالماء ، وتجدد خصوبتها بالمواد العالقة الدقيقة المتفتتة من الجبال ، ومنها الغرين على سبيل المثال ، فاذا غابت هذه المواد من موارد المياه لأى سبب من الأسباب (مثل السدود والخزانات التى يقيمها الانسان) ، حدث خلل فى التربة الزراعية ، مما قد يؤدى الى تدهور فى خصوبتها ، وكأنما كل شيء يسير هنا بحساب وميزان .

وقد يكون لهذه العملية ـ عملية التاكل ـ وجه اخر سيء ، ولقد شارك الانسان فى سيئاتها ، ويتمثل لنا ذلك فى ظاهرة التاكل الكيميائى ... صحيح أنها موجودة فى الطبيعة قبل أن يظهر الانسان لكنها تفاقمت مع حلول المدنية الحديثة ، وما صاحبها من صناعات ثقيلة ، ووسائل مواصلات كثيرة .

فالكميات الهائلة من الدخان والأبخرة ونواتج الاحتراق الأخرى التى تنطلق الى الغلاف الهوائى بملايين الأطنان فى كل عام ، قد تذوب مع هطول الأمطار ، وتؤدى الى تكوين الاحماض ... صحيح أن تركيزاتها خفيفة ، وتفاعلاتها مع المنشات المتساقطة عليها طفيفة ، لكن القليل مع القليل كثير ، ولاشك أن محصلتها بعد عشرات السنين تبدو واضحة للعيان .

يكفى أن نذكر هنا على سبيل المثال ما يحدث للتماثيل والآثار التى أقامها الانسان ، فعندما حمل الأمريكيون مسلة تحتمس الثالث ، وأقاموها فى «سنترال بارك» بنيويورك عام ١٨٨١ ، كانت فى حالة جيدة رغم ما مر عليها من الآف السنين ، وهى الآن تعانى من تاكل كيميائى واضح ، نتيجة لوجودها فى مدينة تنطلق فى جوها كميات هائلة من الملوثات الصناعية التى تذوب مع الأمطار ، حتى لقد قيل أن التاكل الذى حل بها بصعيد مصر فى آلاف السنين كان أقل درجات من التاكل الذى حدث لها فى نيويورك فى عشرات السنين !

وطبيعى أن هذه العملية المدمرة ليست مقصورة فقط على المسلات الفرعونية فى لندن أو باريس أو نيويورك ، بل تتعداها الى كل التماثيل والمنشات المقامة فى الميادين ، أو يظهر أثرها على جدران البيوت والمتاحف والمصانع .. الخ ، حتى أن واحداً من العلماء قدر ابعاد هذه الخسارة بعدة الآف الملايين من الدولارات على مستوى العالم فى كل عام .

هذه إذن لمحات قصار عن عوامل الطبيعة التى تشتغل بمعاولها غير المنظورة ، فتأتى بأشكال مثيرة ، وتكوينات غريبة ، أو تهدم فى مكان ، وتضيف فى آخر ، وتستمر فى دورات أزلية ما دامت هناك أرض ورياح وأمطار وأمواج ، ولكل عالم ما يناسبه ، حتى لا يبقى شيء على حال ... فدوام الحال من المحال «ولكن أكثر الناس لايعلمون» ! .

دكتور عبد المحسن صالح

إنهم يغتالون الإنسان!

بقلم: معروف رفيق

من خلف زجاج نافذة صغيرة بالطائرة وهى تحلق وتقترب من أرض المطار ، يطل رأسى بعينين واهنتين لتريا الوان قوس قزح فى الشوارع والميادين والمستديرات والأزقة

لم يكن قوس قزح طبيعيا ينعكس على صفحة السماء أو الأرض .. انه مجموعة من الالوان المتعددة التى تصطبغ بها هياكل السيارات ... بالألاف ...

المنظر يكرر نفسه مع الفارق .. فمنذ ثلاثين عاما كنت أطل من النافذة ربما فى أول رحلة لى بالطائرة ، فتسحرنى الالوان فى الحقول ، يغلب عليها اللون الأخضر لون الحياة فى الربيع .. فى الصيف لون الاشجار وقد تشبثت ببقايا الربيع .

فى الثمانينات .. الالوان تزداد وتتعدد .. حمر وصفر وزرق وخضر ومزيج من كل ذلك

ليست الوان الزهور التى نشاهدها فى حدائق الزهور ، وليست الوان ريشة فنان لوحة زيتية جميلة .. إنها الوان حضارة نهاية القرن العشرين .. الوان السيارات التى دفعت بها مصانع البلدان الصناعية ، لتحل محل الشجر والبشر ، ومن حولها ومن فوقها تقوم عمارات الاسمنت ، كاشجار غابة فى فصل الشتاء البارد ...

الجو الصافى الذى اعتدناه قبل ثلاثين عاما .. وربما قبل أربعين .. تعكر بالأزوت والمازوت وثانى أكسيد الكربون وغاز الرصاص القاتل .. كل ذلك يشكل طبقة من الغبار العجيب المفعم بالسموم .. طبقة مقيمة لا تغادر سماء المدينة تضغط على صدورنا وجهاز التنفس لدينا لتهدينا الموت بالتقسيط ....

ليس هذا ليلا تهاوت كواكبه من التماع السيوف ساعة اغبرار جو المعركة .... وليست تلك الالوان الصناعية كتلك التى وصفها أبو تمام وغير أبى تمام فى النيروز عندما تصحو أكمام الزهر وتتفتح براعم الشجر ..

وليست هذه العمارات الشامخة جبالا تعبث فى هامها الريح الصافية من أكدار الدنيا ..

وليس هؤلاء الناس الذين سالتقيهم بعد قليل ، كأولئك الذين لا زلت أذكر ملامحهم فى عهد الصبا .. انهم اليوم أناس اصفرت وجوههم عندما افتقدت كثيراً من أكسجين الدم على مذبح الحضارة الحديثة ...

أين المهرب وكل قرية أصبحت مدينة تضج بالحديد المتحرك ينفث سمومه كالحيات الأمريكية من ذوات الأجراس ...

من كان يتصور او يتخيل أن كل أسرة ستقتنى عدداً من السيارات يساوى نصف عدد أفرادها ...

ضجت الطريق من عبء حملها الثقيل ، وتمنت لو لم تكن طريقاً تئن على مدار الأيام

ضجت دائرة المرور من ازدحام المراجعين .. هذا يسجل وهذا ينقل ملكية ، وهذا يطلب اجازة سياقة ، وذلك يطلب تحقيقاً فى حادث وآخر يطلب موعداً للفحص وآخر يطلب من المستشفى شهادة وفاة على إثر حادث مرور

ضج المستشفى بصراخ الثكالى والفاقدين والفاقدات الصارخات على عزيز راح ضحية حادث مرور ولم يعد ...

قسم العظام مسرحية عبثية لم يكتبها صموئيل بيكت وانما كتبتها يد الانسان عندما اختار طريق الانتحار على الطرق باسلوب رخيص ترفضه السماء والأرض ..

(الكراجات) أكوام حديد وبيادر من هشيم الصفيح تنزف منها الملايين التى تصب فى حفائر العدم واللاعودة ...

شركات التامين شبكات أو شباك بالمعانى الحقيقية أو المجازية يؤمها المتضررون والصادمون والمصدومون لتضميد الجراح التى لا تبرأ بالمال أو التعويضات ...

إعلانات الصحف مؤطرة بالسواد على شباب قضوا فى عمر الزهور تنعيهم كلمات الأسى والأسف والمواساة دونما طائل لأن الميت ذهب ولن يعود ..

وكالات استيراد السيارات أشبه بدكان « الحانوتى » الذى يهيىء نعوشاً وتوابيت من خشب التيك المستورد الغالى ليكتب عليها « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ...

أسواقنا العربية القديمة لم تعد تستقبل الشعراء والخيل والابل .... انها اليوم « أسواق حراج » تباع فيها أحدث موديلات السيارات المطهمة التى فقدت أصالتها العربية مع الاستيراد ..

معاطن الابل وحب الفلفل الذى أتى على ذكره أمرؤ القيس استحالت كلها الى معاطن من نوع جديد تبرك فيها الابل الأمريكية واليابانية والالمانية موسومة بخاتم المصانع الغربية ...

الطلاب والشباب لم يعودوا يذهبون الى مدارسهم بكيس مليء بالرقاع والقراطيس وأقلام البوص .. انهم يذهبون بما خف حمله من الكتب ، وبكثير من الميداليات التى تحمل مفاتيح الفارهات من خيول العصر الصافنات ..

الطائرة حطت على أرض المطار .. أيقظنى صوت المضيفة ولم يوقظنى صوت المحركات النفاثة .. فكرت أن أعود الى منزلى ماشياً فطفقت أسير على رصيف ضيق ولو طال الطريق ..

أرتال من السيارات تمر بى وتبصق فى وجهى دخاناً وتخلف فى مسمعى لعنات عجلاتها المسرعة .. عناد لا طائل من ورائه وسخافة ما بعدها سخافة ... هروب حيث لا مهرب ، وتجديف ضد التيار .. لا أحد يصرخ معى قائلا انها « نقطة نظام » كما يقال فى مجالس النقاش والجدل ...

السيارات بالمئات تكاد تجرفنى بلا رحمة ... فلتتوقف احداها إذن .. فانا فيها ومن داخلها أكثر أمناً وأقرب الى المعقول ..

تحدثت مع أسرتى بلهجة متقطعة .. وطلبت منهم أن نفكر بصوت عال ومسموع ..سيفى قصير يا أهلى وعشيرتى ... قالوا بصوت واحد : تقدم خطوة .. يصبح سيفك طويلا ... وهانذا أتقدم بقلمى لا بسيفى .. فتقدموا معى ...



صورة للأرض التقطها رواد الفضاء على مركبة أبوللو ١٧ أثناء رحلتهم نحو القمر ، وهذه أول مرة يتم فيها تصوير الأرض من البحر الأبيض المتوسط شمالا في أعلى الصورة حتى القطب الجنوبي المتجمد في أسفل الصورة .. ونلاحظ كثافة السحب في كل من النصف الجنوبي من الكرة الأرضية ونرى الجزيرة العربية وشمال شرق افريقيا بوضوح كامل .

عالم الفضاء العربي الدكتور فاروق الباز الذي جاء إلى مدينة الدوحة أستاذاً محاضراً زائراً في جامعة قطر

١٨ عالما عربيا فوق سطح القمر

حوار : ليلى الحريري

- مدن فضائية معلقة بين السماء والأرض كحل لمشكلة الانفجار السكاني ! !
- التربة الزراعية على سطح القمر أصلح للزراعة من تربة الأرض بمقدار عشرين ضعفاً ! !
- تجرى الدراسات حالياً لاقامة أول منجم على سطح القمر ..
- جراحة القلب المفتوح ـ قمة التقدم الجراحي الطبي في العالم ـ لم تعرف قبل غزو الفضاء
- التجسس .. ليس شراً كله .. هكذا يؤكد المفهوم الحديث له .
- كيف يمكن تقسيم المطلق الفضائي بين دول العالم ! ؟



عندما التقيت به استاذاً محاضراً زائراً في جامعة قطر بمدينة الدوحة ، ادركت ان معاناة الرحلة باثقالها المختلفة لم تؤثر على توهجه العلمي الذي ساهم ويساهم في دفع مسيرة الحياة نحو الافضل .

ولد عالم الفضاء العربي الدكتور فاروق الباز في عمق الريف المصـري وهو يؤكد ذلك بفخر واعتزاز ، في بلدة اسمها طـوخ بمحافظة القليوبية ، في أسرة قوامها تسعة أبناء يحتل هو موقعاً متوسطاً بينهم . وبدأ تفوقه العلمي منذ كان يحبو في مسيرة العلم ، وحتى وصوله إلى اعلى درجاته ..

وظل يحمل سلاحه ـ علمه ـ إلى أن خرج من وطنه العربي إلى عالم الغرب أو بتعبير أدق ارغمته الظروف على ذلك عام ١٩٦٧ .

وحين تسلل الدكتور فاروق الباز خارج وطنه .. لم يكن يحمل مجرد شهادة علمية تؤكد تفوقه .. ولم يكن يحمل فقط موهبته التي تميزه ، أو همومه الخاصة التي وضعته أمام خيار الاغتراب طريقاً للبحث عن الذات .. كان يحمل فوق هذا وذاك مخزون التراث الحضاري العربي . فهو ابن هؤلاء الرواد الذين خلدهم التاريخ .. الذين وضعوا اللبنات الأولى والدعائم الاساسية في صرح الحضارة العالمية الحديثة . وتلقفته يد الغرب لتفتح أمامه كل فرص المزيد من الاجتهاد والتفوق والابداع .. ولتنهل كذلك من عصارات فكره وعلمه كما ارتوت من قبل من ينابيع الحضارات العربية التي اقامها اجداده .

ولأن الموهوبين وحدهم لهم طبيعة خاصة تحكم مسار عطائهم .. وبالتالي تتفرع بهم إلى مسالك ودروب مختلفة عن باقي الجموع ، فقد بزغ نجم الدكتور الباز كعالم للفضاء بعد أن أفردت له الولايات

١٨ عالما عربيا فوق سطح القمر

المتحدة الأمريكية الوانا من التقنيات الحديثة على مائدة المناخ العلمي المتقدم هناك .. فانهمر عطاؤه ، وذاع صيته في العالم أجمع .. وهنا فقط وللأسف الشديد أحس وطنه العربي بغيابه مفكراً وعالما متميزاً ومرموقاً .. بل واحد نماذج تسرب عقولنا العربية إلى الخارج .. وكان هذا أحد المحاور الهامة في حوارنا معه .. وتبقى هناك محاور عديدة ..

يقول الدكتور الباز :

ـ يدهشني ويحزنني غياب الانسان العربي عن صنع حضارته .. فعلى الرغم من أن الأجداد العرب بانفتاحهم على تراث العالم ورموزه المختلفة ، قد أقاموا حضارة عربية خاصة بهم خلدها التاريخ بل واعتبرها بحق الدعامة الاساسية للنهضة الغربية الحديثة ـ على الرغم من ذلك ـ إلا أن الاحفاد للأسف يعيشون تحت سيطرتها ، وليسوا ساداتها كما كان متوقعاً لهم ..

ولأن لكل حضارة طريقتها الخاصة في التفكير وبالتالي في أسلوب تعاملها مع الذات خاصة ومع الآخرين بوجه عام .. كما وأن لها أيضاً تكنولوجياتها وثقافتها ، وبالتالي انسانها الذي يعكس مجموع كل هذا .. فان الانسان العربي يفتقد ملامح تواجده في الحضارة الحديثة فناناً ومفكراً ومبدعاً .

العرب يسترشدون بالنجوم

يستطرد الدكتور الباز :

ـ والحضارة الغربية لم تتقدم من فراغ كما سبق أن أشرت ، بل من القواعد الحضارية الأساسية التي وضعها الأجداد .. من هنا فان أغلب العلوم الحديثة ومنها علم الفضاء تدين بالفضل الى العلماء العرب الذين أدى ولعهم الشديد بالعلوم الفلكية الى اكتشاف أخطر وأهم الآراء العلمية التي ظهرت حتى وقتنا الحاضر .. والمسيرة طويلة .. تمتد الى زمن الجاهلية .

ولم يكن عرب الجاهلية يملكون دراسات منتظمة في علم الفلك ، ولا أرصاداً تضم أحدث الأجهزة العلمية كما هو الحال الآن .. بل إن معلوماتهم في هذا الشان كانت لا تخرج عن الاسترشاد بالنجوم في الصحراء لتحديد مسار قوافلهم تجنباً للمخاطر . كما كانت طبيعة حياتهم في الخلاء فرصة كبيرة لامعان النظر الدائم في السماء وما تحمله بين طياتها من كواكب ونجوم . وكان القمر ـ أقرب الجيران الى الأرض ـ هو أكثر الأجرام السماوية إثارة للانتباه بسبب التغير المنتظم في شكله من زيادة ونقصان.

ثم جاء الاسلام .. ومنذ بداية العصر العباسي حدث تطور شامل في نهضة العرب العلمية في كافة المجالات ازدهرت بشكل خاص في الفترة ما بين القرن السابع الى القرن الرابع عشر وكان من نتائجها انشاء أكاديمية علمية في بغداد أطلق عليها «بيت الحكمة» تضم مكتبة ضخمة ومرصداً سجلت من خلاله مختلف الظواهر الفلكية التي صدرت في مؤلفات عديدة تعتبر حتى الآن مرجعاً هاماً في علوم الفضاء .

لا عجب إذن بعد كل ما سبق ـ والحديث ملازال للدكتور الباز ـ أن نجد على سطح القمر في الوقت الحالي أسماء ثمانية عشر عالماً عربياً ممن ساهموا بأبحاثهم في فهم الكون أطلقتها جمعية تسمية تضاريس القمر التابعة للهيئة الفلكية العالمية ، ـ والتي انا عضو فيها ـ على بعض التضاريس الجديدة هناك تخليداً لذكراهم وتقديراً لجهودهم في مجال البحث العلمي الذي قاد الى النهضة الحضارية الحديثة في مجال علوم الفضاء.

ما يحضرني الآن من أسماء هؤلاء العلماء .. أبو الفداء ، ابن فرناس ، ابن يونس الذي كان أول من قام بقياس مواقع الكواكب السيارة بعضها الى بعض ، ابراهيم الفزازي ، أحمد بن عبد الله المرودي ، أبو العباس الفرغاني ، أبي عبد الله بن عيسى المهاني ، أبو الحسن الصوفي ، أبو الريحان البيروني ، القزويني محمد الخوارزمي ، جابر بن حيان . والرحالة الجغرافي الشهير ابن بطوطة حيث ساهمت خرائطه الجغرافية في فك بعض الرموز على سطح القمر للتشابه الكبير بين سطحه وسطح الأرض ، ثم العالم الاسلامي عمر الخيام الذي أقام مرصداً قدم من خلاله بحوثاً مفيدة فيما يخص دوران الكواكب حول الشمس .

الأمن الغذائي ضروري للعلماء

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا الصدد .. لماذا تفوق العلماء الاقدمون ؟ .. ما هي أسباب قيام النهضة المصرية واليونانية والصينية والهندية والعربية القديمة ، ثم النهضة الامريكية الحديثة ؟!. ما هو نوع المجتمع المناسب لكي يحيا فيه الانسان حياته الطليقة مفكراً ومبدعاً ؟ . هل يمكن أن يتحقق ذلك في مجتمع يعاني التناقضات الاقتصادية.أو .. هل يمكن أن يتحقق في مجتمع يفرض السيطرة الكاملة على مذاق الانسان واختياراته ؟ .

يؤكد الدكتور الباز إن هذا التحقق لن يتم إلا في مجتمع يكفل لأفراده الطمانينة على الحاضر والمستقبل .. مجتمع يتركز فكر انسانه في المشروعات المستقبلية وليس في المفردات اليومية .. أو بمعنى أدق مجتمع يملك فائضاً من الغذاء . فالحضارات القديمة استطالت هاماتها لأن انسانها عاش مطمئناً على غده . والولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الوحيدة التي تملك فائضاً من الغذاء لذلك تتربع على عرش التقدم الحضاري .

وبطبيعة الحال .. فانه لا شيء يوجد من العدم .. وهذا يفرض على كل دارس أن يقتدي بسابقيه ويتعرف على خبراتهم العلمية وتجاربهم حتى يتسنى له أن يعمق رسالته في العلم ثم يتجاوز هذه الخبرات بما يحقق لوطنه عالماً متكاملا .

وأمامنا نحن العلميين والمثقفين العرب فرصة ذهبية .. لقد تقدم الغرب تقدماً كبيراً بما يتناسب مع بيئاتهم .. علينا أن ندرس قواعد هذا التقدم وبناءه ثم تطويعه وتطويره بما يصلح ويناسب البيئة العربية فنخلق بذلك حضارة عربية مستقلة من صنعنا نحن وليست من صنع الآخرين .

مدن فضائية بين السماء والأرض

ويمتد الحوار ويتدفق ليصل الى رحلة الفضاء والوصول الى القمر مخترقاً مساحة زمنية طولها ستة وستون عاماً بدأت باول محاولة بشرية في العصر الحديث لاقتحام الفضاء . قام بها الأخوان «رايت» اللذان قاما بتجربة طيران في طائرة من صنعهما في السابع عشر من ديسمبر عام ١٩٠٣ ، وحتى الهبوط على سطح القمر في العشرين من شهر يوليو عام ١٩٦٩ .

كان الهبوط على سطح القمر أمراً يتجاوز حدود الخيال ولكنه تحقق فعلا بواسطة الأمريكيين . وعاش رائدا الفضاء «نيل أرمسترونج» و «أودين الدرين» على سطحه ساعتين وأربعين دقيقة بالتمام والكمال .. ثم عادا الى الأرض يحملان كنوز القمر في صناديق مليئة بالصخور والعينات من سطحه .. وهللت البشرية كلها .. وانتظر العالم أجمع نتائج البحوث حتى يستفيد من الامكانات الهائلة التي

أتاحها غزو الفضاء .

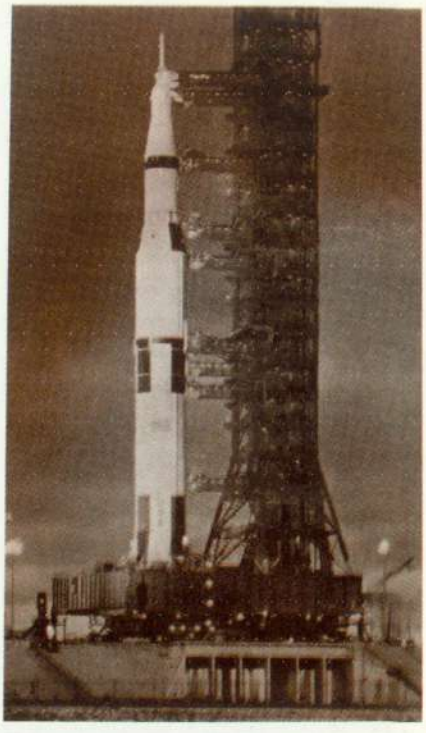
ولكن الغموض أخذ يلف الكثير من النتائج .. وصمتت أجهزة الاعلام الأمريكية التى ملأت الدنيا ضجيجاً إزاء هذه الرحلة التاريخية .. ولم يعد يتسرب من أخبار البحوث الفضائية إلا القليل ..

ماذا حدث ؟! .

هل فقد الأمريكيون حماسهم للقمر ذاته بعد أن خطت عليه أقدامهم ؟ . أم أنهم كشفوا من كنوزه وحلوا من رموزه ما فضلوا الاستئثار به دون العالم أجمع ؟ .

يضحك الدكتور الباز بذكاء محسوب لهذه النتيجة التى لا ينفى بعضاً منها .. يقول إن الفكرة الاساسية من قيام مشروع أبوللو لغزو القمر التى بدأت عام ١٩٥٧ كانت تهدف إلى الارتقاء العلمي والتكنولوجي في الولايات المتحدة الأمريكية فى إطار التسابق العلمى مع الاتحاد السوفيتى الذى كان قد أطلق صاروخه «سبوتنيك» فى أكتوبر عام ١٩٥٧ .. المسألة كانت مجرد منافسة علمية ولكنها تكلفت ٢٤ بليون دولار أمريكى !!!

ولكن مشروع «أبوللو» حقق نتائج غير متوقعة بعضها أخذ طريقه الى حياتنا اليومية والى أبعد مما يدركه معظم الناس. فجراحة القلب المفتوح مثلا وهى قمة التقدم الجراحى الطبى فى العالم لم تعرف قبل غزو الفضاء ـ وإنما نتيجة له ـ . فقد



صاروخ يحمل مركبة الفضاء أبوللو ١١ إلى القمر

استلزم الأمر تصميم واعداد غرفة كاملة النظافة يدخلها الهواء فى طبقات لا يختلط بعضها ببعض حتى لا تؤثر على نتائج تحليل العينات .. ثم استعملت نماذج مماثلة لها بعد ذلك فى جراحات القلب المفتوح .. والأمثلة كثيرة للتطبيقات العلمية لنتائج البحوث التى أجريت لغزو الفضاء أو نتيجة له .

ولكن هناك جزء خاص من نتائج هذه البحوث يحيط الغموض كثيراً من تفاصيله لأن الأمريكيين يفضلون الاستئثار به فعلا .. فقد دلت بحوثهم العلمية على أن الصخور البركانية الموجودة على سطح القمر تحتوى معدن التيتانيوم بنسبة تتراوح ما بين ٧ ـ ١١ فى المائة من حجمها بينما لا تتجاوز نسبته على سطح الأرض ٤ فى المائة فقط . هذا المعدن باختلاطه بالحديد ينتجان مادة الصلب التى تستعمل فى عمل نفاثات الطيران مثلا . لذلك فان الدراسات الأمريكية تجرى فى الوقت الحالى لاقامة منجم لهذه المادة على سطح القمر .. ليس هذا فحسب بل واقامة بعض الصناعات فى مكان ما من الفضاء يتحقق الانتاج فيها بشكل أسهل مما يتم به على سطح الأرض .

هذه الصناعات ـ يكمل د. الباز ـ سوف تقام فى مدن فضائية معلقة فى نقطة ما بين الأرض والقمر . وبما أن الأرض تدور حول الشمس والقمر يدور حول الأرض ، فان هذه النقطة ستكون فى موقع ثابت ما بين الأرض والقمر تبعد عن الأولى ثلاثة أرباع المسافة وبالتالى سوف تدور فى مدارات ثابتة وبدرجة معينة فى الفضاء وبجاذبية محسوبة مساوية للجاذبية الأرضية .. وسوف تنقل اليها القوى البشرية التى ستعيش فيها وتدير مصانعها ، وكذلك الماء والطعام والآلات من الأرض بطبيعة الحال .. أما التربة الزراعية فسوف تنقل اليها من سطح القمر لأنها أصلح للزراعة من التربة الأرضية بمقدار عشرين مرة .. فالمعادن فيها مازالت بكراً لم تمتد اليها يد .. كلها بدايات الى أن تدور عجلة الحياة وتستقر في هذه المدن الفضائية .

وبهذه المناسبة يلزم التنويه الى أن هذه المدن الفضائية هى أحد الحلول المستقبلية المطروحة لحل مشكلة الانفجار السكانى على الأرض ـ الى جانب مثيلاتها التى سوف تستقر فى أعماق البحار .. هذه هى البدائل وليس هناك خيارات أخرى .

التجسس ليس شراً كله !

قد تبدو هذه المشروعات الفضائية نماذج للاعجاز العلمى الذى نقف على أبواب عصره ، ولكن العلم ليس بريئاً فى كل الأحوال ، وليس حسن الأخلاق كما يبدو فى الظاهر .. لأن له على الجانب الآخر استخدامات كثيرة يشق على البشرية استيعابها كالاستخدامات الذرية مثلا . وبما أن التقدم العلمى قصر على الدول المتقدمة دون غيرها .. هى وحدها تملك وسائله العلمية ومفاتيح تكنولوجياته .. فالمعادلة إذن صعبة .. والموازين غير متكافئة .. فكيف يمكن للدول النامية مثلا أن تحمى سماءها من استغلاله فى أعمال لا أخلاقية مثل التجسس مثلا ؟! ..

يقول الدكتور الباز : إن التجسس ربما كان يعتبر عملا غير أخلاقى فى الماضى .. ولكنه فى العصر الحديث أصبح ضرورة لابد منها تؤدى الى منع الحروب وتساعد على حماية أرواح الناس .. وبالتالى تغيرت النظرة الى مفهومه لدرجة أن الولايات المتحدة الأمريكية كثيراً ما تشعر بالارتياح حين تكشف الأقمار الصناعية الروسية عن القدرات العسكرية الأمريكية ، والعكس صحيح .. الأمر الذى يجنح بكلا الطرفين الى جانب الحكمة .. بدلا من التهور .

وعلى الرغم من أن الاستطلاع من الفضاء بالشكل الموسع مازال حكراً على الدول المتقدمة أو على الأصح على الولايات الأمريكية والاتحاد السوفيتى .. إلا أن هناك دولا أخرى تملك أقماراً صناعية مثل الهند وفرنسا وكندا واليابان ، والصين التى تعمل فى مشروع للفضاء تقوم عليه بنفسها .. فالباب مفتوح للاجتهاد والسبق

● ولكن ما هى حدود استخدامات الفضاء والقوانين المسموح بها دولياً ؟ .. ما هو نصيب كل دولة من دول العالم فى هذا المطلق الكونى الذى حير العلماء والباحثين ، وألهم الشعراء والمفكرين منذ بدء الخليقة وحتى الآن ؟ .. وكيف يمكن توزيع الفضاء على أقطار العالم المختلفة وفق الحدود الاقليمية المتعارف عليها لكل دولة ؟! .

يقول الدكتور الباز إن هيئة الفضاء الأمريكية قد فكرت فعلا فى مسألة تقسيم الفضاء والقوانين التى تحكم الاستخدامات التكنولوجية فيه . ولم يكن هناك بالطبع احتمال تقسيمه وفق الحدود الجغرافية المتعارف عليها لكل قطر ، لأن مدارات السفن الفضائية مستقيمة فقط وغير قابلة للتعرج كما هو الحال على سطح الكرة الأرضية ، وبالتالى فان كل سفينة فضائية لها مدار خاص محدد ومستمر ولا تختلف فيه على الاطلاق . ومع ذلك فقد وضع رجال القانون فى هيئة



اول من هبطوا على القمر : من اليسار إلى اليمين نيل ارمسترونج ، مايكل كولنز ، وادوين الدرين

الفضاء الامريكية مع هيئة الامم المتحدة قواعد عامة للاستخدامات الفضائية تبيح لجميع دول العالم استخدام الفضاء على أن يكون لكل منها مدار مستقل عن مدار الدول الاخرى مثل محطات التليفزيون .. وان يقتصر هذا الاستخدام على الاغراض السلمية فقط ، كما يحذر استخدام اى شيء ذرى فى الفضاء مهما كان حجمه او اهميته لأن العلم مازال يجهل مدى تاثيره على الأرض والغلاف الجوى المحيط بها .

استيراد التكنولوجيا لا يقيم حضارة

وبعيداً عن الفضاء حيث نقترب من الأرض الطيبة يعرج بنا الحديث مع الدكتور فاروق الباز .. الانسان .. ابن البيئة العربية الخصبة التى افرزت الكثير من العلماء الذين توغلوا بمشاعل الحضارة عبر التاريخ ، لنقف على موقع الواقع العربى من الحضارات الحديثة بوسائلها العلمية والتكنولوجية المتقدمة ، ومدى ملاءمة نظمنا الاجتماعية والتعليمية على وجه الخصوص فى التعامل مع مفرداتها ، ثم ما هو الطريق الى التواؤم معها والالتصاق بها ؟ ..

يقول الدكتور الباز عالم الفضاء العربى الشهير .. إن العالم العربى شانه شان كل بلدان العالم النامى قد فرضت عليه الثورة العلمية والتكنولوجية إضافة الى إرث التخلف من عهود الاستعمار ـ تحدياً حضارياً .. يكون .. او لا يكون ! .. وهو يدرك أن التنمية هى سبيله الى الخلاص . ولكن اية تنمية ؟! .. هل استيراد التكنولوجيات فى حد ذاته كفيل بان ينقله الى مصاف البلدان المتقدمة وينشل مجتمعه من التخلف ؟ هل يتحقق ذلك عن طريق الاعتماد على ما يقدمه المجتمع الغربى من عون او فائض ؟! ..

بالتاكيد لا .. إن التكنولوجيا وحدها لا تخلق حضارة ولا تصنع تنمية ، لانها تعبير وانعكاس لمستوى حضارى ونتاج له بكل عناصره .

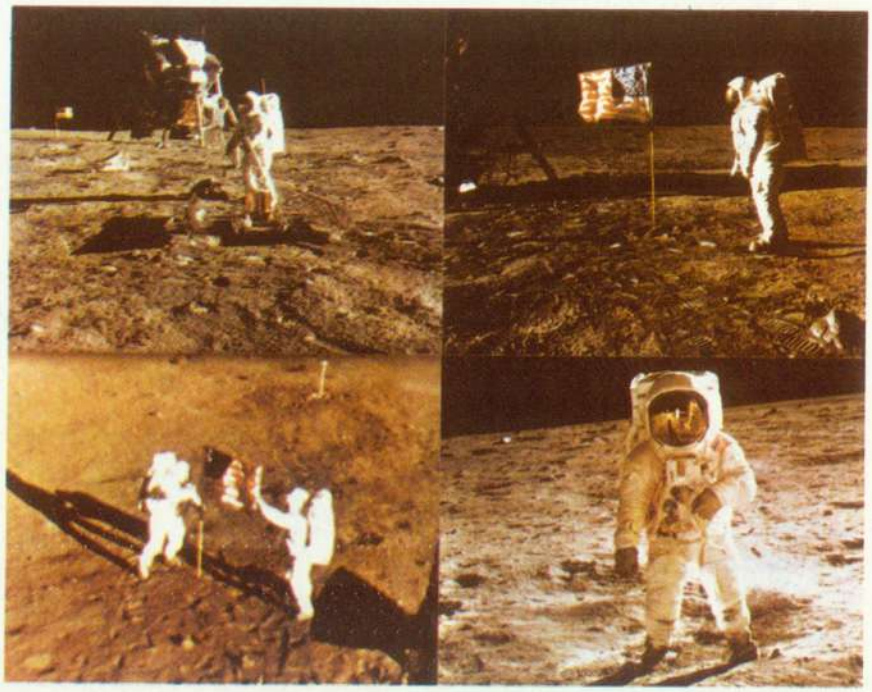
امامنا خياران لا ثالث لهما .. إما ان نظل نستقطب التكنولوجيا بشكل عفوى وهذا شرك يقع فيه كثير من الدول العربية ، .. او يتم استيرادها على اساس انتقائى بحيث يمكن ملاءمتها او تطويعها لتتناسب مع استراتيجيات التنمية .

اما سياساتنا التعليمية فى الوطن العربى بشكل عام فهى جيدة . إنها ماخوذة من السياسات التعليمية المتبعة فى الغرب ودور الجامعات والمؤسسات العلمية فى حقل البشر واعداده وتنميته والنهوض به ، دور صميمى لا يمكن اغفاله .. بقي كيفية استفادة المجتمع من المخزون العلمى لدى الدارسين بما يناسب البيئة الطبيعية والبشرية ويستجيب للبنية الاجتماعية والاقتصادية وبما يتفق فى النهاية مع الاهداف القومية .

هناك مثال واضح لما اقول فى مجال الطاقة مثلا .. تؤكد الدراسات أن البلدان العربية تواجه تحدياً هائلا فى مجال النفط مع اقتراب نضوب موارده مع بدايات القرن القادم . ولكن الدول العربية تملك بدائل رائعة على راسها الطاقة الشمسية التى يبلغ معدلها ثلاثة آلاف ساعة سنوياً بينما لا يزيد هذا المعدل فى الدول الغربية عن عشر ساعات فقط !! .. وبالمثل الطاقة الحرارية الأرضية والطاقة النووية والطاقة الكهرومائية .. الخ .. البدائل كثيرة ومصادرها ثابتة لا تنضب ينقصها فقط الاستغلال الأمثل ! .

● والحديث عن البيئة وكيفية استغلالها بالشكل الأمثل يذكرنا بامل لم يتحقق أضاءه الدكتور الباز حول الثورة الخضراء فى الصحراء الغربية باعتبار انها مليئة بالمياه الجوفية .. بل ولا تشير الدلائل الى نجاح ما بصدده ..

ويدافع الدكتور الباز بحماس عن مشروعه مركزاً على حقيقة هامة وهى أن العلم والتكنولوجيا فى السنوات القليلة القادمة كفيلان بتقديم حلول جذرية لمشكلات حياتية عديدة يواجهها العالم ـ عدا مشكلةالغذاء !! . لأن تعداد السكان فى العالم فى زيادة مضطردة ومخيفة ، وبالتالى فان مقدار الحاجة الى الغذاء خاصة فى الدول النامية التى يشيع فيها الانفجار السكانى ـ متزايد .. كما أن حجم اعتماد هذه الدول على الدول المتقدمة فى مجال الغذاء ايضاً متزايد .. كل هذه الأمور لا تشير الى أن الغذاء وتوفيره سوف يحظى باهمية كبيرة فى السنوات



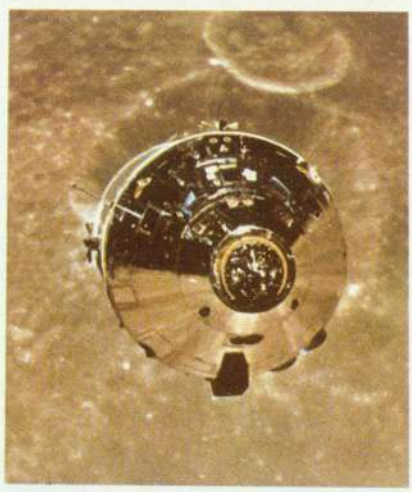
رائدا الفضاء ارمسترونج وادوين الدرين يتنقلان على سطح القمر

القليلة القادمة بل سوف يكون المنطلق الأساسي للسياسات الدولية !!..

نعود إلى مشروع الثورة الخضراء في الصحراء الغربية والذي يعتبر مثالا تطبيقيا كما سبق ان ذكرت . الانتاج الغذائي في مصر اقل من المطلوب بكثير .. فهي تنتج من القمح مثلا ما يكفي الشعب المصري لمدة ثلاثة اشهر فقط من السنة ، وتستورد باقي احتياجاتها .. وبالتاكيد فان حجم الاستيراد يتزايد من عام إلى آخر وفق معدلات الزيادة السكانية .. من هنا حين نؤكد ان امان الدولة المستقبلي لن يتم إلا بزيادة الرقعة الزراعية ، فان المعادلة تكون صحيحة مائة بالمائة وغير قابلة للزيادة او النقصان . والرقعة الزراعية يمكن زيادتها بعيداً عن الدلتا وعن النيل في الوديان المتاخمة له مثل واد غـرب كوم امبو وبعض المناطق في شبه جزيرة سيناء وبعض مناطق الصحراء الغربية والوديان الصغيرة في الصحراء الشرقية ..

وعلى هذا الاساس فان جميع المشاريع التي تقوم على استصلاح الاراضي وزيادة مساحة الرقعة المنزرعة من الارض ، لها اهمية عظيمة من حيث المبدا . فلماذا إذن توقف مشروع الثورة الخضراء في الصحراء الغربية ؟! .. ببساطة لان هيئة المعونة الامريكية التي كان المفترض ان تقوم بتمويله اعتذرت عن ذلك لانها تفضل تمويل المشروعات ذات العوائد السريعة . معنى ذلك .. ان هذا المشروع لن يتم إلا بتمويل اهلي مصري ، وهناك بعض البشائر في هذا الصدد قام بها بعض خريجي كليات الزراعة المصرية ، او بتمويل عربي لصالح الدول العربية التي تفتقر إلى الزراعة . وهناك بعض المؤشرات الايجابية التي تساعد على ذلك ، على راسها ، التكامل بين مصر والسودان الذي يعتبر اهم ركيزة في مشروعات الامن الغذائي العربي .

للركبة الام تدور حول القمر لتلتحم بها مركبة الرواد بعد النزول على سطح القمر



منطلقات الهجرة العربية متعددة

وهجرة العقول العربية وتسربها خارج الوطن العربي تثير الكثير من الجدل ليس فقط على المستوى الرسمي ، بل والشعبي ايضا . ولان الدكتور الباز احد نماذجها الصارخة ، كان لابد من التعرف على وجهة نظره في هذه القضية .

يؤكد الدكتور الباز ان هجرة العقول العربية تبدا في معظم حالاتها من منطلقات شخصية . كل فرد له اسبابه ودوافعه التي قد تختلف على المستوى الشخصي مع غيره من المهاجرين . بعض هذه الاسباب ، قد يكون سياسيا ، او ماديا بحتا .. والبعض الآخر يكون نتيجة حتمية لعدم توفر المناخ العلمي الذي يشعل التوهج الفكري ويحقق تدفق العطاء العلمي .. إلى آخر هذه المسببات التي لن نقف الآن عندها إلا بالنتائج .

لقد حدث فعلا استقطاب للعقل العربي خلال العشرين سنة الماضية .. فهاجرت اعداد كبيرة من الموهوبين إلى الخارج .. وانصهر كل منهم في مجتمعه الجديد بحيث اصبح من المتعذر انتزاعه منه لانه مشدود اليه بخيوط كثيرة .. لماذا إذن يكون خيار العودة إلى الوطن العربي هو المطلب المنطقي الوحيد .. لم لا نستفيد من هذه العقول المهاجرة من خلال مواقعها المتعددة الاشكال والمهارات بالدول الغربية كالاستعانة بهم في مجال البحوث العلمية والتطبيقية في الوطن العربي بدلا من الاستعانة بالخبرات الاجنبية ؟ .

ما يهمني توضيحه في هذا المجال ان الجدل حول تسرب العقول البشرية العربية ليس ذات قيمة بالمقارنة إلى مسالة الرعاية والحفاظ على العقول والكفاءات الموجودة فعلا داخل الوطن العربي وهي كثيرة .. فالارض الطيبة المعطاءة التي افرزت العقول المهاجرة ، من شانها افراز المزيد .. ولكن علينا ان نعي الدرس .. وهذا يستلزم في تقديري تعميق بعض المفاهيم من بينها انه لابد ان يلقي العلم والعمل الجاد كل الاحترام والتقدير ، وان يحاطا بما يلزمهما من حرية للفكر وإيثـار للموضوعية وإجلال للعقل .. مع اتاحة فرصة الارتقاء العلمي لكل في مجاله .

ليلى الحريري

الرقص فوق بحار الدم

قصة بقلم: الدكتور طه وادي

تامل شجرة أرز عتيقة ، تقف ثابتة عند الربوة بينما ظلام من الشمال والجنوب والشرق والغرب يزحف . الليل قادم . حاول ان يتجاوز مشارف الواقع والظلام ، وان يرنو هناك بعيداً .. بعيداً .. الى حيث مسقط راسه السليب . كره العجز والأيام السوداء . صار رجلا مع إيقاف التنفيذ . الرجال الحقيقيون .. القادرون الفاعلون .. خرجوا من بيروت فى ليلة مظلمة . ابتلعهم البحر الكبير ، وسارت بهم السفن فى ليل عاصف . آه يا زمان الذل . لم تكن لديه رغبة فى العودة . ماذا تصنع يا فواز بين الأرامل ، والثكالى ، والأطفال . ساق واحدة تذكره بالام لا تحصى . معسكر «صبرا» هو الحقيقة الوحيدة فى حياته الآن . ضاعت فى الظلام كل المعالم حواليه حتى بيروت . لم يعد هناك ضوء . تحسس فواز جروحا كثيرة فى جسده . حارب من أجل الحلم كثيراً فى فلسطين وفى الضفة . عرف طعم الموت .. لا ينسى ذلك اليوم الرهيب من ايلول الاسود سنة ١٩٧٠ طارت ساقه وسال الدم .... بعدها افاق حيث هو الآن فى ملجأ مع العجزة . كان معلماً يدرس التاريخ ، لكنه آثر أن يعلد التاريخ بالبندقية لا بالطباشير . احتضن شجرة الأرز . أخذ يبكى . تذكر امه وايلول الأسود والناصرة . كل الأيام صارت «ايلول» .. ليلول أسود . منذ خمس واربعين سنة أصبح رجلا ـ وهو فى العاشرة ـ بعد مقتل ابيه .. يومها كان يبكى .. يبكى ، والام تمسح احزانها قائلة :

ـ الرجال لا يبكون يا فواز .

ـ هدراً لن يضيع دم أبى ؟!

سمع طلقات كثيفة متتالية . لم الرصاص وقد خرج المحاربون . اللصوص يسوون حساباتهم . استراح لهذا الخاطر . مازال وجه امه يشع إصراراً وتفاؤلا يملأ الأفق حواليه .

ـ أولاداً كثيرين لابد أن تلد زوجتك يا فواز .

ـ بعد أن يتعلم إخوتى وتتزوج أخواتى

ـ قل يا رب .

الناصرة ترى كيف تكون الآن ؟ تخيل السيد المسيح من كوة بعيدة .. بعيدة . على أرض الناصرة أخذ بيلاطس يسوع وجلده . ضفر العسكر إكليلا من الشوك ووضعوه على راسه والبسوه ثوب أرجوان وكانوا يلطمونه . فقال لهم بيلاطس هو ذا الانسان . فلما راه الكهنة والخدام صرخوا قائلين : أصلبه أصلبه . قال بيلاطس : خذوه انتم واقتلوه ، لانى لا اجد فيه علة . اجابه اليهود : لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت ، لانه جعل نفسه ابن الله .

اقترب موعد العشاء .. لكن لا آذان . بيروت لم يعد يسمع فيها صوت المساجد او الكنائس . صوت واحد تعرفه بيروت جيداً. تذكر أن له إخوة .. إخوة عديدين .. كثيرين فى كل مكان من بلاد العرب .. يبدو أنهم نسوه او تناسوه حتى رسالة بالبريد لا تصل . لا نجم هناك فى السماء . برودة شديدة سرت فى عظامه المتاكلة .

يا الله .. لم يعد أحد يرى .. يسمع .. يفهم .. ؟ يا الله لم لا تفعل شيئاً .. الدنيا كلها علي .. يا رب لم بترت ساقى ؟ انفجارات وحشية قطعت خيوط المناجاة . ارتمى بين صخور الربوة . أحس بعطش . عطش شديد . تذكر نهر الأردن . الذكرى لم تعد تنفع .. لم يعد هناك مؤمنون ؟! أخذ يبحث عن العكاز الخشبى وسط هدير البارود .. طيخ طاخ ، بم بم ، طاخ طيخ ، بم بم . تداخل الليل والبرد والبارود ، وضاع العكاز . الف الظلام فقد عاش فيه كثيراً . زحف يبحث عن العكاز .. الأمل الوحيد . زحف على ذراعيه وصدره . انفجار اول .. ثان .. ثالث .. رابع . وصوت بومة ياتى من بعيد .. غيق غاق .. غوق . الأرض تمطر ناراً حمراء .. زرقاء .. صبرا .. العكاز .. الخوف .. الغضب . تحسس الأرض حواليه ، كاد يمسك طرف العكاز بينما صخرة تهوى به دون أن يقدر ...وقع فى السفح ، وجهه ينزف .. حلاوة الروح جعلته يتماسك . أسود الكون . وقع فى الف نكبة ونكبة ، يومها قادراً على الحركة كان ، أما اليوم فهو بساق واحدة ، حتى العكاز تاه .. تاه فى الظلام .

حاول أن يسترد أنفاساً ضائعة . جلس وسط ليل بلا ضفاف . صوت طلقات متقطعة تاتى من ناحية المعسكر . ضاع العمر يا فواز ، ليس ثمة أمل حتى فى موت مريح . يسوع لو تصدى للظلم لقطع الشجرة . الشجرة كبرت ، حتى ظلها صارت له مخالب وانياب . بعد هذا تقول يا يسوع من ضربك على خدك الأيسر .... لا .. لا يا سيدى.العين بعينين . تذكر انه لم يتناول طعاماً منذ أمس . تموت قدمه من الانتظار حتى يعطيه رجال الغوث كسرات جافة وعلبة جبن فاسد . تمنى شربة ماء . تذكر نهر الأردن . صاح بصوت ضاع وسط صوت البارود : يا الله .. لم نسيتنى فى هذا الظلام ؟ إياك اعبد فهل إياى تذكر ؟ يا رب ساعدنى على أن امحو ليل الطغاة .

احس بانقباض شديد . اخذ يزحف على عجيزة جافة ويدين ناحلتين .

المخيمات بعيدة وصوت البارود يزأر . جرب أن يمشى على ساقه الوحيدة . شعر بالخوف على زوجة أخيه وعمته وبنات بعض الجيران . المعسكر كله نساء وأطفال ورجال مكسورون .

ـ مسئوليتك اثقل يا فواز .

ـ لا تخافوا عليهم .. انا محارب قديم .

تذكر يوم رحيل المناضلين . مثل يوم دير ياسين وتل الزعتر وايلول الأسود.كان يوم الوداع الحزين . فى العيون دموع حارة وعلى الوجوه حيرة سرمدية . لم يكن يدرى هل هذه ساعة للحزن أم للفرح ، لحظة ميلاد أم موت ؟ .. اصوات غناء .. بكاء .. طلقات نارية .. الوان قوس قزح تجمعت كلها فى الأفق البعيد .

كان يبكى وهو يودع أخاه الأصغر .

ـ أتبكى يا فواز ؟

ـ من يضمن يا جهاد ؟

ـ أنت أبى وأستاذى فى النضال .

ـ ما هكذا علمتنا يا زعيم ؟! .

استرد قبسا من روح مناضل قديم . احس أن قدميه تغوصان فى مستنقع مليء بالصديد والدم ، وتل من الجماجم والجثث. لا فائدة . السمك لا يعيش بجوار الحيتان .

ـ كن واثقاً يا زعيم .

ـ فيم ؟

ـ فى الله .. وفى المستقبل .

تحركت شفتاه ، أراد أن يقول : أكاد أشك ـ لكنه تذكر أنها لحظة وداع . طفلة صغيرة اقتربت :

ـ أنت مسافر يا بابا ؟

حملها جهاد فى لهفة وهو يخفى دموعاً محتبسة .

ـ سنلتقى قريبا يا سلمى .

ـ أين ؟

عبر عيون يملؤها الدمع والدم ، تخيل فواز البيت الأبيض الأمريكى ، قصر الكرملين فى موسكو ، قوس النصر فى باريس ، ميدان بيكاديللى فى لندن ، الكعبة المشرفة ، مقر البابا بالفاتيكان ، والمسجد الأقصى . لا أحد يستطيع أن يعيد البسمة الى وجه سلمى الحزين .

أحس أنه محاصر من كل مكان . فى التاريخ القديم كان طارق بن زياد يقول لجنوده : العدو أمامكم والبحر خلفكم ، فى التاريخ الحديث : العدو فى كل مكان . دموع لا تجف من عينى سلمى الصغيرة وهى ترفع إصبعها علامة النصر .

مطارق من حديد تطرق نافوخه . الخوف .. البرد .. البارود . جرب كل طرق السير من أجل أن يعود .. لو عرف الغيب ما خرج . لو كان جهاد هنا لبحث عنه فى كل مكان وساعده . صادفته بركة ماء ، لم يتبين عمقها . أصر على أن يعبر .. وأن يعود .. جروح الجسد لا تضعف إرادة صلبة . حاول أن يهم بالوقوف على قدمه الوحيدة . المحاولة صعبة بدون عكاز . الرغبة فى الحياة تنمو .. وشجرات الخوف والقلق تبدو فى كل اتجاه . أخذ يقفز .. يقفز . وقع فى حفرة . غطاه الماء والطين ، دخل الماء العكر فمه وأنفه وأذنيه وغطى شاربيه ولحيته . صوت البارود يحدث شرخاً فى جدران الكون . لا أحد لا يدرك هول الفاجعة . الظلام شديد . الليل عنيد جرب أن يمشى على يديه وساقه ... أخذ يحاول .. ويحاول . أخيراً اجتاز البركة . قعد يسترد أنفاسه المشردة . طعم الطين يملأ فمه . رائحة العطن تسرى من كل ملابسه . دماء تنزف من أعضاء جسد عجوز . تمنى أن يموت . الموت علاج لما لا يقدر عليه الانسان . تذكر سلمى . جهاد الآن فى البحر وسلمى وحدها .. ترى هل هذا البارود قريب منها ؟ لم يعد يعرف إجابة لأى شىء فى هذا الليل المخيف . المهم أن يمشي .. لم يعد يدري هل يتحرك إلى الخلف أم الى قدام . صوت البارود أمسى قريباً منه . شىء ما يحدثه أن البارود حيث المخيمات ، حيث الأرامل والثكالى والأطفال والمكسورون . هناك ناس نسيهم الناس . لكنهم رغم الجروح صامدون ، عندهم أمل . بدت له شجرة . أخذ يحاول الاقتراب منها . عنيداً حاول أن يصمد . مرات ومرات وهو يحاول .. يحاول . أخيراً أخذ فرعاً ومضى يستند عليه . أخذ يسير بطيئاً .. بطيئاً . البارود بدأ يشم رائحته. الظلام كثيف . الليل مخيف . ملابسه المبتلة ضاعفت من إحساسه بالخوف والبرد . كان يفكر فى سلمى . طوال عمره ما فكر فى نفسه قط . لقد بر بوعده لأمه : علم إخوته وزوج أخواته . حين أدى الرسالة تطوع فى جيش التحرير . لكى يعيش الصغير يجب أن يدفع الكبير الحساب .. ومايزال ..

اصطدم وسط الظلام بكتلة حديد صلبة عليها نجمة داود . داود العظيم .. صاحب المزامير أصبح رمزاً للشر والعدوان . دبابة اسرائيلية .. ماذا تفعل هنا فى مخيم صبرا ؟ بدا قزماً ضئيلا بجوار ماكينة الموت العملاقة ، تتربع فى ثقة على التل . لم يستطع أن يعرف سر الماكينة الرهيبة لم هى هنا .. بالقرب من الأرامل والأطفال والمكسورين ؟ ترى هل جاء الثعلب يحرس عش الحمام !! أحس كأنما صراخ سلمى يأتى من كل مكان . تحاشى الدبابة وحاول أن يختصر الطريق . صوت البارود صار حقيقة . حركات مريبة . عفاريت سوداء .. زرقاء .. حمراء .. صفراء .. تسير فى كل اتجاه .. فى كل مكان عفاريت .. دبابات .. مدافع .. طلقات البارود .. رائحة البارود .. طعم البارود .. دخان البارود .. بارود البارود .... يخرج عالياً ومكتوماً . أصوات استغاثة تصل ما بين السماء والأرض .. لا مغيث . الليل تمدد .. الألم تجدد .. الكون تجمد . أنات مكتومة فى خيمة قريبة .. أصوات متقطعة .

حاول أن يقترب . أصوات دماء تنزف .. حشرجات الموت . أكوام حارة من الجثث . اصطدم بحبل . حاول أن يخلص قدمه .. لكن الحبل كان شـديداً يربط كل القتلى .



القتلى من كل صنف . ذبح . قتل . خنق . المجد للشيطان . هولاكو جاء من جديد . العفاريت اختلفوا فى كل شىء واتحدوا على قتل الأبرياء ، حركات شيطانية هنا .. وهناك . أصوات متقطعة .. موت بالجملة .. بكل الأشكال . وافلسطيناه . وافلسطيناه أخذ يزحف حتى لا يراه أحد . قتلى .. قتلى .. قتلى .. فى كل مكان مازالت أجسادهم حارة ودماء تسيل .. تسيل . قابيل متى يتوقف جيشان الدم ؟ دم .. دم .. لكن صراخ سلمى مازال يرن فى أذنيه . اصطدم بجثة مازال فيها رمق : يا عرب .. يا عالم ... ظل يعوم أو يزحف لا يدرى ونجمة داود تختال فوق آلة جهنمية . العفاريت مازالت تجرى .. تزرع الموت والخوف . الظلام شديد ... طيخ طاخ .. تيك تاك .. بم بم .. النار .. الدخان ..... عويل .. صراخ .. مذابح جماعية .

المسيح تحمل الآلام حتى يفدى البشرية .. أبناء وطنه يقدمون اليوم نفس الموعظة . لا جديد .. لا قديم .. لا أمل . الكل باطل الحقيقة الوحيدة أن تكون قوياً . أحس أن قدرته على المقاومة قد تلاشت . سقط فاقد الحركة بين جثث لا يقل عنها قلة حيلة . صوت سلمى .. هذه هى الخيمة .. صراخ يأتى من الداخل . واتته قوة لم يدر من أين ؟ خاض فى بحار الجثث وتلال الدم .. العفاريت تجرى .. وتجرى .. تزرع الموت .. تقضى على كل الأشياء والأحياء . صوت البارود .. طيخ طاخ .. تيك تاك . أطل من طاقة داخل الخيمة . عسكرى أزرق .. وعسكرى أسـود .. يقتلان .. يذبحان .. بقيت امرأة وطفلة فى الثانية عشرة .. حاول العسكرى الأزرق والأسود أن يغتصباهما فى وقت واحد . قاومت الأم العسكرى الأسود . مد البندقية وبقر بطنها بالسنكى وخرج يصيح صيحة النصر . بقى العسكري الأسود .. السلاح الأبيض يلامس جسد الطفلة . الخوف جمد أعضاءها . صارت عريانة .. الوغد يتحسس جسدها البارد .. استجمع فواز كل قوى الغضب داخله . ضرب العسكرى الأزرق . جاءت الضربة على يديه . وقعت البندقية . أخذ الوغد يركله ويضربه .. لم تعد لديه قدرة على المقاومة . فواز يجود بأنفاسه الأخيرة .. حشرجات الموت تضيع وسط أصوات البارود .. العسكرى الأزرق .. يرقص فى الظلام .

سلمى تحاول أن تحتمى تحت تل من جثث الضحايا .

دكتور / طه وادى

كلية الآداب جامعة القاهرة

رسالة لندن

من مجدي نصيف



إيفا بيرون فى قمة المجد والشهرة

مسرحية إيفيتا الغنائية

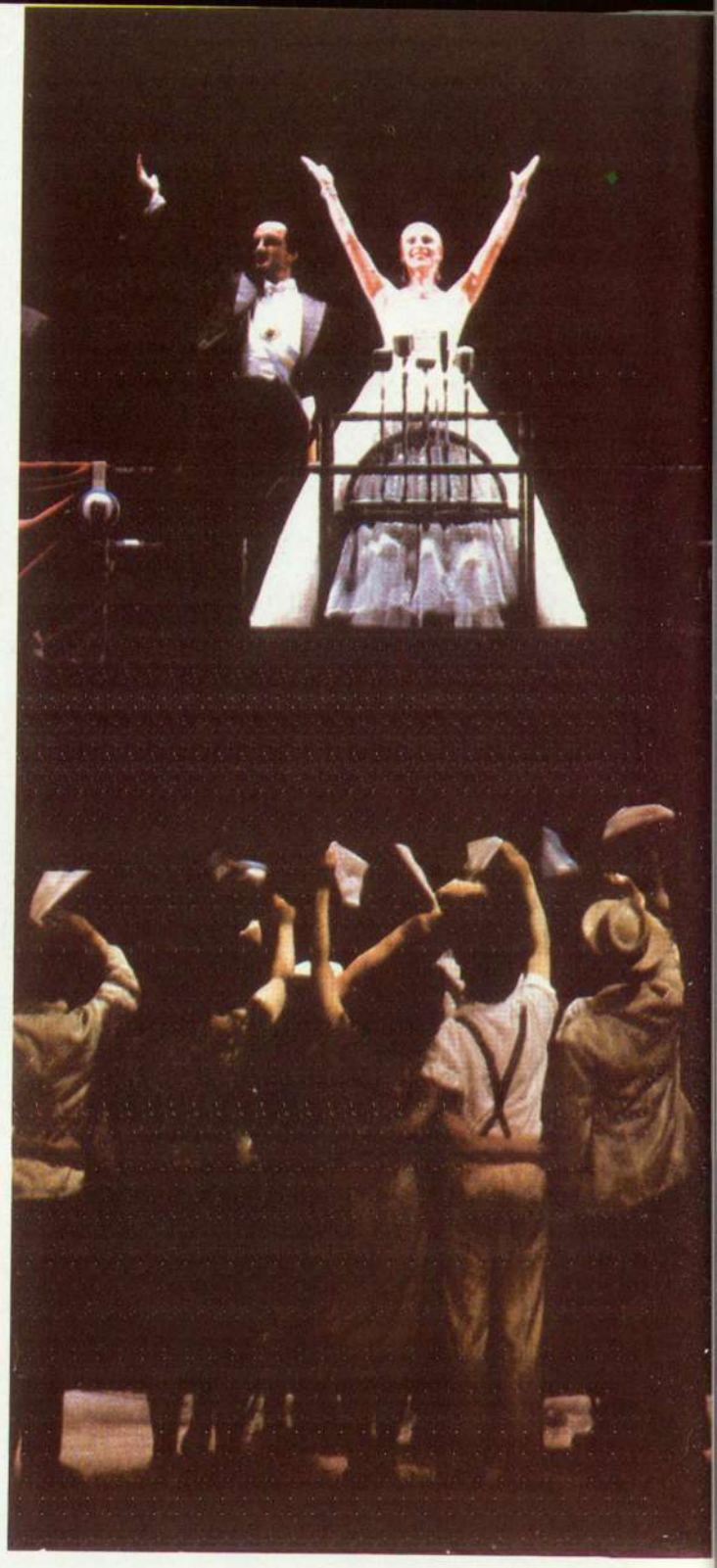
وخمس سنوات على مسرح لندن!



الممثل الذى قام بدور جوان بيرون اسمه : أوزكلارك



الممثلة التى قامت بدور إيفا فى المسرحية اسمها : ستيفانى لورنس



إيفا وبيرون فى مسرحية إيفيتا الغنائية

دخلت مسرحية «إيفيتا» الغنائية الموسيقية التى تعرض على مسرح « البرنس إدوارد » بالبيكاديللي بوسط لندن عامها الخامس ، دون أن تفقد رونقها ، ومازالت مقاعد المسرح تحجز لعدة أسابيع مقدماً ، ومازال المسرح يمتلىء برواده كل ليلة منذ حفل الافتتاح . ولقد اختار كاتبها أن يعرض العديد من الأفكار عن الصراع الدائر فى عالم اليوم من خلال عرض « التجربة البيرونية » فى الأرجنتين ، بالتركيز على حياة إيفا بيرون زوجة جوان بيرون بالموسيقى والأغاني الرائعة . وعن طريق هذه الاغاني والاطار المسرحي قدم الكاتب رأيه في كل شيء عن هذا الصراع ، دون هتافات ، ودون شعارات ، دون أن يمل المتفرج ويترك العرض، على العكس من ذلك تماماً ، التصق المتفرج بمقعده حتى نهاية العرض ، مستمتعاً بالموسيقى والأغاني والاخراج ، حتى ولو لم يكن لديه الأرضية السياسية الكافية لفهم المسرحية بالكامل .

● أغانى المسرحية حين يغنيها الشباب .. ومقاعد المسرح تمتلئ كل ليلة بالمتفرجين



صور من حياة إيفا بيرون الحقيقية التي استعان بهـا المخرج



هكـذا نرى إيفـا في المسرحيـة وهي تتعرف على بيرون في حفـل خـيري لاغـاثة ضحـايا الزلـزال

مسرحية إيفيتا الغنائية
وخمس سنوات على مسرح لندن!

إيفـا بيرون

ولا شك أن الكاتب قد أصابه التوفيق من اختيار إيفا بيرون ، أو « ايفيتا » في المسرحية كبطلة ، فحياتها حياة حافلة بالفعل . انها المراة الجميلة التي بدات حياتها كطفلة غير شرعية في بلد كاثوليكي ثم اصبحت ممثلة مغمورة تبحث عن المجد والشهرة والثراء ، وانتهت بان اصبحت زوجة الرئيس الأرجنتيني بيرون الذي قدم تجربة فريدة في امريكا اللاتينية . وهي ايضاً قصة امراة طموحها بلا حدود ، حتى لقد اصبحت اقوى امراة ليس في تاريخ الأرجنتين وحدها فحسب ، بل وفي تاريخ امريكا اللاتينية قاطبة . وبعد كل ما وصلت إليه من مجد وشهرة وثراء ، تموت بالسرطان ، وهي في قمة السلطة ، ولم تزل في الثالثة والثلاثين من عمرها ، فيرفعها الشعب الارجنتيني إلى مرتبة عالية .

ولان الكاتب اراد ان ينتقد التجربة البيرونية، فقد قدم الشخصية المقابلة لشخصية ايفـا بيـرون ، اختار « تشي » (جيفارا) لينقد التجربة ، ايضاً من خلال الأغاني والرقصات على إيقاع الموسيقى . إنه الشخصية الوحيدة التي ليس لها دور في سياق احداث المسرحية ، وإن كان دوره هو دور المعلق والمراقب

ولدت ماريا ايفا دوارتي عام ١٩١٩ ، في إحدى المدن الصغيرة ، كابنة غير شرعية لاحد فقراء الفلاحين . وعانت في طفولتها الفقر والحرمان ، وفوق هذا ، عانت الاذلال، لانها « ابنة حرام » . انها لم تنس في حياتها رفض المجتمع لها ، لذا فقد وقفت دائماً ضد هؤلاء الذين سببوا لها كل هذه المهانة .

وعندما اصبحت ايفا في الخامسة عشرة من عمرها (١٩٣٤) اقامت علاقة باوجستين ماجالدي ، المغني ولاعب الجيتار الذي كان يعمل بناد ليلي بالمدينة . تقنعه ايفا بالذهاب إلى العاصمة بيونيس ايريس .

وتعيش إيفـا حياة النوادي الليلية والمسرح . كانت تحلم بان تكون ممثلة ، فما ان تصل إلى عام ١٩٤٠ ، حتى تكون قد وصلت الى السينما والاذاعة . ومن خلال زوج أخت بالجيش تتعرف على زملائه الضباط الصغار ، وتتصاعد الرقب التي تتعرف بها ، حتى تصل إلى كبار الضباط ، في وقت كان فيه نفوذ الجيش في المجتمع والحكومة يقوى ويتصاعد شيئاً فشيئاً .

وفي عام ١٩٤٣ تتعرف على « الكولونيل جوان بيرون » . كان آنذاك وزيراً ، ذا سمعة عريضة كدون جوان يعشق الممثلات صغيرات السن ، كان جوان بيرون في الثامنة والاربعين ، اي ضعف عمر ايفا بالضبط . فهو من مواليد ١٨٩٥ ، ورغم ان طفولته ليست شقية كطفولة إيفـا ، إلا انه كان من عائلة متواضعة ، دخل الاكاديمية العسكرية عام ١٩١١ ، وحصل على رتبة ملازم عندما كان في العشرين من عمره . وفي يونية ١٩٤٣ ، كان احد الضباط الذين قاموا بثورة اطاحت بالحكومة القائمة عين بيرون وزيراً للحرب ، بعد الانقلاب، ثم وزيراً للعمل . ومن خلال هذا المنصب اكتسب شهرته ، وخاض تجربته . وعندما



لقطة من الفصل الاخير فى المسرحية .. يرى فيها بيرون



احـــد مشاهد المسرحيـــة

قابل « إيفا » كان فى هذه المرحلة من حياته السياسية : نجما سياسيا صاعدا يتوقع الجميع منه أن يفعل « شيئا » . وكان بالتحديد هو من تبحث عنه « ايفا » . كان طويلا ممشوق القوام ، اما هو فقد جذبه جمالها .. وشبابها . لكن الذي لاشك فيه ان طموحهما كان أقوى رباط ربط بينهما .

ومن خلال جوان بيرون ، ونشاطه وطاقته ، استطاعت تحقيق كل طموحها فى السلطة الشمولية . كانت هي الشرارة الملهمة التى تشجعه على اتخاذ كل خطوة، اما هي فكانت المحبوبة التى يجدها دائما إلى جانبه ، وفي الوقت المناسب .

أخذت تعمل بجنون ، حتى احبها الأرجنتينيون ، واصبحت أوسع شهرة منه، وأخذ بيرون يصعد ويصعد ليصبح نائب رئيس الجمهورية .

وفي عام ١٩٤٥ ، ينجح زملاء بيرون من الضباط فى الاطاحة به ، فيقبض عليه في ١٢ أكتوبر ، ويودع السجن ، وخلال أيام معدودات يتغير المسرح السياسى بشكل جذري في المجتمع الأرجنتيني . هنا تظهر القوة الكامنة التى امسك بها بيرون وايفا : الحركة العمالية ، وهنا ظهرت الشخصية القيادية الزعامية لهذه المرأة ذات الشخصية الفذه . انها تنطلق لتنظم المظاهرات العمالية والشعبية التى تنادي بعودة « البطل » . ولم يستطع الضباط الوقوف أمام هذا المد الكاسح ، فيضطرون الى إعادة بيرون الى السلطة ، ولم يمض على اعتقالة أكثر من خمسة أيام ، فيعود منتصراً فى ١٧ أكتوبر ، وهو يوم مازال «البيرونيون» يحتفلون به كل عام .

ويصبح الطريق ممهداً أمام ايفا وبيرون ... المال والمجد والشهرة . بعدها بأربعة أيام فقط ، فى ٢١ اكتوبر ، يتوجان الانتصار وبداية شقهما لهذا الطريق معاً ، بزواج سري ، ثم في ٢٤ فبراير ١٩٤٦ «ينتخب» بيرون رئيساً للجمهورية ، وتصبح هي المسئولة رسمياً عن تنظيم الحركة العمالية . ومن الآن فصاعدا تسيطر هي على النقابات واتحادها العام الـ « سي . جي . تي » . وتهتم فى نفس الوقت بحقوق المرأة ، فتمنح حق التصويت . ومن افضل منها يعرف معاناة المرأة ، وخاصة فى الريف ؟ لقد كان اعظم يوم في حياة ايفا بيرون ، عندما منحت المرأة قـانون حق التصويت في سبتمبر ١٩٤٧م .

وعندما أظهرت نيتها عام ١٩٥١ ، على ترشيح نفسها نائبة لزوجها رئيس الجمهورية ، ضغط الجيش بكل قوة ، فاجبرت على سحب ترشيحها .

لكن المرض لم يمهلها . ففي نوفمبر ١٩٥١ تقوم باجراء عملية سرطان ، في نفس الوقت الذي يعاد فيه انتخاب بيرون لفترة ثانية . ويشتد عليها المرض . وفي الرابع من يونية ١٩٥٢ ، تظهر لآخر مرة رسمياً فى احتفالات تنصيب بيرون رئيساً . وفي ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، تموت ايفـا بيرون ، صاحبة هذه الحياة الحافلة . وهي لم تتعد الثالثة والثلاثين من عمرها .

وسرعان ما يطيح الجيش ببيرون عام ١٩٥٥ ، وكانه فقد من كانت تجلب له الحظ والتى ارتبط اسمها باسمه ، لكن البيرونية تستمر كقوة مؤثرة في المجتمع الأرجنتيني، حتى يستطيع حزبه أن يعيده ، بعد أن عاش في المنفى ثمانية عشر عاماً . كان قد تزوج في الخارج ، ولكنه يموت فى العام التالي مباشرة لتوليه السلطة ، وكأنما ارتبطت السلطة باسمه معها فقط . وتتولى زوجته مهام الرئاسة من بعده لكنها تفشل بدورها ولا تستطيع أن تكرر اسطـــورة « ايفـا » .

انقاذ البيرونية

اختار المؤلف « تشى » ليكون هو الشخص الذى ينقذ البيرونية ، دون أن تبهره المظاهر السطحية للتجربة ، ودون أن تغره القشور . واختيار تشى ليس اعتباطاً ، فهو قد عاش فى الارجنتين بالفعل ، إذ ولد فى يونيه عام ١٩٢٨ من عائلة متوسطة ميسورة ذات أصول أسبانية ـ ايرلندية . وسرعان ما تعانى عائلته ضائقة ماليـــة تضطر الصبى للعمل فى نفس الوقت الذى يدرس فيه . كان آنذاك فى الثالثة عشرة من عمره . لذا تتفتح مداركه فى هذه السن المبكرة ، وينغمس فى العمل السياسى . وينضم لاحدى التنظيمات الطلابية التى تعارض بيرون . ويدخل فى عام ١٩٤٧ كلية الطب بجامعة بيونيس ايريس ، ويشارك فى معارك الشوارع ضد البيرونية . وبعد أن يتخرج عام ١٩٥٣، يشعر انه لا يستطيع الفكاك من شعبيـة ايفا بيرون ، وبالتالى من البيرونية والنظام ، فيذهب إلى جواتيمالا ، ثم إلى المكسيك ، وهناك يقابل فيدل كاسترو ليدخل معه إلى هافانـــا على رأس جيش من رجال العصابات فى عـــام ١٩٥٩ ،

وتبدأ التجربة الكوبية مسارها ، ويتقلد تشى منذ البداية عدة وزارات ويصبح الشخصية الثانية

لكن تشى يترك المجد والسلطة والشهرة ويختفى فجأة عام ١٩٦٥ ، ليظهر فى احراش بوليفيا عام ١٩٦٦ ، لتنظيم حرب عصـــــابات هنـــاك . لـكن تحيط بـه

مسرحية إيفيتا الغنائية
وخمس سنوات على مسرح لندن !



إيفا مع بيرون فوق المسرح عندما بدا نجمه يصعد



إيفا فى اواخر ايامها



فى طريقها لاذاعة برنامجها الاخير بعد ان هدها المرض

كافة القوى فى الغابات ، ويؤسر فى اكتوبر ١٩٦٧ ، ويقتل وهو فى التاسعة والثلاثين من عمره ، وسرعان ما يصبح اسطورة ،

●

هذه هى الشخصيات الرئيسية التى أراد لها المؤلف أن تتقابل وتتصارع فى مسرحية « ايفيتا » الغنائية .

فكيف بعث المؤلف الحياة فى هذه الشخصيات على المسرح ؟

وكيف نسج الصراع طوال المسرحية ؟

وكيف استطاعت الأغنيات والموسيقى والرقصات أن تعالج هذه الأفكار

الفصل الأول

يفتح الستار عن جمهور احد دور السينما بالعاصمة بيونيس ايريس ، مساء ٢٦ يولية عام ١٩٥٢ . بين الجمهور الطالب الارجنتينى الشاب « تشى » . وفجأة يتوقف الفيلم، ويعلن أن ايفا بيرون « الزعيمة الروحية للأمة ، قد دخلت الخلود » . وينتقل المشهد الى جنازة الزعيمة ، ويستعين المخرج بشاشة سينمائية فوق المسرح ، يستخدم فيها افلاما تسجيلية التقطت لايفا بيرون أثناء حياتها وذلك أثناء مشاهد المسرحية المختلفة . ويختار المخرج جنازة فخمة هى خليط من المروحية الفاتيكانية ، والسينمائية الهوليودية (أغنية « قداس جنائزى لايفيتا ») . جمهور غفير فى مهرجان غاية فى الابهة يصحبه عويل ونواح والناس تنتحب . أما تشى فهو الوحيد الذى لايشترك فى هذا كله (يغنى : « ياله من سيرك » !) . وخلال الأوبرا باجمعها ، يكون هذا هو دور «تشي» يلاحظ ويعلق فقط لا غير !

ثم يعود بنا المخرج بعد مشهد الموت ، إلى مشاهد من حياة « ايفيتا » ويبدأ بعام ١٩٣٤ ، ويختار أن يبدأ بالنادى الليلى بمدينة جونين مدينة ايفا . (تصاحب المشهد أغنية « فى هذه الليلة ذات الألف نجم ») كانت ايفا فى الخامسة العشرة من عمرها . تسأل مغنى النادى الليلى ، اجوستين ماجالدى أن يصحبها الى العاصمة بيونيس ايريس ، المدينة الكبيرة التى تنبهر بمجرد التفكير فى العيش فيها . يمانع الفنان صديق الفتاة الصغيرة الغضة الاهاب لأنه يخشى عليها من المدينة (يغنى لها : « ايفا : احذرى بيونيس ايريس ») . لكن ايفا تصمم ، فياخذها إلى المدينة الكبيرة

بعد ما تصل إلى المدينة تدخل حياتها وتصل إلى أسرارها ، ويكون أول ما تفعله هو التخلص من صديقها ماجالدى ، لتبدأ فى سلسلة من العلاقات

عام ١٩٤٣ ، الكولونيل جوان بيرون واحد من عدد من القادة العسكريين القريبين لكرسى الرئاسة الذى أثبت فى السنوات الأخيرة انه « وظيفة » غير آمنة لشاغرها ، يختار المخرج هنا لعبة الكراسى الموسيقية ، عدة كراسى يدور حولها الضباط ويخرج الخاسر ، (على موسيقى أغنية « فن الممكن ») .

وفى إحدى الحفلات الخيرية التى يحييها ماجالدى الصديق القديم لايفا ، والمقامة لجمع نقود لضحايا زلزال ارجنتينى ، يتقابل بيرون وايفا ، ويكتشفان ان كلا منهما يليق بالآخر (أغنية « سأكون لائقة بك بشكل مدهش») . ومن الآن فصاعدا تربط ايفا طموحاتها بالنجوم السياسيين ، لكنها تبدأ بعد ذلك فى علاقة وطيدة ببيرون فتذهب إلى شقته وتطرد صديقته منها لتقيم بدلا منها (تغنى الصديقة أغنية «حقيبة أخرى بصالة أخرى » !) . وتتحرك ايفا « إلى » حياة بيرون إلى درجة تثير



«بالله من سيبرك» .. المشهد الاول من المسرحية التى تبدأ بجنازة ايفا

حنق فئتين ظلتا عدوتاها حتى مماتها : الجيش والارستقراطية ، ويصورهما المخرج طوال احداث المسرحية بمجموعتين ، كل واحدة تتكون من تسعة او اثنتي عشرة . الضباط يرتدون الزي العسكرى : بنطلون ابيض وجاكيت ازرق وحزام ذهبي وقبعة عسكرية بيضاء بشريط احمر ، ويضعون جميعاً نظارة سوداء ، كل منهم نسخة من الآخر ، لا يمكنك التفرقة بينهم ، ويسيرون بالطريقة العسكرية ، والخطوات المحكمة ، كل منهم تماماً مثل الآخر . ثم يسيرون جميعاً خلال الاغنية التى يقدمونها بنفس الخطى العسكرية المنظمة ، فتشعر انهم دمى او زمبركات .

أما المجموعة الارستقراطية فهى مكونة من مجموعة رجال ونساء صغار السن وعجائز ، لكنهم يرتدون الملابس الأنيقة ويسيرون فى طوابير ، كل واحد يؤدى حركة ارستقراطية محسوبة

تردد المجموعتان بعد ظهور ايفا فى حياة بيرون أغنية « شعلة بيرون الأخيرة »

وعندما يدلهم الموقف السياسى ، تكون ايفا هى التى تشجع بيرون وتدفعه إلى الأمام ليصعد سلم المجد

الفصل الثانى

يتحقق طموح ايفا ، ومن شرفة قصر كاسا روسادا فى يوم الاحتفال بتنصيب بيرون فى ٤ يونية ١٩٤٦ ، تحتشد الجماهير تحييها وتستقبلها استقبالا حافلا اكبر من استقبال بيرون ، وذلك خلال خطابها العاطفى الذكي « لا تبكى من اجلى يا ارجنتين » واثناء احتشاد الجماهير تمارس الاجهزة البوليسية اعمالها ضد « تشى » تحت سمع بيرون وبصره ،

« تشى » يسأل « ايفا » عن نفسها وعن نجاحها ، لكن تقابله بغير حماس (اغنية « السيدة الطائرة فى السموات العليا ») ، كان اهتمام ايفا الأساسى ينصب على رحلتها المقبلة الى اوربا . وعندما تعود إلى الوطن ، تقرر أن تركز على الشئون الداخلية وحدها ، بعد أن تواجه نقداً عنيفاً من مجتمع بيونيس ايريس (اغنية « الممثلة لم تردد الأسطر التى ينبغى ترديدها ») . وفى نفس الوقت يشير « تشى » أن النظام لم يفعل شيئاً ، أو لم يفعل الا القليل لتحسين حالة من تدعى « ايفا » انها تمثلهم .

وتبدأ « ايفا » فى تأسيس « مؤسسة ايفا بيرون » (أغنية «واخذت النقود تلف وتدور ») وهو مشروع لم يستفد منه الاقتصاد القومى الكثير رغم انه رفع ايفا إلى مستوى عظيم فى أعين هؤلاء الذين استفادوا من المشروع (أغنية القديسة « ايفيتا ») . هنا تكون المواجهة كاملة بين « تشى » و « ايفيتا » ، ويسخر من الذين يحبونها ، ويحاول أن يسألها حول أهدافها وحول الجانب السيىء من الادارة البيرونية (اغنية « فالس «لايفيتا» و «تشي») . تجيبه إجابة براجماتية : « الشر يحوم حولنا » . تكون قد ايقنت انها مريضة .

وتصل المشاعر المعادية لايفيتا فى الجيش إلى مستويات جديدة ، ويعدد « تشى » السقطات الأساسية للبيرونية ، ويحاول بيرون أن يبرر سيطرتها على المجتمع الارجنتيني ، ثم يشير إلى مرضها . (أغنية : « إنها جوهرة ») .

يناقش بيرون وايفا الوضع السيىء : فهو يفقد قبضته على الحكومة ، وهى تفقد قوتها . وترفض ايفا الاستسلام للمرض وتقرر أن تصبح نائبة لرئيس الجمهورية (أغنية « الزهر يتدحرج ») .

لكن معارضة الجيش تتزايد ، والأهم من ذلك أن المرض « يهد » حيلها ، فتعلم انها تموت ، فتقوم باذاعة للأمة ، وترفض منصب نائب رئيس الجمهورية ، وهو منصب تعلم تماماً انها لم تكن لتستطيع الحصول عليه . (أغنية « إذاعة ايفا الأخيرة ») .

وتتوارد على ذهنها الخواطر والأحداث والناس فى ساعاتها الأخيرة ، بينما الأمة فى احزان بلا حدود ، فقد أصبحت فى أعين الناس قديسة وليس اقل من هذا . وعندما تصل حياتها إلى قرب النهاية تعجب اكانت ستكون اكثر سعادة إذا لم تتطلع إلى المال والمجد والشهرة ، وعاشت كاى انسان عادى .. (أغنية « النواح ») . « تشى » يراجع حياتها القصيرة فى نفس الوقت ، وإن كان يصل إلى نتائج مختلفة . ثم ينزل الستار .

المسرح وبساطة الديكور

ورغم إمكانيات المسرح الهائلة ، إلا أن مخرج المسرحية « هارولد برينس » استخدم الديكورات البسيطة للغاية ، أما الايحاء بالفخامة والابهة فكان باستخدام الملابس والفراء بالنسبة لايفا .. الأداء هو الذى كان عظيماً بالاغاني المعبرة «ستيفاني لورانس» في دور ايفا وهي قد توارثت الفن من عائلتها ولعبت أدوار البطولة في مسرحيات عديدة

أما دور « تشى جيفارا » فقد قام به مارتن سميث ، وهو أيضاً كاتب اغان ، وان لم يكتب اغانى هذه المسرحية بالذات . أما دور ماجالدى فقد قام به كليفتون تود ، وهو ينحدر من عائلة فنانين ، فوالده هو نافخ البوق الشهير إيريك تود . أما دور جوان بيرون فقام به أوز كلارك .

مجدى نصيف

حدائق الأطفال

بقلم : الدكتور عزالدين فراج

بما أن العقل السليم في الجسم السليم ، فيجب أن يهيأ للطفل سبيل للحركة واللعب في أوقات فراغه خارج المدرسة ، بما يشبع رغباته وأهواءه في أماكن بعيدة عن الأتربة ومرور السيارات والعربات ، إذ أن ذلك ضروري لصحته ونمو جسمه وذو أثر فعال في تحسين حالته العصبية والنفسية ، ولذلك انشأت دول أوروبا كثيراً من الحدائق الخاصة بالأطفال الذين لا تزيد أعمارهم عن خمس سنوات ، ولا يرتادها من الكبار إلا من يصاحب هؤلاء الأطفال ، وأخرى تخصص للذين تتراوح أعمارهم ما بين الخمس سنوات والخمس عشرة .

وهذه الحدائق تصمم بما يوافق الأطفال ويشبع غرائزهم وأهواءهم حيث يلعبون فيها ويرتعون متمتعين بصفاء الجو وحرية الحركة ، مما يفيد الأطفال صحياً ومعنوياً .

أما في بلادنا فالطفل محروم من ذلك تماماً سواء في المنزل أو في خارجه فقد وضعت تصميمات المنازل وأثاثها بما يتناسب مع الكبار فقط حتى أصبح الطفل حائراً لانه لا يجد ما يمكنه من اشباع غرائزه وكذلك الحال في الحدائق العامة فكل ما بها وضع تصميمه ونسق بما يلائم الكبار فقط واهملت رغبات الأطفال بما لا يسمح بلهوهم ولعبهم .

وفي حدائق الأطفال بأوربا يخصص أجزاء من الحديقة ، يقوم الأطفال بزراعتها بالأبصال الزهرية والأزهار المختلفة تحت اشراف مربية لهم فيتفتح أمامهم طريق جديد للتسلية لم يألفوه من قبل علاوة على تهذيب أخلاقهم وتثقيفهم .

القواعد العامة في تصميم حدائق الأطفال

وسنورد فيما يلي القواعد العامة التي ينبغي مراعاتها في تصميم وتخطيط حدائق الأطفال :

المدخل : يفضل عمل سياج قصير عند حدود الحديقة الخارجية لاكساب الحديقة السرية المرغوبة ولوقاية الأطفال من اخطار الطريق ، ويفضل أن يكون السياج من الحديد وبعض الشجيرات المزهرة مثل اللانتانا والجهنمية .

السياج

يجب أن يكون المسطح الأخضر خالياً من أحواض الزهور ليكون مجالا متسعاً لجري الأطفال ولعبهم . ويفضل في زراعة مسطحات حدائق الأطفال النجيل عن البيبيا لما ترسله الأخيرة من جذور تشبه الحبال قد تعوق سير الأطفال الذين في طور الحبو فضلا عن ازهارها البيضاء التي تجذب النحل اليها مما قد يؤذى الأطفال .

ومن الأهمية بمكان أن تكون حواف المسطح بميل غير ملموس مع الامتناع عن عمل بردورات من المباني خوفاً من وقوع الأطفال على حوافها الحادة ، كما يتجنب تغطية المسطحات الخضراء بالسبلة نظراً لتسببها في اصابة الأطفال بمرض التيتنوس .

وينبغي ايضاً أن تكون هذه المسطحات معرضة تماماً لاشعة الشمس مع وجود أركان مظللة بها شتاء ، وبذا يكون مثل هذا المسطح صالحاً للعب الأطفال طول اليوم وعلى مدار السنة .

الزهور والأشجار والشجيرات

ويزرع بعض الشجيرات المزهرة حتى تضفي على الحديقة منظراً جميلا ، ويجب أن تكون مواسم أزهارها مختلفة حتى تكون مزهرة في معظم السنة . ويتجنب زراعة الشجيرات التي تفرز مادة لبنية مثل بنت القنصل وذلك لخاصيتها السامة وضررها على العيون ، كما يتجنب أيضاً زراعة الشجيرات ذات الأشواك كالورد وانواع الصبار .

ضروريات حديقة الأطفال

ويحسن دائماً أن تزود حدائق الأطفال بكل ما يجلب التسلية لهم ، وان يتوفر بها أغلب الأدوات الرياضية التي تتناسب وتتلاءم مع أعمـــار وحالة الأطفال الذين يرتادون تلك الحدائق .

ويعتبر الرمل من أحسن ما يغري صغار الأطفال على اللعب البريء ومنه يبتكرون الاعيبهم وتسليتهم ، لذلك يجب ألا تخلو حديقة الأطفال من مسطح من الرمال البيضاء النظيفة عديمة الحصي الخالية من الاملاح كما يجب ألا يقل عمق الرمل في هذا المسطح عن ٤٠ ـ ٥٠ سم كما يراعى اقامة عدة أراجيح مناسبة يفرش تحتها طبقة من الرمل السميك .

ومن الأهمية بمكان وجود دورة مياه بسيطة في حدائق الأطفال لقضاء حاجاتهم.

هذا ويعتبر من الأشياء الضرورية في حدائق الأطفال وجود أكشاك خشبية أو برجولات تغطى بالمتسلقات كالياسمين البلدي او شبر فايد للتظلل تحتها . كما يجب أن تزرع في جميع أجزاء الحديقة مقاعد ثابتة من الرخام أو الأخشاب المشقوقة على أن يكون بعضها مظللا بمظلات تكسوها المتسلقات أو في ظل أشجار كبيرة .



لابد أن تكون الطرق في حدائق الأطفال مرصوفة ، لان الطرق الترابية تسبب اتساخ ملابس الأطفال .

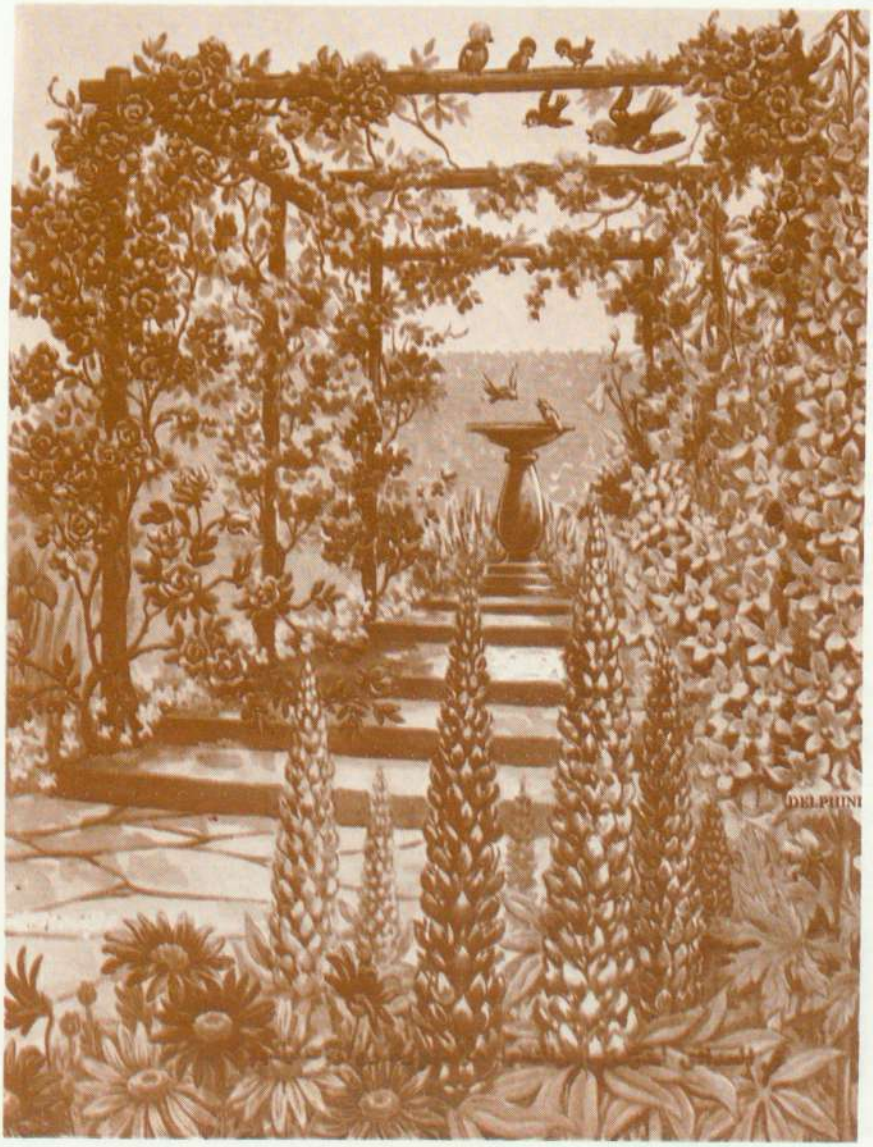
المنشآت المائيـــة

يفضل حفظاً لحياة الأطفال من الخطر ، تجنب عمل منشآت مائية كالبرك والفسقيات وأحواض المياه في حدائق الأطفال ، ولكن لما كان للماء المنبعث من الفسقيات والتموجات الخفيفة في سطح ماء البرك الناشئة عن الرياح أو وجود أسماك الزينة الملونة وانغماس كل ما هو قريب على سطح الماء الشفاف وخرير المياه ولمعانها تاثير ساحر في النفوس فضلا عن اكساب الحديقة حياة ظاهرة جلية وايجاد منبع لا نهائي من التنوع ـ فاني أرى ضرورة عمل المنشآت المائية على أن تكون ذات حافة عالية أو تحاط بشبكة من السلك غير الشائك وتحاط بعدد من المقاعد ، وبذلك يتسنى للاطفال الاشراف والتمتع بمنظر الماء أثناء لهوهم دون أن يخشى عليهم من خطر الوقوع في الماء .

ويحسن في حدائق الأطفال انشاء مسابح للطيور الصغيرة لاغرائها على أن ترد إلى هذه الحدائق ، لان في ذلك مجلبة لسرور وانشراح الأطفال .

أرجوحة الأطفال

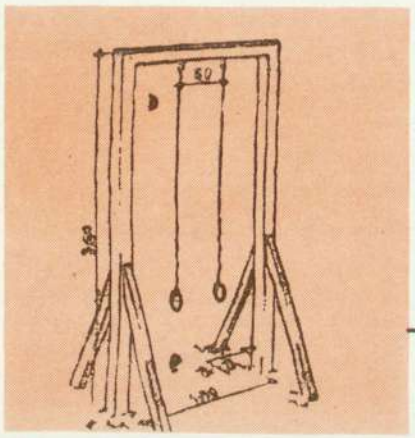
يشترط في موضع الارجوحة في الحديقة أن تكون بعيدة عن المباني والأشجار ، منعاً من تصادم الصغار بها ، أثناء تارجحهم فقد ينشأ عن هذا التصادم كثير من الضرر لهم .



هكذا تبدو حديقة الأطفال منسقة وجميلة وجذابة بعد الانتهاء من اعدادها بالصورة المناسبة

مستلزمات الأرجوحة	
المواد والأجزاء	البيانات
لوحان طوليان	طول كل منهما ١١قدماً ، وعرض كل ٥ر٢ بوصة
لوح عرضي	طوله ٤ قدم ، وعرضه ٥ر٢ بوصة
أربع أوتاد جانبية	طول كل ٥ر٤ قدماً ، وعرضه ٥ بوصات ، وسمكه ٥ر١ بوصه
حبلان	طول كل منهما ٦ قدم
مقعد	مثبت في نهاية الحبلين في وضع افقي
وتثبت الأجزاء السابقة كما هو موضح في الرسم	

مرجيحة للأطفال



ما يجب مراعاته في وضع الأرجوحة

(١) تثبيت القائمتين الرأسيتين (اللوحين الطوليين) بالقائمة العليا الأفقية وبالأوتاد الجانبية بمسامير كبيرة

(٢) غرس ما لا يقل عن ٥ر٢قدماً من القائمتين الرأسيتين تحت سطح الأرض

(٣) يجب أن تكون الحلقة الحاملة للحبل مستديرة غير مفتوحة حتى لا ينزلق الحبل منها ، فيعرض الأطفال إلى الخطر .

وجوه بيكار الخمسة

بقلم: صبحي الشاروني

« ليس من مبادئنا تعدد الوظائف ، لذلك أنت مطالب بتطليق إحدى وظيفتيك ! وأنا أريدك أن تطلق وظيفتك الحكومية فوراً وتتفرغ للصحافة . إن مكانك هنا فى « أخبار اليوم ... » .

كان هذا هو الطلب المفاجىء الذى عرضه « علي أمين » على الفنان حسين بيكار عام ١٩٥٩ طالباً منه أن يستقيل من عمله كرئيس لقسم التصوير الزيتى بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة .. وكان هذا الطلب امتحاناً صعباً للفنان الذى يعتبر كلية الفنون هى البيت الذى تعلم فيه ثم عاد اليه استاذاً ، وارتبطت كل علاقاته وصداقاته بهذا البيت .. فكان هذا الامتحان قاسياً للغاية ..

يقول بيكار : « لقد أمهلنى أسبوعاً للتفكير وكان أصعب أسبوع مر بي فى حياتى ، فليس من السهل أن أهجر شريك عمر أحببته وعاصرته ثلاثين عاماً دون ما سبب ، لكنه بعد ثلاثة أيام طلبنى وقدم لى ورقة مذيلة بامضائه ، وقال أكتب شروطك ، وبهذا التصرف سلبنى ارادتى ، وفى اليوم التالى كانت استقالتى فوق مكتب العميد » .

بعدها أصبح بيكار سندباداً صحفياً يسافر الى بلاد العالم حاملا قلمه وريشته ليعود بانطباعاته وتحقيقاته مكتوبة ومرسومة ، لقد استبدل الكاميرا بالريشة والألوان . وكان أدب الرحلات جديداً فى الصحافة العربية واشتهر اسم بيكار وأصبح نجماً يردد اسمه كل القراء حيث احتلت رسومه الملونة أغلفة المجلات التى كانت تصدرها الدار فى ذلك الوقت .

لكن الفنان الذى طلب منه أن يملى شروطه لم يكن فى بداية حياته الفنية ، كان هذا



لوحة مستمدة من الأساطير والحكايات القديمة



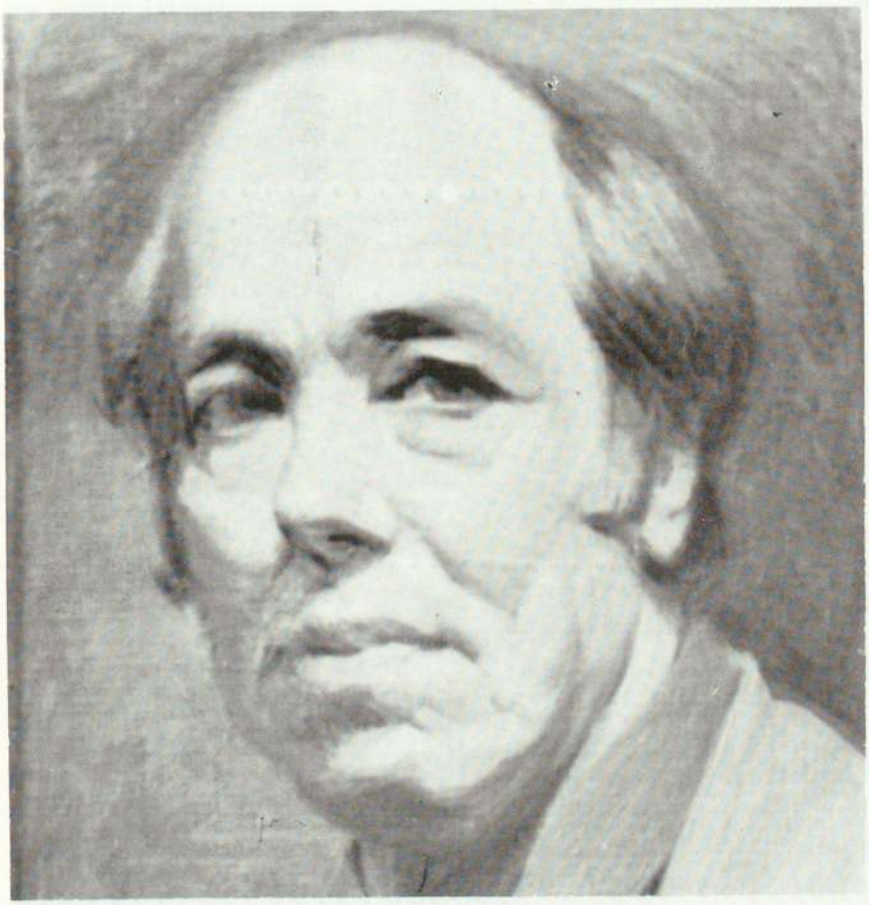
وجه من المغرب

الموقف تتويجاً لموهبة اكتملت بالعمل الشاق والاصرار على التفوق والنجاح مع انصراف كامل للعشق الأكبر فى حياته وهو الفن .

ولد حسين أمين بيكار فى ٢ يناير ١٩١٣ بحى الانفوشى بالاسكندرية ، ولم يتصور أحد ممن عاصروه فى صباه أنه سيكون رساماً فيما بعد ، كان يبدو للجميع أنه سيختار طريق الموسيقى والغناء .. ولكن يبدو أن ارادة الأسرة أحياناً تولد الثورة ضدها عند الأبناء .. صحيح أن هوامش كتبه ودفاتره امتلأت بالرسوم وأحب كتاب القراءة المزين بالصور أكثر مما عداه ، لكن موهبته في العزف على العود كانت فخراً لأسرته وهو في الثامنة من عمره حتى ذاع صيته فى الحي كطفل معجزة ، وبدأت تطلبه ، الأسر الثرية ليعلم بناتهن الموسيقى ، فقد كانت دروس الموسيقى للشابات جزءاً من المظاهر الارستقراطية فى حقبة العشرينات وما بعدها بمصر .

لقد حصل على الشهادة الابتدائية من الاسكندرية ثم انتقل مع اسرته إلى القاهرة عام ١٩٢٨ ليلتحق بمدرسة الفنون الجميلة العليا (كلية الفنون الجميلة حالياً) وكانت فى ذلك العام قد أصبحت تابعة لوزارة المعارف بعد عشرين عاماً من انشائها ظلت خلالها معهداً خاصاً ينفق عليه الأمير يوسف كمال .

كانت بعثات الجيل الرائد من الفنانين المصريين قد سافرت عام ١٩٢٥ إلى ايطاليا وفرنسا على نفقة الدولة ومدرسة الفنون الجميلة تنتظر عودتهم ليحتلوا اماكنهم فيها فدرس بيكار على أيدي الأساتذة الأجانب حتى عام ١٩٣٠ ثم على يد أحمد صبري بعد عودته من فرنسا مع زملائه الرواد وكان أحمد صبرى يعزف الموسيقى ويهوى الغناء مع تفوقه واستاذيته فى فن التصوير الزيتى ، وهكذا جمع حب الموسيقى واحتراف الرسم بين الطالب بيكار واستاذه أحمد صبرى ، وأخلص التلميذ لتعاليم استاذه فكان خير خلف .. وتخرج بيكار عام ١٩٣٣ ليلتحق لمدة عام آخر بدراسة تربوية حصل فى نهايتها « على شهادة الأهلية لتعليم الرسم » عام ١٩٣٤ ـ وهو نفس المؤهل الذى حصل عليه الفنان الراحل رمسيس يونان أحد رواد السريالية فى مصر ـ وتدرج مدرساً بالمدارس الابتدائية حتى عام ١٩٣٦ حيث انتقل الى التعليم الثانوى بمدرسة قنا الثانوية وهناك التقى « بالطالب صلاح عبد الكريم » ـ عميد كلية الفنون الجميلة بالقاهرة حالياً ـ وكان بيكار هو الذى شجعه على المضي فى طريق الفن .



الفنان حسين بيكار .. موهبة اعطت كل سنوات حياتها للفن

وبعد عامين انتدب للتدريس بمراكش حيث قضى ثلاث سنوات بالمعهد الخليفى بمدينة « تطوان » .

عاد الفنان عام (١٩٤٢) الى القاهرة ليعمل فى كلية الفنون الجميلة . معاوناً لاستاذه « أحمد صبرى » الذى كان رئيساً «للقسم الحر» ـ وهو القسم الذى كان يلتحق به الهواة دون التقيد بسن معينه أو دراسة سابقة ـ ثم تولى بيكار رئاسة هذا القسم ، ثم انتقل إلى القسم النظامى بعد أن أحيل استاذه أحمد صبرى إلى التقاعد .. وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٥٩ عندما فاجاه « علي أمين » طالباً منه تطليق وظيفته الحكومية ، فاستقال ليتفرغ للعمل الصحفى رسماً وكتابة ، حتى أصبح المستشار الفنى لدار أخبار اليوم .

• • •

اطل الفنان بيكار على جمهوره من خمس نوافذ ، كل نافذة كانت كفيلة وحدها أن تجعل منه نجماً معروفاً ، لكنه فنان متعدد المواهب ، بل وتعمد اغلاق نوافذ أخرى كان يستطيع أن يطل منها أيضاً على الناس العزف والغناء .

لقد اكتفى بالنوافذ التى تفتحها الصحافة والكتاب خاصة ما يتصل منها بفنه وريشته .

بيكار والأطفال

كان الرسم للطفل هو أول وجه متميز من وجوه هذا الفنان ، وكان رائداً فى هذا الميدان .

لقد كانت مجلة سندباد التى اصدرتها « دار المعارف » فى الاربعينات تنهض على كتفه ، حيث تولى رسم اغلفتها وقصصها المصورة المسلسلة .. فى ذلك الوقت لم يكن هناك فى عالمنا العربى من يستطيع النهوض بهذا العمل غيره ، وعلى يديه تدرب جيل من الفنانين وبدأت صحافة الأطفال تشق طريقها على أيدي تلاميذه الذين تعلموا منه أو شاهدوا رسومه فى طفولتهم .. ولقد اعلن بيكار أكثر من مرة أن الرسوم التى يتعرف عليها الطفل هى الموجه الرئيسى لذوقه الفنى عندما يشب عن الطوق « وهى التى وجهته هو شخصياً الى احتراف الفن عندما استحوذت على حواسه خلال دراسته لكتاب المطالعة» .. ومن هذا المنطلق اهتم بصحافة الأطفال

وكتبهم وانشغل بهذه المهمة ردحاً من الزمن ، هذا بالاضافة الى سبعة كتب للاطفال قام برسمها وتصميم اغلفتها وكلها صدرت فيما بين عامي (١٩٦٤ و ١٩٧٢) .

رسام الأغلفة

أما الوجه الثانى من اوجه بيكار الفنية فهو « غلاف الكتاب » لقد اسهم فى تطوير هذا الفن الى جانب الرسوم التوضيحية والصحفية ، فمع تطور الطباعة بالألوان ومع لزدياد الاهتمام بغلاف الكتاب والحرص على ان يكون ملوناً مبهراً ، خاض بيكار هذا الميدان بعد ان كانت اغلفة الكتب تقتصر على اسم الكتاب واسم مؤلفه دون اية زخارف او رسوم .. ولقد تفوق بيكار فى هذا المجال حتى كانت تنهال عليه الطلبات فيحيل بعضها الى تلامذته المتفوقين عندما تكون لكثر من طاقته .

معلم الرسم

ليس المقصود هنا الفترة التى قضاها مدرساً للرسم بالمدارس المصرية والمغربية ، وانما استاذيته للفنانين وللجمهور العريض من متابعى رسومه وكلماته ، لقد تخرج على يديه جيل من كبار فنانى مصر ، ثم ساهم بكلماته واحاديثه الاذاعية والتليفزيونية فى نشر الوعى الفنى وتعريف الجمهور بالقيم الجمالية فى معارض الفنانين ولوحات الفن العالمى ، انه يحرص على الالتقاء بقرائه صباح كل يوم جمعة اسبوعياً وبانتظام ليعرض فى بابه « الوان وظلال » بعض دروسه فى التذوق الفنى باسلوب صحفى جذاب يتناسب مع قارىء الجريدة اليومية ، مركزاً على التجارب الناجحة والأعمال المتفوقة ، ونادراً ما يوجه نقداً أو هجوماً . الا فى حالات فساد الذوق الصارخة .. وفى جميع كتاباته يقف موقف الأستاذ المعلم الذى يبسط ويعرض فى وضوح أعقد المشكلات وادقها . أما نشاطه الجامعى فلا زال قائماً متمثلا فى اشتراكه فى مناقشة رسائل الماجيستير والدكتوراه حتى بلغ عدد الرسائل التى شارك فى مناقشتها ١٧ رسالة مقدمة الى كليتى الفنون الجميلة والتربية الفنية .

الشاعر بيكار

إن الفنان الذى تفوق فى الموسيقى منذ الطفولة .. وانشغل بالايقاع والنغم وقام بتعليم الطلاب التكوين فى اللوحة وتناغم



لوحة من الحكايات والأساطير .. كانت من بين اعماله فى الصحافة .

الالوان وتناسقها ، تاثر فى اعماقه بهذه العلاقات الجمالية ، فكان أحد وجوهه هى «قرض الشعر » .. وقد حرص زمناً طويلا على اغلاق هذه النافذة لا يطل منها على الجمهور تماماً كما أغلق نافذتى العزف والغناء ، ولكنه عاد بعد تردد وفتح هذه النافذة منذ سنوات وأطل بوجهه « الرابع » منها على قراء مقاله الاسبوعى عندما راح يعبر بالرسم والنظم عن موضوع من الموضوعات التى تشغله مرة كل أسبوع .. وقد أصدر كتاباً بعنوان « صور ناطقة » جمع فيه رسومه واشعاره التى كان يلتقى من خلالها بالقراء اسبوعياً .. ونحن فى انتظار الكتاب الثانى عندما تتجمع لديه مادة كافية .

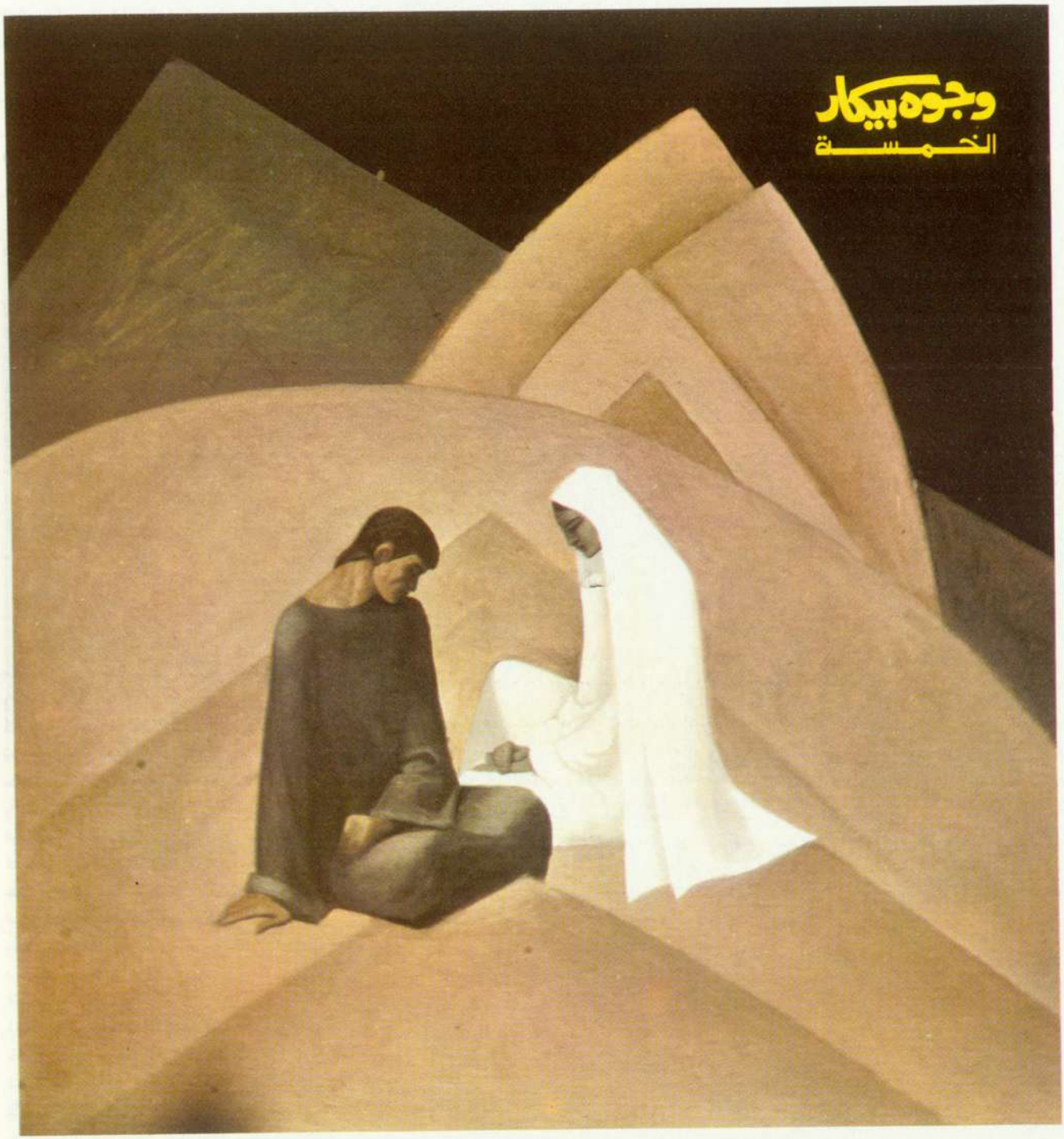
اما الوجه الخامس لهذا الفنان فيطل علينا من نافذة التصوير الزيتي التى يعرفها رواد المعارض الفنية « وأصحاب الوجوه » الذين يفوزون بالجلوس امامه ليرسمهم ، إنه رائد من رواد الجيل الثانى فى الحركة التشكيلية المصرية ، صحيح انه تتلمذ على يدى الأستاذ الكبير أحمد صبرى .. ولكن بعض التلاميذ يتفوقون على اساتذتهم ، وهذا يصدق على فناننا ..

فى عام (١٩٣٣) عندما تخرج الفنان فى كلية الفنون شارك فى اقامة متحف الشمع ، وكان هذا المتحف يضم وجوها وموضوعات من البيئة مطابقة للواقع كل المطابقة ، ولا تزال بعض محتويات هذا المتحف التى شارك بيكار فى صياغتها معروضة حتى الآن بالمتحف الزراعى بحى الدقى فى القاهرة .

من هنا نستطيع أن ندرك الاتجاه الوصفى الذى بدأ به الفنان حياته ، لقد كان مخلصاً للطبيعة قادراً على نقلها بامانة وتفوق حتى قال عنه البعض انه بدأ باسلوب أكاديمى متطرف ، لقد تعلم من استاذه فن رسم الوجوه الشخصية « البورتريه » وأصبح واحداً من أشهر أربع فنانين مصريين متخصصين فى هذا الفن الآن .

وقد أعلن « بيكار » مفهومه للواقعية عندما قال :

« ان الواقعية ليست تسجيل المظهر الخارجى للاشياء . ولا هى تسجيل الأحداث التى تمر بالمجتمع تسجيلا حرفياً ، فهذه هى مهمة الكاميرا لا الرسام .. ان مظاهر الأشياء لا تدل على واقعها إنما هى النظرة القشرية التى لا تتجاوز السطح أو اللحظة التى تؤخذ فيها الصورة ، بينما لوحة الرسام التى يبدعها بنبض قلبه وعقله ، فتتسم بالشمول ،



لوحة زيتية من مجموعة الفنان التى تبهرنا باسلوبها الذى يميل الى تبسيط الخطوط والدرجات اللونية

لما تضمه من عمر بأكمله ، وتحليل نفسى لأعماق الشخصية . إنها أيضاً ثمرة علاقة فكريه ووجدانية بين الرسام والمرسوم .. حياةتغوص فى اغوار حياة .. وبصيرة تكشف النقاب عما يدور تحت السطح .. »

هذا هو مفهومه لفن البورترية الذى لا يمكن ممارسته بالأساليب الحديثة ، وقد تفوق فيه وأجاد لأنه لا يتقيد بالشكل الذى أمامه كما لو كان قطعة من الأثاث وانما ينطلق منه ليعبر عما فى نفسه من انفعالات ، بينما يلتزم بما تحمله الملامح من مقومات شخصية ينفرد بها صاحب « البورترية » .

ان اعماله تفيض احساساً بالحيوية والحرارة التى تذكرنا باعمال الرومانسيين الأوائل فى هذا الميدان .

إن « بيكار » ذو مهارة خاصة فى تحديد الملامح ، حساسية شديدة تجعله يتعمق فى الشخصية التى يرسمها .. لكنه الى جانب هذا التخصص الدقيق له لوحاته الزيتية الموضوعية التى يرسمها بأسلوب يميل الى التبسيط.تبسيط الخطوط والأقتصاد فى الدرجات اللونية .. إنه عندما يرسم لوحاته الزيتية للموضوعات يقترب من أسلوبه فى الرسوم الصحفية الملونة ، مع مراعاة القيم الجمالية كالايقاع والتوازن والتكامل والتدرج اللونى المبهج للعين ، مستخدماً طريقاً رمزياً فى التعبير عن أفكاره



صورة شخصية .. عبر فيها عما تحمله الملامح من مقومات شخصية انفردت بها صاحبة اللوحة

.. إن لوحاته هى ابتسامات هادئة تثير الاحساس بالتفاؤل والمحبة ، وتبهرنا بما يحققه من تنسيق شكلى فى الألوان بأستاذية متمكنة وشاعرية رقيقة .

الأوسمة والجوائز

إن كل عمل فنى ناجح يحسن الجمهور استقباله هو « وسام » على صدر الفنان الذى أبدعه .. وحياة بيكار الفنية هى سلسلة من الأوسمة والجوائز يمنحها له الجمهور بكرم شديد .

ورغم كل مشغوليات الفنان وأعبائه ، فهو يحرص دائماً على المشاركة بأعماله فى المعارض العامة المحلية والدولية ، فضلا عن معارضه الخاصة المحدودة التى بدأ إقامتها مؤخراً منذ عام ١٩٧٧ بمعرضه للصور الشخصية التى رسمها ، إنه يهتم بتقديم هذا الانتاج لجمهوره وتلاميذه رغم أنه عادة يجمع اللوحات التى يشارك بها من بيوت أصحابها الذين يفخرون باقتنائها .. فاعماله موزعه بين المتاحف والمجموعات الشخصية ولا يملك منها فى بيته الا القليل .

ولقد أختير بيكار فى عام ١٩٥٨ ضمن خمسة فنانين مصريين اختيرت لوحة لكل منهم لتحفر على الكريستال فى مصنع « ستيوين » بالولايات المتحدة الامريكية ..

وعند انعقاد المؤتمر العالمى الأول للفنون التشكيلية فى بلغراد عاصمة يوغسلافيا عام ١٩٥٧ كان بيكار ممثلا للفنانين المصريين فى هذا المؤتمر .

وقد فاز بجائزة فن التصوير الزيتى الأولى على الجناح المصرى فى معرض بينالى الاسكندرية الثانى فى عام ١٩٥٧ .. وعرضت أعماله فى معرض خاص بدمشق عام ١٩٥٩ .

ومن الجدير بالذكر انه اقتحم ميدان السينما برسومه للفيلم التسجيلى عن معبد ابى سمبل « العجيبة الثامنة » للمخرج الكندى جون فيني ومدته ٣٠ دقيقة ... « حيث رسم بيكار مجموعة من اللوحات التوضيحية لتصور العلماء لكيفية بناء المعبد ، والطقوس التى كانت تؤدى فيه ، وقد بلغ عددها ٨٠ لوحة .. بينما يصور باقى الفيلم عملية نقل المعبد بكامله فوق الهضبة لانقاذه من الغرق تحت مياه بحيرة ـ ناصر » .

هذا وقد شارك الفنان فى قيادة الحركة الفنية وتوجيهها بعضويته فى لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب حتى إلغاءه ، ثم أصبح مقرراً للجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى للثقافة حتى استقال فى يناير الماضى « ١٩٨٢ » .. وهو عضو بالمجالس القومية المتخصصة ويجيد الانجليزية والفرنسية والاسبانية مع قليل من عدة لغات أخرى بالاضافة الى لغته العربية . وقد اتسعت زياراته التى شملت معظم بلاد العالم من أجل كل هذا استحق بيكار الأوسمة الآتية .

ـ وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى (١٩٦٧) .
ـ جائزة عبد الناصر (١٩٧٥) .
ـ الشهادة التقديرية فى الفنون (١٩٧٨) .
ـ جائزة الدولة التقديرية فى الفنون (١٩٨٠) .
ـ وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى (١٩٨٠) .

هذا بخلاف وسام « الاعتزاز » الذى ناله من الحكومة « الخليفية » بالمغرب عام (١٩٤١) .

صبحى الشارونى

يناير كان ثلاثين يومًا!

بقلم : عادل شريف

يناير هو أول شهر من شهور السنة الميلادية . وقد اشتقوا اسم يناير من « يانوس » وهو طبقاً للأساطير أحد آلهة روما الوثنية .. وكان يانوس إله الأبواب والبوابات و « بداية » الأشياء .. ولذلك اختاروه بداية للعام فى التقويم الجولياني .. وفى مراسمهم وطقوسهم الوثنية .. كان الرومان يصلون للإله « يانوس » قبل اي إله آخر .. حتى قبل صلاتهم لكبير الآلهة « جوبيتر » .. وكانوا يسمون (يانوس) رب الأبواب .. ويحتفلون به في التاسع من يناير .. ويقدمون الكباش قرباناً على مذبحه ! . والغريب ان صورة الإله « يانوس » كانت تظهره بوجهين .. احدهما متجه للأمام والآخر للخلف .. ويحمل في يديه مجموعة من المفاتيح وصولجانا ! واقاموا له فيما بعد تماثيل باربعة وجوه .. يتجه كل واحد منها إلى جهة من الجهات الأصلية ! . والأغرب ان ابواب معبده في روما كانت تفتح ايام الحروب .. وتغلق في ايام السلام !! .

وطبقاً للأساطير اضاف « نوما بومبيليوس » شهري يناير وفبراير إلى نهاية التقويم الروماني ذي الشهور العشرة فى حوالي عام ٧٠٠ ق.م وجعل يناير ثلاثين يوماً .. فقط ! وجعله الشهر الحادي عشر في السنة .

واستمر الحال على ذلك المنوال حتى عام ٤٦ ق . م . عندما اضاف يوليوس قيصر يوماً الى ايام يناير الثلاثين .. ونقل شهر يناير الى بداية التقويم .

واطلق اهل الشمال الأوروبى (فى سكندناوه) اسم « ثور » وهو إله الرعد والعواصف فى معتقداتهم الوثنية على شهر يناير لأنه كان شهر « الزمهرير » وهو شدة البرد !

أما الشعوب الانجلوسكسونية فاطلقت على شهر يناير اسم « وولفمونت » اى « شهر الذئب » لأن الذئاب كانت تهاجم القرى فى يناير بحثاً عن الطعام .

ايام ... مشهورة !

وفى نصف الكرة الأرضية الشمالى .. يشكل يناير ابرد شهور العام فى العادة .. وبعيداً عن زخات الأمطار والبرد (بتسكين الراء) والبرد ،بفتح الراء.. فان الهدوء يسود .. لأن هجرات الطيور تشحب .. وتنام الكثير من الحيوانات طيلة الفترة المعروفة باسم (البيات الشتوى) ويتوقف نمو النبات استعداداً للنماء فى الربيع التالى .

وعلى العكس من هذا .. فان النصف الجنوبى من العالم يعيش فترة دفء أو سخونة حسب اختلاف المكان .. وبعده عن خط الاستواء .. ويتصاعد نمو النباتات ويتزايد نشاط الحيوانات .

وتحتفل الدول المسيحية باول يوم من يناير باعتباره غرة العام الجديد ويسميه العرب (رأس السنة الميلادية) وتحتفل طوائف مسيحية مختلفة بايام ٦ ، ٧ ، ١٢ وبليلة ١٢ يناير .. وهو العيد الذى يسمونه (حضور الحكماء) ويسميها البعض « الليلة الثانية عشرة » أو « الكريسماس الصغير » أى عيد الميلاد المجيد الصغير ..

وفى منتصف يناير يحتفل الهندوس فى كل ارجاء شبه القارة الهندية بعيد « ماكارا سانكرانتى » وهو عيد الاستحمام الكبير . ويحاول الهندوس فى ذلك اليوم الاستحمام فى نهر الجانج لو استطاعوا الى ذلك سبيلا .. فهو فى نظرهم « النهر المقدس » .. أما السعيد منهم فهو الذى يستطيع الاستحمام عند مدينة الله اباد حيث يلتقى الجانج مع نهر جومنا !

وزهرة اللبن الثلجية هى رمز شهر يناير .. فهى تترعرع وتزهر فى عز الزمهرير !

أما العقيق الأحمر فهو مايفضله يناير .. من جواهر ! فالأساطير الوثنية القديمة .. تربط حتى مابين الشهور .. والأحجار الكريمة !

احداث هامة

وعلى مر الأيام وكر الأعوام .. وقعت احداث هامة فى يناير .. وها هى امثلة منها

- فى اول يناير ١٨٦٣ اصدر الرئيس الامريكى ابراهام لينكولن محرر العبيد بيانه الشهير « إعلان تحرير العبيد » .
- فى اول يناير ١٩١٣ بدأت مصلحة البريد الأمريكية نقل الطرود .. وهى عملية ركيزية فى الاقتصاد الوطنى المحلى .
- ولد شيشيرون أشهر ساسة الامبراطورية الرومانية فى ٣ يناير عام ١٠٦ ق . م .
- ولدت لوكريشياموت زعيمة حركة تحرير النساء يوم ٣ يناير ١٧٩٣ .
- اصبحت الاسكا الولاية الامريكية رقم ٤٩ فى يوم ٣ يناير ١٩٥٩ .


ابراهام لينكولن


موليير


مارتن لوثر كينج


بنيامين فرانكلين


سيزان


ادجار الن بو


موزار


هتلر


غاندى


إديسون

● شهد يوم ٤ يناير ١٧٨٥ مولد يعقوب جريم الالمانى .. الذى يعتبر وشقيقه من اشهر من كتب للاطفال .

● ولدت جان دارك بطلة فرنسا فى ٦ يناير ١٤١٢ .

● اقيمت اول انتخابات رئاسية فى امريكا فى يوم ٧ يناير ١٧٨٩ .

● بدأت الاتصالات التليفونية التجارية عبر الاطلنطى بين انجلترا وامريكا فى ٧ يناير ١٩٢٧ .

● اعلن الرئيس الامريكى وودرو ويلسون برنامجه الشهير النقاط الاربع عشرة .. امام الكونجرس يوم ٨ يناير ١٩١٨ .

● تاسست عصبة الامم فى ١٠ يناير ١٩٢٠ وكانت إرهاصا للأمم المتحدة التى عقدت جمعيتها العمومية « الأولى » فى ١٠ يناير ١٩٤٦ فى مدينة لندن .

● ولد موليير الاديب الفرنسى الساخر الشهير يوم ١٥ يناير ١٦٢٢ .

● ولد مارتن لوثر كينج الامريكى وزعيم حركة الحقوق المدنية يوم ١٥ يناير ١٩٢٩ .

● بنيامين فرنكلين السياسى والمخترع الأمريكى الشهير .. ولد فى ١٧ يناير ١٧٠٦ .

● بدأ مؤتمر فرساى للسلام فى يوم ١٨ يناير ١٩١٩ .

● ادجار آلان بو .. الكاتب الامريكى الشهير ـ صاحب الشخصية المزدوجة المحيرة بين الحنان والقسوة ـ ولد فى ١٩ يناير ١٨٠٩ .. وفى نفس اليوم ولكن فى عام ١٧٣٦ ولد جيمس وات المخترع الاسكتلندى الشهير .

● ويحتفل عشاق الموسيقى يوم ٢٠ يناير بعيد ميلاد جوزيف هوفمان اشهر عازفى البيانو .. اما عشاق الفنون فيحتفلون بمولد الرسام الفرنسى بول سيزان الذى ولد يوم ١٩ يناير ١٨٣٩ .

● فى ٢١ يناير ١٩٥٤ دشنوا « النوتيلوسى » اول باخرة تسير .. بالطاقة الذرية !

● اما عشاق الادب فيحتفلون يوم ٢٢ يناير بمولد فرنسيس بيكون الانجليزى (١٥٦١) واللورد بيرون الشاعر الانجليزى (١٧٨٨) .. واوجست ستريند برج الاديب والكاتب المسرحى العظيم (١٨٤٩) وصاحب التعبير الراقص المؤثر الشهير (الربيع فى الخريف) عندما احب وتزوج ممثلة نرويجية شابة وهو عجوز !

● وسيسعد عشاق بريق الثراء العاجل يوم ٢٤ يناير .. وهم يستعيدون ذكرى اكتشاف الذهب فى ولاية كاليفورنيا عام ١٨٤٨ .. والذى كان وحيا وإلهاما لمئات القصص والأفلام السينمائية .

● ولد الجنرال الامريكى دوجلاس ماك ارثر يوم ٢٦ يناير ١٨٨٠ .. وهو الذى احتل اليابان فى نهاية الحرب العالمية الثانية وصاحب مذهب « المكارثية » الشهير .

● وفى يوم ٢٦ يناير تحتفل الهند بعيد استقلالها منذ عام ١٩٥٠ .. وهو الاستقلال الذى دعم دنيا الحرية .. لان تحرير « درة التاج البريطانى » كان من اكثر الاحلام جموحا !

● درة من أشهر درر أدب الأطفال .. لابد وان اذاعات وتليفزيونات العالم ستبثها يوم ٢٧ يناير .. وهو يوم عيد ميلاد الاديب الانجليزى لويس كارول الذى ولد عام ١٨٣٢ .. وكتب قصة مغامرات « اليس فى بلاد العجائب » .. وفى نفس اليوم من عام ١٧٥٦ جاء إلى دنيانا الموسيقار الشهير وولفجانج اماديو موزار .. وشكرا للمخترع الأمريكى الأشهر توماس أديسون الذى نال فى نفس اليوم من عام ١٨٨٠ براءة اختراع من أعظم اختراعاته الكثيرة .. التى أضاءت الطريق أمام الجنس البشرى وأسعدته .. وهو المصباح الكهربائى ! ترى هل نستطيع تصور العالم .. بدون المصباح الكهربائى المتوهج ؟ !

● وفى يوم ٣٠ يناير من عام ١٨٨٢ شهدت بلدة هايدبارك بولاية نيويورك الأمريكية .. مولد فرانكلين روزفلت الرئيس الأمريكى رقم ٣٢ واكثر رؤساء امريكا شعبية .. والذى كان له دور كبير فى هزيمة المانيا النازية فى الحرب العالمية الثانية . التى أشعلها أدولف هتلر ومن الغريب أن هتلر فى نفس اليوم من عام ١٩٣٣ أصبح « مستشار » المانيا .. وهو اللقب الذى يطلق على رؤساء وزراء المانيا !

● واكثر الفواجع مأساوية فى ذلك اليوم ولكنها فى عام ١٩٤٨ هو اغتيال موهانداس غاندى .. زعيم الهند الروحى والسياسى .

● ويودع شهر يناير الدنيا فى آخر ايامه .. فى حنان ودفء .. وعلى انغام الموسيقار النمساوى فرانز شوبير .. الذى ولد فى ٣١ يناير ١٧٩٧ وقدم فى الواحد والثلاثين عاما التى عاشها عددا هائلا من المؤلفات الموسيقية الرفيعة المستوى .. التى أثرت الموسيقى العالمية .. واشجت الملايين فى كل ما فى كوكب الأرض من انحاء وارجاء !

لقطات من الكون المثير



مسكين هذا الزوج !

صفعة جديدة للذكور فى عالم العناكب ، ولا شان لنا هنا بعالم البشر ، فالصورة توضح حجم العنكبوت الضئيل بالنسبة لانثاه ذات الحجم الشرس الكبير ، وهو هنا فى موسم التزاوج من انثاه المعروفة باسم الارملة السوداء ، وسميت كذلك ، لانها تعيش وحيدة ، بالاضافة إلى انه لا يعيش لها ذكر ، إذ احيانا ما تكون ليلة زواجه ، هي ليلة انتقاله للدار الآخرة ، إذ يحدث ان تكون العروس جوعانة ، فتاكله قبل او بعد اداء مهامه الزوجية ، والمحظوظ من فلت منها بجلده قبل ان يصبح وليمة بروتينية لها ولنسلها القادم ، وما اغرب المفارقات ـ مفارقات الحياة .. والزواج إن شئت !



صياد ماهر.. ومنقار جاهز

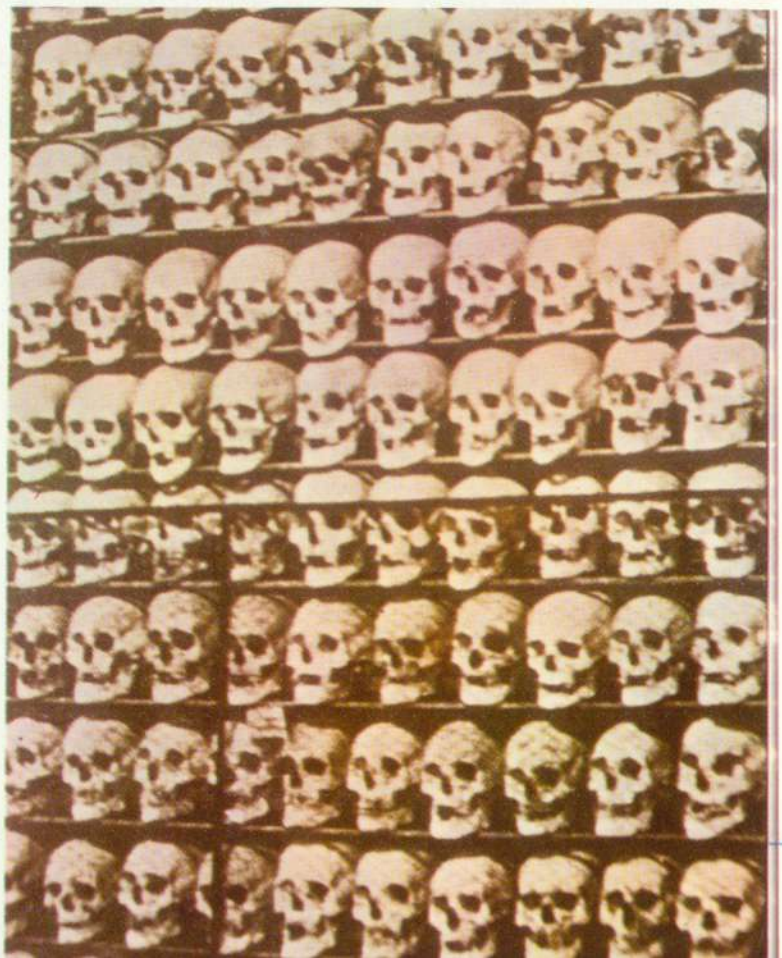
نصف دستة من الأسماك او تزيد ، تتدلى من منقار الطائر وكانه يطلب المزيد ، وذلك قبل ان يتوجه إلى فرخه الوحيد (لانه يضع بيضة واحدة فى الموسم الواحد) .. والطمع ليس فيه ، بل يرجع ذلك إلى نهم شديد في الفرخ لالتهام هذا الطعام الوحيد إذ بلغ من شراهته انه ياكل فى اليوم الواحد قدر وزنه من الأسماك ، وبهذا ينمو نموا سريعا حتى يصير فى وزن احد والديه فى غضون ستة اسابيع ، وبعدها يترك مكانه ، ليحذو حذو الآباء فى اصطياد الأسماك ، ويكرر بذلك القصة الازلية فى التزاوج والصيد .. بقي ان نعرف ان هذا الطائر يعرف باسم « البوغين » ، وهو يعيش قرب سواحل القطب الشمالي ، ويبذل مجهوداً كبيراً فى الطيران ، لقصر فى جناحيه وثقل فى وزنه ، ومن اجل هذا جاء منقاره مناسبا لحمل اكبر عدد من الأسماك ، توفيراً للجهد والطاقة بين غدوه ورواحه .

زهـــرة .. أم حشـــــرة؟



الشكل شكل زهرة ، فاذا تحرك كان حشرة ، فالخوف على الحياة من الحياة ، قد قدم لنا ثروة مثيرة من قصص الخداع والتمويه التى تقوم بها الكثير من الكائنات، فكل كائن يتربص بالآخر ليصبح له وجبة شهية ، ومن لا ياخذ حذره ، فلا يلومن إلا نفسه ، حشرة كان ذلك او ثعبانا او طائرا او إنسانا ، ولقد ترك الانسان لعقله ، وبه يدبر أمره ، لكن الكائنات التى جاءت بغير عقول ، قد سلكت فى حياتها طرقا غريبة تحير أصحاب العقول .. فهذا الكائن الذي تراه على النبات ، ليس إلا حشرة تعرف باسم فرس النبي ، ولهذه الحشرة انواع كثيرة .. منها ما يتلون باللون الاخضر او البني او القرمزي او الاحمر او الاصفر .. الخ ، والنوع الذي تراه هنا يعيش فى ماليزيا ، ولقد اتخذ وضعا مناسبا ليخدع الطامعين فى لحمه ، وساعده على الظهور بمظهر الزهرة ان ارجله وبطنه وذنبه قد اتخذت شكل بتلات (اوراق) الزهرة ، فجاء التمويه متقنا ، ليخوض لعبة من العاب الموت والحياة .

مستودع الجماجم .. له قصة متكررة!



الصورة تبين جزءا متواضعا من جماجم تراصت بنظام حزين فى مستودع يضم سبع الاف جمجمة لشباب كانوا ينبضون بالحيوية في يوم ٢٣ يونيو عام ١٨٥٩ وفى اليوم التالى راحوا ضحية حرب قامت حول قرية سولفرينو الواقعة على مسافة ٧٣ ميلا من ميلانو بايطاليا ، وفيها حارب الفرنسيون والايطاليون ضد النمساويين ، وتمخضت المعركة عن ٤٠ الف قتيل من الجانبين فى يوم واحد ، ولقد جاء هذا المستودع فى قرية سولفرينو شاهدا على هذه المذبحة الرهيبة ، وشهد رجل الأعمال السويسري هنري دونانت جزءا منها ، ورأى منظرا بشعا لا ينسى ، فكان ان كتب عن ذلك كتابا وضع فيه الأسس العريضة لمساعدة جرحى الحرب ، وعلى اساسه تاسست هيئة الصليب الاحمر الدولية ، لتساعد الانسان ضد افتراس الانسان وعدوانه وبغيه .. بقي ان نذكر ان مستودع الجماجم هذا يحمل لافتة كتب عليها « طريق المجد » .. ولا تعليق !

ميتافيزيقا البنفسج

أيّها القارئُ المنتمِي
اقتربْ من دمى
ها هنا شجرُ الحكمةِ الفلسفيُّ الوريفْ
يتبرجُ للمغرمِ
ويدِلُّ ويَابىٰ
فسبحانَ من وهبَ الشاعرَ الثّمراتِ
ودانى القُطوفْ
ثُم امسكَ فى الظلِّ بالفيلسوفْ

١ ـ فى البعد الأونطولوجى للبنفسج :

البنفسج فى ذاتِهِ عنصرٌ اولٌ
فهو نارٌ ترابٌ
وماءٌ هواءٌ
وفيضٌ من الذاتِ مُسترسِلٌ
وهو طبٌّ وداءٌ
وماءٌ نميرٌ
يفيضُ بهِ ثَمّ نهرٌ غديرٌ
ويجرى به جدولٌ سلْسلٌ
وهو ماضٍ ومستقبلٌ
البنفسج كينونةٌ فى الزمانِ
ودينونةٌ للمكانِ
وُجودٌ مَلاءٌ
وحُلمٌ مُضاءٌ
وجيشٌ من الشوقِ مُستبْسلٌ
إنه فاعلٌ وفعولٌ ومستفعلٌ

لا يضيرُ البنفسجَ جهلٌ
وليسَ يفيد البنفسجَ وعىٌ
فَيا ايها المدَّعِى
عِ البنفسجَ اولا تعِ
إنما للبنفسج إشراقةٌ طاقةٌ
نورُها رهن إيماءةِ الإصبعِ

٢ ـ فى أن له طابعاً إبستمولوجيا :

تَجدَّدْ .. وجدِّدْ
لتكشفَ ان البنفسجَ شكٌّ
تَحدَّدْ .. وحدِّدْ
لتعرف أن البنفسج حقٌ
وغيرَ البنفسجِ إفكٌ
فإن كان غيرُ البنفسج اخذاً
فإن البنفسجَ تَرْكٌ
توحَّدْ .. وَوحِّدْ
فما فى اختيارِ البنفسج شِرْكٌ
وآقبِلْ لتسعدْ
فليس كمُلكِ البنفسجِ مُلكٌ
وحاولْ ولا تتردّدْ
إنه جبلُ المعرفهْ
أيها المُرتقِى
قِ البنفسجَ اولا تقِ
شرَّ أروقةِ الفلسفه
البنفسجُ من نفسِهِ يتّقِى

٣ ـ الأساس الاكسيولوجى له :

البنفسجُ قربٌ
ومستقبلٌ شاخصٌ
وهوىً خالصٌ مستتِبٌّ
وشَعبٌ من العاشقاتِ
يواتيهِ من لَدُنِ العاشقينَ رعيلٌ وشعبٌ
فكل مُحبٍّ ومحبوبُهُ
إنما للبنفسج أُسلوبُهُ
فهو حبٌّ
وداء وطبٌّ
وذلك ان البنفسجَ أعجوبةٌ
ومعاييرُ مقلوبةٌ
وإذا ما اطعتَ البنفسجْ
فَسائِرُ ما فيكَ قلبٌ
والندىٰ والتوهجْ
شيمةٌ للبنفسجْ
شيمةٌ قيمةٌ
وحضورٌ مُتوّجْ
إنما يغزِلُ الحسنُ ثوبَ الهوىٰ
والبنفسجُ ينسجْ

٤ ـ فى سمته الكوزمولوجية :

البنفسجُ منتشرٌ فى دمِ الكونِ
فى الجلدِ تحتَ المسامْ
وهو مُستترٌ فى الاماكنِ
مزدهرٌ فى فِلزِّ المعادنِ
فى الزّنْكِ
فى زخمِ المنجنيزِ وخامِ الرخامْ
البنفسجُ إطلالةٌ هالةٌ
وعناصرُ فعّالةٌ
فهو نارُ الصحارىٰ ونورُ الخيامْ
وزمانٌ يعودُ على ذاتِهِ
مرةً كلَّ عامْ
إنه سِمَةٌ .. لا اتّسامْ

آيها المُتفلسِفُ ما اجهلَكْ
انتَ ادركتَ شيئاً .. وفاتَتْكَ مُدْرَكَةٌ
خابَ من عَلّمكْ
إنما الكونُ مملكةٌ
والبنفسجُ فيها الملِكْ

شعر: حسن طلب

٥ ـ فى قوته الترنسندنتالية :

البنفسجُ لا ينتمى
إنما يُنتمىٰ للبنفسجِ
او ربما يُحتمىٰ
بقوانينِهِ
ليظلَّ المحبُّ او الفيلسوفُ على دينِهِ
يتاملُ طوراً .. ويعشقُ طوراً
ويقطِفُ من عِنَبِ الوقتِ او تينِهِ
فيها الواقفون على البرزَخِ الفرّسخِ
الآن لا تقنَطوا
سَيجيءُ البنفسجُ فى حينِهِ
ويعودُ كما كانَ كانَ
فياشدَّ ما شاقنا منه طيفٌ
ويا طَالما
وَكائِنْ ترىٰ من حبيبٍ سما
فالبنفسجُ اسْمىٰ نجاراً
وآنقىٰ دما

ومن جَبَروتِ البنفسجْ
انه يستطيعُ النفاذَ إلى اىِّ حَدْسٍ
وَيُمْلِى على كل نفسٍ
ولا يتحرَّجْ

٦ ـ فى أن له صفةً فينومينولوجية :

ليس إلا البنفسجُ يُمكِنُهُ الغوصُ خلفَ المعانِى
فدعْ عنكَ كلَّ ضُروبِ القياسِ
وَخُذْ بالعَيانِ
وَجرِّبْ بنفسِكَ ..
أن البنفسجَ والحِسَّ سِيَّانِ
ان البنفسجَ والعقلَ صِنوانِ
نلك ان البنفسجَ ما هِيَّةٌ حيةٌ
ومفاهيمُ مرئيةٌ
إنما للبنفسجِ اجْرومِيَّةٌ
هى فى ذاتِها جوهرٌ للجواهرْ
فدع عنكَ كلَّ الحدودِ وكلَّ المقولاتِ
خُذْ بالعَيانِ المُباشِرْ

لانَّ البنفسجَ برهانُ نفيٍ
سيُلبِسُكَ الشكُّ تاجَ البنفسجْ
وَلأْياً بلأْيٍ
ستكشِفُ ان البنفسجَ عُنوانُ وعْيٍ
وإعلانُ رأيٍ
وَتاسيسُ منهَجْ

٧ ـ فى أيديولوجيته :

قاتلٌ وقتيلْ
البنفسجُ جيلٌ رَعيلْ
قاتلٌ وقتيلْ
البنفسج لا يُستمَالُ
ولكنهُ يستميلْ :
حينَ يخْتلِجُ الدَّمُ فى ساحةٍ للصعودِ الجميلْ
حين يمتزجُ الدمُ
.. يندمجُ الدم فى ذاتِهِ .. ويسيلْ
فيعلو الصليلْ
ويعلُو ويعلو
يكون البنفسجُ رَمْزَ القتيلْ
وفى مَلَكوتِ البنفسَجْ
تَتوازىٰ المِئاتُ الفئاتُ
وقد تهبِطُ الطبقاتُ وترقىٰ
تقاتلُ بعضاً لتبقىٰ
ويبقىٰ التَّدرُّجْ

فيها القارِئُ المُنتمِى
اقتربْ من دمِى
وَتجدَّدْ وَجدِّدْ
فالبنفسجُ شكٌّ
يقينٌ مُتَحَكٌ
وَمُبتدأٌ
وخِتامٌ
وَمِسْكٌ

● ● ●

هوامش

المصطلحات الفلسفية الواردة فى عناوين القصيدة النثرية ، مستوحاة شعريا وإيحائيا ودلاليا فى سياق القصيدة ، ومن ثم اصبح التعرف على دلالتها المباشرة مجرد نافلة ، ومع ذلك فقد اثرنا ان نعرف كلا منها بايجاز :

١ ـ الأونطولوجيا : علم الوجود العام ، أو الوجود بما هو كذلك .

٢ ـ الابستمولوجيا : نظرية المعرفة ، من حيث طبيعتها ومصادرها .. الخ .

٣ ـ الاكسيولوجيا : القيم في مفهومها الفلسفي التقليدي ، وهي الحق والخير والجمال .

٤ ـ الكوزمولوجيا : هي علم الكون ، أو الكونيات ، وتعني بالمشكلات المتعلقة باصل العالم وطبيعته ، باعتبار انه حقيقة متعينة خارج الذهن .

٥ ـ الترنسندنتال : تعود نشاة المصطلح إلى الفلاسفة المدرسيين في عصر النهضة الأوربية ، ويشيرون به الى الواحد او الحق او غيرها من المبادىء الكلية التي تتجاوز مقولات ارسطو .

٦ ـ الفينومينولوجيا : فلسفة الظواهر ، أو الفلسفة الظاهراتية ، التى يعد ادموندهوسرل ابرز ممثليها .

جمال قطب

الفنان العاشق للتاريخ



لورانس الماتاديما

فى أوائل القرن التاسع عشر ، بدأت موجة (الكلاسيكية الجديدة) فى الانحسار وكانت قد فرضت بالارهاب والدكتاتورية رغماً عن إرادة الفنانين وقيداً على حريتهم وانطلاقهم .. وفى عام ١٩١٨ اخذت المدرسة الرومانتيكية فى الظهور بزعامة (تيودور جيريكو) ، فحطمت آخر قيود تلك الكلاسيكية الناعمة الحالمة . والرومانتيكية مشتقة من لفظ (رومان) ومعناها بالفرنسية قصة أو حكاية ، أى أن هذا المذهب يعتمد على المبالغة فى تصوير المشاهد التراجيدية او الدرامية ، فالالوان اكثر اشراقاً ، والحركات مبالغ فيها ، والأبطال اعظم جسارة وقوة ، والنساء لروع فتنة وجمالا .

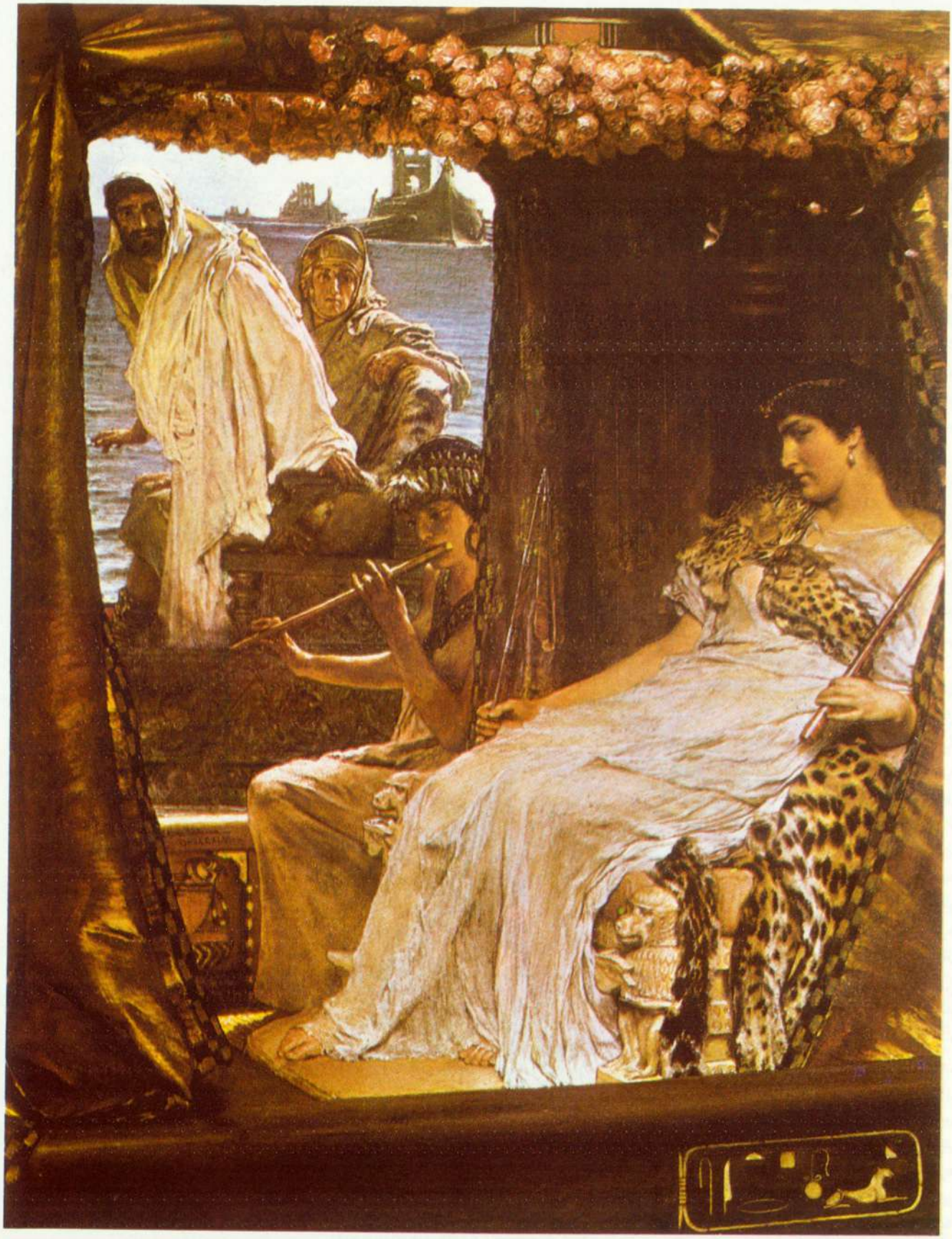
وفى النصف الثانى من القرن الماضى ظهر فناننا (لورانس الما تاديما) .. عبقرية فذة .. كانت حديث بريطانيا ومحل اعجابها وتفاخرها .. وقد يبدو من أسمه ما يثير الغرابة من بين الاسماء البريطانية ، اسمه الحقيقى (الماتاديما) ، فهو هولندى الأصل ، ثم اضاف اسم (لورانس) عرفانا بالوطن الثانى ـ بريطانيا ـ الذى اصبح وطنه الأول بعد ذلك عندما ذاعت شهرته كفنان يمثل الفن الفيكتورى فى القرن التاسع عشر أروع تمثيل !

تلقف تاديما ذلك الحظ من فلسفة الرومانتيكيين واتجه الى احداث التاريخ وحكاياه ليغوص فى اعماقها السحيقة ثم يصوغها فى أكمل ما شاهد الشعب البريطانى فى العالم اجمع من جمال مثالى وشفافية فى الاحساس بلغت حد الاعجاز !

ولم يتأثر (تاديما) أو يهتم بما حدث من انهيارات أو متغيرات فى المدارس الفنية المتعاقبة ، تلك التى توالت بسرعة لاهثة فى العاصمة الفرنسية كمركز عالمى للمذاهب الحديثة آنذاك .. حيث احتدمت المعارك الفنية بعد ظهور التأثيرية وسيطرتها فى الثلث الاخير من القرن الماضى ، وما تفرع عنها من أساليب شتى حتى انتهى القرن التاسع عشر بظهور (الوحشية) ثم التكعيبية والتجريدية والدادية الى أن ظهرت السيريالية عام ١٩٢٤ ففتحت الباب على مصراعيه امام متاهات وتيارات جارفة من التعبير التشكيلى يتناول المعقول وغير المعقول وعالم الاحلام واللاشعور والرؤى الذاتية ! نعود الى فناننا (تاديما) فنراه قد هام حباً بالتاريخ وسجله فى مئات من اللوحات يسيطر على أسلوبه شغفه بالاسلوب الأغريقى الذى يهتم بتأكيد الملمس وابراز التفاصيل وملأ الدنيا بابداعه العبقرى حتى حصل على جائزة (الميدالية الذهبية) عدة مرات كان أولها عام ١٨٦٤ وآخرها ١٩٠٦ ، وهذه الجائزة لاتمنح إلا لأعلام الفن البارزين . أما شغفه الحقيقى الذى استولى على مشاعره معظم حياته الفنية فكان الحضارة الفرعونية ! وعندما سئل عن اهتمامه بها ، كانت اجابته الشهيرة :

« إن أول شىء يلقن للطفل فى دراسته عن الحضارات الأولى هو الحضارة المصرية القديمة ، بل اننا كلما درسنا منابع العلم أو الفن فى أى دولة من دول العالم وجدنا أن هذه المنابع ما هى الا روافد لنهر النيل العظيم حيث توجد مصر كمنارة لأعرق الحضارات الكبيرة » !!

وفى عام ١٨٦٣ اقام فى لندن معرضاً عالمياً لم يعرض فيه الا لوحاته عن الحضارة الفرعونية .. كما قدم بحثاً ممتازاً مدعماً باللوحات والرسوم التفصيلية عن الحياة فى عهد رمسيس الثانى مستمداً معلوماته من أساتذة التاريخ المصرى ومن وثائق المتحف البريطانى والمراجع العلمية التى أنجزها علماء الحملة الفرنسية الشهيرة . وهكذا قدر للتاريخ الفرعونى أن يبعث حياً فى لوحات عالمية رائعة تعمر بها متاحف الدنيا حالياً .. على يد فنان من ابرز فنانى التاريخ العظام .



كليوبترا .. للفنان البريطانى والهولندى الأصل «لورانس الماتاديما»

درب الطحّان

قصة بقلم : وليد عياد



الريح تعوى مع الذئاب الضالة .. والمطر يهطل بغزارة فوق صفائح التنك فى مخيمات المقهورين .. والنجوم جميعها اختفت وراء السحب الداكنة .

وفى نهاية درب لا تمر منه سوى قوافل الحمير التى تحمل الحبوب كانت تتربع على تلة منبسطة طاحونة أبو محمود الذى جاوز العقد السادس من عمره بسنوات قليلة ، كان الطحان أبو محمود غارقاً فى أفكاره .. لا يعكر صفوها شىء .. فقد كان عواء الريح وتساقط المطر أجمل لحن يسمعه طيلة السنة بالاضافة الى صوت ماكينة الطحين .. ان هذا العام سيكون عام خير كثير .. ولن تتوقف ماكينة الطحين على مدار الفصل .

وعادت به أفكاره الى ما قبل قرابة نصف قرن حين كان فتى يافعاً وحيث فكر ولمرة واحدة طيلة حياته فى الزواج من الفتاة الوحيدة التى أحبها .. ولكنها رغبت عنه لعرج فى ساقه لكن لم يثنه ذلك عن الالتحاق بثورة ٣٦ فوق الجبال المحيطة بالقدس الشريف ..

وأخذ يتخيل كيف لو أنها قبلت به زوجاً على سنة الله ورسوله .. وتصور الطاحونة مليئة بالابناء والاحفاد .. وابتسم .. وعاد ثانية الى أفكاره وعويل الريح وصوت المطر .. عندما يصحو الطقس غداً سيذهب الى المدينة لتفصيل حذاء له .. فهو لا يستطيع أن يشترى أحذية جاهزة لقصر فى احدى ساقيه .. حذاء ؟ لا ، لماذا ؟ ليس له حاجة به .. فهو لا يتجول كثيراً .. ربما سيشترى موس للحلاقة .. ماله وللحلاقة .. ان لحيته بدأت تشيب وبغزارة فى الأونة الأخيرة وسيتركها تطول .. وان نزعها فهو لا يستطيع نزع السنوات التى يحملها على كاهله ..

وأنار البرق فكرة لذيذة .. وبلع ريقه .. انه سيشترى حلوى نعم .. سيخزن صفيحة مليئة « بالحلقوم » يتذوق منها حينما يشاء .. وكيفما شاء .. هذه الحلوى التى طالما أحبها طيلة حياته .. وأخذ نفساً طويلا ملأ رئتيه برائحة الطحين التى تنتشر فى جميع أرجاء الطاحونة وتفوح من فراشه وحتى ثيابه .

قريباً ستأتى قوافل الحمير متعبة وبخطوات مبعثرة من صعود درب الطحان ولكنها ستعود هابطة الدرب جذلى .. مشرئبة الآذان .. وبخطوات منتظمة .

البرق يضيء الطاحونة وتبدو له الماكينة وكأنها تقف مستعدة للعمل .. الرعد يجلجل فى الفضاء البعيد .. وفى أثناء ذلك سمع صيحات .. لم تكن ببعيدة عن الطاحونة.وأصوات تقرع الباب .. من يا ترى ؟ هل هو غصن هزه الريح على مقربة من الباب .. أم أصوات صدى الرعد .. أم هو حيوان جريح .. أصوات كثيرة وتعليلات أكثر تواردت على ذهنه .. وعادت الأصوات ثانية .. انه شبيه بصوت .. نعم .. !! انه صوتها لم ينسه وأن يكن مر عليه قرابة نصف قرن .

وتدثر بلحاف ضمه الى رأسه وكتفيه وتحامل على نفسه وتسلح بعكازه الحديدى وأخذ شعلة حطب من المدفأة لتضيء له الطريق ، وهرع الى الباب وفتحه .. الريح الباردة المحملة برذاذ المطر .. صفعت وجهه .. ونظر حوله فلم ير شيئاً .. سوى المطر وهو يرقص فى برك الماء المتجمعة فى فناء الطاحونة .. وضحك فى سره .. منظر المطر الساقط فوق البرك الصغيرة يطلق عليه الأطفال « رقص العجائز » .. وانطفأت الشعلة فى يده والقى بها جانباً .. البرق يضيء أشجار اللوز والتين المبعثرة حول الطاحونة .. يتبعه هدير الرعد الذى أخذ يقترب منه . وعاد وسمع الصيحة ذاتها .. وسار الى حيث المكان الذى اعتقد أنه سمع الصراخ منه .. ولم ير شيئاً غير أنوار خافتة منبعثة من فوانيس المخيم ..وأخذ يفكر..هل هو صوتها؟ لا .. لا يمكن ماذا جرى لها فى هذه الساعة من الليل وفى هذا الجو العاصف ومن بعد قرابة نصف قرن .. ؟ ربما أنها أصوات حيوانات مذعورة .. وأخذ يقترب من مكان الصوت أكثر فأكثر .. ولمع برق أنار كل ما كان حوله بلون فضي .. انه على مقربة منه جداً .. وشعر بدفء شديد صحبته حرارة امتدت من عكازه الحديدى .. وضوء ينساب منه ويغمر جسده ويضفى بغلالة ناعمة على عينية اللتين ارتسمت عليهما صورة فتاة أحبها حباً عنيفاً منذ زمن بعيد .



قف نعلم

عبد العزيز السيد المصري

كيف يتكون الفحم ؟

تكون الفحم خلال عصور كثيرة مختلفة على طول تاريخ الأرض . وأعظم الفترات التى تكون فيها الفحم هو العصر الذي يسمى بنسيلفانيا الذي بدأ منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة وانتهى منذ حوالي ٣٥ مليون سنة . ومعظم انواع الفحم قد تكون فيما بين مليون إلى مائة مليون سنة مضت . ماالذي حدث فى أثناء هذه العصور ؟ وكيف تكون الفحم ؟ .

يوجد الفحم فى الأرض على شكل طبقات تمتد الى عدة أميال . يصل سمكها أحيانا إلى أكثر من عشرة أقدام ، وهو مدفون بين طبقات أخرى من الصخور . والفحم هو بقايا الأشجار والنباتات التى نمت فى أحراش المستنقعات ذات الأجواء الحارة الرطبة فى تلك العصور التى ظلت مئات الملايين من السنين . فنباتات الحلفاء التى كانت تنمو بسرعة ، وأشجار السرخس الطويلة التى نمت فى هذه المستنقعات ماتت وسقطت فى مياهها الهادئة . وقد حماها ذلك من التعفن الذي كان يمكن أن يبيدها إذا ما تعرضت للهواء . وحولت البكتيريا بعضا من أجزائها إلى غازات هربت وخلفت وراءها خليطا أسود هو الكربون فى الغالب .. وهو الذي سيصبح فيما بعد طبقة من الفحم . وقد تسببت سنوات عديدة من النمو الخصب وسقوط النباتات والأشجار فى هذه المياه إلى أن يصل سمك النباتات الذابلة الى كثير من الأقدام . وفي وقت طويل أو قصير وصلت هذه العملية إلى نهايتها عندما غاص سطح الأرض ونتج عن ذلك طبقة سميكة من الطين والرمل ترسبت فوق الخضرة الغارقة فى الماء . وبمرور الزمن ضغطت هذه الطبقة الضاغطة من الطين والرمل على الخضرة فاخرجت ما فيها من سائل وتكررت هذه العملية فى بعض الأماكن عدة مرات .

وعندما كانت تبنى طبقة الراسب الثقيلة حتى تصل إلى مستوى سطح الماء ، كان يتكون مستنقع آخر .. وتتكون طبقة من النباتات مرة أخرى ثم تغوص مرة ثانية .

وبهذه الطريقة تتكون طبقات الفحم منفصلة كل طبقة عن الأخرى بطبقة من الطين والرمل اللذين صارا بمرور الزمن صخراً . وقد استغرق التغير من الخشب إلى الفحم آلاف السنين .. ويمكن رؤية الدليل على تحول الخشب إلى فحم بسهولة .. ففي بعض الأحيان نجد شجر سرخس حقيقياً مضغوطاً بين الفحم أو أشكال من لحاء الشجر . حتى قرم الشجر الصغيرة قد رؤيت بين الفحم .

أول من فكر في الحروف الهجائية

قبل أن يعرف الناس الحروف الهجائية كانوا يستعملون الصور فى تسجيل أفكارهم والحوادث التى مرت بهم ، فصورة مجموعة من البقر الوحشى فى مكان تدل على أن هذا المكان أرض صيد جيدة ، وذلك يعنى أن ذلك النوع من الصور كان نوعاً من الكتابة .

ثم حدث بعض التغيير فى الكتابة بالصور بمرور الزمن وبدلا من أن تكون الصورة للدلالة على الموضوع المرسوم نفسه أصبحت تدل على فكرة مرتبطة بالموضوع المرسوم فربما تدل صورة قدم على الفعل « يمشى » .

وجاءت الرموز التى تعبر عن خليط من الأصوات فصارت صورة « ذراع » مثلا تدل على مجموعة الأصوات التى تتكون منها كلمة « ذراع » حين ينطقها ، وكلما أراد أن يعبر عن هذه الأصوات رسم صورة « ذراع » وكررها كلما تكررت هذه الأصوات . وتسمى هذه المرحلة من الكتابة الهجائية .

وقد ابتكر المصريون فيها نوعاً من الحروف الأبجدية فكانت صورهم تعبر عن ٢٤ رمزاً وكانت تقوم مقام حروف متفرقة أو كلمات متفرقة كل منها يمثل حرفاً ساكناً .

ومنذ ٣٥٠٠ سنة تقريبا صنع الناس كانوا يعيشون قرب الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط الخطوة العظيمة التى وصلت بنا إلى حروفنا الهجائية ، فقد تنبهوا إلى أن الرمز نفسه يمكن أن يستخدم لنفس الصوت الذى يرمز إليه فى جميع الحالات أى أنه كلما تكرر الصوت رسم الرمز للدلالة عليه .

وقد تطورت رموزهم على أيدى النبطيين والآراميين والعبرانيين والفينيقيين وكانت حروفنا العربية الهجائية إحدى ثمرات هذا التطور .

أين طبعت أول صحيفة ؟



ربما يكون لديك صحيفة أخبار حائطية فى مدرستك . ما الذى حصلت عليه بعد قراءتها ؟ . لقد حصلت فقط على الأخبار . فى يوم ما كانت جميع الصحف هكذا .. كانت الأخبار تجمع من المسافرين أو من مصادر الحكومة وتقدم على لوحة أخبار لكل فرد ليقرأها .

بالطبع ليست هذه صحيفة حقيقية لأنك لاتستطيع أن تأخذ الصحيفة معك لتقرأها فى أى مكان تحب .. واذا أردت أن تعرف أول صحيفة طبعت يجب أن تعود الى الصين منذ حوالى ١٣٠٠ سنة . فى هذا الوقت طبعت الحكومة صحيفة أطلقت عليها اسم «نشينج باو» ومعناها أخبار العاصمة . وبهذه الطريقة كانت الحكومة قادرة على إخبار الناس باهم التطورات . وكان هناك أيضا صحيفة حكومية فى روما القديمة كانت توزع بين الناس وكانت تسمى «أكتاديورنا» وتعنى الأحداث اليومية . هاتان الصحيفتان هما أول الصحف التى لدينا تسجيل عنها .

وصدرت أول صحيفة أمريكية فى بوسطن وماساتشوست فى سنة ١٦٩٠ ، ولكنها سرعان ما أغلقها حاكم المستعمرة .. وأصدر بنيامين فرانكلين صحيفة اسمها جرنال بنسيلفانيا من سنة ١٧٢٩ الى سنة ١٧٥٢ ، وكان فى المستعمرة صحيفتان فقط . ولكن عندما قامت الثورة الأمريكية كان هناك ٣٧ صحيفة .

وربما تكون أعظم الصحف التى نشرت تأثيراً ونفوذاً «لندن تايمز» سنة ١٧٨٥م ، وما زالت مستمرة حتى اليوم .

موسوليني والحركة الفاشية

بقلم : محمد العزب موسى

من مفارقات القرن العشرين أن شعبين من أرقى شعوب أوربا وأكثرها ثقافة وحضارة دانا بالطاعة العمياء ما يقرب من جيل كامل لزعيمين دكتاتوريين مجردين من أى رقى وثقافة ، كانا فى مطلع حياتهما متشردين ، أفاقين ، يعيشان على هامش المجتمع ، وفتات الأفكار ، ورغم ذلك استطاعا أن يفرضا ارادتهما على أداة الحكم ، وعلى قلوب معظم أبناء شعبيهما .

والحديث بالطبع عن ألمانيا وإيطاليا ، وعن هتلر وموسوليني ، وقد قاد كل منهما شعبه فى النهاية الى الشقاء والهزيمة ، ودولته الى الخراب والدمار ، بالرغم من انجازاتهما الكبيرة التى حققاها فى صدر حكمهما ، والتأييد الواسع الذى حصلا عليه من العامة والخاصة على السواء .

ولكنها الفاشية ، ذلك المرض السياسى الذى يمكن أن يصيب أرقى الشعوب ويطوعها لأدنى القيادات ، وأضل الأهداف. والفاشية من النزعات الاستبدادية التى تسعى الى اقامة ما يسمى بالمجتمع الشمولى ، أى الذى تتدخل الدولة فى كل شئونه ، وهى خلافاً للنظريات الشمولية الأخرى تنمو عادة فى الدول الأكثر تقدماً من الناحيتين الاقتصادية والتكنولوجية ، كما انها خلافاً لبعض النظريات الشمولية ايضاً من منتجات ما بعد الديمقراطية والتصنيع ، وبينما تسعى النظريات الأخرى إلى اقامة مجتمع جديد على انقاض المجتمع الرأسمالى القديم ، تسعى الفاشية الى حل مشاكل المجتمع الرأسمالى واخراجه من أزمته .

فعندما تصل بعض المجتمعات المتقدمة اقتصادياً وتكنولوجياً وديموقراطياً وتصنيعاً ، إلى مرحلة الأزمة الوطنية ، حيث الكساد الاقتصادى والبطالة والتمزق الحزبى والهوان الوطنى تبدو أمامها الدكتاتورية الفاشية بما تتيحه من الوحدة الوطنية وما تسعى إليه من تحقيق الهدف الوطنى ، كحصن للأمان وطوق للنجاة ، ومن المفارقات أنه كلما كانت الحركات الفاشية أكثر إمعاناً فى الارهاب والتطرف لقيت تأييداً أكبر من جانب الشعب .. وتعتمد الفاشية عادة على اثارة النزعات الوطنية والعنصرية والتوسعية بين أفراد الشعب ، واستغلال مشاعر السخط والاستياء وعدم الاحساس بالأمن ، وتحويلها الى الكراهية والعدوان ضد « الاعداء » فى الداخل والخارج .

وتعتمد الفاشية على حزب واحد يقوده زعيم أوحد ، حزب يدين بالولاء والطاعة العمياء لقرار الزعيم ، ولا يعترف بأى شكل من أشكال الديمقراطية حتى ما يسمى بمبدأ الديموقراطية المركزية الذى تأخذ به ولو ظاهرياً الأحزاب الأخرى التى تسعى لفرض دكتاتورية طبقة واحدة ، مما يجعل الفاشية مناقضة على طول الخط للديموقراطية بكل صورها ومظاهرها ، منكرة للحريات العامة والخاصة ، وهى تعامل خصومها فى الداخل بأشد الأساليب قسوة وانكاراً باعتبارهم « أعداء للشعب » وتستخدم فى تجميل صورتها أمام الشعب أبرع أساليب الدعاية ، وتوقى نفسها النقد بتكميم الأفواه .

وقد استطاع موسوليني أن يفرض زعامته المطلقة على الشعب الايطالى مستغلاً أزمته الوطنية والديموقراطية فى مطلع العشرينات ، ومعتمداً على حزبه الفاشى وأنصاره الارهابيين الذين كانوا يرتدون القمصان السود ولا يتورعون عن



موسـولينى في شـبابه ، عندمـا كان فـي العشرينـات يحـلم بالصعـود إلى المجـد









اربع لقطات لموسوليني تمثل مراحل حياته منذ كان احد الزعماء البارزين في الحـزب الفـاشي ، إلى ان اصـبح زعيمـا للحـزب .

العصف بخصومهم فى أى مكان . واستطاع أن يلهب مشاعر الايطاليين بشخصيته المغناطيسية ونبرات صوته وقدرته على الخطابة ، فبدأ أمامهم كزعيم رومانى عظيم ممن كانوا يهزون المنابر وينتصرون فى الحروب أيام روما القديمة ، بل إنهم قارنوه بيوليوس قيصر ، وخرج قيصر من المقارنة خاسراً ، واستطاع موسـولينى أن يقـوض التجـربة الديموقراطية فى إيطاليا تقويضاً كاملا ، وأن يتغلب على جميع منافسيه وخصومه السياسيين بدهائه وقدرته على المناورة وأساليبه فى التصفية المعنوية والجسدية حتى أصبح هو « الدوتشى » أوالزعيم الأوحد الذى يدين له الكل بالولاء رغبة أو رهبة ، اقتناعاً أو خوفاً ونفاقاً .

وفي أوج مجده كثيراً ما كان موسولينى يقف فى شرفة قصره المطل على أكبر ميادين روما ، وقد رفع فكه العريض الى أعلى وملأ صدره المرصع بالنياشين بأكبر قدر من الهواء ، ووضع يديه فى وسطه ، وباعد بين ساقيه بحذائهما ذى الرقبة الطويلة ، ومن تحته يحتشد الميدان بمئات الألوف من الايطاليين ، يقفون كتفاً إلى كتف ، يهتفون بحياته وزعامته ، وهو يفتعل الصبر حتى يهدأ الهتاف كى يبدأ فى إلقاء إحدى خطبه النارية فى نبرات مؤثرة ، وعبـارات بليغة .

وكم تختلف هذه الصورة للدوتشى فى أوج مجده عن صورته فى بداية حياته حين نراه بلطجياً ، عاطلا ، متسكعاً ، يحـل مشاكله بقوته البدنية ، ويأوى الى دورات المياه أو محطات السكك الحديدية أو تحت الجسور ، ويتعرض لالقاء القبض عليه فى مدن سويسرا وأوربا . وقد حدث عندما صار موسولينى رئيساً لوزراء ايطاليا ان زار سويسرا ذات مرة ونزل فى واحد من أكبر قصورها . وأشار موسولينى بيـده من النافذة وقال لمرافقه مـدير البـوليس السويسرى : تحت هذا الجسر ايها الجنرال قبض على رجالك يوماً . فأجابه الجنرال السويسرى : هذه هى الحياة يا صاحب الفخامة !

وموسولينى من الشخصـيات التى تتعارض بشأنها الآراء تعارضاً كبيراً ، فهو شخصية خلافية من الطراز الأول ، وقد صدر عنه خلال هذا العام (١٩٨٢) كتابان فى الغرب احدهما بعنوان « الدوتشى » بقلم انتونى جيمس جونز ويحوى دفاعاً مستميتاً عن الزعيم الايطالى ، والثانى بعنوان « موسولينى » بقلم دينيس ماك سميث وهو عبارة عن إدانة كاملة له . فموسولينى فى نظر الكاتب الأول هو أول رئيس وزراء أوربى من الطبقة العاملة ، وأصغر رئيس وزراء فى تاريخ ايطاليا ، ومثقف كون نفسه بنفسه ، وعازف كمان ماهر حساس ، ووطنى مخلص انقذ ايطاليا من الفوضى والارهاب الأحمر ، وحولها الى دولة صناعية حديثة ، واكتسب اعجاب العالم أجمع قبل أن يتورط فى « غلطة حياته الكبرى » وهى التحالف مع أدولف هتلر فى الحرب العالمية الثانية ، وحتى فى نهايته مات بشجاعة عندما أمسـكت به « عصابة من الشيوعيين » وشنقته فى ابريل ١٩٤٥ بأوامر من الزعيم الشيوعى بالميرو كولياتى الذى خشى أن يقع موسولينى بعد الاطاحة به كرئيس للوزراء فى يد القوات الامريكية المتقدمة فيبوح بأسرار الفظائع التى ارتكبها الشيوعيون

موسوليني والحركة الفاشية

في شمال إيطاليا !

فاذا انتقلنا الى الكتاب الثانى بتفاصيله الدقيقة الكثيرة المذهلة إذا بموسوليني يطالعنا كبلطجى شرير ، وكذاب اشر ، فطر على العنف والاجرام منذ نعومة أظافره ، لا يؤمن باى مبدأ أو فكرة إلا كسلاح يستخدمه حسب الظروف ، هدفه الوحيد الوصول الى السلطة السياسية باى ثمن ومن أى طريق ، وعندما وصل إلى الحكم مستعينا بالغدر والتضليل والقوة المجردة فرض دكتاتوريته الطاغية على امة منقسمة ممزقة وجرها وراءه من كارثة الى أخرى ، حتى انتهى بالتحالف مع النازية . وألقى ببلاده فى أتون حرب مدمرة لتحقيق أحلامه الشخصية فى انشاء امبراطورية ، وانتهى النهاية الجدير بها ، قتيلا معلقا من رجليه مع عشيقته كلارا بيتاتشى فى أواخر الحرب العالمية الثانية .

سنوات التكوين

اذا كانت السنوات الأولى فى حياة أى زعيم جديرة بالدراسة لدلالتها على فطرته وشخصيته المقبلة ، فان هذه المرحلة من حياة موسوليني أولى بالدراسة لانه استكمل فيها بالفعل كل ملامحه التى عرف بها من بعد . وقد كان هو نفسه يعترف بان السنوات الاربعة عشرة الأولى من حياته ، بما فيها من حرمان وقسوة وشقاء ، كانت عميقة الأثر فى تكوينه .

ولد موسوليني فى مدينة بريداييو الصغيرة بمقاطعة رومانيا بوسط ايطاليا فى ٢٩ يوليو ١٨٨٣ ، وكان الابن الأول لحداد محلى يدعى اليساندرو مما جعله يفخر فيما بعد باصله المتواضع ويسمى نفسه « رجلا من الشعب » ، غير أن أسرته لم تكن بالهوان الذى صوره هو فى كتاباته فقد كان أبوه صحفيا اشتراكيا بعض الوقت الى جانب كونه حدادا ، وكان جده ضابطا فى الحرس القومى ، أما أمه روزا فكانت مدرسة القرية ، وكانت الأسرة تعيش فى غرفتين بالدور الثانى من المبنى الذى تحتله المدرسة ، ويذكر بنيتو انه كان يقيم مع أخيه ارنالدو فى غرفة تستخدم كمطبخ فى نفس الوقت مما جعلها مسودة دائما بالدخان . أما الغذاء المعتاد للأسرة فهو الحساء والخبز الأسود ، واللحم فى أيام الأحاد والأعياد .

وكان الأب يقضى معظم وقته فى مناقشاته السياسية فى الحانات ، وينفق معظم نقوده على عشيقاته ، وكان كسولا يعمل فى فترات متقطعة ، ولكنه يكسب احترام الآخرين بأمانته وشجاعته ، غير انه كان قاسيا فى تربية ابنائه يؤمن بالعقاب البدنى ، ويستخدم السوط فى تسيير شئون اسرته .

وقد نشأ بنيتو طفلا ميالا للشغب ، قلقا عدوانيا ، عنيدا ، تعلم النطق بصعوبة فى سن متاخرة ، وظل طيلة طفولته منطويا على نفسه . ميالا للعزلة ، لا يبكى ولا يضحك ، ولا يصادق لداته من الأولاد ، ويقال ان ميوله العدوانية ظهرت فى وقت مبكر ، فكان ينزع ريش الدجاجات وهى حية ، ويفقأ عيون العصافير التى يصطادها ، ويخز الناس بالدبابيس فى الكنيسة كى يجعلهم يصيحون . قال يوما لأمه « ساجعل الأرض ترتجف منى فى يوم ما » !

ولم يستطع المدرسون فى مدرسة القرية السيطرة عليه ، فارسل الى مدرسة للآباء السالزيان فى مدينة فاينزا المجاورة ، ولكنه كره التعليم الدينى ، واثبت انه اكثر عدوانية واستعصاء على السيطرة ، وطعن زميلا له بمبراة ، وهاجم أحد الآباء لأنه أراد تاديبه ، فطرد من المدرسة ، ولزم البيت بقية العام الدراسى يعلم نفسه بمساعدة أمه ، ثم أرسل الى مدرسة أخرى لا يديرها القسس فى فورليمبوبولو وهناك أيضا هدد بالطرد أكثر من مرة بسبب شقاوته وتمرده .

غير أن موسوليني الى جانب عنفه ومشاكسته كان تلميذا ذكيا ، واستطاع اجتياز امتحاناته النهائية بدون مشقة وحصل فى عام ١٩٠١ على دبلوم يتيح له أن يكون معلما ، واشتغل بالفعل مدرسا تحت التمرين فى مدرسة جوالتيرى الابتدائية فى فورلى ، ولكنه سرعان ما تاكد أن مهنة التدريس لاتناسبه بسبب قلقه وطموحه ونفاد صبره ، فترك عملة كمدرس وأطلق لبوهيميته العنان ، يتعاطى الشراب ، ويلعب الورق ، ويغير الصديقات ، وفى يونيو ١٩٠٢ قرر الفرار الى سويسرا هربا من الخدمة العسكرية ، والديون ، والعشيقات .

كان عندئذ فى التاسعة عشرة من عمره ، شابا قصيرا شاحبا ، بفك ضخم ، وعينين سوداوتين ثاقبتين ، كارها للبشر ، وعاش فى سويسرا مفلسا ، متشردا ، عاطلا ، مهملا . ينتقل من عمل لآخر ، فاشتغل عامل بناء ، وصبى جزار ، ومناولا فى مصنع ، وكان يخالط المتشردين وينام فى المراحيض العامة وتحت الجسور ، وقيل انه شوهد يشحذ أحيانا أو يحاول الحصول على طعامه بالتهديد ، وقبض عليه أكثر من مرة بتهمة التشرد .

أقام موسوليني ثلاث سنوات فى سويسرا كانت بمثابة سنوات تكوينه الفكرى والسياسى ، ففيها بدأت تظهر ميوله الثورية وموهبته فى الخطابة وإثارة الخواطر ، وانتخب سكرتيرا لنقابة عمال البناء ، واتصل بأوساط العمال الايطاليين المهاجرين الى سويسرا ، وببعض المنفيين الثوريين من روسيا ، وهؤلاء فتحوا له باب الأدب اليسارى ، فاخذ يقرأ بكثرة وتنوع ـ وان يكن بدون عمق ـ لكانت ، وسبينوزا وماركس ، وكروتبكين ، ونيتشه ، وهيجل ، وكاوتسكى ، وسوريل ، كما استطاع أن يعلم نفسه الألمانية والفرنسية بالترجمة عنهما مباشرة .

وتزايد نشاط موسوليني ، فكان يخطب فى الأماكن العامة متحديا السلطات ، وداعيا العمال الى ما أسماه « يوم الانتقام » ، فاعتقل وسجن أكثر من مرة فى بون ولوزان ، وأخيرا طرد من سويسرا فى عام ١٩٠٤ ، فقصد إلى فرنسا حيث أمضى عدة شهور هناك كان يتعيش خلالها من قراءة الطالع للناس كواحد من الغجر ، ثم غادر فرنسا سيرا على الأقدام وأخذ يتجول فى المانيا والنمسا ، وأخيرا عاد إلى سويسرا محاولا مواصلة حياته البوهيمية مرة أخرى ، وفى تلك الأثناء حوكم غيابيا فى ايطاليا وادين بتهمة التهرب من التجنيد ، مما جعله يفكر فى الهجرة من أوربا بأسرها إلى مدغشقر أو أمريكا ، ولكنه لم يلبث ان استفاد من عفو عام فعاد إلى ايطاليا وهو فى الثانية والعشرين من العمر حيث أدى الخدمة العسكرية ، وقرر ان يستقر فى وطنه .

«الجرامفون» المتحرك

أمضى موسوليني ١٨ شهرا فى الخدمة العسكرية ، وبعد تسريحه اشتغل بالتدريس فى مدرسة ابتدائية بقرية كولميتزو الجبلية بالقرب من الحدود





لقطة نادرة تمثل إبنة موسوليني اثناء زفافها من الكونت « جاليزو شيانو » الذي كان وزيراً .. ويرى موسوليني في يسار الصورة .. ثم لقطة نادرة اخرى بعد اعدام زوج ابنته بتهمة التآمر ضد موسوليني

المساواة ، وكان عندئذ موضوعاً تحت مراقبة الشرطة ، وفى نهاية العام لم يجدد عقده بسبب احتجاج أولياء الأمور على سلوكه كمدرس حيث كان يعيش ، باعترافه « حياة من التدهور المعنوى » يهمل واجباته ، ويشرب كثيراً ، ويلقى خطباً نارية أمام النافورة فى ميدان القرية ، واصيب فى هذه المرحلة بالأمراض السرية التى تركت بصماتها على صحته إلى آخر حياته .

وعاد موسوليني إلى بريدابيو حيث أقام مع أبيه اليساندرو ـ بعد وفاة أمه ـ فى بيته الجديد مع عشيقته وبنتيها ، وقد تزوج موسوليني صغرى هاتين البنتين ـ وتدعى راشيل ـ فيما بعد فى عام ١٩٠٩ وجدد اهتماماته السياسية بعد سنوات من الانقطاع ، فعاد الى العمل النقابى والصحافة الثورية والسياسة المتطرفة ، مما جعله يعيش سلسلة لا تكاد تنقطع من الاعتقال والسجن ، وهو أمر لم يكن يبالى به ، اذ كان يعتبر السجن ضرورة لابد منها للتثقيف السياسى ، والعمل النضالى ، وتأثر خلال هذه الفترة بشدة بالفيلسوف الالمانى نيتشة ، صاحب مذهب القوة ، ووجد لديه تبريراً لحملته ضد الفضائل المسيحية كالتواضع وانكار الذات والرحمة والطيبة ، وأخذ منه بعض عباراته التى أعجبته مثل « إرادة القوة » و « عش فى خطر » ، كما أدهشته فكرة السوبرمان ذلك الانسان الأعلى الذى يتحدى الجماهير ويحتقر المساواة والديموقراطية .

وفى سن السادسة والعشرين ، حين كان يساعد أباه فى إدارة حانته ، اختارته « النوادى الاشتراكية » فى فورلى ليحرر صحيفة تصدرها من أربع صفحات اختار لها بنفسه اسم « صراع الطبقات » ، كانت هذه الصحيفة واحدة من مئات الصحف الأسبوعية الاشتراكية التى تصدر فى إيطاليا فى ذلك الحين وجميعها ذات توزيع محدود لا يتجاوز فى المتوسط الالف نسخة ولكنه استطاع خلال عامين أن يوسع من توزيعها ، ويجعلها واحدة من أبرز مثيلاتها فى أنحاء البلاد .

وخلال هذين العامين نشط موسوليني كصحفى ومهيج سياسى ، وكان يصف نفسه خلال هذه الفترة بأنه يشبه « الجرامفون المتحرك » فى نشر الدعاية السياسية ، وكان أكثر ما يسعده أن يدخل فى مشاجرات بدنية مع المخبرين السريين ، وأن يخطب فى الاجتماعات السياسية الصغيرة ويصفق له الحاضرون ، ويؤكد انه من العبث تضييع الوقت فى الديموقراطية البرلمانية ، وان الوقت قد حان لوقف دراسة العالم والعمل على تغييره ، ويشن هجمات عنيفة على الكنيسة الكاثوليكية ، ويسمى القسس بالجراثيم السوداء ومسممى عقول الشباب وخدم الرأسمالية ، ويصف الجيش بأنه منظمة إجرامية هدفها حماية الرأسمالية والمجتمع البرجوازى ، ويدعو الجنود الى التمرد على ضباطهم ، لأن البروليتاريا لا وطن لهم ويجب أن يرفضوا الحرب لأسباب وطنية ، ويقول ان العلم الوطنى بالنسبة لنا مجرد خرقة فوق كوم من القمامة !

والغريب ان موسولينى غير أفكاره هذه تماماً فيما بعد سواء بالنسبة للدين ، أو الوطنية ، أو الحرب .

فى اكتوبر ١٩١٠ حضر موسولينى المؤتمر السنوى للحزب الاشتراكى فى ميلانو حيث شن حملة عنيفة داخل المؤتمر ضد الاتجاهات المعتدلة ، وطالب بنبذ الأساليب الديموقراطية ووسائل الاصلاح ، ودعا الى التمرد المسلح ، ولم يلبث ان انشق عن الحزب فى ابريل ١٩١١ مؤملا أن ينشىء حزباً جديداً أكثر ثورية كما فعل البلاشفة بانفصالهم عن بقية الاشتراكيين فى روسيا ، وحصل انشقاقه على تأييد محلى فى فورلى ، ولكنه لم يكسب له تأييداً عريضاً فى ايطاليا ، مما جعله يفضل العودة إلى الحزب على أساس أن أفضل تكتيك هو تأكيد وحدة الحزب ومحاولة السيطرة عليه من الداخل من أيدى الاصلاحيين .

وفى هذه الفترة ، سبتمبر ١٩١١ ، قرر جوليتى رئيس وزراء إيطاليا فى ذلك الحين وزعيم أكبر الأحزاب الليبرالية فيها ، غزو ليبيا ، وشارك موسولينى مع كثير من الاشتراكيين المعتدلين والثوريين فى استنكار هذه الحرب العدوانية التى يراد بها ابعاد الانظار عن المشاكل الداخلية الملحة ،وهاجم بشدة فكرة الولاء الوطنى باعتبارها « خرافة وأكذوبة » داعياً الطبقة

موسوليني والحركة الفاشية

العاملة إلى انتهاز الحرب الليبية للثورة وإعلان حرب الطبقات ، بل حاول تنظيم تمرد ضد الحرب فى فورلى ، ودفع الجماهير إلى مهاجمة خطوط السكك الحديدية لتعطيل نقل الجنود ، ولكن أمكن إخماد تمرده بسهولة ، والقى القبض عليه وقدم الى المحاكمة ، وفى المحاكمة حاول موسوليني التنصل مما فعل ، فالقى اللوم على زملائه الآخرين . وأنكر مسئوليته عن دعوة الجماهير الى أعمال السلب والنهب والعنف ، وحاول أن يشرح للمحكمة ان الناس فى فورلى لا يحبونه ولا يأتمرون باوامره وقليلون منهم يشترون صحيفته ، ونفى انه ضد الوطنية بل انه يعتبر نفسه وطنياً حقيقياً ، ورغم ذلك وجد انه مذنب وحكم عليه بقضاء بضعة أشهر فى السجن .

وبعد خروجه من السجن ، وبالرغم من موقفه المتخاذل أثناء المحاكمة ، جدد موسوليني هجومه ضد « التدريجيين » وكل العناصر التى تؤيد الحرب الاستعمارية لجوليتى ، أو تفضل الأساليب البرلمانية على الثورية ، وتمكن بالفعل من طرد بيسولاتى زعيم المعتدلين من الحزب لأنه هنأ الملك فيكتور عمانويل بنجاته من محاولة اغتيال ، وبذلك انتصرت العناصر الثورية داخل الحزب بزعامة موسوليني ، ودعم سلطته فى الحزب الاشتراكى كله .

وبعد أربعة أشهر من طرد بيسولاتى خلا منصب رئيس تحرير صحيفة الحزب الاشتراكى الرئيسية « أفانتى ! » ، فقام زملاؤه فى اللجنة التنفيذية للحزب بتعيينه رئيساً للتحرير ، وكانت هذه ضربة حظ للصحفى الشاب الذى لم يعمل من قبل فى جريدة يومية كبرى ، فاذا به يرأس تحرير واحدة من أكبر الصحف الايطالية ،

واستطاع خلال هذا المنصب الذى تولاه عامين كاملين (١٩١٢ ـ ١٩١٤) أن يدعم مركزه كواحد من زعماء الحزب البارزين ، وان يزيد من شهرته بين القراء وجمهور الحزب ، كما استطاع أن يضاعف من توزيع الصحيفة التى كان يديرها بمركزية مطلقة بعد أن مزق عقود بعض كبار كتابها وصحفييها .

وفى ذلك الوقت بدأت سحب الحرب تتجمع فى أوربا ، واخذت كل دولة تستعد لتسليح نفسها ، فهاجم موسوليني بقوة سياسة جوليتى فى تسليح ايطاليا انطلاقاً من خطه السياسى وخط حزبه وصحيفته الذى هو ضد العسكرية ، وضد الوطنية ، وضد الامبريالية ، كتب مرة يقول «فلنتوقف عن الحديث عن البوارج والمعسكرات والمدافع فى الوقت الذى تحتاج آلاف القرى الايطالية . المدارس والطرق والكهرباء والأطباء ولا تزال تحيا مأساوياً دون الحد الأدنى من الحياة المتمدينة » .

وأدت الحملة القوية ضد الحرب ، وضد الحكومة ، إلى نزول ملايين المتظاهرين فى الشوارع خلال ما عرف « بالأسبوع الأحمر » فى يونيو ١٩١٤ ، ولكن موسوليني ـ الذى كان يتقاعس دائماً عند العمل الجدى ، أحجم عن المشاركة فى « الثورة » ، ولزم مكتبه ، مما عرضه لانتقادات حادة من زملائه لم ينقذه منها إلا حادث مصرع الأرشيدوق فرديناند ولى عهد النمسا فى سيرا جيفو مما أشعل الحرب الكبرى فوراً .. النمسا والمانيا ضد فرنسا وبريطانيا وروسيا .

ودعا موسوليني الى « الحياد مهما كان الثمن » ووصف التدخل فى الحرب بانه « جريمة لا تغتفر » ، وان الحرب مصلحة برجوازية ، ويجب على الطبقة العاملة ان لا ترفض القتال فى الحرب فحسب بل ان تستغل فرصة الحرب للثورة ضد حكوماتها .

وظل موسوليني محافظاً على هذا الخط عدة أشهر ، ثم فجأة بدأ موقفه يتذبذب : يمكن التدخل فى الحرب فى ظروف معينة ، وإذا دخلت إيطاليا الحرب على الطبقة العاملة ان لا تثور ضد حكومتها ولكن يحسن ان تقف سلبية ، عين فى الجنة وعين فى النار ، وشعر الحزب والقراء بتناقض مواقفه ، ولكنه ظل ينكر ذلك محاولا إمساك العصا من منتصفها ، وفجأة فى ١٨ اكتوبر عام ١٩١٤م ، وبدون اخذ رأي الحزب او حتى زملائه فى تحرير الصحيفة كتب موسوليني افتتاحية أعلن فيها انه كان على خطأ ، وان الواجب تاييد الحرب ، فلا يمكن أن يبقى الاشتراكيون بمعزل عن هذه المأساة الكبرى التى تجتاح أوربا ، ثم ان الحروب كما يقول ماركس تتلوها الثورات الاجتماعية ، فالحرب اذن سوف تقرب يوم الخلاص ، كما أن هزيمة فرنسا ستكون ضربة مميتة للحرية فى أوربا . وبدأ يكتب المقالات ويلقى الخطب التى تؤيد دخول الحرب بنفس القوة التى كان يعارضها بها !

ووقع هذا الموقف كالصاعقة على رءوس زملائه ، فاجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الاشتراكى لمساءلته ، وقدم موسوليني استقالته من « أفانتى ! » ، وثار ضده الحزب الاشتراكى ووصفه بانه « خائن » و « نذل » و « قاطع رقاب » واتخذ قراراً بفصله .

وهكذا ترك موسوليني الحزب الاشتراكى الايطالى الى غير رجعة ، واستطاع بمساعدة ناشر يؤيد الحرب ضد النمسا أن يتولى تحرير صحيفته « إل بوبولو ديتاليا » فى نفس الأسبوع الذى غادر فيه « أفانتى ! » . وفيها اعلن خطه الجديد : « من الآن فصاعد نحن جميعاً إيطاليون ، ولا شيء سوى ايطاليين ، الآن وقد واجه الفولاذ الفولاذ تخرج من قلوبنا صيحة واحدة : تحيا ايطاليا (فيفا ديتاليا) وهى الصيحة التى أصبحت هتاف الفاشية فيما بعد .

الصعود إلى القوة

بدأت الأموال تتدفق على موسوليني وصحيفته من جهات كثيرة ، من الدول المحاربة التى تريد زج إيطاليا معها فى الحرب ، وهى فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة ، ومن كبار الصناعيين الايطاليين الذين يستفيدون من دخول ايطاليا الحرب كمصانع فيات وغيرها من مصانع انتاج الأسلحة ، ومن كبار ملاك الأراضى ، اى باختصار نفس القوى التى كان يعتبرها أعداءه اللدودين منذ فترة قصيرة ، بل ومن الحكومة الايطالية نفسها ، وبدأت تتغير بالتالى حياة موسوليني الخاصة ، فبعد ان كان يعيش على الكفاف فى منزل قديم هو وزوجته وابنتاه ، أصبح يقيم فى مسكن كبير جديد ، ويغشى المطاعم الأنيقة فى ميلانو .

وظهر العدد الأول من صحيفة « ال بوبولو ديتاليا » فى ١٥ نوفمبر ١٩١٤ ، وكانت لا تزال تدعى الاشتراكية ولكنها تؤيد الحرب بحجة انها تمهد الطريق إلى الثورة ، ولكن موسوليني لم يلبث ان ازداد اقتراباً من الوطنيين ، فاخذ يطالب بحق ايطاليا فى الاستثمار الخارجى ، وفى استعادة اراضيها المفقودة فى تريستا وفايوم وحدود الالباين ، وكتب يقول « لقد حان الوقت كى يثبت الايطاليون للعالم انهم محاربون وليسوا طلاب متعة كما يتهمهم العالم » .. وهكذا اهتدى

موسوليني في النهاية إلى نغمته الحقيقية !

وعكف موسوليني بنفسه على كتابة « مانيفستو » للحركة الوطنية أو الفاشية التي يحلم بها تنازل فيه عن فكرة « صراع الطبقات » الماركسية ، واستبدل بها تكريس الأمة كلها لتحقيق الهدف الوطني ، وأصبح بطله الجديد هو ما تزيني بطل القومية الإيطالية الذي كان يحلم بحرب وطنية تستعيد بها ايطاليا وحدتها وحدودها الطبيعية القائمة على الجنس واللغة .

ودخلت إيطاليا الحرب إلى جانب فرنسا وانجلترا وروسيا وضد المانيا والنمسا .. وتطوع موسوليني في الجيش في سبتمبر ١٩١٥ .

شارك موسوليني في الحرب عامين ، ويقول خصومه ان اداءه فيها لم يكن مرضيا . أما هو فقد اخترع في مذكراته كثيرا من قصص البطولة التي قام بها في الهجمات الامامية على مواقع النمسويين ، منها انه كان يلتقط قنابل الأعداء المتساقطة قبل أن تنفجر ويلقيها عليهم مرة أخرى فتنفجر وتبيد منهم العشرات !

وترقى موسوليني ، مثل هتلر ، إلى رتبة « جاويش » ولكنه في فبراير ١٩١٧ أصيب اثناء تدريب على القاء القنابل وترك الجبهة للعلاج ، وقد زعم في مذكراته ان الحرب بدأت تسوء بالنسبة لايطاليا منذ ترك هو الجبهة ، وفي يونيو ١٩١٧ سرح من الجيش وعاد إلى رئاسة تحرير « ال بوبولو ديتاليا » .

وتوالت هزائم الجيش وبخاصة هزيمة « كابوريتو » المهينة فالقى موسوليني اللوم على القادة والسياسيين لا الجنود ، وشن هجوما عنيفا على رئيس الوزراء الجديد اورلاندو ، وبدأت تتبلور لديه فكرة ان ما تحتاجه ايطاليا دكتاتور حازم يلقى بالبرلمان جانبا ويحول البلاد الى دولة عسكرية من الطراز الأول ، وأخذ يطالب باغلاق جميع الصحف المستقلة والحزبية على أساس انها تشوش أفكار الناس وان ما تحتاجه البلاد الآن ليس النقد وانما النظام .

وفي أواخر الحرب انتقل موسوليني من تصوير الحرب بانها حرب تحريرية تخوضها ايطاليا إلى المطالبة بالتوسع في الخارج بضم تريستا والتيرول الايطالي وفايوم ومعظم دالماتيا ، وأعلن أن يوغوسلافيا ينبغي النظر اليه كعدو لا كحليف ، ويعتبر البحر الادرياتيكي والبحر المتوسط بحاراً ايطالية .

وفي أكتوبر ١٩١٩ أحرزت ايطاليا نصراً مبرزاً في « فيتوريو فينتو » ، وفي اعقابها انتصر الحلفاء وانتهت الحرب العالمية الأولى ، ووصف موسوليني نصر فيتوريو فينتو بانه « أعظم انتصار في التاريخ العالمي » !

وبعد الحرب حرص موسوليني على عدم التحالف مع أية قوة سياسية قائمة حتى لا يساعد أي حزب للوصول الى الحكم ، كما حرص على عدم الالتزام باي مذهب سياسي متكامل بل أخذ يستفيد من كل الأفكار حسب ما يحقق مصلحته ، فهو ينسج ما بين الاشتراكية والوطنية والدولية والعلمانية والدينية ، ويحاول ركوب موجة فوضى ما بعد الحرب ، من تضخم وتوقعات وتسريح للجنود ، فكان يدعو الى انتعاش الطبقة الوسطى مع عدم اهمال الطبقة العاملة ويسمي نفسه « رجل كل الفصول» أو «المغامر على كل الطرق» وأخذ يغازل الطبقات الراسمالية دون ان يقطع علاقاته الشخصية بالاشتراكيين ، وكانت الصعوبة الرئيسية التي تواجهه هي كيف يمكنه رفع شعارات معادية للراسمالية تجتذب له تاييد الجماهير وفي نفس الوقت يحافظ على شهرته في الأوساط السياسية كمعاد للاشتراكية ليضمن تاييد الأغنياء ويحصل على مساعدات مالية لجريدته .. كان عليه ان يركب حصانين متعارضين في نفس الوقت !

وبدأت تتشكل لدى موسوليني نواة الحزب الذي يؤيد افكاره الطموحة ، وفي ٢٣ مارس ١٩١٩ دعا موسوليني أنصاره الى اجتماع عقد في قاعة قدمها له رجال الأعمال في ميدان سيبولكرو بميلانو ، وحضر الاجتماع التأسيسي للحزب حوالي ٢٠٠ شخص ينتمون إلى مختلف الاتجاهات ، من الجمهوريين المنشقين ، والفوضويين ، والنقابيين ، والاشتراكيين الساخطين ، والشيوعيين ، والوطنيين ، والكاثوليك ، والليبراليين ، والجنود المسرحين ، لمناقشة تكوين « قوة جديدة في السياسة الايطالية » ، وأطلق موسوليني على هذه القوة الجديدة اسم «فاشي دي كومبايتيمنتو» أي «عصابات المحاربين » ، وكلمة « فاشيو » تعني «عصبة » باللغة الايطالية .

وكان يشارك في الاجتماع بعض المحاربين القدماء المنضمين الى حركة تسمى « أرديتي » تؤمن بالعنف ، وقد قام هؤلاء في ١٥ ابريل بمهاجمة مكاتب الصحيفة الاشتراكية « أفانتي ! » ومطابعها وحطموها تماماً ، وقد سمى موسوليني هذا الهجوم بعد ذلك بانه كان بداية الحركة الفاشية .

وركز موسوليني الذي أصبح يتخذ لقب « الدوتشي » أي الزعيم ، على تكوين جيش خاص من عدة مئات من « الأرديتي » كانوا نواة فرق القمصان السود فيما بعد ، وأخذ يظهر في اجتماع بعد اجتماع يحيط به المؤيدون يرتدون القمصان السود كشعار يميزهم ، وخطف موسوليني أنظار الجماهير بشكله المميز ، وطريقته في الخطابة ، ونبرات صوته القوية وبالرغم من أن طريقته كانت مسرحية ، وآراؤه متضاربة وغامضة ، والحقائق التي يسوقها خاطئة ، وهجماته عنيفة وسيئة التوجيه ، الا أن شخصيته المغناطيسية كانت تترك انطباعاً قوياً على سامعيه .

ولم تلبث أن أصبحت ظاهرة عامة أن تذرع العصابات الفاشية الطرق في المدن والقرى في كل انحاء ايطاليا تنشد الأناشيد الوطنية ، وتهتف بالشعارات القومية ، وتلوح باعلام عليها الرموز الرومانية القديمة ، تهاجم الشيوعيين والاشتراكيين والمتعاطفين معهم ، وتكسب مزيداً من الأنصار خاصة من الطلبة والشباب والعاطلين ، وخلقت هذه العصابات جواً من التوتر والفوضى في إيطاليا في محاولتها تهيئة الجماهير لظهور الدكتاتور الذي فيه كل الشفاء لأمراض الأمة ، وكان يراس كل عصابة زعيم محلي يلقب « بالراس » وهي كلمة ماخوذة من الحبشية تعني الرأس أو القائد ، وكل « راس » أقرب الى « البلطجي » منه الى الزعيم السياسي ولم يكن يربط بينهم فكر موحد ، فيمكن أن يكون أحدهم في أقصى اليمين ، والآخر في أقصى اليسار ، أحدهم جمهوري والآخر ملكي ، بعضهم ضد الكنيسة وآخرون معها. بعضهم مجرد فتوات وبلطجية لا تهمهم السياسة برمتها ، وآخرون مثاليون يريدون باخلاص تجديد الحياة السياسية في البلاد ، وتجلت مهارة موسوليني في قدرته على تراس هؤلاء جميعاً رغم اتجاهاتهم المتنافرة . ولكنه لم يلبث أن أدرك أن مركز الثقل في الحركة يتجه تدريجياً من اليسار الى اليمين ، فأخذ يساير هذا الاتجاه ويتنازل عن عدائه للكنيسة ودعوته للتاميم واعترف أنه في بعض الأحيان كان يستفيد

موسوليني والحركة الفاشية

اذا وصف بالرجعية والامبريالية .

وفى سبتمبر ١٩١٩ قام الشاعر جابرييل دانتزيو ، أحد أقطاب الحركة الفاشية ، على رأس مجموعة ثائرة من الاردينى وذوى القمصان السود بمهاجمة فايوم التى يطالب بها الفاشيون فى الادرياتيك واحتلوها ، ووقف موسوليني بعيداً مما جعل دانتزيو يتهمه بالجبن ، ولكن من الحملة على فايوم ولدت فكرة الزحف على روما التى قام بها الفاشيون بعد ذلك وحملتهم الى الحكم فى عام ١٩٢٢ .

وحتى لا نستبق الأحداث ، يجب أن نذكر أن الحزب الفاشى الذى يتزعمه موسوليني خاض حملتين انتخابيتين ، الأولى فى نوفمبر ١٩١٩ وقد دخلها موسوليني ببرنامج يسارى معاد للكنيسة وفشل فيها فشلا ذريعاً أمام المرشح الاشتراكى الذى حصل على أصوات أكثر منه باربعين مرة ، كما لم ينجح أى مرشح فاشى آخر مما جعل موسوليني يقول انه يفضل استخدام القنابل والمدافع بدلا من بطاقات الانتخابات ضد خصومه ، وقد كادت هذه الهزيمة تقضى على مستقبل الحركة الفاشية فى بدايتها ، فتركها الكثيرون من الأنصار حتى اقتصرت عضويتها على أقل من ٤٠٠٠ عضو فى كل انحاء ايطاليا فى اواخر عام ١٩١٩ ، بينما أحرز الاشتراكيون نصراً كاسحاً فاصبح لهم ٣٠٠ نائب فى البرلمان الذى يضم ٥٠٠ عضو ، مما أخاف المحافظين فى كل أنحاء ايطاليا ودفعهم الى تاييد العصابات الفاشية ، وفى الانتخابات العامة التالية التى أجريت فى مايو ١٩٢١ دخلها موسوليني هذه المرة متحالفاً مع الحكومة ، وكان هذا التحالف مفيداً للجانبين ، إذ بث الفاشيون حالة من الرعب ضد خصوم الحكومة فى حين سبغت السلطات حمايتها على العصابات الفاشية ، فكان البوليس يعيرهم سياراته والجيش يسرب لهم الأسلحة ، والقضاة يميلون الى تبرئتهم ، مما مكن الفاشيين من الحصول على ٣٥ مقعداً فى انتخابات ١٩٢١ ، أى حوالى ٧٪ من مقاعد البرلمان ، وهم الذين لم يحصلوا على مقعد واحد فى انتخابات ١٩١٩ ، كما فاز موسوليني شخصياً بعضوية البرلمان ، وبهذا أصبح يتمتع بالحصانة البرلمانية وصار فى مأمن من القبض والاعتقال ، واسقطت ضده تهمة كان سيحاكم بمقتضاها قريباً وهى محاولة قلب نظام الحكم بالقوة .

وفى أول جلسة للبرلمان الجديد أعلن موسوليني انه هو وأنصاره سيصوتون الى جانب المعارضة ، مسقطاً بذلك تحالفه مع الليبراليين بعد أن حصل منهم على كل ما يريد !

وكنائب برلمانى كان موسوليني قليل التحمس للبرلمان ، فهو لا يحضر جلساته بانتظام ، ولا يشارك فى المناقشات ، كما كانت طريقته فى الخطابة الجماهيرية التاجيجية لا تناسب البرلمان ، ولم يكن له برنامج محدد ، بل يحاول أن يخاطب فى نفس الوقت الارستقراطيين والديموقراطيين ، والثوريين والرجعيين ، العمال وأصحاب الأعمال ، دعاة السلم ودعاة الحرب ، مما جعله مثالا مجسداً للانتهازية السياسية ، ولكنه لم يكن يهتم بالهمسات ونظرات الازدراء ، ومضى فى تحقيق انجازه الاكبر وهو تكوين واستكمال الفرق الفاشية شبه العسكرية حتى أصبح يفخر فى أواخر عام ١٩٢١ بأن تحت إمرته ٤٠٠ ألف رجل مسلح ، وهو تقدير مبالغ فيه بدون شك ، ولكن الهالة كانت قد نسجت حوله بالفعل ، فهو يتحرك فى أى مكان وحوله عدد من البلطجية لابسى القمصان السود يحيطون به كالسوار حول المعصم ، وحملات الارهاب التى يقوم بها رجاله والتى أحياناً ما تصل الى حد القتل تخيف المعارضة الاشتراكية ، والحكومة تتسامح ازاء جرائمه ، والماليون الأثرياء يغدقون عليه الأموال لضرب اليسار ، ولم يعد يخفى أنه ينوى استخدام جيشه الخاص فى الوصول الى الحكم .

وبدأ موسوليني يتحدى الحكومة ويختبرها فى نفس الوقت ، فأمر عصاباته بالتظاهر والقيام باعمال الشغب فى المدن الايطالية ، وبرز فى هذا النشاط « راس » يدعى بالبو انضم للحركة الفاشية مؤخراً وسرعان ما أثبت انه الارهابى المطلوب الذى يحوز اعجاب الزعيم ، وكان هذا البلطجى الذى يبلغ من العمر ٢٥ عاماً يسير على رأس طوابيره المسلحة عبر مقاطعتى رافنا وفيرارا مخلفاً وراءه طابورا طويلا من الخراب والموت ، ولما كانت أهدافه الرئيسية هى صحف المعارضة والادارات الاشتراكية وممتلكات نقابات العمال لذلك تحمست له بعض السلطات العامة وأخذت تمده بالمال والمتفجرات والمدافع الرشاشة .

وفى أغسطس ١٩٢٢ دعا الاشتراكيون الى اضراب عام احتجاجاً على خرق القانون والنظام ، فسارع موسوليني الى استغلال الموقف ، وأعلن أن حركته ضد الاضراب ، وأمام عجز الحكومة راح الفاشيون يتصدون للمضربين ، مما أعطاهم قيمة متزايدة فى نظر المحافظين ، وفجأة تحول موسوليني من خارج على القانون الى مدافع عنه ، واستغل الفرصة لمهاجمة وتحطيم مطابع الصحف الاشتراكية ، وعندما تمكن فى النهاية من سحق الاضراب كان قد قضى على معنويات الاشتراكيين فى نفس الوقت الذى أظهرت الحكومة عجزها المطلق .. وأصبح موسوليني سيداً للموقف .

فى ذلك الوقت كان يرأس الحكومة لويجى فاكتا ، وهو آخر رئيس وزراء ليبرالى يحكم ايطاليا قبل مجىء موسوليني الى الحكم ، وكان فاكت سياسيا ضعيفاً لاوزن له أختير لرئاسة الوزارة فى فبراير ١٩٢٢ كحل وسط لعجز الزعماء الليبراليين - بسبب ما بينهم من تمزق وحسد - عن تكوين حكومة ائتلافية قوية تتصدى للقوى المعادية فى ايطاليا فكانت مزيجاً من الخوف والسخط واليأس ، وكان الكثيرون يخافون من حديث الاشتراكيين الذين لا ينقطع عن الثورة ويرون موسوليني أقل شراً ، وما دروا أن خطر الثورة من اليمين كان هو الأقوى والأشد !

فى ١٦ أكتوبر ١٩٢٢ عقدت الزعامة الفاشية اجتماعاً سرياً أقرت فيه فكرة التمرد ، وتبلورت الفكرة فى اجتماع شعبى ضخم عقده الفاشيون فى نابولى يوم ٢٤ أكتوبر بعد أن انهمرت وفودهم على المدينة من كل انحاء ايطاليا ، والقى موسوليني فى هذا المؤتمر الشعبي الفاشى الذى ضم ٤٠ ألفاً من الانصار خطاباً عنيفاً صور فيه الفاشية على أنها الضمان الوحيد للمال والقانون فى ايطاليا وأعلن «اما أن تعطى لنا الحكومة أو أننا سوف نستولى على السلطة بالزحف على روما» ، واستجابت الجماهير الفاشية لتأثيره الخطابى وهتفوا فى صوت رجل واحد «الى روما .. الى روما»

كان هذا تحذيراً صريحاً بالخطر الفاشى الوشيك ، ونقل فوراً وبوضوح الى الحكومة فى روما ، ولكن الحكومة برئاسة فاكتا لم تفعل شيئاً بسبب انقسامها الداخلى ، ورفض فاكتا طلباً من الجنرال يوجليز قائد الجيش فى روما باعلان الاحكام العسكرية ، وفى نفس اليوم كان الفاشيون يتظاهرون فى نابولى وميلانو ويدمرون أجهزة وممتلكات خصومهم ويحتلون مكاتب

التليفون والتلغراف والادارات الحكومية ولا من يتصدى لهم ، وقرر موسوليني والزعماء الفاشيون الآخرون الزحف الى روما خلال اربعة أيام على أن يتم الزحف باربعة طوابير يرأس كل منها زعيم فاشي لم يكن موسوليني بينهم بل يقال انه أبدى تردداً ونزوات وذبذبة في هذه اللحظة الحرجة جعلت الزعماء الآخرين يهددون بان الزحف سيتم سواء به أو بدونه .

والحقيقة أن موسوليني كان حتى هذه اللحظة يأمل في حل وسط ، وكان لايزال على أتصال بعناصر خارج المعسكر الفاشي للبحث عن مخرج ، ويراوغ الزعماء الفاشيست المتحمسين الآخرين وهم يحاولون اقناعه بالزحف الى روما للاستيلاء على السلطة التي كانت في متناول يده ، ولكنه عاد الى ميلانو ورفض أن يتحرك قبل أن يستدعيه الملك فيكتور عمانويل الثالث كتابة ، ويبدو أن موسوليني كان أدرى من غيره بعدم قدرة قواته السيئة التسليح والتنظيم على مواجهة الجيش اذا قرر التدخل .

ولكن الحكومة لم تفعل شيئاً ، بل قدم فاكتا استقالته ودعى سالاندرا الى تكوين وزارة جديدة يشترك فيها موسوليني ، وهكذا تحول الفاشيون من خارجين على القانون إلى أعضاء منتظرين في الوزارة ، وتشجع موسوليني بهذا الموقف المتخاذل من جانب روما فرفض عرض سالاندرا على أساس أنه يستطيع الآن أن يحدد الثمن الذي يطلبه ، فانسحب سالاندرا بعد أن نصح الملك أن يعهد الى موسوليني نفسه بتاليف الوزارة وأخذ الملك بالنصيحة ، وأصدر في صباح ٢٩ أكتوبر أمراً بتعيين موسوليني رئيساً للوزارة .

كانت هذه هي الكلمة التي ينتظرها موسوليني ، ومع ذلك لم يبد راضياً ، فهو يريد شيئاً أكبر من التعيين الملكي ، يريد أن يخلق أسطورة أنه دخل روما مظفراً على صهوة حصانه ، وعلى رأس ٣٠٠ ألف من الفاشيين المسلحين ، واعطى الأوامر لقواته بالفعل بالزحف الى روما .

والحقيقة أن القوات الفاشية التي كانت مستعدة للقيام بالمسيرة لم تكن تعدو ٣٠ الف معظمهم لا يملكون أسلحة نارية على الاطلاق ، ولم يكن في امكانهم بالتاكيد الصمود أمام حامية روما بأسلحتها الاتوماتيكية ، ولكن الجنرال يوجليز كان قد أرغم على أصدار أوامره لقواته بعدم التعرض للمسيرة . ومع ذلك فقد ظهرت فيما بعد خرافة أن الفاشيين اقتحموا روما منتصرين بعد أن سقط منهم ٣ آلاف شهيد كما ذكرت كتب التاريخ الحكومية بعد ذلك ، والحقيقة أن عدد القتلى لم يكن يزيد على أصابع اليدين .

وفي صباح ٣٠ أكتوبر . وكانت طلائع المسيرة قد وصلت الى مشارف روما ، فكر موسوليني أن يستقل السيارة الى خارج المدينة حيث ينزل فيها ويركب الحصان ليدخل به روما تحيط به كوكبة من حرسه ذوي القمصان السود ، ولكنه لم يلبث أن تخلى عن هذه الفكرة خشية أن يبدو مضحكاً ، واستقل بدلا من ذلك القطار ، وفي نفس اليوم كان موسوليني يقدم قائمة باسماء وزارته الى الملك ، فكان بذلك أصغر رئيس وزراء في تاريخ ايطاليا ، ٣٩ عاماً .

وفي هذه الأثناء كانت قوات موسوليني قد دخلت روما وأخذت «تعمل» ، فهاجمت صحف الليبراليين وأرغمت محرريها على تعاطي «الدواء الفاشي» وهو زيت الخروع الذي كانوا يصبونه في حلوق الخصوم واقتحمت دور الصحف والمكتبات الاشتراكية ، ونهبت بعض المتاجر وبيوت الخصوم السياسيين ، وأرغمت السفارات الأجنبية على رفع العلم الايطالي ، وسويت بعض الخصومات الشخصية والحسابات القديمة مما أدى الى مقتل عدد من الأشخاص ، وقد أسف الفاشيون فيما بعد لأن عدد القتلى كان قليلا .

ولكن رد فعل ايطاليا على هذه المأساة المهزلة كان مواتياً ، فبالرغم من هبوط الليرة الايطالية بشدة في البورصات الأجنبية إلا أن سوق الأوراق المالية في ايطاليا انتعشت ، وابرق ماركوني بتهنئاته من مختلف أنحاء البلاد ، وأعرب جوليتي وسالاندرا أكبر زعيمين ليبراليين عن رضائهما ، حتى اليسار المتطرف لم يكن على استعداد للمقاومة لأنه كان ينتظر منذ سنوات انهيار الحكومة الليبرالية كخطوة ضرورية لانتصار الثورة الاشتراكية ، أما اليمين فقد رأى في انتصار موسوليني سداً للطريق في وجه اليسار ، وساد شعور بان الفاشية هي البديل عن الفوضى (مع أن الفاشية كانت من أهم عوامل وأسباب الفوضى) ، وهكذا قامت مسيرات الابتهاج في روما ، وخرجت الجماهير الى الشوارع تعلن ابتهاجها وتلوح بالأعلام الفاشية .. وخليت محلات الأزهار من الزهور ..

وسادت حمى من السعادة ، وشعور بالتفاؤل بأن أيام سوء الحكم قد ولت !

موسوليني يدعم سلطته ويقضي على خصومه

ولكن بالرغم من أن موسوليني حصل على السلطة بالقوة إلا أنه زاولها بتعقل ! فقد حرص منذ تعيينه رئيساً للوزراء على أن يثبت أنه ليس زعيماً للقمصان السود فحسب وانما لايطاليا كلها ، وكان عليه أن يعالج الموقف بحكمة وحذر خاصة أن له ٣٢ نائباً فقط في البرلمان ،

وقدم للملك قائمة من الوزراء معظمهم ليسوا من أعضاء حزبه ، فكانت وزارته ائتلافاً يضم أقلية من الفاشيين الى جانب الكاثوليك والحزب الوطني وممثلي معظم الاتجاهات الليبرالية ، ولم يكن أحد في الواقع يرفض دعوة موسوليني له للاشتراك في الوزارة ، حتى الاشتراكيين وافقوا على التقدم بوزير لولا أن موسوليني تراجع من تلقاء نفسه وقرر استبعادهم نهائياً .

كما استبعد موسوليني من وزارته كل زملائه من الزعماء الفاشيين البارزيين رغم ضيقهم الشديد بذلك ، فقد كان يريد أن يتخلص من أي شخص يشعر بالفضل عليه أو يخشى خطره ومنافسته في المستقبل ، وأكثر من ذلك فقد حل قواته غير النظامية بعد أن أصبح يمكنه الآن الاعتماد على قوات الدولة من جيش وشرطة إذ كان يشعر أن أكبر خطر يتهدده يمكن أن يأتي من «الراسات» الذين ساعدوه يوماً على الصعود الى القوة ، وتولى بنفسه أهم وزارتين وهما الخارجية والداخلية واتخذ مقراً له فندقاً فاخراً كان يبدو فيه بملابسه العسكرية الفاشية وحوله حرسه من القمصان السود كشيء لايمت الى المكان !

وفي أول خطاب القاه في البرلمان يوم ١٦ نوفمبر ، أي بعد اسبوعين من مجيئه الى السلطة ، شن هجوماً عنيفاً على البرلمان ، وهدد النواب بأن في إمكانه أن يحكم بدونهم معتمداً على الثوريين الفاشيست «في إمكاني أن أحول هذه القاعة الرمادية الى معسكر مسلح للقمصان السود ، وفي إمكاني أن أغلق أبواب البرلمان بالمسامير !» ولكنه لن يفعل ذلك ـ الآن على الأقل ـ ويطلب بدلا من ذلك من البرلمان سلطات كاملة لمدة عام لادخال التغييرات اللازمة على القانون .

وقد لاحظ بعض المؤرخين أن كرمويل شن من قبل مثل هذا الهجوم على البرلمان في داخله ، ولكنه على الأقل قوبل

موسوليني والحركة الفاشية

بمعارضة برلمانية شديدة ، أما فى حالة موسوليني ، فمن الطريف والعجيب معاً أن هذه الخطبة لم تغضب السادة النواب فالليبراليون تصوروا ان احتقار موسوليني وغضبه موجهان الى اليسار ، واليساريون تصوروا العكس تماماً وصفقوا لكثير من ملاحظاته التى اعتبروها مهينة للمؤسسات الدستورية الليبرالية ..

وتعاقب الخطباء على منبر البرلمان يشيدون بانقاذ موسوليني للبلاد ، وطالبه البعض بأن يذهب أبعد من ذلك ويفرض دكتاتورية مطلقة ، وأخيراً وافق البرلمان بمجلسيه على منح موسوليني السلطات التى طلبها لمدة عام ، وهى سلطات مطلقة لاصدار مراسيم القوانين ورفع الضرائب بدون موافقة البرلمان ، وبعد انتهاء الجلسة سارع النواب الذين تخلوا عن حقوقهم الدستورية بهذا النحو المشين الى الالتفاف حول موسوليني لتحيته ومصافحته والتقاط الصور التذكارية .

ومع ذلك ظهرت أصوات معارضة داخل البرلمان بمجلسيه وفى الخارج ، بالاضافة الى اضطرابات المدن التى كان معظمها من انصاره الذين يريدون أن يفرضوا سيطرتهم المطلقة ويحصلوا على جزائهم بأيديهم ، وأدرك موسوليني بغريزته ، أو بفطرته التى فطر عليها منذ الطفولة أن تدعيم سلطاته يتطلب فرض حكم من الرعب والارهاب حتى لا تتاكل هيبته والآمال المعقودة عليه ، وهكذا بدأ جو من الارهاب يسيطر على البلاد ، فقتل ثلاثة من نواب المعارضة بأيدى عناصر فاشية مجهولة ، وتعرض أكثر من خمسين آخرين للضرب المبرح أمام المارة فى وضح النهار ، واغتيل عدد من السجناء السياسيين داخل سجونهم ، وأجبر عدد لايحصى من السياسيين والنقابيين والصحفيين على شرب زيت الخروع الممزوج بالبترول لدرجة قاتلة أحياناً ، وخلال السنة الأولى من هذا الحكم القاسى كانت الصحف تذكر ما لايقل عن خمس حالات عنف فى المتوسط كل يوم بخلاف مالا تنشره أصلا ، ولكن معظم المعتدى عليهم كانوا لايلجأون الى السلطات أو القضاء ، فهم يعلمون أن السلطات عاجزة أو موالية لموسوليني والقضاة يؤثرون السلامة ويتورعون عن الحكم على المعتدين ، أما أعنف ضربات موسوليني فكان يدخرها للعناصر الفاشية المنشقة عليه أو هؤلاء الذين يكشفون أسرار الارهاب والفساد الفاشى ، أو الذين يهربون الى الخارج ليقولوا للأجانب ماذا يحدث فى ايطاليا ، فهؤلاء كان موسوليني يتعقبهم دون هوادة ، ويرسل وراءهم فرق القتل لاصطيادهم فى البلاد الأجنبية .

أما الصحافة فقد لقيت منه اهتماماً خاصاً ، كيف لا وهو يعتبر نفسه صحفياً ؟! فلم يمنع الصحف من الصدور ولكنه كان يصادر الكميات المطبوعة منها ويحرقها ، ويحرم الصحف التى لايرضى عنها من الاعلان ، ويهدد محرريها ، ويصادر ممتلكاتها فتتراكم عليها المتاعب المالية وتعلن افلاسها ليستولى عليها الفاشيون ويديرونها لحسابهم ، وقد ضرب مرة رئيس تحرير «جورنال ديتاليا» حتى أرغمه على توقيع استقالته ، وزج بعشرات الصحفين فى السجون والمعتقلات ، وفرض الرقابة على الصحف ، وانفق أموالا ضخمة من دافعى الضرائب على اصدار صحف يومية لايقرأها أحد ، ولكنه كان يفخر بأن هوايته قراءة مئات الصحف كل يوم (قال مرة أنه يقرأ ٣٥٠ صحيفة يومياً) «كى يضع أصبعه على نبض الجماهير» متناسياً أنه انما يقرأ الانباء والتعليقات التى «يفبركها» مكتب الصحافة التابع له !

والواقع أن موسوليني لم يخف عزمه على أن يصبح دكتاتوراً وزعيماً أوحد ، وأعلن ذلك صراحة دون مواراة ، وركز فى خطبه على أن الناس قد ضاقوا ذرعاً بالحرية وأن ما يطالبون به هو تركيز القوى فى يد واحدة لانجاز الاصلاحات .

واستغل موسوليني السلطات الاستثنائية الدكتاتورية التى منحت له لاصدار كثير من القوانين التى تضمن تدعيم مركزه وأهمها تعديل قانون الانتخاب بحيث يتاح للحزب الذى يحصل على ربع عدد الأصوات الكلية أن يسيطر أتوماتيكياً على ثلثى مقاعد مجلس النواب ، فهو بالرغم من حملته على الديموقراطية البرلمانية والانتخابات التى كان يسميها «لعبة الورق» كان يريد الابقاء على البرلمان ليعطى نفسه فرصة للمناورة خاصة إزاء المتطرفين من أعضاء حزبه الفاشى .

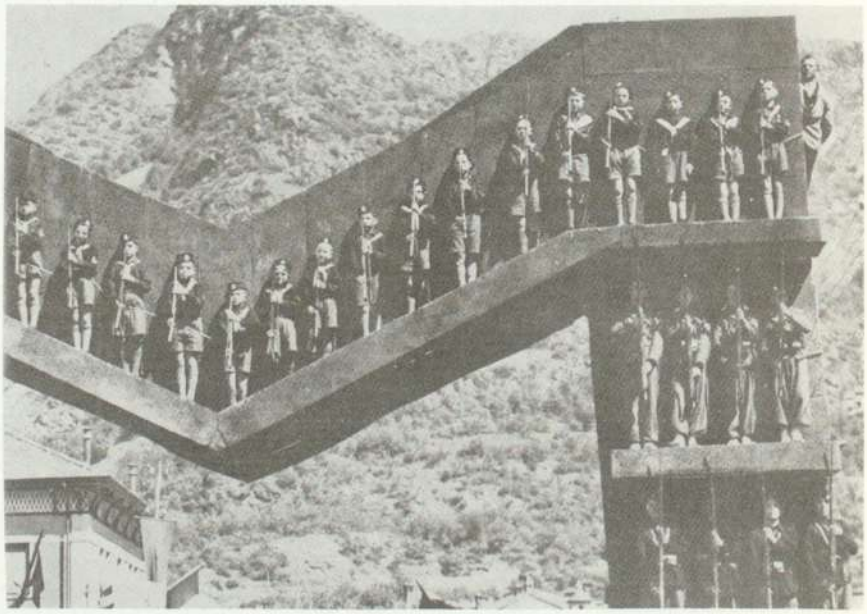
وفى مارس ١٩٢٤ بدأت الحملة الانتخابية فى ظل مناخ من العنف والارهاب لم يسبق له مثيل ، فكانت عصابات الفاشيين تضرب المرشحين المعارضين ، وقتل بعضهم بالفعل وانسحب العشرات كما قتل وأصيب مئات المواطنين أثناء الحملة الانتخابية أمام أعين البوليس الذى لم يتدخل ، وبعد ذلك كله زورت الانتخابات فكانت البطاقات الانتخابية تصادر من المعارضين ويستخدمها الفاشيون مراراً ، وضمت قوائم الانتخابات اسماء موتى ، وجاءت النتيجة بفوز الفاشيين بنسبة ٦٥٪ من الأصوات ، وبذلك حصل موسوليني على ٣٧٤ مقعداً فى البرلمان فى حين حصلت المعارضة مجتمعه على ١٨٠ مقعداً .

وعندما انعقد البرلمان شن نائب اشتراكى معارض يدعى جياكومو ماتيوتى حملة تشهير ضد الحكومة الفاشية ، التى اشرفت على اجراء الانتخابات ، وطالب باعلان نتيجة الانتخابات باطلة وغير صحيحة بسبب ما شابها من ارهاب وتزوير ، وقتل ماتيوتى يوم ١٠ يونيو فى ظروف غامضة ، وكانت أزمة كادت تعصف بنظام موسوليني ، ولكنه استطاع فى النهاية السيطرة على الموقف بصعوبة وأمر البرلمان بوقف مناقشاته حول أزمة ماتيوتى وصحة الانتخابات ، ثم القى القبض على قاتله البلطجى الفاشى دوميني وسجنه عامين ليطلق سراحه بعد ذلك .

كان مقتل ماتيوتى بمثابة رأس الذئب الطائرة التى علمت المعارضة البرلمانية أن تلتزم حدود الأدب ، وتمكن موسوليني من ترويض المعارضة تماماً وتخلص من زعمائها المناوئين بالنفى أو الضرب أو تصعيب الحياة عليهم ، حتى أصبح البرلمان كخاتم فى أصبعه لدرجة انه قدم الى البرلمان ٢٣٦٤ مرسوماً بقانون منها قوانين مقيدة للصحافة والحريات ، وطلب من النواب الموافقة عليها بدون مناقشة وأجيب الى طلبه !

الزعيم والرجل

والحقيقة ان معظم الايطاليين رحبوا بسلطة موسوليني خلال السنوات الأولى لحكمه ، فقد كانوا قد ضاقوا ذرعاً بالاضرابات والمظاهرات والأزمات الوزارية وتجاوبوا مع أساليب الفاشية الخلابة ، فكانوا على استعداد لقبول الدكتاتورية على شريطة أن تؤدى الى الاستقرار الاقتصادى واعادة الكرامة للوطن ، وبدا لهم موسوليني كأنه الرجل الوحيد القادر على اخراج النظام من احشاء الفوضى ، وبالفعل سرعان ما بدأ النظام يستقر فى البلاد ، وانتعش الاقتصاد وأخذت تتحسن أحوال العمال والطبقات الفقيرة ، وافتتحت عدة



فتيان الحزب الفاشي في انتظار مرور موسوليني من هذا الطريق .

مشروعات طموحة من الاشغال العامة ، كما احرز موسوليني عدة نجاحات متوالية في السياسة الخارجية .

والتف حول موسوليني « اهل الثقة » الذين يعتمد مصيرهم عليه ، ويستمدون قيمتهم من قيمته ، ويعتقدون انه بقدر ما يكون الدوتشي عظيماً يكونون هم عظماء واعتباراً من عام ١٩٢٦ بدأت « عبادة الزعيم » في ايطاليا ، فقد تضافرت الدعاية الفاشية على خلق اسطورة الزعامة للدوتشي ، ولعب صحفي فاشي ذكي يدعى جويسبي بوتاي دوراً كبيراً في الدعاية للدوتشي الحكيم الملهم حتى انه أعلن اعتقاده انه لا توجد في تاريخ ايطاليا والبشرية بأسرها شخصية تضاهي شخصية الدوتشي الاستثنائية ، بينما كان ارنالدو موسوليني ، الأخ الأصغر للزعيم ، يصف أخاه يوماً بعد يوم في صحيفة « بوبولو ديتاليا » بأنه الأقوى دائماً وأن عينه على كل شيء في ايطاليا ، وانه يعرف كل ما يحدث في العالم ، وانه أعظم سياسي في أوربا .

وخلال عامي ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ بلغت عبادة الدوتشي أوجها ، فصدرت التعليمات للمدرسين بابراز عظمة الدوتشي للتلاميذ ، وكانت صوره ، وبخاصة واحدة منها في وضع نابليوني ، معلقة في كل المباني العامة ، وترفع في المظاهرات والاجتماعات وقورن بارسطو ، وكانت ، وتوماس الاكويني ووصف بانه أعظم شخصية ظهرت في تاريخ إيطاليا ، أعظم من دانتي ، ومايكل انجلو ، واعظم من واشنطون ، ولنكولن ، ونابليون !

وحتى الكنيسة الكاثوليكية اشادت به ورضيت عن أفعاله ، اذ بدلا من تهديداته السابقة بمصادرة ممتلكات الكنيسة زاد من مخصصاتها ، وأدخل التعليم الديني في المدارس والجامعات ، وحظر نشر وتداول المطبوعات الفاضحة ، ومنع انتاج وسائل منع الحمل ، وحرم القسم بالمقدسات علناً ، وزاد رواتب القسس والأساقفة ، فأرضى بذلك الفاتيكان ووصفوه بانه « رجل ذو مشاعر دينية عميقة » .

ولم يكن الايطاليون فقط هم الذين سقطوا تحت سحر الدوتشي بفكه العريض وعينيه السوداوين الواسعتين ، فقد امتدح كعبقري وسوبرمان من شخصيات عامة في كل انحاء أوربا والولايات المتحدة وقورن بقيصر ونابليون وكرمويل ، قال عنه الكاردينال الامريكي أوكونيل من بوسطن ان موسوليني عبقري أهداه الله لايطاليا ، وأعلن وينستون تشرشل انه لو كان ايطاليا لما تردد في ارتداء القميص الأسود !

لقد وصفت انجازات موسوليني في النصف الأول من حكمه بانها من قبيل المعجزات ، فقد حول ايطاليا من بلاد منقسمة ومحبطة الى دولة موحدة ومتحمسة ، وقام بكثير من مشروعات الاشغال العامة والاصلاحات الاجتماعية دون ان يفقد تاييد الملاك وارباب الصناعة بل ونجح في التوافق مع البابا ، وكان بلاشك أكثر شعبية في ايطاليا من أي زعيم سبقه رغم تدميره للحريات المدنية .

وبعد أن نجا موسوليني من محاولة اغتيال فاشلة قامت بها امراة ايرلندية مختلة العقل أعلن أوجستو توارتو سكرتير الحزب الفاشي وأحد أركان حرب دعايته امام الجماهير المحتشدة المتحمسة « ان الله يحمي الدوتشي تحت أصبعه ، انه ابن ايطاليا الأعظم ، الوريث الشرعي لقيصر » .. وتعالت صيحات الجماهير معلنة تاييدها وولاءها .

ولكن تحت ستار هذه الشخصية العامة الكاسحة الأسرة كان هناك موسوليني آخر مختلفاً تماماً ، أقل حسماً وعظمة وتفرداً ، وبالرغم من كل مواهبه التي لا تنكر ظل موسوليني صحفياً دعائياً أكثر منه سياسياً محنكاً ، وعبقريته الحقيقية تكمن في قدرته على التأثير في الجماهير بالكلمة المكتوبة والكلمة المنطوقة على السواء ، ومع مرور السنين بدأ القريبون منه يرون وراء قناع السحر والذكاء وجه الدوتشي الحقيقي ، رجلا فظا خشنا ، طفوليا ، قلقا ، شاكا ، مغرورا ، مريضا بالأنانية وحب الذات .

لقد كانت كل جدران المدن الايطالية من تورينو الى نابولي تحمل عبارات التاييد المطلق للزعيم ، وبخاصة تلك العبارة التي أصبحت رمزاً للعقيدة الفاشية « الدوتشي على صواب دائماً » ، ولكن الذين يعرفونه حق المعرفة كانوا يرون ان الدوتشي غالباً ما يخطىء ، فقد كان لا يعرف جيداً كيف يسير أمور الحكومة ، وكان لا يطيق صبراً على العمل ، وعرف عنه انه كان أحياناً يكتب كلمة « موافق » على مذكرتين متعارضتين تقدمت بهما وزارتان مختلفتان قبل أن يصعد على عجل درجات السلم في قصره الى حيث تنتظره احدى عشيقاته في غرفة علوية ، ولكنه لا ينسى أن يترك مصابيح مكتبه مضاءة في الطابق الأسفل الى ساعة متأخرة من الليل ، كي يقال ان الدوتشي ساهر .. يعمل !

محمد العزب موسى

المقال التالي والأخير : موسوليني .. نهاية الدكتاتور

مُذكِّرات دنانير

بقلم : كمال النجمي

سيدى الذى اشترانى اسمه محمد بن كناسة .. رجل عربى النسب ، كوفى المولد والمنشأ ، صالح السيرة ، ذو مروءة وأدب وعلم ، وله شعر جيد ، لكنه لا يقصد بعلمه وشعره ذوى المال والجاه ، كما يفعل غيره من أهل الأدب والعلم !

.. سمعت مرة أحد أصدقائه يقول له :

ـ عجبت لك يا أبا يحيى فى قعودك عن أبواب الكبراء ، وامتناعك من المثول بين أيديهم بأدبك وعلمك وشعرك وقد فعل ذلك كل من له علم أو أدب أو شعر فى هذه الدولة العباسية الزاهرة التى راجت فيها بضاعة أقوام لا يعدلونك أدباً وعلماً .. وإنك لمن رواة الحديث الشريف ، أخذته عن ثقات المحدثين كالأعمش الفقيه الكبير ، وهشام ابن عروة ، وسفيان الثورى ، رأيتهم جميعاً وحضرت عليهم الفقه والحديث ، والعلم كله ، وهم فى العلم جبال شامخة ! ..

قال له محمد بن كناسة :

ـ أصون عرضى عن الوقوف على الأبواب ، ولا أطلب الرفعة بإغماض العينين ، ولا أجرح وجهى بالمطامع ! ..

ثم ارتجل هذين البيتين :

معاشى دُوَيْنَ القوتِ والعرضِ وافرٌ
وبطنىَ عن جَدْوَى اللِّئَـامِ خَمِيصُ
سالقى المنـايا لم أُخَالِطْ دَنِيَّـةً
ولم تَسْرِ بِى فى المخزيـاتِ قَلُوصُ

فلما خرج صاحبه هذا ، دخل شـيخ الملحنين والمغنين إسحاق الموصلى ، فهش له سيدي وبسط وجهه وتبسم وقال له :

ـ تغنيك جاريتنا ام تغنينا انت متفضلا يا ابا محمد ؟! ..

قال إسحاق :

ـ لولا وجع فى حلقي من اثر البرد لغنيتك متشرفاً بالغنـاء بيـن يديـك يا ابا يحيى ! .

ناداني سيدي :

ـ يا دنانير .. هذا ابو محمد اسحاق الموصلي اعزه الله .. هاتي عودك واسمعينا مما تحفظين من الحانه !..

غنيتهما فاطربتهما واثنيا على غنائي ، وقال لي اسحاق الموصلي :

ـ انت يا دنانير الكناسية (١) افضل عندي صوتا وصناعة من دنانير البرمكية على فضلها ! ..

ثم تجاريا فى الحديث وانا حاضرة ، فقال اسحاق لسيدى :

ـ يا ابا يحيى .. اراك تنقبض عن الناس ولا تمازجهم ولا تكثر من التحدث اليهم ، ولكنك تخصنى ـ انا الضعيف ـ بالاقبال والمودة والدعابة والتلطف والتواضع ، فجزاك الله عنى خيراً ، ونفعنى بعلمك وأدبك وجعلنى فداءك ! ..

صمت محمد بن كناسة قليلا ثم اجابه ببيتين ارتجلهما ، فرايت إسحاق الموصلى يتمايل طرباً لهما ، وما رأيته والله يطرب لغناء أحد طربه لهذين البيتين ..

ثم قال سيدى لاسحاق :

ـ يا ابا محمد .. إن فى علمك وأدبك وعفافك وظرفك ، ما يجعلنا نرسل انفسنا على سجيتنا معك ، وإن كنا ننقبض عن كثير من الناس ، والفضل لك علينا فى كل حال ! ..

ـ ٢ ـ

سمعت بعضهم يقول لسيدى ابن كناسة :

ـ انت امرؤ صالح ، يقصدك العلماء ، فما حظك من جاريتك دنانير المغنية هذه التى يسمعها عندك اصحابك ممن ترضى اخلاقهم وتثق بحسن ذوقهم فى السماع ؟!.

قال له سيدى :

ـ قد اجبت بنفسك عن سؤالك ! .. فانما اسمع غناءها ويسمعونه معى على غير فاحشة ، وهى ملك يمينى ، اشتريتها بمالى ولي فيها غنى عن سماع غيرها فى بيوت الناس .. وهى بارعة فى صناعتها .. حسبك ان اسحاق الموصلى قد شهد لها بذلك ، وها



دنـــانير الكناســية .. المغنية الاديبـة ، التى كانت من افضـل الاصـوات في عصرهـــــــــا .

إلى ذلك أدب وذكاء وعفاف ..

ثمة سر يخفيه هذا الشيخ الطيب عن اصحابه ، فهو لا يحب زوجته التى بنى بها منذ ثلاثين سنة ، فثقل عليه مكانها فى بيته ، لسوء عشرتها وحمقها وحدة لسانها وقد جعلت لنفسها ركنا فى البيت ، وجعل لنفسه ركنا آخر ، وما اظنه اشترانى لغنائى فحسب ، بل لاكون له انيسة ايضا فى بيته هذا الموحش ! ..

صحبته امس فى زيارة بعض اقاربه ، فمررنا فى الطريق برجل مصلوب على جذع شجرة ، يمر به الناس ويقولون إنه من المفسدين فى الارض .. فنظر اليه ابن كناسة لحظة وحوقل ولم يتذكر عند هذا المنظر المرعب إلا زوجته التى تركها فى البيت فقال مرتجلا وقد انزل عينيه عن الرجل المصلوب واغمضهما كانه يستجمع صورة امراته :

ايا جِـذْعَ مصلـوبٍ أتَـى دونَ صَلْبِـهِ
ثلاثـــونَ حَوْلاً كاملاً .. هل تبُـادِلُ ؟
فما انتَ بالحمـل الـذى قد حَمَلْتَـهُ
بأضْجَرَ منى بالـذى انـا حامـلُ !

فحزنت والله من اجل الشيخ ! .. لانه يرى أن الرجل المصلوب لو مرت عليه السنون ، لكان اخف وزنا على الجذع الذى يحمله ، من زوجته تلك التى حملها على قلبه مكرها ثلاثين سنة ! ..

لكن الشيخ من ابر الناس بعياله .. رايته منذ ايام يحمل اليهم بيديه بطن شاة من عند الجزار ، فقلت له : هات احمله عنك ! .. قال :

لا ينقـصُ الكامـــلَ مـن كمالِـــهِ
ما جـــرَّ مـن نفـــعٍ إلى عيالِـــهِ

- ٣ -

يعجبنى فى سيدى ، فـوق علمه وتقواه وطربه لغنائى ، انه يثق بفهمى وعلمى وفطنتى ..

كنت امس اجلس وراء ستارة فى بيته وقد جلس الى بعض خلانه من اهل العلم والادب ، فذكرنى احدهم فاثنى على غنائى وضربى بالعود ، فقال ابن كناسة :

- إن الغناء الطيب اقل فضائلها على براعتها فيه . ولو شئتم لاختبرت لكم فهمها وعلمها الساعة ! ..

ثم اخذ قلما وكتب شيئا فى رقعة ، ونادى خادما فامره بايصالها لي ، فقرات فيها :

«يادنانير .. إنك امة ضعيفة لكعاء ، فاذا جاءك كتابى هذا فعجلي بجوابى والسلام » ! ..

تاملت كلامه فى رقعته ، فرايته بلا معنى ، فعلمت انه يريد ان يحيرنى فى فهم كلام لا معنى له ، وان يختبر فطنتى فى إدراكى مرماه هذا او عجزى عنه .. فكتبت اليه :

«يا سيدى ..ساءنى تهجينك إياى .. وإن من اعيا العي ، الجواب عما لا جواب له .. والسلام» ! ..

فلما بلغته رقعتى قراها على صحبه وقال لهم :

- ارايتم كيف فطنت الجارية الى الثرثرة التى فى الرقعة ؟!

قالوا :

- والله .. إن دنانير هذه ، لاعظم قدرا من دنانير البرمكية فهما وعلما ..

قال سيدى :

- صدقتم ! .. وهى خير منها ايضا فى الغناء ! .. كذا اخبرنى الصدوق الثقة إسحاق الموصلى ..

فتعجب القوم من اجتماع هذه الفضائل

كلها لي ، مع خمولى ونباهة شان دنانير جارية البرامكة ! .. ولكن احدهم تنبه من غفلة فقال :

– وإن موضع دنانير جاريتك فى بيتك لأفضل عند كرام الناس من موضع دنانير فى قصور البرامكة ! ..

– ٤ –

زوارنا اليوم كثيرون .. جاءنا عالم نابه ، فذاكره سيدى فى شىء من الادب والعلم حتى قال له الرجل :

– يا ابا يحيى .. والله إنى لاستحسن ابياتك التى اولها : «ومن عجب الدنيا» .. واريد ان اكتبها فلا تضيع منى ، فانشده سيدى هذه الابيات :

وَمِنْ عَجَبِ الدنيا تُبَقِّيكَ للبلَى
وانك فيها للبقاء مُرِيدُ
وايّ بنى الايام إلا وعندَهُ
من الدَّهْرِ ذَنْبٌ طارفٌ وتليدُ
ومن يامنُ الايامَ ؟! .. اما انْبِيَاعُها
فَخَطْرٌ ، واما فَجْعُهَا فعتيدُ
إذا اعتادت النفسُ الرضاعَ من الهوى
فإنَّ فطامَ النفس عنه شديدُ (٢)

– ما هو «الانبياع» .. وما هو «الخَطْر» – بسكون الطاء – فى البيت الثالث ؟! ..

اجاب :

– الانبياع هو الوثوب بعد السكون ! .. تكون الدنيا ساكنة هادئة فينخدع بها المرء حتى تثب عليه وثبا فتقتله او تسلبه عافيته او تهتك ستره ! .. واما الخَطْر ، فهو ضرب من البعير الهائج بذيله يمينا وشمالا ! .. اردت تشبيه الدنيا حين تهيج على صاحبها بهذا البعير حين يهيج على صاحبه !

ثم قال لي :

– يا دنانير ! .. إياى تخدعين ؟! .. اترين انى لا ادرى معرفتك بهذا الكلام كله ؟! .. وإنما اردت ان تُسَلِّينى وترفّهى عنى ، وتعرفينى انك معجبة بشعرى هذا ، وإنما هو من «شعر العلماء» الذى لا يبلغ طبقة شعر المطبوعين ! ..

قلت له :

– والله يا سيدى إنك لمن اشعر الناس ، وإنى سمعت إسحاق الموصلى يوما يقول لك وقد سمع بيتين من شعرك فاهتز لهما إعجاباً : «يا ابا يحيى .. وددت انه نقص من عمرى سنتان وأنّك كنت سبقتك الى هذين البيتين» ! ..

اطرق ابن كناسة لحظة ثم سالنى :

– قد نسيت ذلك ، فما هما البيتان ؟! ..

قلت :

– بيتاك يا سيدى اللذان تقول فى اول شطر منهما : «فِيَّ انْقِبَاضٌ وحِشْمَةٌ ...» ! ..

فابتسم ابن كناسة سروراً وقال :

– لله درك يا دنانير .. قد اذكرتنى من نسيان ، وشوقتنى الى اسحاق الموصلى ! .

اندفعت حين ذكر اسم الموصلى فغنيته البيتين :

فيَّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا
صَادَفْتُ أهلَ الوفاءِ والكرمِ

ارسلتُ نفسى على سجيَّتها
وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتَشِمِ

فطرب لغنائى طربا ما عهدته من قبل ، ثم بكى وقال :

– قد كبرت سِنِّى ، وضعفت عن مواصلة إخوانى بالزيارة ، ولولا ذلك لقمت الساعة فركبت الى الموصلى ! ..

ثم انشد :

ضعفتُ عن الإخْوَانِ حتَّى جفوتُهُمْ
على غيرِ زهدٍ فى الوفاءِ ولا الودِّ
ولكنَّ ايامى تَخَرَّمْنَ مُنْتَقِى
فما أبْلُغُ الحَاجَاتِ إلاَّ على جهدِ

وسمعنا طرقا على الباب فاذا بصاحب لابن كناسة جاء يزوره فرحب به ، واخذا يتجاذبان الحديث .

صاحبه هذا رجل كثير المزاح ، لكنه تقى عفيف ، يدخل الينا فيسمع غنائى ، ويلمّح لي مازحاً بهواه فلا اجيبه بشىء ، ولكنه اليوم كان كثير التلميح فى سياق مزاحه ، فغنيت :

يَا فُؤَادِى فازْدَجِرْ عَنْهُ وَيَا
عَبَثَ الحبِّ بِهِ فاقعدْ وَقُمْ
صَائِدٌ تَأْمَنُهُ غزلانُهُ
مثلَمَا تامنُ غزلانُ الحرمْ

ففهم الرجل ما اعنى ، وفهم ابن كناسة كذلك ، وملزالا يطربان على غنائى ولا يشربان كما اعتاد الناس ان يفعلوا حتى استاذن الرجل فى الإنصراف .

لم يكد هذا ينصرف حتى اقبل آخر يتعاطى العلم ويتتلمذ على ابن كناسة ، ويبدى فى حضرته ادباً وصلاحاً .. ثم اطلع منه سيدى على باطن ردىء يخالف ظاهره الحسن ، فلم يعد يطيق مجالسته لتناقض ظاهره وباطنه ، وتكذيب اعماله لاقواله ..

فلما جلسا لم يفاتحه ابن كناسة فى شعر ولا ادب ولا حديث ولا فقه ، واكتفى بانشاده هذه الابيات :

مَا مَنْ رَوَى أدَبًا فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ
ويكفّ عَنْ دفْعِ الهَوَى .. بِأَدِيبِ
حتى يكونَ بما تعلَّمَ عَامِلاً
مِنْ صَالِحٍ فيكون غَيْرَ مَعِيبِ
ولَقَلَّمَا يغنى إصَابَةَ قَائِلٍ
أفعالُه افعالُ غَيْرِ مُصِيبِ

ففهم الرجل ما يعنيه ابن كناسة ، وقام يعتذر اليه ، ويحلف انه قد تاب وانا ب .. ثم انصرف ! ..

– ٥ –

«هذا اليوم لم تكتبه دنانير ، وإنما كتبه سيدها محمد بن كناسة .. قال» :

– ماتت جاريتى دنانير المغنية الاديبة العفيفة التى كانت انس حياتى ، يرحمها الله ، ويعجل لي بعدها الى رحمته ! ..

افحمنى موتها المفاجىء فلم استطع ان ابكى او اتكلم ، وجاء الناس يعزوننى ، إلا امراتى ، فإنى احسست حركتها فى البيت ، كانها امتلأت مرحاً ونشاطاً .. فقلت ارثى دنانير :

الحَمْدُ لِلَّهِ لا شَرِيكَ لَهُ
يَا لَيْتَ مَا كَانَ منكِ لَمْ يَكُنْ
إنْ يَكُنِ القَوْلُ قَلَّ فِيكِ فَمَا
أفْحَمَنِى غَيْرُ شِدَّةِ الحَزَنِ ! ..

كمال النجمى

هوامش :

(١) ترجمة دنانير الكناسية فى الجزء ١٣ من الاغانى ، طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) اخذ هذا المعنى بلفظه الامام البوصيرى حين قال فى البردة :

والنفس كالطفل إن تتركه شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

أديبات عالميّات

سلمى لاجرلوف

١٨٥٨ - ١٩٤٠م

بقلم : سماء زكي المحاسني



الأديبة السويدية : سلمى لاجرلوف

كانت هذه الأديبة السويدية أول مرشحة لجائزة نوبل فى الآداب ، وكانت هذه الجائزة العالمية من نصيب الرجال فلما محصت لجنة التحكيم آثار المرشحين من المتفوقين كانت بينهم (سلمى لاجرلوف) ، غير أنها لم تفز بالجائزة فى أول ترشيح ، بل تكرر حتى ظفرت بتقدير اللجنة المحصة .

وقيل فى اختيارها ـ إن هذه الأديبة قد فضلت لمنازعها المثالية والروحية وملكة الخيال التى طبعت أدبها بطوابع حياتها .

وبعد خمسة أعوام من اختيارها وتقديرها قررت اللجنة التحكيمية أن تكون (سِلْمَى لاَجَرْلُوفْ) عضواً فى لجنة الجوائز ، وقد بقيت فيها صوتاً مسموعاً حتى غابت عن الدنيا عام ١٩٤٠ .

أما مولدها فكان فى السويد عام ١٨٥٨ فى اقليم (مارباكا) فى مقاطعة (فارملاند) ومن أسرة أصيلة اسهمت شخصياتها فى خلال ثلاثة قرون بإغناء التاريخ الثقافى لمناطقهم .

وقد عاشت (سِلْمى لا جَرْلوف) طفولتها بين ابويها فى البيت الريفى الصغير الذى تحيط به مفاتن الطبيعة وهدوء الحياة ، ويبدو أنها فقدت أمها صغيرة فضاعف والدها الحنان عليها والاهتمام بنشأتها وذكائها . وقد تفتحت عيناها على مكتبة أبيها ودواوين الشعر فيها ، وكان يحفظ الشعر ويكرم الشعراء فترك هذا فى نفسها أثراً كبيراً ، على أن سِلْمَى لاجَرْلوف أصيبت فى عامها التاسع بوهن فى ساقيها أقعدها عن اللعب والحركة وأبعدها عن المدرسة ، فعكفت فى سريرها وبيتها على الكتاب ، ولم يجد والدها بدأ من ارسالها الى استوكهولم العاصمة للعلاج فى المعهد الرياضى ، وكانت فى اثناء المعالجة تتردد على المسرح السويدى وتصغى للممثلين والممثلات وتقرأ بعض المسرحيات ، لكنها ضاقت بالمدينة وفضلت العودة للقرية حتى أحبت طبيعتها ، ولما عادت سِلْمى لاجَرْلوف بعد شفائها الى منزلها فى (مارباكا) بدأت أولى تجاربها الشعرية عندما رجعت ذات مساء ربيعى من نزهة فى الدوحة الصغيرة خلف الحديقة ، وفجأة انثالت على اطراف لسانها بضعة ابيات من الشعر عبرت فيها عن شعورها وقالت فيها :

سلمى لاجرلوف

يالها من ظلمة قابعة تحت شجرة الزيزفون هادئة مزعجة وسط النسيم المفعم بالحياة

كانت سِلْمى لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها وكانت آمالها فى الأدب تحفزها للتعبير فأحست على الحداثة أن لديها من الموهبة الأدبية ما قد يمكنها من مضاهاة كبار الأدباء فى عصرها مثل (تجنر Tegner) وروينبرغ) وغيرهما

وكانت تعاودها أشواق اليها للشعر والشعراء فترجو أن يقرأها فى تجاربهـــا وتحوز رضاه ، وقد ذكرت فى كلماتها : (انها لم تلتق انساناً مثل اديبها فى حبه للشعر وتقديره للشعراء) .

ولم تضع سِلْمى لاجَرْلوف مخططاً لأهدافها فى الحياة والتعبير منذ شعرت بأنها تستطيع أن تجارى أدباء عصرها فيما قدموا لقرائهم من روائع الفكر والأدب فكانت تقرأ مؤلفاتهم وتتبع أخبارهم وتعيد المطالعة فى أدب (كارلايل) الذى كان له تأثير عميق فى نفسها حتى أنها قالت بعد قراءة لكتاب كارلايل : (هنا بعد مطالعاتى فى هذه الصفحات المؤثرة وفى هذه الجمل والعبارات التى كتبها كارلايل بقوة وعنفوان،وبهذه اللغة التصويرية تملكنى اعجاب بأدبه وشعور بأن شيئاً مماثلا فى اعماقى يحفزنى للتعبير وقد ادركت بأنى استطيع أن أكتب مثله) .

وأخذت تجارب (سِلْمَى لاجَرْلوف) فى الشعر والمسرحية الصغيرة تتعدد،وبدأت نزعتها للرواية تتفتح فى صفحات كتبها لتعود اليها وتكملها ، وعادت فى تألق تفكيرها ومطالعاتها الى المدرسة ثم الجامعة بعد أن جاوزت العشرين من عمرها ، ولم تجد بدأ من احتراف التعليم لتبقى فى بيئة واعية متنورة ، ولم تكن فى حاجة الى اكتساب وارتزاق اذ كانت فى عيشه راضية ، بل للمشاركة فى نشر الوعى والمعرفة . وأخذ اسمها فى الشعر يتردد فى الأسماع فقد اتيح لها أن تنشر بعض قصائدها فى مجلة كانت تصدرها (آلدرسبار) زعيمة الحركة النسائية السويدية .

حلف مع الشيطان

وفى خريف ١٨٩٠ حازت (سِلْمى لاجَرْلوف) جائزة فى مسابقة للقصة أقامتهـــا مجـلة « ايـدون Idun » وعرض عليها رئيس التحرير نشر القصة كاملة بعد أن نشرت متسلسلة فى المجلة وكانت هذه القصة من أروع نتاجها ، كما أجمع نقاد الأدب على أن سِلْمى لاجَرْلوف فى قصتها هذه قد احتلت مكاناً بارزاً بين ادباء عصرها وفى الأدب السويدى كله. وقد اطلقت على قصتها اسم (جوستا برلنج) "Gosta Berling"

وفيها قصت الأديبـــة الســـويدية « لاجَرْلوف » أن الكاهن السابق (جوستا برلنج) عقد مع أحد عشر شخصاً حلفاً مع الشيطان لاستلاب ممتلكات لسيدة طيبة شريطة أن يمتنع جوستا ورفاقه عن تقديم أى عمل طيب أو نافع للناس مدة عام كامل .

وفى نهاية العام يدرك جوستا عاقبة مغامراته الشيطانية أو الخيالية الهادمة فيندم ويقسم على أن يبذل نفسه وجهده فى بقية حياته لخدمة الناس .

وبهذه القصة الرائعة التى لقيت الحفاوة والتقدير من النقاد والقراء انبسط صيت القصصية السويدية فى بلادها وفى أرجاء العالم ، فقد نقلت قصتها الى أكثر اللغات الحية ، واعدت تمثيلية على المسرح السويدى عام ١٩٢٣ .

كما حولت الى أوبرا وفيلم للسينما فكانت عملا فنياً ناجحاً .

على أن تفوق (سِلْمى لاجَرْلوف) فى الفن القصصى يرجع الى موهبة خصبة ومقدرة فائقة فى رؤية الحياة والمجتمع.

وكتبت (سِلْمى لاجَرْلوف) الروايات التاريخية ومنها (امبراطور البرتغال) التى قال عنها أحد النقاد السويديين . (لقد عرف الأدب « الملك لير »،وهو وحيد من نوعه،وهاهو مثيل له وإن كان مختلفاً عنه) .

أما الاسطورة أو القصة التى هى على نسقها فقد كتبتها هذه القصصية العالمية ومنها (أساطير المسيح Christ Legends) وغيرها من الأساطير التى كتبتها على نسق الاقاصيص .

ومن أشهر قصص لاجَرْلوف (بيت المقدس Jerusalem) وقد كتبتها فى فترة انقطعت فيها عن التدريس ودهمتها محنة من القلق والاضطراب فاعتزمت التجوال والانتقال الى بيت المقدس لتعيش فى رحاب الحرم الذى ولد فيه المسيح ، غير أن « سِلْمى لاجَرْلوف » عادت الى نفسها وفنها بعودة الطمأنينة اليها فكانت قصتها (القدس) أو بيت المقدس تعبيراً عما أصابها فى فترة من حياتها الفكرية .

ولم تشأ هذه الأديبة السويدية أن تقتصر فى أدبها على تاليف القصص للكبار وهى التى أحبت الأطفال فكتبت للصغار قصتها المشهورة (المغامرات المدهشة لنيلز "The Wonderful Adventures of Nils") وهى رحلات يومية يقوم بها (نيلز هولجرسون) الى عدد من البلاد الأجنبية على ظهر أوزة يطير فوقها فى كل اتجاه .

وكان صدورها عام ١٩٠٧ فى مجلدين قدمت فيهما لاجَرْلوف للقارىء والأطفال الأسطورة مع الوصف الواقعى وقد تلقت مئات الرسائل من أنحاء العالم اعجاباً بفنها وجمعت هذه الرسائل فى المكتبة الملكية باستوكهوم .

وما كادت (سِلْمى لاجَرْلوف) تناهز الخمسين من عمرها وهى دائبة فى تعبيرها الفنى والأدبى حتى تنادى كبار قومها لتكريمها فى عيد ميلادها لكن لجنة التحكيم فى جائزة نوبل رأت أن أديبة السويد لاتقل شأناً وفناً عن أدباء عصرها فمنحتها الجائزة العالمية تقديراً لأدبها وكان هذا عام ١٩٠٨ وبعد خمسة أعوام اختارتها لجنة نوبل عضواً فى لجنة الجوائز فكانت أولى الأديبات العالميات .

ويجدر بى وقد أتيت بلمحة عنها أن ألم بسطور جاءت فى مذكرات (سِلْمى لاجَرْلوف) يتبين منها القارىء لمحات من خصالها وصفاتها وقد كتبتها عام ١٩٣٢ .

« اذا كان على المرء أن يصبح كاتباً فينبغى له أن يشعر بالرضى فيما اختار لنفسه أو لما حدث له من تجربة قاسية أو غير سارة فى حياته ، إذ كيف بإمكانه أن يصف هذا الأمر فى تعبيره وشعوره وصفاً صادقاً ؟ » .

أما كيف كانت تكتب ؟ فتتبين الاجابة للسائل فى قولها :

« عندما أكتب أعيش فى وحدة كبيرة وعلى أن أختار بين عيشتي وحدى وأكتب ،



في المنزل الريفي ،، حيث كانت تعكف الكاتبة السويدية على كتابة اعمالها الادبية .

وبين أن أعيش مع الآخرين فلا أقدر على الكتابة كلمة واحدة » .

« كيف أكتب ؟ الحقيقة لاأدرى كيف يحدث هذا ، فمن الشاق أن يؤلف المرء كتباً، على أنى حينما انتهى من الكتابة لاأدرك كيف تم ذلك ، ويخيل الى كأن شخصا آخر هو الذى كتب لى ! »

ومن آراء « سِلْمى لاجَرْلوف » يمكن أن نتبين من الحوار الآتى شخصيتها الجدية ونظراتها العميقة وصفاء نفسها .

● ما هى أعظم فضيلة ؟
ـ الرحمة .
● ما هى اعظم صفات الرجل المفضلة عندك ؟
ـ الجد والعمق .
● ما هى أعظم صفات المرأة المفضلة عندك ؟
ـ الجد والعمق .
● ما هو عملك المفضل ؟
ـ دراسة الشخصية .
● ما هو اعظم قدر من السعادة للإنسان
ـ الثقة بالنفس .
● ما هى المحنة الكبرى ؟
ـ ايذاء شعور الآخرين .
● ما هو احب الألوان الى نفسك ؟
ـ لون الشروق .

إن هذه السطور المعدودة تنطوى على نظرة الأديبة السويدية للحياة والناس وعلى قدرة هائلة فى وصف النفس .

جائزة نوبل عام ١٩٠٩

هذه هى « سِلْمى لاجَرْلوف » الأديبة العالمية التى كانت أولى المستحقات جائزة نوبل عام ١٩٠٩ دون تفريق بين أدب النسوة وبين غيره من ألوان الأدب. وقد عاشت متألقة الفكر عميقة الشعور حتى جاوزت الثمانين ولم تتغير ملامحها فقالت عنها احدى صديقاتها : (كنت ذات يوم فى صحبتها فنظرت مليا الى يدها وكأنها لشابة نضرة ، فصحت فى دهشة :

يالهما من يدين جميلتين !

فأجابت : نعم ، يبدو وانهما كانتا لى دائما ...) .

ما فترت همتها أو وهت مواهبها فقد بقيت كاتبة محبوبة متجاوبة مع الحياة والطبيعة معبرة عنهما وعن ذاتها الطيبة وتجاربها الفنية وانها لخالدة باثارها على الأيـــام .

سماء زكى المحاسنى
دمشق

وثيقة تاريخية بالغة الأهمّية:

المسألة الصهيونية الفلسطينية بالكونجرس الأمريكي (١٩٤٣ - ١٩٤٥)

بقلم: الدكتور عاصم الدسوقي

أول لجنة أمريكية في فلسطين

في العدد الماضي انتهينا من استعراض ما دار في آخر جلسات لجنة الشئون الخارجية، حيث رأينا ان المناقشات دارت حول قضيتين محددتين: الأولى وتتلخص في محاولة توسيع مهمة هيئة الانقاذ المقترحة لتشمل كل الاقليات والعناصر المضطهدة بشكل عام ودون التركيز على اليهود. وكان الجمهوريون المسئولين عن هذه المحاولة، وفكرتهم ان استثناء فئة معينة بالرعاية (اليهود) يعد سابقة خطيرة في تاريخ الولايات المتحدة. أما القضية الثانية فكانت تتعلق بمدى علاقة مشروع قرار الانقاذ بفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود. وكانت وجهة نظر شهود «اللجنة العاجلة» تتلخص في أن المشروع يعني فتح أبواب فلسطين لانشاء الوطن القومي لليهود، لكن اعضاء لجنة الشئون الخارجية نفوا بشدة وجود هذا المعنى حتى لا تتأثر المصالح الأمريكية البريطانية خلال الحرب. وقد شاركهم في هذا الرأي مساعد وزير الخارجية (لونج) الذي أبدى عدم استحسان لاقامة دولة يهودية تقوم على الدين الواحد مفضلا ذوبان اليهود في البلاد التي يعيشون فيها.

بعد ذلك شكل الكونجرس لجنة فرعية للذهاب الى فلسطين لاستطلاع الرأي بين العرب واليهود. وتدور هذه الحلقة حول لقاءات هذه اللجنة والظروف التي سبقت ارسالها الى فلسطين.

بعد أن فرغت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس من عقد جلسات الاستماع التي عرضنا لها في الفصل السابق (١٩ نوفمبر - ٢ ديسمبر ١٩٤٣)، عكفت على دراسة ما انتهت اليه شهادة الشهود وبياناتهم والمناقشات التي دارت معهم. غير انها لم تتوصل الى تشريع بشأن مشروع القرار. وفي مطلع ١٩٤٤ بدأت مجريات الحرب العالمية تنبيء بانتصار الحلفاء على النازية والفاشية، واشتد معها ضغط العناصر الصهيونية في الولايات المتحدة اعلاميا وسياسا من أجل التوصل الى سياسة رسمية لفتح أبواب فلسطين أمام من تبقى من يهود أوربا، وما يتصل بذلك من ضرورة ممارسة «الضغط» على بريطانيا لتعديل موقفها من سياسة الهجرة وملكية الأرض في فلسطين كما جاء بالكتاب الأبيض.

ففي يناير ١٩٤٤ اصدر الرئيس روزفلت قراراً بتشكيل «هيئة شئون لاجيء الحرب» War Refugee Board وفسر البعض هذه الخطوة بانها التزام من الحكومة الأمريكية بانقاذ آلاف اليهود.

ويلسون



فرانكلين روزفلت





ترومان



كليمنت أتلى

وفى مارس ١٩٤٤ أعلن الرئيس روزفلت أن أمريكا لم توافق أبداً على الكتاب الأبيض ، وأنه يجب التوصل الى شىء ما لهؤلاء الذين يرومون وطناً قومياً يهودياً .

وفى يوليه ١٩٤٤ عقد الحزبان الديمقراطى والجمهورى مؤتمرات قومية على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية فى مدينة شيكاغو اتخذت فيها مبادىء وقرارات تتعلق بفلسطين . فالحزب الديموقراطى على وجه الخصوص أقر مبدأ يهدف الى أن «تكون فلسطين كومنولثاً يهودياً» . ولقد وافق الرئيس روزفلت على ما انتهى اليه قرار الحزب (وكان الديموقراطيون فى الحكم آنذاك) ، وأرسل خطاباً الى السيناتور واجنر قال له فيه :

«حيث أننى أعلم بحضورك للمؤتمر السنوى السابع والأربعين للمنظمة الصهيونية الأمريكية فاننى أرجو منك أن تحمل تحياتى القلبية للوفود المشاركة فى هذا المؤتمر . كما أرجو أن تعرب لهم عن صادق امتنانى ، وتخبرهم أن الحزب الديموقراطى قد أقر فى اجتماعه السنوى هذا العام (يوليه ١٩٤٤) المبدأ السياسى التالى : نحن نؤيد فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية دون قيود ، كما نؤيد وضع سياسة فى فلسطين من شأنها إقامة كومنولث يهودى ديموقراطى حر . ولسوف تبذل الجهود المناسبة للتوصل الى الطرق والوسائل الملائمة لتنفيذ هذه السياسة فى أسرع وقت ممكن . كما أرجو أن تخبرهم أن الحزب قد توصل الى هذا المبدأ اتفاقاً مع تقاليد السياسة الأمريكية وتقديراً لروح الحريات الأربع . وأننى لأعلم مدى حماس الشعب اليهودى وشغفه والصلوات التى أقامها من أجل أن تكون فلسطين كومنولثاً يهودياً ديموقراطياً حراً . وأننى لمقتنع بأن الشعب الأمريكي يؤيد هذا المبدأ حتى إذا ما أعيد انتخابى سوف أعمل على تحقيقه» (١) .

وجاء عام ١٩٤٥ وتحقق النصر فى أوربا على النازية ، إلا أن شيئاً جديداً لم يحدث بالنسبة لليهود الذين كانوا مايزالون فى معسكرات التجميع النازية يعيشون وراء الأسلاك الشائكة فى المانيا وبولندة . وتراخت جهود الحلفاء التى كانت تتزعمها الولايات المتحدة فى سبيل «إنقاذ» يهود أوربا .

وعلى هذا فقد بادر الرئيس الأمريكى ترومان الذى خلف روزفلت بعد وفاته ، بايفاد «إيرل هاريسون» فى يوليه ١٩٤٥ لمراقبة الأوضاع فى أوربا وتقصى الحقائق فيما يتعلق بمشكلات وحاجات اللاجئين اليهود بين غيرهم من اللاجئين . (٢) ولقد قام هاريسون بزيارة تجمعات اليهود «المضطهدين» فى المنطقتين الأمريكية والبريطانية من المانيا (أى المناطق التى خضعت للدولتين عند انتهاء الحرب) . وقدم تقريراً بالأوضاع «المروعة» لليهود ، موصياً بأن هناك حلا واحداً رئيسياً يتمثل فى أن يبذل الرئيس الأمريكى جهوداً خاصة وفورية لضمان دخول مائة الف يهودى الى فلسطين على الأقل بصفة عاجلة .

وبناء على هذا التقرير أرسل الرئيس ترومان فى ٣١ أغسطس ١٩٤٥ رسالة الى رئيس وزراء بريطانيا (إيتلى) يطلب منه السماح لمائة الف يهودى بدخول فلسطين . وكان لهذه الرسالة صدى عميق ورد فعل طيب فى أوساط الحركة الصهيونية . غير أن بريطانيا اعترضت على هذا الطلب ، واقترحت بدلا منه تكوين لجنة انجلو ـ أمريكية بشأن اللاجئين .

ولعل الذى دفع بريطانيا لاتخاذ هذا الموقف اعتقادها بأن اليهود ليسوا وحدهم الذين يعانون من اضطهاد النازية فى أوربا وأنه يجب معالجة مشكلة اللاجئين المشردين بشكل عام دون تخصيص عناية محددة لفئة منهم دون الفئات الأخرى . والأفضل من ذلك عند الحكومة البريطانية أن تقدم المساعدة لليهود لكى يكونوا قادرين على إعادة بناء البلاد التى قدموا منها هم وبقية مواطنى هذه البلاد .. (٣)

أما بخصوص فتح أبواب فلسطين أمام اليهود فهذا يتعارض عند الحكومة البريطانية مع مغزى سياسة الانتداب التى تقوم على الموازنة بين مصالح العرب واليهود ، ودون تمكين فئة من الحاق الضرر بالفئة الأخرى . وتشعر الحكومة البريطانية بأنه لا توجد أرضية مشتركة يقف عليها العرب واليهود ، فكل منهما يختلف عن الآخر فى العقيدة وفى اللغة وفى الحياة الاجتماعية والثقافية وفى طرق التفكير وأنماط السلوك . وأهم من ذلك كله اختلاف الآمال القومية لكل منهما ، وهذه الآمال تمثل عقبة حقيقية أمام السلام ، فكل منهما يدعى أحقيته بفلسطين : العرب على أساس وجودهم التاريخى من قديم ، واليهود على أساس ارتباطهم التاريخى

أول لجنة أمريكية في فلسطين

بالأرض وبالوعد الذى حصلوا عليه اثناء الحرب العظمى (بلفور) .

ومن هنا فان الحكومة البريطانية كانت تعتقد أن أى اخلال بقواعد الهجرة المعمول بها فى فلسطين سوف يؤدى الى اضطرابات فى فلسطين ، والى مواجهة بين العرب واليهود قد يمتد اثرها الى الشرق الأوسط ، بل والى الهند حيث يساند مسلموها عرب فلسطين . ومن ناحية اخرى يجب أن يكون فى الحسبان ـ كما تدرك بريطانيا ـ أن الزعماء العرب لم ينسوا تاكيدات روزفلت (قبل وفاته) وترومان بان شيئا لن يحدث فيما يتعلق بالوضع الراهن فى فلسطين دون استشارة العرب واليهود

غير أن هذا الموقف البريطانى الذى رأت فيه الولايات المتحدة «مناورة سياسية» ، اثار حملات اعلامية ودعائية من جانب العناصر الصهيونية الامريكية ادت بالكونجرس الى إرسال لجنة فرعية الى فلسطين فى سبتمبر ١٩٤٥ لاستطلاع الرأى ثم تقديم مشروع القرار رقم ١١٣ فى ديسمبر ١٩٤٥ للكونجرس بشان فتح ابواب فلسطين لليهود ، وهو موضوع الفصل التالى ، هذا رغم موافقة الحكومة الأمريكية على الاقتراح البريطانى بشان تشكيل اللجنة المشتركة إذ لم يكن هناك مفر من الموافقة .

وطن قومى !!

وهكذا وفى أواخر سبتمبر ١٩٤٥ قررت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس تكليف لجنة فرعية للذهاب الى فلسطين لاستطلاع رأى كل من العرب واليهود حول امكانية فتح ابواب فلسطين لمزيد من اليهود الأوربيين . وكانت الحرب العالمية آنذاك قد انتهت من الناحية الفعلية والرسمية ، وتم القضاء على الحكم النازى المسئول عن «إبادة» اليهود فى أوربا ، وهو الحكم الذى كان مسئولا أيضا عن كافة النشاطات التى قامت بها العناصر الصهيونية فى الولايات المتحدة على المستوى الشعبى والرسمى (السلطة التشريعية والتنفيذية) من اجل إنقاذ اليهود من خطر «الابادة» ، وما ارتبط بذلك من محاولة البحث عن اماكن لنقل اليهود اليها ، وكانت فلسطين فى مقدمة هذه الأماكن المقترحة لاصرار العناصر الصهيونية عليها .

وكان من المتصور أن ينتهى الجدل حول مسالة «المكان» الذى يذهب اليه اليهود الهاربون من الاضطهاد النازى طالما انه قد تم القضاء على النازية وهى العلة الرئيسية وراء هذا الجدل . غير أن الحركة الصهيونية كانت قد انتهت الى ضرورة توطين يهود اوربا فى فلسطين ، وانشاء وطن قومى لهم هناك تنفيذاً لوعد بلفور ولسياسة الانتداب على فلسطين . وظلت تمارس ضغوطها على القوى الدولية المؤثرة وفى مقدمتها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية توصلا لفتح أبواب فلسطين أمام اليهود .

على كل حال .. ففى سبتمبر ١٩٤٥ شكلت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس (٤) لجنة فرعية ثنائية من كل من كارل موندت (جمهورى ونائب داكوتا الجنوبية) وفرانسيز بولتون (جمهورية ونائبة اوهايو) للذهاب الى مدينة القدس (اورشليم) ، لاستطلاع آراء بعض العناصر من العرب ومن اليهود هناك حول امكانيات التعايش بين العنصرين فى فلسطين . وقد عقدت اللجنة جلستين يومى ٢٧ ـ ٢٨ سبتمبر ١٩٤٥ ، استمعت فى الأولى الى كل من اميل الغورى سكرتير الحزب العربى الفلسطينى وجودا ماجنيس Judah L. Magnes رئيس الجامعة العبرية . اما فى اليوم التالى (٢٨ سبتمبر) فقد استمعت الى كل من : الاخ تيرا انطونى Terra Anthony المعلم بكلية سانكتا Sancta College وعونى بك عبد الهادى احد زعماء العرب ، واليعازر كابلان ، وبرنارد جوزيف وهما من زعماء اليهود .

وليس من الواضح امامنا لماذا وقع اختيار اللجنة على تلك الشخصيات بالذات ، وما هو المعيار الذى وضعته اللجنة عند الاختيار . والملفت للنظر ايضا عدم التكافؤ في إبداء وجهات النظر بين العرب واليهود . فالعرب وهم الاغلبية في فلسطين باعتراف الوثائق البريطانية نفسها ، لم يمثلهم أمام اللجنة سوى شخصين فقط وهما إميل الغورى وعونى بك عبد الهادى . أما اليهود وهم الاقلية فقد مثلهم ثلاثة هم رئيس الجامعة العبرية واثنان من زعمائهم . أما الشخص السادس (الاخ تيرى انطونى) فهو ليس من العرب وليس من اليهود ، بل هو مسيحى أمريكى ويمكن احتسابه فى صف اليهود من خلال الآراء التى أبداها .

ماذا قال الشهود ؟

ولننتقل الآن الى استعراض المناقشات التى تمت بين اللجنة الفرعية للكونجرس وبين من التقت بهم من شهود .

كان الشاهد الأول الذى استمعت اليه فى القدس سكرتير الحزب العربي الفلسطينى إميل الغورى . (٥) وقد القى بياناً طويلا تعرض فيه لتاريخ فلسطين منذ الحكم العثمانى باعتبارها جزءاً من سوريا الكبرى الى قيام الحرب العالمية الأولى وتقرير الانتداب البريطانى . ولا يهمنا فى هذا أن نستعرض التفاصيل التاريخية التي ذكرها إميل الغوري عن وضع فلسطين تحت الحكم العثمانى فهى ليست بعيدة عن ذهن القارىء العربى . وأغلب الظن أنه لم يذكرها إلا لشعوره بانه يتكلم أمام مجموعة من الأمريكيين الغرباء عن البلاد . ومن هنا سوف نتوقف فقط عند النقاط التى وردت فى بيانه الخاصة بمهمة توطين اليهود اللاجئين ، وامكانية التعايش بين العرب واليهود فى المنطقة حيث انها كانت نقاطاً محورية فى الحديث معه .

قال الغورى ان كل فلسطين فى عام ١٩١٨ كانت خاضعة تماماً لبريطانيا التى أسست حكومة عسكرية فيها عقب الاحتلال وفى عام ١٩١٩ عرف العرب بشكل رسمى وعد «بلفور» القاضى بتأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين . وهو يؤكد على أن ليس وعداً «بان تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود وإنما يكون فى فلسطين وطن قومى يهودى» . وعند ذلك احتج العرب .

وعندما أعلن الانتداب رسمياً فى ١٩٢٠ احتج العرب لأن الانتداب فرض ضد رغبات الاغلبية العربية التى كانت إذ ذاك تمثل ٩٣٪ من اجمالى سكان فلسطين (٦٪ لليهود ، و ١٪ أجانب) ، ومن ثم طلب العرب من الرئيس الأمريكى ويلسون ارسال لجنة الى فلسطين للتعرف على رغبات العرب واجراء استفتاء عام لذلك . فجاءت لجنة «كرين» حيث تبين لها من خلال

الاستفتاء أن ٨٠٪ من السكان يريدون الاستقلال . وكان العرب يرحبون بأن يكون الانتداب أمريكيا إذا لم يكن هناك مفر من الانتداب . فان لم يتيسر ذلك فليكن انجليزيا . غير أن الحكومة البريطانية تجاهلت نتائج هذا الاستفتاء ، وأعلنت انتدابها على فلسطين ، وشرعت منذ البداية فى رسم سياستها لتاسيس وطن قومى لليهود . غير أن العرب احتجوا على ذلك لأنهم ـ كما يقول الغورى ـ رأوا فى الهجرة اليهودية لفلسطين شيئا قد يضرهم ويضر وضعهم فى بلادهم ، ويحرمهم فى المستقبل من الاستقلال . ولقد أقام العرب احتجاجهم على أساس «حق بلادهم الطبيعى فى تقرير مصيرهم بانفسهم» .

ومنذ الانتداب البريطانى ـ كما يقول الغورى ـ ركز العرب بقوة على ثلاثة أهداف وهى : إيقاف الهجرة اليهودية ، وايقاف بيع الأراضى لليهود ، وانهاء الانتداب واقامة حكومة دستورية قومية تمثل كافة المواطنين فى البلد تعقد معاهدة صداقة مع بريطانيا على غرار المعاهدات مع العراق ومع مصر . ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق ، ففى كل مرة يطالب العرب بايقاف الهجرة اليهودية يقال لهم : «إن هذه مشكلة انسانية ، وان عليكم أخذ بعض اليهود لحل المشكلة اليهودية ..» . وأكثر من هذا يتهم العرب بانهم معادون للسامية ، مع أن هذا المصطلح ـ كما يقول الغورى ـ ابتكار أوربى وليس عربيا ، لأن العرب أنفسهم ساميون . وكل ما يخشاه العرب أن تؤدى الهجرة اليهودية الى أن يصبح العرب يوما ما أقلية فى بلادهم .

وفى ١٩٤٥ (تاريخ هذا البيان) تحققت مخاوف العرب . فبعد أن كانوا فى ١٩١٨ يمثلون ٩٣٪ من السكان ، واليهود يمثلون ٦٪ فقط ، أصبح العرب فى ١٩٤٥ يمثلون ٦٧٪ ، واليهود يمثلون ٣٢ أو ٣٣ ٪ فاذا ما استمرت اليهودية قائمة لعشر سنوات قادمة ـ كما يقول الغورى ـ فمن المحتمل أن يصبح العرب أقلية يطلب اليهم ترك بلادهم .

ثم أشار إميل الغورى الى خطأ المقولة الأمريكية الخاصة باعتبار الهجرة اليهودية مشكلة انسانية ومشكلة لاجئين . فيقول ان فتح أبواب فلسطين أمام أكبر عدد ممكن من اليهود لن يحل مشكلة اليهود فى أوربا فى الوقت الذى سوف تخلق فيه مشكلة يهودية فى الشرق . فليست هناك حتى الآن (١٩٤٥) مشكلة يهودية فى البلاد العربية ، ولكننا فى الطريق اليها . وللأسف فان سلاح معاداة السامية الذي يشهر أمام المعارضين لهجرة اليهود ، سوف يشهر فى كل البلاد العربية والاسلامية لأهمية فلسطين من الناحية الاستراتيجية للبلاد العربية ، ولأنها أرض مقدسة عند المسلمين كافة من الناحية الدينية بعد مكة والمدينة . إذن فالهجرة اليهودية سوف تخلق مشكلة فى بلاد الشرق وفى البلاد الاسلامية . ولأن بريطانيا لم تكترث لمطالب العرب فقد استمر هؤلاء فى مظاهراتهم بل وفى انتفاضاتهم التى اضطروا للقيام بها .

ثم يشير أيضا الى خطأ القول بان الاضطهاد النازى وراء مزيد من هجرة اليهود الى فلسطين ، وذلك من خلال الاحصاءات الرسمية البريطانية التى تبين أن نسبة اليهود الذين دخلوا فلسطين بعد اعتلاء هتلر الحكم بلغت ١٩٪ فقط من المانيا و ٨١٪ من البلاد الأخرى ، مما يعنى عند الغورى أن الاضطهاد النازى غير مسئول عن زيادة معدل الهجرة اليهودية ، وإنما الحركة الصهيونية السياسية هى المسئولة عن ذلك .

ثم اختتم بيانه مطالبا بريطانيا بتنفيذ تعهداتها التى قطعتها على نفسها فى الكتاب الأبيض وهى إيقاف الهجرة اليهودية واعلان الدستور ، وعندئذ سوف « نعد أنفسنا للحياة فى هذا البلد كمواطنين فلسطينيين فى ظل حكومة تمثل الفئات والطوائف المختلفة كل بنسبة عددهم مع استبعاد الذين لا يتمتعون بحقوق المواطنة الفلسطينية ، أى المتسللين اليهود بطريقة غير شرعية» .

المساواة فى الحقوق والواجبات

أما جودا ماجنيس رئيس الجامعة العبرية فقد اكتفى بأن قدم الى اللجنة الفرعية للكونجرس نسخة من مقال له سبق نشره باحدى الصحف البريطانية بعنوان «التعاون العربى ـ اليهودى فى فلسطين» ، يوضح فيه موقفه من مستقبل الوضع فى فلسطين . والدكتور ماجنيس مؤسس حركة فى فلسطين تسمى «حركة ميثاق السلام» ، وكانت تهدف الى تحقيق تفاهم عربى يهودى ، وتاسيس دولة ثنائية . غير أن الزعامات الصهيونية والسياسيين القوميين العرب كانوا يعارضون هذه الحركة .

ويدور محور المقالة التى قدمها ماجنيس حول تلك الفكرة . وهو يشترط لتحقيقها توافر شرطين أساسيين فى البداية . الأول أن تقوم السياسة فى فلسطين على إيجاد دولة ثنائية يتمتع فيها اليهود والعرب بالمساواة فى الحقوق والواجبات . وهذا يعنى بطبيعة الحال عدم التفكير فى انشاء دولة يهودية أو دولة عربية فى فلسطين . والثانى يتلخص فى التاكيد على الخلفية الدولية لفلسطين ووضعها موضع الاعتبار وتحقيقا لذلك يجب أن تعلن بريطانيا استعدادها لوضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة . وفي هذه الحالة تصبح فلسطين أرضا تخضع لنظام الوصاية بدلا من أن تخضع لنظام الانتداب .

والسبب فى ذلك كما يشير ماجنيس أن نظام الانتداب لم ينجح فى تحقيق الأغراض المستهدفة منه . فمن هذه الأغراض مثلا تحقيق حكومة ذاتية وهو ما لم يحدث بدرجة ملحوظة . فعندما كانت فلسطين تحت الحكم العثمانى كانت السلطة فى يد الطبقات العالية . ثم حدث بعض التقدم تحت نظام الانتداب نحو النظام الديموقراطى ولكن بدرجة طفيفة . ومع أن فلسطين بلد صغير إلا أنها تضم عناصر من العرب واليهود رجالا ونساء تتميز بالقدرة على العمل والادارة . وبالامكان أن يشغلوا مئات الوظائف التى يشغلها الانجليز ، إذ لا يوجد أى عربى أو يهودى عضوا فى المجلس التنفيذى أو على رأس أى ادارة من الادارات أو بين مسئولى المناطق والأحياء أو فى رئاسة المحكمة . وليس هناك مجلس تشريعى ، والتشريع يتم بقرارات ادارية . وكل العلاقة بين حكومة الانتداب والسكان تقوم على الاجراءات البوليسية . وخلاصة الأمر أن حكومة الانتداب البريطانى هى ادارة استعمارية استبدادية متطرفة .

ثم يقترح ماجنيس أن يتضمن نظام الوصايا الذي يجب أن يتم التوصل إليه فوراً النص على ماياتي :

أولا ـ تكوين هيئة وصاية اقليمية

أول لجنة أمريكية في فلسطين

Regional Trusteeship Board تحت اشراف مجلس الوصاية التابع للامم المتحدة للتوصل الى وضع سياسة فى فلسطين تضمن امنها ، وتكون مسئولة عن تحقيق الاغراض الاساسية الواردة فى المادة ٧٦ من نظام الوصاية الذى اقرته الامم المتحدة (٦) .

ثانيا ـ ان تضم هيئة الوصاية الاقليمية فى المحل الاول ممثلين عن بريطانيا وعن جامعة الدول العربية وعن الوكالة اليهودية فى فلسطين . وفى هذا الشان فان بريطانيا تمثل العالم المسيحى ، والجامعة العربية تمثل العالم العربى ، بينما تمثل الوكالة اليهودية العالم اليهودى على الاقل فيما يتعلق بفلسطين . اما دخول الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا فى عضوية تلك الهيئة ـ وهم اعضاء فى مجلس الوصاية التابع للامم المتحدة ـ فذلك امر لاباس به من الناحية النظرية . ولكن من الناحية العملية قد يزيد من المصاعب على الاقل فى البداية . ولحسن الحظ فان ميثاق هيئة الامم يتميز بالمرونة فى موضوع تشكيل اى صيغة تتعلق «بالهيئات الدولية الخاصة»، وفى تشجيع «الاتفاقات الفردية» .

ثالثا ـ تصبح الحكومة البريطانية «سلطة ادارية» فى فلسطين بمقتضى المادة رقم ٨١ من نظام الامم المتحدة .

رابعا ـ ان التوجيه السياسى الذى يوجهه مجلس وصاية الامم المتحدة الى هيئة الوصاية الاقليمية يجب ان يكون حول العمل على تحقيق التعاون اليهودى ـ العربى نحو اقامة دولة ثنائية فلسطينية تقوم على المساواة فى الحقوق والواجبات لكل من الشعبين .

ثم يقول «ماجنيس» ان هناك اقتراحات ثلاثة بخصوص مستقبل فلسطين مدار حديث (الآن) بين المعنيين ، وكل منها يتناقض مع الآخر ويصارعه . ويهدف الاقتراح الاول الى ان تصبح فلسطين دولة عربية تعطى ضمانات للاقلية اليهودية . ويهدف الثانى الى ان تصبح فلسطين دولة يهودية او كومنولثا تعطى ضمانات للاقلية العربية التى سوف تكون حقيقة واقعة من خلال الهجرة اليهودية الكبيرة والسريعة . وتحقيق اى من الاقتراحين يعنى وقوع الصراع المسلح داخل فلسطين الذى قد يمتد خارجها ايضا لتشارك فيه عناصر اخرى .

واما الاقتراح الثالث فهو تقسيم فلسطين «الأرض الضيقة» الى ثلاثة اقسام قسم للعرب ، وقسم لليهود ، والقسم الثالث للبريطانيين . وهناك يهود يحبذون هذا الحل . ويقال ايضا ان هناك عربا قد يؤيدونه . وهذا الاقتراح الاخير على المدى الطويل افضل بكثير من ان تكون فلسطين دولة عربية حيث لا يوجد بين اليهود من يرضى بذلك ، او ان تكون فلسطين دولة يهودية حيث لا يوجد بين العرب من يرضى بذلك ايضا .

والحق ان التقسيم ـ كما يذهب ماجنيس فى النهاية ـ حل اصطناعى ووهمى . وبصرف النظر عن الصعوبات التى قد تنشا عند رسم الحدود بين هذه الاقسام ، فان التقسيم لا يخدم فكرة التفاهم والتعاون العربى ـ اليهودى بل على العكس من ذلك . وقد يبدو ان التقسيم امر مبسط سهل ولكنه يثبت قصر النظر فى الامور . ان التقسيم سوف يخلق بلقانين على جانبى الحدود . وانه لدعوة لتنشئة جيل من الشباب العربى واليهودى الشوفينى المتشدد . وفى نفس الوقت فالتقسيم يخلق وحدتين اقتصاديتين ضئيلتين ، وفى ذلك قضاء على الاسواق المامولة للصناعة اليهودية فى البلدان المجاورة ، وتقليل من فرص الهجرة اليهودية . انه يشوه صورة الأرض المقدسة . انه رفض لمواجهة ضرورة العمل الشاق الطويل المتواصل نحو تقريب العرب واليهود ومن ثم نحو السلام .

حكومة دولية

وعلى حين طلب كارل موندت رئيس اللجنة الفرعية للكونجرس من اميل الغوري (سكرتير الحزب العربى الفلسطينى) ، والدكتور جودا ماجنيس (مدير الجامعة العبرية) ان يتحدثا معه كفرد من افراد العائلة ، وان يعطياه تصورهما للأوضاع ، نجد انه يطلب من الاخ تيرا انطونى وهو امريكى (٧) ان يقدم صورة واضحة للمشكلات التى تواجه فلسطين وخاصة كيفية تسوية الخلافات فى الراى بين العرب واليهود حول السؤال المعقد وهو ايهما صاحب البلد ، وايهما احق بحكمها . ويبدو من تحديد السؤال بهذا الشكل ان لجنة الكونجرس تعتبر الاخ انطونى طرفا محايدا (مسيحيا) بين العرب واليهود وهما طرفا المشكلة .

قال الاخ انطونى ان كلا الطرفين (العرب واليهود) يعتقدان فى احقيته حكم فلسطين ولكن وبدون الانحياز الى اى منهما فان العرب يعيشون فى فلسطين منذ زمن بعيد اى منذ قدموا اليها . وهم طبقا لهذا المعيار يجب ان يستمروا فيها . ومن الغريب ان العالم كله قد سمع بوجهة النظر العربية (الاسلامية) ووجهة النظر اليهودية ، ولكن لم يهتم بوجهة النظر المسيحية فى هذا الموضوع .. ان فلسطين ارض مقدسة للمسيحيين قبل ان تكون كذلك بالنسبة لليهود وللمسلمين على الرغم من قدسيتها للديانات الثلاث . وهى لم تستمد قدسيتها من موسى (عليه السلام) لانه كان على الجانب الآخر من نهر الاردن (شرق الاردن) ولكن المسيح عاش على كل شبر من ارضها. اما المسلمون فهم ينظرون الى المسيح على انه نبي فقط . ومن هنا ضرورة تقدير المصالح المسيحية فى هذا الموضوع ، ونعنى بها الحفاظ على الطابع المقدس لهذه الأرض .

ثم يشير الاخ انطونى الى ان اليهود يريدون جعل فلسطين بلداً متمدينا ، ولا تحركهم دوافع دينية فى ذلك . ويستند فى هذا الى تجربة الكيوبتزات التى اقامها اليهود فى مناطق مختلفة حيث زار احداها عند بحيرة طبرية . ومن خلال حوار دار بينه وبين الأهالى هناك علم انه لا يوجد فى الكيوبتزات معابد ، ولا حاخامات ، ولا حتى صلوات عامة تقام «لانها مستعمرات غير دينية» على حد قولهم . وان كان هذا لا يمنع من قيام البعض بالصلاة او قراءة التوراة كنص ادبى وليس ككتاب مقدس . وليس يوم السبت يوماً مقدساً تعطل فيه الاعمال للصلاة ، فمن الممكن ان تتم الصلاة فى يوم الاثنين إذا ما كان هناك عمل يوم السبت . ثم يقول فى نهاية استعراضه للحياة الاجتماعية في الكيوبتزات إن الكيوبتزات تعتبر نوعاً من المستعمرات الجماعية القريبة من الشيوعية . ومن هنا فليس من الحكمة «أن نستخف بعقولنا ونقول ان لليهود دوافع دينية تحركهم .. فليست لهم دوافع من هذا

النوع .. وهذا شان من شئونهم لا يجعلنى مضطراً للاشتباك معهم حوله» .

اما العرب ـ عند الاخ انطونى ـ فهم المسلمون لانهم الغالبية ، إذ ان نسبة المسيحيين ٨٪ فقط ، ولهذا لا مكان للمسيحيين بين المسلمين . ومن المعروف ان المسيحيين قاسوا كثيراً خلال الحكم التركى . واكثر من هذا فان العرب المسلمين لا يعتبرون العرب المسيحيين عرباً حقيقيين ، فالعربى الحقيقى هو المسلم ولا شيء آخر .. وهذا واضح فى الادبيات العربية .

وإذا ما قدر للمسيحيين ان يقعوا تحت الحكم اليهودى فلن يكونوا افضل حالا مما لو وقعوا تحت حكم المسلمين . ولكن المتصور ان اليهود لن يقتلوا المسيحيين ، لانهم لو فعلوا ذلك فسوف يجدون من يقول لهم «.. انكم لتفعلون ما كنتم تقاسون منه فى اوربا» . ولكن اليهود قد يحرمون المسيحيين من حقوقهم .

وعندما ساله كارل موندت عما يجب عمله إزاء هذه الاوضاع .. قال الاخ انطونى انه ليس سياسياً ، ولكن إذا كان عليه ان يكون كذلك فهو سينظر الى الموضوع من زاوية ان العربى غير قادر على حكم نفسه بنفسه ، وان كان لا يعرف الوضع بالنسبة لليهودى . فقد ظل العربى خاضعاً لقوى اجنبية فترة طويلة من حياته : للاتراك لمدة سبعمائة سنة (لعله يضيف فترة الحكم المملوكى ايضاً) ، ثم للبريطانيين بعد الاتراك . وبالتالى فليس هناك تجربة مر بها فى حياته الطويلة . وكثيراً ما يقارن الاخ انطونى العربى بالزنجي الأمريكى فى بساطته ، وقلة درايته بشئون الحياة ، وعدم ادائه الاعمال على وجهها الصحيح .

فلو فرضنا جدلا ـ كما يقول انطونى ـ انه قد تقرر قيام حكومة عربية مستقلة (اسلامية) فى اول ديسمبر ١٩٤٥ فان اول شيء سوف يفعله العرب هو طرد اليهود او قتلهم . وبعد ذلك ياتى دور المسيحيين . وهذا هو ايضاً شعور المسيحى (العربى) المثقف الذى لا يظهره علانية ، وإنما يقوله سراً وفى اضيق الحدود» «.. سوف يكون سيئاً بالنسبة لنا اقامة دولة عربية مستقلة» .

وعلى هذا فهو يقترح وجود حكومة دولية فى فلسطين تمثل الامم المتحدة كنوع من الوصاية حيث تتقاسم الحكومتان الامريكية والبريطانية الاعباء مناصفة مع استبعاد روسيا . ووجود هذه الحكومة يعد مطلباً ضرورياً لمنع انفلات زمام الامور بين العرب واليهود .

اما بالنسبة للهجرة اليهودية الى فلسطين فقد اشار الاخ انطونى الى ضرورة ايقافها ، والعمل على ان يتقبل العرب العناصر اليهودية التى وفدت حتى الآن والتى تعيش فى المنطقة .

حكومة عربية

اما فيما يتعلق بالبيان الذى القاه عونى بك عبد الهادى رئيس حزب الاستقلال (٨)) امام لجنة الكونجرس فقد ركز على تفنيد ادعاءات اليهود فى فلسطين من حيث وجودهم فى فلسطين منذ الفى عام قائلا : ان العرب حكموا اسبانيا لاعوام طويلة ، ومع ذلك فهم لا يدعون اليوم اية حقوق على اسبانيا . اما اضطهاد اليهود فى كل مكان وسوء معاملتهم فلا يصح ان يتحمل عرب فلسطين نتائج ذلك .. فليذهبوا الى اى مكان آخر ، لان فلسطين ليست ارضاً خالية من السكان . ثم يعرب عونى بك عن دهشته من ان اليهود لا يريدون العيش فقط فى فلسطين وإنما يريدون تكوين دولة يهودية ، يكون العرب فيها تحت حكمهم . وليس من العدل إذن ان يتشرد العرب على حساب حل مشكلة اليهود .

ثم يذكر عونى بك ان اقامة دولة يهودية فى فلسطين يعنى قيام الحرب والصراع الدموى فى المنطقة ، لان العرب لن يفرطوا فى حريتهم وفى حقوقهم ، وهذا الصراع ايضاً لن يكون فقط مع اليهود ولكنه سوف يكون مع بريطانيا نفسها . ثم تساءل قائلا : اين يذهب عرب فلسطين وعددهم مليون وثلاثمائة الف فى حالة اقامة الدولة اليهودية .. ليس هناك دولة عربية واحدة تقبل أعداداً فوق طاقاتها البشرية والاقتصادية .. فهل يذهبون الى الصحراء ام الى فرنسا او امريكا .. وهل فى هذا عدالة ؟

ثم يفند المقولة الخاطئة بان السبب فى اضطرابات فلسطين منذ ١٩٢٨ يرجع الى القيادات الوطنية وليس الى الشعب نفسه قائلا ان اصحاب هذه المقولة ينتهون الى ان «شراء» هذه الزعامات بالمال سوف ينهى المشكلة من اساسها . (٩) وقد قال فى ذلك ان تقارير المراسلين عن تلك الاضطرابات تثبت ان الشعب نفسه يفجر المواقف ، لانه يحس بالخطر دون حاجة الى زعامة تحركه

وبعد كثير من الاستطرادات حول هذه النقطة انتهز كارل موندت (رئيس لجنة الكونجرس) قول عونى بك عبد الهادى بضرورة إيقاف الهجرة اليهودية الآن اكتفاء بمن دخل فلسطين من اليهود ، وساله عن امكانية التعايش السلمى بين العرب واليهود فى حالة ايقاف الهجرة (الآن) ، فاكد عبد الهادى مشدداً بامكانية ذلك . وقال ان العرب واليهود عاشا معاً قرابة الالف عام كاخوة قبل الحركة الصهيونية فى ١٩١٧ ، ولم تحدث بينهما اية حوادث بسبب اختلاف العنصر او الجنس «ولسوف يقبل العرب من وصل منهم الآن ليتوحدا معاً فى المستقبل» .

ومن خلال الحوار مع عبد الهادى ينتهى الى القول انه يهدف الى التحرر من الانتداب البريطانى ، واقامة حكومة عربية يشغل اليهود فيها بعض وظائف هنا وهناك وفى هذا ضمان لعدم قيام الاضطرابات .

واراد كارل موندت الاطمئنان على مدى انتشار هذه الآراء بين سائر الاحزاب الفلسطينية ، فسال عونى بك عبد الهادى عمن يختلف معه فى الراى حول معالجة القضية ، فقال له انه لا توجد اية اختلافات بين الاحزاب الفلسطينية الستة الموجودة حول هذه المبادىء ، وان هذه الاحزاب الستة اختارت موسى العلمى ليمثلها فى جامعة الدول العربية .

ثم لفت عبد الهادى نظر كارل موندت الى ان الولايات المتحدة تؤيد اليهود تاييداً غير عادل . فقال له موندت إن هذا عيب العرب لانهم لم يهتموا بارسال احد يتكلم باسمهم فى الولايات المتحدة ، كما لا توجد لهم منظمات تعبر عن ارادتهم . فلما تعلل عونى بك بان العرب فقراء ولا يمكنهم الانفاق على ذلك ، قال موندت ان الفقر لا يجب ان يحول دون ذلك خاصة وان جلسات الاستماع التى عقدتها لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس لم تظهر فيها بحال وجهة النظر العربية .. ولهذا

أول لجنة أمريكية في فلسطين

ونظرا لنقص الدعاية العربية الكافية ، فان اقل من ١٠٪ من الامريكيين يفهمون القضية تماما والباقى لا يعرف عنها شيئا .. والامريكيون يعولون دائما على الاغلبية . وقد اعترف عونى بك عبد الهادى بان العرب يتصورون ان مشكلتهم واضحة وعادلة ولا تحتاج الى دعاية ، ولعل فى ذلك كما يقول هو قدر من الحماقة .

تصريح بلفور ووعود الانجليز

كان اليعازر كابلان ، وبرنارد جوزيف اخر من تحدثا امام لجنة الكونجرس التى عقدت جلستين يومى ٢٧ ـ ٢٨ سبتمبر ١٩٤٥ . (١٠)

وقد قال برنارد جوزيف ان الوقت قد حان الآن لحل مشكلة اليهود ، وللوصول الى قرار بشان مستقبل فلسطين ومستقبل الشعب اليهودى الذى دفع الكثير من جراء عدم حل هذه المشكلة .. وان اليهود ليشعرون ان الوقت قد حان للمرة الاولى وربما الاخيرة لوضع نهاية لهذا الموقف ، ولمساعدتهم فى ان يعيشوا حياة عادية مثل بقية الشعوب الاخرى ، «واننا لمقتنعون ان الطريق الوحيد لحل المشكلة هو فتح ابواب فلسطين امام اليهود الذين هم فى حاجة فعلية الى فلسطين ، او الذين تحدوهم رغبة الحضور ليعيشوا فى حرية واستقرار» ، وهم يبلغون الآن فى اوربا وحدها فيما عدا روسيا مليونا وثمانمائة الف، بينما نجح حوالى مليونان فى الهروب من أوربا .

وهو يذكر لجنة الكونجرس بان كل اليهود الذين يعيشون فى فلسطين الآن (١٩٤٥) يرحبون ترحيبا كبيرا بقدوم اى يهودى لاجىء ، وان الاجيال الاولى منهم قد قدمت على اساس ما جاء فى تصريح «بلفور» ووعود الانجليز بتاسيس «الوطن القومى لليهود» فى فلسطين ، وما يصحب ذلك من تقديم التسهيلات اللازمة لهجرة اليهود واستقرارهم فى فلسطين . ويذكر اللجنة ايضا بان الولايات المتحدة وحوالى اثنان وخمسون دولة اعضاء فى عصبة الامم قد وافقوا على تصريح «بلفور» عندما وافقوا على نظام الانتداب البريطانى فى فلسطين الذي جاء فى مقدمته : ان الغرض الرئيسي من الانتداب ، الاعتراف بالروابط التاريخية للشعب اليهودي بفلسطين ، وإعطاؤه الفرصة لاعادة بناء حياته القومية فى هذا البلد .

ومنذ توافد اليهود على فلسطين فى اعقاب تصريح «بلفور» اثبتت اعمالهم ـ كما يقول جوزيف ـ رغبتهم وقدرتهم فى إعادة بناء فلسطين مع الاحتمالات القائمة فى اعادة بناء حياة اقتصادية متميزة للشعب اليهودى هناك . إذ فى عام ١٩١٨ مثلا كانت فلسطين «صحراء» كما كانت قبل خمسمائة عام .. فليست فيها طرق مرصوفة ولا يعرف ساكنوها المياه العذبة او الكهرباء وسائر مرافق الحياة الحديثة .. والفلاحون يستخدمون الوسائل البدائية فى الزراعة ، فالجمال تجر السواقى للرى ، والثيران تجر المحراث الخشبى واحيانا الحمير .. مع «ان التوراة حرمت استخدام الحيوانات بهذا الشكل ..» .

ثم طفق برنارد جوزيف يعدد «المآثر» التى قدمها اليهود للمنطقة منذ بدات هجراتهم اليها من حيث رفع المستوى الصحى ، ومحاربة الأمراض حتى بين العرب انفسهم ، ورفع المستوى الاقتصادى لكل السكان لدرجة افضل من مستوى الدول العربية المجاورة «المستقلة» ، وخاصة شرق الأردن التى هى اساسا جزء من فلسطين . وهذا يعنى ان اليهود قد احضروا الرخاء معهم الى فلسطين . اما الأرض التى اشتروها من العرب ـ كما يقول جوزيف ـ فقد دفعوا فيها مائة ضعف لما يدفع فى ارض مماثلة بانجلترا ، فضلا عن انها ارض متروكة لا يحتاجها العرب .. ومع ذلك فاذا ما سالت احد العرب عن رايه فى كل هذا الرخاء والتقدم سيقول لك «.. إن هذا الرخاء لا يعنينا فى شىء ، ونحن لا نريد ان نتخلى عن استقلالنا فى مقابل الرخاء ..» . ويعلق جوزيف على ذلك بقوله : «.. إن العرب مطمئنون لهذا المنطق .. إذ انهم يتركوننا نعمل فى تحسين وسائل الحياة وهم جلوس اعتماداً على ان كل هذا سيعود اليهم يوما ما ..» .

ثم يقول جوزيف مؤكداً «.. إننا لا نريد طرد اى عربى من فلسطين ، ولسنا نريد ان نعمل لصالحنا وعلى حساب العرب .. وكل ما نقوله ان هناك فرصة فى الحياة لكل عرب فلسطين ، ولكل يهودى يريد الحضور لفلسطين .. وان المستعمرات التى اقمناها والجهود الاقتصادية التى بذلناها تمت كلها بالجهود الذاتية دون ان يقدم العرب لنا اية مساعدات لكنهم يستفيدون فقط من كل ذلك ..» .

وفى تاكيده لهذا المعنى طلب من اللجنة ان تعود الى التقرير الذى كتبه القاضى ويب Webb بتكليف من حكومة الانتداب لدراسة ما يقال من ان اليهود اجبروا العرب على التخلى عن اراضيهم حيث ذهب الى ان ذلك لم يحدث ، لان اليهود ـ كما يقول جوزيف ـ اتبعوا سياسة شراء الأراضى من كبار الملاك الذين «يؤجرون» الأرض لبعض المزارعين ، او من العرب الذين لا يريدون الاستمرار فى حياة الفلاحة ويودون الانتقال الى المدينة للعمل بالتجارة او باعمال اخرى وقد عاونهم اليهود على ان يبدأوا مشروعاتهم الجديدة فى المدينة .

اما بخصوص محاولة توطين اليهود فى اماكن اخرى غير فلسطين ، فان جوزيف ذكر ان هذه المحاولات فشلت سواء فى الارجنتين بجهود البارون هيرش Hirsh فى تسعينات القرن التاسع عشر ، او فى كندا حيث لم ينجح اليهود فى ان يكونوا مزارعين . وهى حقيقة تنسحب على اليهود حتى فى الولايات المتحدة رغم وجود نسبة ضئيلة جداً منهم يشتغلون بالزراعة . اما فى فلسطين فالموقف يختلف ـ كما يقول ـ فالجميع ـ رجالا ونساء ـ يبذلون النفس والنفيس فى سبيل استصلاح الارض وزراعتها لانهم يعلمون ان فلسطين «وطنهم التاريخى القديم الجدير بكل التضحيات»

اما اليعازر كابلان فقد اكد فى شهادته ما ذهب اليه برنارد جوزيف ، ثم اشار الى الامكانيات الاقتصادية الهائلة فى فلسطين من حيث استصلاح الأراضى الزراعية ، ومن حيث اقامة الصناعات المختلفة بما يسمح للآلاف من اليهود من العيش فى فلسطين .

اما بخصوص المشكلات السياسية التى قد تنجم عن هجرة اليهود الى فلسطين ورد فعل ذلك عند العرب ، وهي نقطة اثارها كارل موندت (رئيس لجنة الكونجرس) ، فان جوزيف قد اجاب على ذلك بان جماهير العرب قادرة على العيش مع اليهود فى سلام طالما ان ليس هناك إثارة من جانب السياسيين ، لان العرب يعيشون بالفعل هكذا منذ سنوات

دون شعور عدائى متبادل ، ولأن العرب واليهود قادمون من أصل واحد .. لكن على العرب أن يدركوا أن فتح أبواب فلسطين لليهود هو الحل الأول والأخير للمشكلة اليهودية ، وأن على دول العالم أن تتعهد بالضمانات الكافية بأن العرب لن يضاروا بطريقة أو بأخرى من جراء الهجرة اليهودية ، وأن كل حقوقهم ستبقى مصونة دون اعتداء .. فلهم حق الحياة كما يحلوا لهم ، وحق المساواة أمام القانون .

ولما سئل جوزيف عن رأيه فى مقالة دكتور جودا ماجنيس بخصوص دعوته لأن يتساوى اليهود والعرب فى فلسطين ثم اقامة حكومة تحت وصاية الأمم المتحدة يمثل فيها الطرفان .. قال انه لا يجب بأى حال من الأحوال تحديد عدد المهاجرين اليهود وبصرف النظر عن ذلك فان دعوة ماجنيس غير قابلة للتنفيذ ليس من قبل اليهود فقط ولكن من قبل العرب الذين لم يظهر أى سياسى منهم استعداده لقبولها ، رغم أن ماجنيس مايزال يتكلم حول هذه الدعوة وينشر مقالات فى الصحف البريطانية والأمريكية .

● ●

ولعل الانطباع الذى خرجت به اللجنة الفرعية للكونجرس من خلال حوارها مع الأطراف المعنية فى فلسطين من يهود وعرب (مسلمين) ومسيحيين ، هو امكانية التعايش السلمى بين الجميع فى إطار وصاية الأمم المتحدة ، وفى ظل المساواة التامة فى الحقوق والواجبات ، دون سيطرة فئة على فئة أخرى . وان كان كل من هذه الأطراف قد أبدى تحفظاً وتخوفاً إزاء محاولة كل طرف أن يتفوق على الآخر . كما خرجت اللجنة أيضاً بانطباع عن امكانية أن تستوعب فلسطين أعداداً هائلة من اليهود وفق إمكاناتها الاقتصادية الهائلة .

د. عاصم الدسوقى

الجزء السادس والأخير العدد القادم

هوامـــش

(١) من شهادة ايمانويل نيومان (المنظمة الصهيونية الأمريكية) امام لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس جلسة استماع بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٤٥ .

(٢) عميد كلية الحقوق بجامعة بنسلفانيا وكان يشغل من قبل مدير ادارة الهجرة والجنسية ثم اصبح مندوب امريكا فى اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين . وقد قال ايمانويل نيومان فى شهادته المشار إليها إن المنظمات الصهيونية لم تطلب ايفاده ولم تعرف بذلك اصلا ، وان هذا الامر كان تصرفا فرديا من الرئيس ليحصل على معلومات موثوق بها .

(٣) كما وضح من رسالة السفير البريطاني فى امريكا فيما بعد إلى وزير الخارجية الامريكي فى ١٩/١٠/١٩٤٥ .

(٤) في دور الانعقاد رقم ٧٩ للكونجرس الامريكي لعام ١٩٤٥/١٩٤٦ حدث تغيير فى العضوية عند الديموقراطيين والجمهوريين عما كان عليه الحال في دور الانعقاد السابق (٧٨ لسنة ١٩٤٣/١٩٤٤) والذي حدثت فيه مناقشة مشروع القرار رقم ٣٥٠ ، ٣٥٢ . وكان التغيير فى عضوية الديموقراطيين اكثر منه عند الجمهوريين . ففي الحزب الجمهوري دخل لورنس سميث (ويسكونسون) ، وشيستر ميـــرو Merrow (نيوهمبشير) مكان كل من فوستر سيرنر (نيوهمبشير) ، واندرو سخيلفر (فرجينيا الغربية). اما فى الحزب الديمقراطي فقد دخل لجنة الشئون الخارجية خمسة اعضاء جدد هم : اميلي تافت دوجلاس (الليوي) ، وجيمس ترمبل Trimble (اركنساس) ، وهيلين جاجان دوجلاس (كاليفورنيا) ، وجوزيف رايتر Ryter (كونكتيكت) ، ودانييل فلود Flood (بنسلفانيا) ، وذلك مكان كل من : هيرمان ايبرهيرتر (بنسلفانيا) ، وهوارد مكمـــوراي (ويسكونسون) ، وويل روجرز (كاليفورنيا) ، ووليام فولبرايت (اركنساس) ، وجيمس رايت (بنسلفانيا) . ومن الملاحظ فى هذا التعديل خروج النائب الديمقراطي ويل روجرز صاحب مشروع قرار الكونجرس رقم ٣٥٠ ، ٣٥٢ المشار إليه .

(٥) لقد تاسس هذا الحزب فى مارس ١٩٣٥ وقد ارتبط بعائلة الحاج امين الحسيني مفتى فلسطين حيث كان ابن عمه هو الرئيس الفخري للحزب . ومنذ انحياز المفتي الى المحور خلال سنوات الحرب اصبح الحزب ساكنا لا نشاط له . ثم استعاد نشاطه فى ابريل ١٩٤٤ على يد السياسيين من اسرة الحسيني وبرئاسة اميل الغوري وهو عربي من الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية وكان اميل الغوري قد درس الصحافة فى الولايات المتحدة خلال الثلاثينات . وعند قيام الحرب ذهب مع المفتي الى العراق حيث اعتقلته السلطات البريطانية فى ايران فى ١٩٤١ ولم يسمح له بالعودة الى ممارسة نشاطه السياسي إلا فى ١٩٤٤ . وهذا الحزب يمثل المبدأ العربي الذي يرفض هجرة اليهود الى فلسطين وتملكهم للأرض هناك وتحويل فلسطين إلى دولة عربية ذات سيادة . وفى الوقت الذي كانت اللجنة تستمع فيه الى اراء اميل الغوري كان حزبه قد نجح فى تنظيم اجتماعات شاملة تطالب باعادة مفتى فلسطين من مهجره ، وكذا اعادة جمال الحسيني الذي كانت السلطات البريطانية تحتجزه فى روديسيا .

(٦) تنص المادة ٧٦ على مايلي : أن الأغراض الأساسية لنظام الوصاية تمشيا مع اغراض الأمم المتحدة المنصوص عليها فى المادة الأولى من ميثاقها هي : (أ) تحقيق السلام والأمن الدوليين . (ب) تحقيق التقدم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسكان المناطق الخاضعة للوصاية ، والعمل على تقدمهم نحو الحكم الذاتي او الاستقلال حسب ظروف كل شعب فى التعبير عن رغباته ، (ج) احترام الحقوق الانسانية والحريات الأساسية للجميع دون تمييز بسبب العنصر او الجنس (النوع) او اللغة او العقيدة ، وتشجيع اعتماد الشعوب على بعضها البعض ، (هـ) ضمان المعاملة المتساوية فى الأمور الاجتماعية والاقتصادية والتجارية لكل اعضاء الأمم المتحدة ولكل شعوبها ، وضمان المعاملة المتساوية لهذه الشعوب فى الأحكام القضائية دون اخلال بالأغراض السابقة ، وتقديراً لبنود المادة (٨٠) .

(٧) كان تيرا انطوني معلما بكلية سانكتا فى القدس وهي كلية غير لاهوتية تحت اشراف طائفة الفرنسيسكان الأمريكيين . وربع تلاميذ هذه الكلية من اليهود ، والنصف من المسيحيين الممثلين بالتساوي تقريبا بين المذاهب المسيحية الثلاثـــة (الأرثوذكسية ،والكاثوليك الرومان ، والبروتستانت) ، والربع الباقي من المسلمين .وقال انطوني فى حوار إنه حضر الى القدس عام ١٩٢٠ .

(٨) كان عوني بك عبد الهادي قريبا من الأمير فيصل فى دمشق عند نهاية الحرب العالمية الأولى . ثم عمل سكرتيراً خاصا له فى ١٩١٩/١٩٢٠ ، كما انه كان محاميا بالقدس ، وكان احد إثنين وقعا معاهدة فرساي نيابة عن ملك الحجاز ، ثم اصبح نشطا فى الحركة الوطنية الفلسطينية بعد ذلك بقليل . وتقوم سياسة حزب الاستقلال على معاداة الانجليز وتشجيع اهالي المدن من الموظفين واصحاب المهن المختلفة للالتفاف حول قيادته وذلك فى اطار المنافسة بين الحزب وبين جماعة امين الحسيني . وفى ١٩٤٢ اصبح عوني بك عبد الهادي عضوا فى مجلس ادارة البنك العربي الأهلي الذي يشارك فى جريدة « فلسطين » الجريدة العربية الرئيسية فى البلاد . ثم اسس الحزب « الصندوق العربي » الذي ناضل ضد تملك اليهود للاراضي وضد الاخلال بقواعد نقل الملكية المعمول بها .

(٩) يبدو ان عوني بك عبد الهادي يشير إلى مقابلة تمت بين ويزمان ولويد جورج وارثر بلفور ووينستون تشرشل في ٢٢ يولية ١٩٢١ . وقد كتب ويزمان تقريراً عن هذه المقابلة نشر لأول مرة عام ١٩٥٩ فى يوميات ريتشارد ميرتزيجان Meinertzhagen حيث نسب إلى لويد جورج اقتراحه برشوة العرب لضمان اذعانهم للخطط الصهيونية . ومن الواضح ان هذه الواقعة لم تكن معروفة يقينا لعوني بك عبد الهادي اثناء الادلاء بشهادته فى ذلك الوقت (١٩٤٥) ، ولكنها كانت من قبيل الشائعات التى كانت تتردد بين العرب انذاك .

(١٠) كان كابلان ودافيد بن جوريون وموشى شيرتوك يمثلون المباي (حزب العمال) في المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية بفلسطين . وكان المباي اقوى التجمعات السياسية فى الوكالة واكثرهم سيطرة على مقاليدها لدرجة بعيدة . وينتمي برنارد جوزيف الى نفس هذه المجموعة ، وكان اول حاكم عسكرى اسرائيلي للقدس ووزير العدل فى اول حكومة اسرائيلية .

بقلم: محمد عبد الملك

الشمس.. في يوم غائم

إنجـــاز أدبي باهـــر في الروايـــة العربيـــة المعاصـــرة



الكاتب الروائى السورى حنا مينه

واليوم الغائم هو تاريخ : تاريخ شعب يرزح فى الظلام.« واليوم الغائم ليس له امتداد أو نهاية.اذ ان نهايته لم تقترب بعد.قلت « لأنه تاريخ ».لكن الشمس هى الوجود الذى يبقى ، مادام هناك شمس فالغيوم رهينة واسيرة اللحظة التى يتحرر فيها شعاع الشمس من وراء الغيوم ذهباً حقيقياً ، حياة حقيقية للملايين بلا فروقات اجتماعية ، ولا اكواخ وأقبية وحروب ولا أحقاد ، الغيوم هى الضيف الراحل لكنه ضيف حالك السواد جثوُه يبدو أبدياً ، ضيف ثقيل يرزح على صدور الوطن العربى ، أى وطن ، اختر ما شئت من الأوطان العربية ، فى أى أرض عربية سترى الشمس غائبة ، او خلف الغيوم فى الانتظار ، والغيوم فى الوجه فى الصف الأول ، إن الوانها تتغير من الأبيض الى الرمادى الى الأسود الزيتى الثقيل لكنها موزعة فى لحظة حضارية راهنة ، هى واقع تاريخى لا مفر منه ولا مرد له ، لكنها غير أزلية وغير ثابتة لأن الحياة فى حركة ، ولكن الغيوم مهما طال مداها فالشمس تحرقها فى النهاية ، وتشع مضيئة ذهباً ، ساعتها سنبصر جميعاً كل الأشياء الجميلة الغائبة عن الأذهان ، كل الأشياء التى تخفيها الغيوم . ونحن نقرأ لكاتب من مصر وسوريا ،أو العراق ،أو المغرب العربى فنشعر بوحدة مناخ المأساة الحضارية ، وحدة ضراوتها ، هذه الضراوة التى تمتد حتى إلى حروف الكاتب فنعرف ان ما قاله هو نصف ما يريد قوله وان ما تبقى منه كثير ، لكن (حنا مينه) يمتحن هذه الحرية .

و (حنا مينه) ككاتب يبقى على رأس قائمة الكتاب الملتزمين فى الوطن العربى . يكتب الرواية بنفس الشمس عند هجوم شعاعها على الغيوم ، وبنفس اندفاعه (الطروسى) لمواجهة العاصفة وحده من اجل فعل الرجولة . الرجولة كلمة كثيراً ما تتردد عند الكاتب ونحن لا يجب ان ناخذها بلفظها القاموسى ، فليس كل ذكر برجل ، و (حنا) يعنى بالرجولة كل افعال الشهامة والوطنية والتضحية وقيم الصداقة والود والافعال العظيمة الخارقة ومواجهة القدر والطبيعة ـ الشراع والعاصفة ـ (حنا مينه) يشرع، صوته مثل الخنجر ، ومثل راقص بارع فى لغته الشعرية وتوتير الجملة وبترها ومزجها حتى تواكب الايقاع والرقصة التى يريدها فى الرواية ، وهذه الاستاذية فى الرقص تبدو فى تركيب الرواية . (حنا) ملتزم وهو يصنع الجرح ويحمل الجرح.هذا شىء لابد منه ، وما عداه هروب ـ ويغيب فى الالم ، ويحمل فى رأسه هموم غد الملايين. وهناك كتاب آخرون يحملون هموم الملايين لكنه أكثرهم ضراوة وان كنت ابالغ فهو أكثرهم قدرة على التعبير والوصول الى قاع البئر التى نسقط فيها جميعاً ونرفع فيها اصواتاً باهتة ، وربما استمد كاتبنا قدراته هذه من حياته القاسية وتقلبه فى الدنيا ، وربما من وعيه المبكر بالحقيقة ، لكنه اختار فى البداية الا ينهزم ، الكثيرون ينهزمون ، الكثيرون يمتنعون عن الكتابة فى زماننا لانها تشبه مغامرة (الطروسى) بطل الشراع والعاصفة . الكتابة اصبحت نوعاً من المراهنة على الموت والحياة ، والوقوف فوق ضفتى حد السيف . او اى نصل حاد قاتل . هناك كثيرون يكتبون لكنهم يدجنون انفسهم وحروفهم ، يصبحون رجالا بلا كبرياء ، يمارسون الكتابة مثل عادة النوم والمشى والموت انهم مباعون وبرخص المال او الخوف ، او رعب الصدام ، هذه حالة أشد انتشاراً فى الصحافة العربية ، الغيوم والشمس بعيدة تلتهم الجميع ، تصبح غولا رهيباً يكبل الافواه وبئراً عميقة تسقط فيها الراس قبل القدم ، وهناك روائيون وقصاصون وهناك موتى وصمت فى الشمس فى يوم غائم . اذن فحنا مينة لم يختر العنوان جزافاً ، وليست حال هذا العنوان متفردة احادية فى أرض عربية ما ، انها حالة عامة فهو من هذا المنظار يدخل افق الادب التاريخى ليس بصفته التسجيلية لكننا كما نفهم روح فرنسا وعقلها وتوثبها فى فترة ما فى روايات بلزاك بوسعنا ان نقرأ تاريخنا المعاصر عند قرائنا لروايات حنا . لماذا حنا



بلزاك

مينه بالذات ؟ ربما أكون قد اجبت على هذا السؤال قبل قليل.حنا ينادى « متى فقد الاديب الرجولة الشخصية فادبه مخصى .. نعم مخصى . ويقولها فى الايام القائمة. ونحن نستطيع ان نستلهم من هذه الجملة ماذا تعنى الكتابة عند حنا مينه ، انها نوع من الكفاح والصمود والتصدى لاجل الخير والحقيقة كما يفعل الطروسى بوعى او بغير وعى ، لكنه لا يقول لنا كل المعانى فى تقرير انه ككاتب متفائل فى الايام القاتمة يمد لنا عبر عوالم بعيدة جسوراً من الحلم والاسطورة والرمز والواقع ، لا يهمنا بالدرجة الاولى ما يمس هذه الجسور من تلاحم وامتزاج ، وكيف يتم التلاقى بين الحلم والاسطورة والواقع ، ان كل ما يهمنا ويستحوذ على شعورنا هو ان بساط الحياة الكبيرة فى روايته ياتى ليجسد كل الواقع عبر الرمز والاسطورة والشعر .

« كان الخياط قد روى لى انه قبل آلاف الأعوام فى الزمن غير المسطور فى كتاب..كان معبد ، وكانت صورة فى معبد وفتى يهوى الصورة التى فى المعبد . لقد رآها منقوشة على الجدار الصخرى فيما كان يقدم نذراً ويحرق بخوراً مبتهجاً بشفاء والدته المريضة ، لم تكن غريبة عنه ولكنه لم يتذكرها ، عاد إلى المعبد ليلا ومعه سراج وراح يحدق فى الصورة ويتامل صاحبتها التى التقاها يوماً واحبها يوماً ولكنه لا يعرف اين ومتى ، وسمع الفتى وهو راكع امام الصورة كبوذى مترهب نغماً انسيابياً خيل اليه انه يعرفه أيضاً وانه عاشه ورقص له وكانت صاحبة الصورة فى الحشد المتعبد ترى رقصته وتبتسم له فنهض عن الأرض وفتح ذراعيه ودار على نفسه وانطلق يرقص ويرقص والنغم ينداح وهو يواصل الرقص ثم رفع رأسه فجأة فرأى الصورة تخرج من الصورة ، رآها تبرز وتتشكل وتتجسد امرأة لا حد لفتنتها،لا شبه لشفافية وبياض بشرتها وعلى ثغرها ابتسامة مضيئة كماسة على قماش عندمى » .

« كان عسيراً عليه ان يصدق ان ما رآه لم يكن الا وهماً . كان واثقاً ان الصورة خرجت من الصورة وانه رآها وانه لو رقص لها فستخرج اليه ثانية . فتح ذراعيه واخذ يرقص ويرقص ، وينحنى على الصورة فيقبلها ويتوسل اليها ويناجيها ولكن الصورة ظلت صورة فأقام فى المعبد ورفض باصرار مغادرته ولم تفد فيه تضرعات امه ولا دموعها » ...

« وقيل انه جن فقيدوه بالسلاسل ولم يلبث ان مات وحلت روحه فى ابدان الراقصين من جيل الى جيل حتى يومنا هذا » .

هناك فى جانب آخر والفتى بطل الرواية يتذكر حكاية الخياط والصورة التى خرجت من الصورة راح يدق الأرض بين الاقبية والأزقة وبيوت الفقراء والخياط يصيح له «اعنف» .. «هيا يا فتاى» وكان قد قال له الكثير ، علمه الكثير اكتشف طوايا روحه «الخياط وحده فهم مشكلتى هو الذى اكتشف نفورى من الرتابة وحاجتى الى الحركة » ... « انت ماهر فى الرقص يا ولدى وجسمك رشيق مطواع وفى داخلك شىء يريد ان يخرج كانه النغمة او الغضب مع انك لا تشكو شيئاً وعائلتك غنية وكل ما تريده موفور ولست على خلاف مع اهلك » لكن هذا ما لم يصب فيه الخياط فالفتى على خلاف مع اهله وخلاف بحجم الخندق العميق الذى يفصل بين الخير والشر والاكواخ والقصور والا فلماذا جاء ليرقص رقصة الخنجر ويستبدلها عن التانغو التى يرقصونها فى الكازينو انه فى خلاف مع اهله لكنه ـ هذا الخلاف ـ لم يظهر على السطح ، انه قابلية ، نوع من الشعور بان شيئاً ما فى عائلته الكبيرة المالكة غير طبيعى ومع وجود هذا « الغير طبيعى » فان الحياة تمضى غير طبيعية . فالحياة الاجتماعية كلها واحدة ويقف انجازها وحركتها على قانون المسببات والنتائج . ان الرتابة غير الحركة وسكان الاقبية وجيران الخياط



الشمس في يوم غائم

يحبون الحركة لانهم يريدون الانعتاق من الرتابة انها موتهم البطيء اما الملاك والد الفتى وامه ورئيس القلم خطيب اخته فهم يحبون الرتابة لان البحر ساكن هنا حيث ترسو سفن سعادتهم وتظل هزهازة فى سعادة تشبه سعادة طفل نائم نوما عميقا وقال الفتى سارقص « وعندما بدا العزف ودوى التصفيق شعرت برجفة فى يدى » ورقصة الخنجر هى غير رقصة التانغو لكنه اقدم عليها لانه يكره الرتابة وصورة جده وسيرة العائلة وظلم الفلاحين،ويحب سكان الاقبية الذين التفوا من حوله ، الفتى المدلل يرقص رقصة خطرة . صارت حلقة ، كبرت .

ابن القصور بدا يدق الارض ايضا مع الملايين التى تـــدق لايقاظها . وهنا تتوقف ماساته او تتحرك فى شكل افقى لا ينتهى الا عند الحد النهائى للرواية وربما لا ينتهى بمنتهاها . انه يرقص ها هنا رقصة الخنجر الحقيقية بين الفقراء والخياط ،يقول صـــفقوا بقوة ! .

البحث عن الحقيقة

ان علينا ان نرجع الى الرواية ، وتطور عنصر الصراع فيها ، الصراع النفسى الداخلى فى ذات الفتى بين اسرته وشعب الاقبية ، وبين شعب الاقبية واسرته .

لماذا اختار حنا مينه الخياط ليكون معلمه ومحرضه وموجه حياته ؟ لا نعلم ، لكن الخياط لم يكن خياطا وكان يعلم الناس اشياء كثيرة ، يكره كل ما هو قبيح وبشع ، ويحب الفقراء ، ودق الارض ويعلمهم رقصة الخنجر انها لعبة خطرة يجيد الخياط تعليمها . الخياط يحب رقصة الخنجر ، يعلمها ، والشاب بطل القصة يكره التانغو ، رقصة التانغو التى يرقصونها فى الكازينو ، جميعهم يرقصونها تلك الاسرة الاقطاعية التى ينحدر منها بطل حنا مينه ترقصها فى الكازينو ، انها بطيئة مملة مثيرة لاشمئزازه وتقززه . ترى ايضا لماذا اختار حنا مينه بطل قصته الاول من وسط عائلة اقطاعية كبيرة هل ليضع كامل مجهره هنا ليعرى عمق تفاهتها كما فعل تولستوى فى رواياته وهو « تولستوى » .. ابن الاسرة النبيلة التى عاش وسطها ، واكتشف سام حياتها وفراغها الروحى ، ام ان الرواية انطلقت عنده على سجيتها كما تفعل عنده غالبا وعند الكثيرين ممن يكتبون الرواية ، لا يهم ، كل هذا ليس راس المسالة ، ان المسالة هى وقوفها فوق اجسادنا جميعا ، نحن جميعا دون استثناء ، ان حنا مينه الكاتب الكبير وفى الايام الغائمة يعرينا جميعا ، وينادى ان على الكاتب الا يفقد الشجاعة ، الا يكون مخصيا ، الا يكبو ، وان كبا فانه لا يسير وحده ، فالركب كبير والشمس فى اليوم الغائم لا تحجب عن بطل الرواية والمراة التى عشقها فى القبو ، والخياط ، وضارب الايقاع ، انها تحجب نفسها عنا جميعا ، بطل الرواية يسام ثرثرة اهله فى القصر الكبير ، تشعره بالاشمئزاز ، صورة جده استسلام امه ، ضعف شخصية ابنة عمه ذات العوينات ، الكازينو ، رقصة التانغو ، الحديث عن قتل الفلاحين ، « انت زهرة فى حقل من الشوك ... نعم انت زهرة فى حقل من الشوك .. » هكذا يخاطبه الخياط فى اول لقاء لهما ، وهو يعلم ، يكتشف ان جسده قادر على التعبير اكثر من انامله وصوته . جسده كله بما فيه القدم والساقان والذراعان ، ان فى داخله شيئا يريد ان يخرج ، الرقص ، الرقص ، العنيف رقص الموت ففى الموت تكون الحيـــاة ، لا تكون الحياة بلا مغامرة ، وبالخنجر بالذات وكما يرقصها الشركس « هيـــا يا فتاى .. » رائع ، راح الفتى المنحدر من قصور الاقطاع والكازينو والتانغو يرقص فى الزقاق بالخنجر وفى الرقص وجد نفسه اكتشف شيئا ما بداخله يخرج . لكنـــا لا نفعل شيئا بلا هدف ، لا نرقص بلا هدف وإلا ضاع كل شيء هباء ، راى الفتى امراة القبو التى عشقها ، شـــاهد عينيهـــا السوداوين وكما الهمته واهدته الرقصـــة المجنونة كانت هى السبب فى طعنه



تولستوى

بالخنجر ، راى عينيها وغاب ففعل العجب وراى عينيها وغاب فجرح ساقه ، لكنه ظل قانعا بما فعل ، انه يعيش ، يفعل ما يريد ، يلتقى بالناس ، يكتشف ما فى هذا العالم من متعة وسعادة والم ، هناك فى القصر ثاروا والولد يرقص بين الفقراء مثل الغجر ، ابن الباشوات يرقص فى الزقاق ، وتخوم الاقبية كالغجر ، الفتيات فى القصر فتنتهم الرقصة ، لم يروها لكنها فتنتهم ، راوه ممددا فوق سريره ، والحمى تاكله ، انها رقصة الفرسان والفتيات يحببن الفرسان . هل سيرقصها بعد ان يشفى ؟ لم يهمه كل هذا ، كان يفكر فى الخياط وامراة القبو ذات العينيين السوداوين الجسورتين . انها نقيض لابنة عمه ذات العوينات الهادئة المستسلمة ، انها شيء اخر ، اقوى منه ، يشعرها اقوى منه ، ورغم نظرة الاعجاب التى بادلته اياها فهى لم تتنازل عن كبريائها ، انه ابن السراى والقصور ، وهى تكره السراى والقصور ، جسورة هى مثل الخياط الذى يحبها رغم ما تمارسه من مهنة ملعونة . عشقها الفتى ، عشقها ، كانت السبب فى شج ركبته بالخنجر ، حين حدق فى عينها انحرف بشكل ما واخطا الضربة لكنه لم يغضب عليها ، شيء ما يجمعهما ، وشيء ما يفرقهما ، فكيف تنتهى النهاية ، ان حنا مينه لا يقول لنا حدوتة ، او حكاية تبدا وتنتهى ببداية ووسط ونهاية وان لم يخل بتوازن روح الرواية بدليل تنامى شخصيات الرواية وتنامى احداثها ، لكنه لا يشرح لنا التنامى ، انه يحكى لنا الازمة الابعد غورا فى الماساة الاجتماعية . المراة ، امراة القبو معذبة ، تحب وتكره ، والفتى معذب يحب ويكره ، واخته تعى الاشياء وتجهلها ، والارض ابنة الكلب نائمة ، ولحظة اليقظة مجهولة ، ولحظة التجدد .. مجهولة حتى كيفية تحدد



يوسف ادريس

المصائر مجهولة ، نحن فعلا نعى امراة الغبو تحب الفتى وتكرهه ، ونعى تمزق الفتى بين اسرته الاقطاعية وشعب الاقبية والزقاق ، لكن المسالة لا تقف عند هذا الحد فالكاتب ياخذنا الى الاغوار الابعد : لماذا يعيش الانسان هذا التناقض والبؤس المادى والروحى ؟ لماذا تكون الحياة جميلة ورهن ايدينا ؟ السعادة رهن ايدينا والشقاء رهن ايدينا لماذا ؟ « انا اتحدث عما هو خارج القدر » هذا السؤال هو الذى يلح من اول باب الرواية حتى نهايتها ، البحث ، البحث عن الحقيقة ، عن الاكتشاف فى الايام الغائمة ، لكن دائما هناك لا يظل الغور العميق الفاصل بلا سبب ولا يظل الغور العميق بلا حل للمعضلة ، لذا لم افهم لماذا كان سقوط الظلام بين الاب الاقطاعى قاتل الخياط وبين الفتى هو النهاية ، هل كان يعنى ذلك الانفصال التام ؟ ربما لكن فى قناعتى ان تنامى الرواية وصلت عند حد قناعة الفتى ان اباه الاقطاعى الملاك قاتل قبل ان يصرخ فى وجهه « انت قاتل قاتل » . لكن هل هذه الصيحة تعنى كل شىء ام انها بداية صراع حقيقى بين الفتى والاب ، ام وهذا تفسير ثالث واخير هو الانفصال الاخير ، انضواء الفتى مع من يدقون الارض ، لحاقه بالخياط الذى علمه ان يكون للحياة معنى ، هذا جانب لم يرق لى فى الرواية او فى نهايتها بالتحديد ، فالقناعة وصلت عند الفتى حد الاشباع ، والاب قام بمجازر لا عد لها واول ضحاياه كان هو قبل الفلاحين ، وامه واخته هكذا اكتشف بوعيه ومن خلال الخياط فلماذا اكتفى حنا مينه بسقوط الظلام بين الاثنين ؟ هل تفاديا لتقريرية الاحداث وسامه من النهايات التراجيدية المفتعلة ؟ ربما ، لا اعلم لكن التنامى وصل إلى حد انه يجب على الفتى بعد ان تعلم الكثير واجتاز مرحلة الشعور بالماساة الى مرحلة الوعى بها ، كان عليه ان يتخذ موقفا اكثر حسما ، الفتى فى لحظة رهيبة ، والخياط الذى يحبه شعب الاقبية والفتى ، الخياط الذى يمثل الفضيلة مات بطعنة كان من ورائها ابو الفتى فهل اجل فتى الرواية المواجهة الى مرحلة اخرى ؟ ام انه سيراجع نفسه من جديد ؟ يبقى ذلك مجرد سؤال فالسكون فى النهايات يظل سلبيا كالهياج فيها ، قلت خيوط الرواية لدى كاتب ملتزم يقف فى الصف الاول بين كتاب الرواية الملتزمين لابد وان تتماسك من حيث ربط الاشياء بالمسببات الواقعية بالحياة ، وللصراع اسباب ويمتد هذا الصراع عند ابطال حنا مينه من خلال او فى داخل الافراد ذاتهم او فيما بينهم كقوة جديدة صاعدة ، الخياط وامراة القبو والفتى والاب وزوجته ورئيس القلم ، ورجال الدرك والذين يقفون من ورائهم . ولذا فالرواية حين تكتب بوعى فهى تمسك بخيوط الحقيقة ، من خلال الواقع والرمز . ان موت الخياط الفرد ليس موت شعب الاقبية ، سيظل هناك من يعلم ايضا ، لقد علم هو الكثيرين ، علمهم كيف يضربون الارض ، ويرقصون بالخنجر ، والرقص هنا عند حنا يختلف عن رقص زوربا . إن اعماق الرقص هنا ابعد ، حدوده غير ذاتية ، انه هوس جماعى لتجسيد فكرة واحياء وجودها ، فكرة لا تجلب راحة للنفس فحسب لكنها تمدها بالقوة لمواصلة الصمود ، المعنى هنا كثير الابعاد . لا يربط حنا خيوط الرواية ربطا تقليديا كما نقرا فى الكثير من الروايات ، ان البعض يرى فى ذلك تقريرية من الكاتب ، لكنه فى الحقيقة نمط تشكيل الرواية ان التدخل بين المنلوج الداخلى للشخوص والرمز والاسطورة والحدث المعاش جاء ليخدم المحتوى الذى اراد الكاتب قوله او احتضانه .

ناتى ونحن هنا نتحدث عن تكتيك الرواية الى لغتها الشعرية ، وموسيقاها ، وعباراتها الصغيرة المقطعة . انها وتيرة فى السرد تختلف وتتشابه مع سرد القاص يوسف ادريس السريع اللاهث ، انت لا تشعر بالكسل والغفلة لحظة طوال قراءتك للرواية ، دائما تلهث وراء الجملة ، والحدث ، والحوار ، ثم هناك الرمز والشاعرية وإضفاء الابعاد الرمزية على الحكايات الشعبية . لا نريد ان نقول ان هذا يضيف حقيقة اخرى لسنا بصددها الآن « اقتراب الكاتب من روح الشعب » لكننا فنيا نجد ان توظيف الحكايات الشعبية ياتى متناغما مع الحدث والموقف ثم هناك المنلوج الداخلى الذى يسقط فى الرواية من اعماق الفتى وهو يتذكر ما يقوله الخياط ويردده خلال الرواية .

الغيوم .. والواقعية

الشمس فى يوم غائم من الروايات القليلة التى تقرا اكثر من مرتين لاننا لانكتشفها « كلها » من القراءة الاولى وهكذا فعلت ، وتوصلت إلى يقين ان حنا مينه قد اعطانا رواية خالدة ستبقى . ولذا اكتب وحين ترددى فى الكتابة عنها اجبت فى الحال « لن تكون الاخيره » فالرواية من الانجازات الكبيرة فى الادب العربى المعاصر وما كتب عنها اقل من حجمها فى الكم والكيف . القناعة الاخرى التى توصلت اليها ان حنا مينه هو بين قلة من الكتاب لم يقبل ان يكون غلاما فى قصر الحياة العربية حتى ولو رصعوه بالذهب لانه اراد مثلما الطروسى ان يصمد فلا يكتب ادبا مخصيا ، خائنا مذعورا . ورغم الغيوم التى تغطى السماء العربية قال حنا ان لم تخنى الذاكرة فى مقابلة قراتها له فى العام الماضى اجرتها له احدى الصحف العربية : « ان المناضل اليوم هو من لا ييأس » اجل فى الايام الغائمة يكون اليأس سيد الكون والبشر والزمان ، لكن من يملكون رؤيا تاريخية ـ صحيحة للاشياء وحركة الواقع لا يغمضون اعينهم عن ذلك الشعاع الطفيف الذى يهبط حزينا يتعشق عيونهم الشجاعة العطشى ، وهناك ايضا ما يؤكد ضمن سياق هذه الرواية حقيقة مسار الحركة الادبية فى عموم الوطن العربى ، اننا جميعا نقرا قصائد مجنونة وروايات مجنونة ، وقصصا قصيرة اشد جنونا ، اننا نقرا كل يوم ونرى انحلال القصيدة والقصة القصيرة وتحولها الى خواطر وطلاسم وتهويمات سحرة ، واننا نشهد ان هذا المد المترسب فى لحظة الاغتراب الحضارى يحاول ربط جسوره باتهام الواقعية بالجمود والكسل والموت ، وعدم مواكبتها للعصر المعقد الشديد التعقيد ، الشمس فى يوم غائم والكاتب الروائى الكبير فى هذه الرواية يكشف لنا كل الحقيقة بواقعية عملية جدا حيث اصبح الاقناع النظرى للجنون المغامر شبه مستحيل ، انه يكشف ببساطة وقوة افاق الواقعية وطموحاتها التى لم تمت ولم تذبل انه يقول بطريقة غير مباشرة « كل ما فى الامر انكم عاجزون عن اكتشافها » .

محمد عبد الملك ـ البحرين

شاعر أسباني يتغنى بأصله العربي

مانويل ماتشادو

بقلم : عبداللطيف عبدالحليم

لا احد يمثل تيار الحداثة فى الشعر الغنائي الاسباني كما يمثله مانويل ماتشادو (١٨٧٤ ـ ١٩٤٧) ، شقيق الشاعر الكبير انطونيو ماتشادو ، واولهما اكبر من الثاني بعام واحد . اشبيلي المولد ، فرنسي التكوين ، عاش في مدريد بعد قفوله من باريس حتى مات سنة ١٩٤٧ .

رجل من ذوى النفوس البسيطة ، التى لا تثيرهـا ، ولا تكربها ارتجاجات القلق والحيرة التى تعصف بنفوس من طراز آخر مثل الشاعر ميجيل دى اونامونو ، فان صاحبنا ماتشادو راض الحياة كما راضته ، واستسلم لها فى خدر لذيذ ، على نمط يذكرنا باسلافنا من شعراء الاندلس الذين شربت ارواحهم خلاصة طبيعة الاندلس ، بما فيها من ليال حالمة بعطر الموسيقى ، تنبعث من اوتار عود ينوح حين يشدو ، ومن حنجرة عميقة ، يتجاوب صداها فى أبهاء القصور العربية ، فترددها نوافير المياه ، وزهر البرتقال الغافي فى الأمسيات الرطيبة .

لم يسلك مانويل مسلك اخيه انطونيو فى الانسلاخ من جذوره الاندلسية الاشبيلية ، والارتباط بقشتالة والتغنى بها . والانطواء على نفسه ، لذا كان انطونيو من شعراء جيل الثمانية والتسعين ، الذى كان صوت اسبانيا آنذاك ، والذى احس بعمق الكارثة التى احدقت باسبانيا بعد ضياعها لمستعمراتها . بل سلك مانويل اتجاه الحداثة الذى تزعمه روبين داريو شاعر نيكاراجوا الاكبر ، ذلك الاتجاه الذى حل محل الرومانسية بعد جمودها وإفلاسها ، وإن كان لم يتخل عن بعض غنائمها واسلابها ، بعد اضفائه عليها صبغة خاصة ونفحة شخصية ، وقد اطلع مانويل اثناء اقامته فى باريس على التيارات التى كانت تموج بها العاصمة الفرنسية ، وصادفت البرناسية والرمزية هوى فى نفسه وامتزج كل هذا المحصول فى نفسه امتزاجاً عميقاً خرج منه هذا النتاج الخصب ، بعد ان اراق عليه وهج نفسه ، وعبق روحه ، ولون عينيه ، وغدا شاعر الاندلس بحق .

أشبيليـَّات

السيجيريا (١) الفجرية
هي موشحة الليالي الاسلامية

عيون سود ، وضياع
تحيا الموشحة دائما من الحب والموت
هي صوت القلب ، اسير الاسى والحظ ..
بكائية الهوى العميقة

• • •

بيد ان موشحة ضياء الفردوس الاندلسي
المجنحة الربيعية
الثرثارة ، العذبة
التى تغنيها كل اشبيليـَّة
هي السيجيريا الاشبيلية المرحة
المليئة باشعة الشمس ، وخفة الظل .

• • •



والغريب أن الأندلس بعد العصر الاسلامي مازال ـ حتى الآن ـ ارض الشعر ، ومنبع الالهام ، فمعظم الشعراء الاسبان ولدوا فى جنوب اسبانيا (الأندلس) . الاخوان ماتشادو ، غرثيه لوركا ، الكسندري ـ الفائز بجائزة نوبل عام ١٩٧٨ ـ خوان رامون خمينيث ـ نوبل ١٩٥٦ ـ . وغيرهم كثير ، اصبح الامر ظاهرة حتى لدى الاسبان انفسهم ، مما دفع بالشاعر الكبير رفاييل البرتي الى نظم قصيدة عنوانها « الشعراء الأندلسيون » وصارت القصيدة يتغنى بها الآن ، وتباع ـ ملحنة ـ على اشرطة التسجيل .

استاثرت الأندلس وتراثها الشعبي بنصيب ضخم من قصائد مانويل ماتشادو ، فقد استغل الموضوعات الشعبية الاندلسية ، وانتزع من نمط الغناء « الكانتي خوندو » او الغناء العميق منجماً لا ينفد ، وغدت القيثارة الأندلسية ، واغاني البحر ، والفلامنكو ، وذكريات التاريخ العربي ، تاريخ اسلافه واسلافنا تشكل كل هذه الاشياء وغيرها خطوط لوحته الشعرية ، ولا ينسى ابداً أن يغمس ريشته فى نبيذ الأندلس المعتق .

لم يكن مانويل ماتشادو غزيرالانتاج إذا قيس بشقيقه انطونيو، نذكر من ابرز انتاجه مايلي : « صور اشبيلية » كتبت نثراً . وست مسرحيات اشترك فيها معه شقيقه . اما شعره فبرز منه دواوينه : « روح » ١٩٠٠ ، « نزعات » ١٩٠٥ ، « العيد القومي » ١٩٠٦ ، « اشبيلية وقصائد اخرى » ١٩١٨ ، الى جانب بعض الدواوين الأخرى

تطفر فى شعره نزعة حسية اقرب الى الابيقورية ، لكنما يكبحها شيء من الحزن المغلف بالحنين الغامض ، وشيء من التطلع الى التنفس فى الاحلام ، ويلوح بين الحين والحين سحابة تشاؤم ، لكنه ليس تشاؤم النفس المغلقة الكئود ، لا ترى النور، ولا يشوقها ان تراه ، ليس تشاؤم النفس الناضبة من العطف والشعور ، إنما هو تشاؤم النفس المفطـورة على العطف، ليس بينها وبين النور او الحب حجاب صفيق من الصمم والبلادة والأنانية ، تشاؤم يجد سلواه فى حضن الطبيعة ، وعزاؤه فى ملاذ الحياة ، إنه تشاؤم محب للدنيا ، متعلق بحبالها ، يزهد فيها ليأخذ نصيبه الاكبر من حلوى الحياة .

اما طريقة التعبير عند مانويل ماتشادو ، فقد رسمتها موضوعاته القريبة ، واغراضه البسيطة . جاء التعبير مساوقاً لطبيعة هذه التجربة بسيطاً ، يتدفق فى سلالة عذبة . لكنها البساطة العميقة ، او السهل الممتنع ـ كما يقولون ـ او هو السهل الذى يمتنع على كثيرين ممن يروضون القول ، ويصرفون الكلام ، يتانق الشاعر كثيراً فى التعبير ، لكنها الاناقة التى لا تحس انها اثقلت العمل الفني باوزار التكلف والصناعة التى يقع فيها كثيرون من اصحاب الاناقة ، تشعر ـ حين قراءته ـ انه كان يلقى ببالـه الى الكلام فيطاوعه ، وجاءته سهولته هذه من سهولة الشعور عنده وبساطته ، وقد اسلم مقاليده للفن ، فاسلم اليه الفن مقاليده ، وتبرز القافية عنده بروزاً معجباً رائقاً ، فكانك تغني حين تقرا القصيدة ، التى تهز اعطافك قسراً للموسيقى السارية فى تضاعيف كل كلمة منها ، إنها موسيقى شجية بما تحمله من شحنة عاطفية تدع فى نفس المتلقي شعوراً لا عجاً حزيناً ـ ربما اضاعته الترجمة النثرية ، وارجو ان اترجم هذه القصائد شعراً فيما بعد .

ورجل هذه طريقته فى التعبير ربما يقع فى السطحية والمباشرة الساذجة ، لكن صاحبنا كان فى الاعم الاغلب بنجوة من هذا المنزلق الوعر . وكثيراً ما يستخدم الشاعر بعض الكلمات فى نطقها العامي فتزيد اسلوبه ملاحة ، وتحل محلها المحتوم .

شعره ـ فى ايجاز ـ صورة حية لنفسه ، ولليالي الأندلس الساهرة ، وانعكاس لصور الحياة كما تراءت فى صقال نفس هذا الشاعر المرهف الغرد ، الذى نحيي فيه مزاجه العربى الأندلسي ، ونرد له تحيته التى حيا بها اسلافنا واسلافه العظام .

الدّلْفى

إنني مثل اولئك الناس
الذين قدموا الى ارضى هذه
من جنس عربي ،
جنـس صديق قديم للشمـس
اولئك الذيـن غنمـوا كل شيء ،
وخسروا كل شيء

وقـد نبتـت روحي
من عبـق النارديـن الاندلسي

• • •

ماتت ارادتي ذات ليلة مقمـرة
كان من الرائـع فيها الا نفكـر ،
والا نحـب

وكل ما احلم به ان استلقى خليّ البـال
بين حيـن وآخـر

• • •

ليـس لروحي شقيقة الاصيل تخوم
والزهـرة الرامـزة لشوقي الوحيـد
هي زهـرة ليـس لها نفـح ،
ولا شكل ولا لون
تولد من اراضي مجهولـة

• • •

مانويل ماتشادو



قبلات ، بيد انها غير ممنوحة .
امجاد يدينون لي بها !
كلها مثل نسيم مضيء يسري من اجلي !
فلتجئ بيَ الامواج ،
ولتذهبْ بيَ الامواج
ولا تجبرني ابداً على اختيار الطريق

• • •

طموح ؟ ليس لدي . حب ؟ ما شعرت به
لم احترق ابداً بنار اليقين ،
ولا بنار الشكر
كان لدي عشقٌ غامضٌ للفن ،
والآن اضعته
لا يفوتني الفجور ، ولا اعبد الفضيلة

• • •

لا يرتاب احد في عراقة محتدي
فالمأثرة والعراقة تورث ولا توهب
بيد ان رمز بيتي وشعاري
مثل سحابة حائرة تكف الشمس المغرورة

• • •

لا انشد منكم شيئاً ..
ولا اشعر نحوكم بحب ولا ببغض
ودعوني افعل من اجلكم
ما تستطيعون فعلَه معي
ولتبذل الحياة ما في وسعها لموتي
فانني لا ابالي بأن احيا

• • •

ماتت إرادتي ذات ليلة قمراء
كان الرائع فيها الا نفكر والا نحب
وبين حين واخر قبلة بدون رغبة
قبلة كريمة ، ولا ينبغي ردها بمثلها .

(٦) الأسى
« من أغاني الفجر »

إن اسماي من نوع رديء
لانه اسى لا اود ان ابرأ منه

• • •

لقد جاءني دون ان ادري من اين ،
مثلما تجري المياه الى البحر ،
والزهور الى شهر مايو
والرياح الى الغابة

• • •

جاءني ، وخيَّم في فؤادي
كمرارة القشرة الخضراء
في الليمون الاخضر

• • •

مثل جذور اللبلاب
يتغذى الاسي في فؤادي
وعروقي بالدم

• • •

لست ادري من اين يلتف بجسدي
ذلك الحبل ، ولا من اين لم يلتف
لست ادري ..



(٧) إبنة صاحب الخان

«كانت البنية تصمت ،ومن حين لآخر
كانت تبتسم» ثيرفانتس . دون كيخوتي

صمت إلهي
وبسمة عذبة
لماذا تمثلان في ذاكرتي ؟

• • •

الخان خالٍ

وابنة صاحب الخان (٢) تغمز

بعيون وسنى

وصاحبة الخان تغزل

وحضرة صاحب الخان عند الباب

يترقب إذا ما كان احد قادماً ..

فالريح تكتسح الريف

... وبجانب النار
تجلس البنيَّة
تحلم بكتب الفروسية ـ
تنظر بعيونها الزرق الاصيل

الذي يموت وراء الافق

• • •

بنية جافيةٌ ارض لا مِنْشَا
تغوص في ليلة باردة

عبد اللطيف عبد الحليم/مدريد

(١) يقال إن هذه الكلمة ذات اصل عربي ، معناها صغيرية من الصغر ثم تحولت هذه الصيغة الى صورتها الحالية في اغاني الفجر .

(٢) في الاصل Maritornes وتطلق على البنية التي تخدم في الخان ، وقد اخذها الشاعر من دون كيخوتي . المترجم .

في مهرجان

شوقي .. وحافظ

شعر : فتحي سعيد

شَوْقِي أَمِير القَوَافِي وَالْعُلَا نَسَبُ
مَا بِالْقَلِيلِ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ اللَّقَبُ
فِي يَوْمِ عِيدِكَ جِئْنَا نَزْدَهِي الْحَسَبُ
مَا بِالْكَثِيرِ عَلَيْنَا ذَلِكَ الْحَسَبُ
إِنْ كُنْتَ يَوْماً أَمِيرَ الشِّعْرِ أَصْغِ لَنَا
نَحْنُ الصَّعَالِيك لا عَرْشٌ وَلا رُتَبُ
نَحْنُ الصَّعَالِيك نَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا
نَعْدُو وَنَشْدُو .. وَقَدْ حَاقَتْ بِنَا النُّوَبُ
هِمْنَا بِفَنِّ الْقَوَافِي دُونَ بَادِرَةٍ
أَوْ بَدْرَةٍ لأمير .. شَاعِراً .. يَهَبُ
كَمْ كُنْتَ تُسْقَى بِكَأْسٍ حَفَّهَا الحَبَبُ
وَنَحْنُ نُسْقَى بِكَأْسٍ حَفَّهَا السَّغَبُ
وَأَنْتَ لاهٍ بِهَا غَافٍ بِكَرْمَتِهَا
وَلَيْسَ فِيهَا لَنَا كَرْمٌ وَلا عِنَبُ
فاهبط إِلَيْهَا ... وَحَدِّقْ فِي حدائقنا
أَحْفَادُ شِعْرِكَ أَنْدَادٌ إِذَا نُدِبُوا
عِصَابَةٌ مِنْ بَقَايَا اللَّيْلِ أَدْرَكَهَا
أَلْبَدْءُ وَالْمُنْتَهَى وَالْحَرْفُ والكُتُبُ
شُمُّ الأُنُوفِ .. كِرَامٌ قَدْ أَظَلَّهُمُو
اللَّيْلُ لَمَّا سَجَى .. لا الْخَمْسَة السُّحُبُ !

●●

يَاشَاعِرَ النِّيلِ .. مَنْ كَالنِّيلِ يَنْسَكِبُ
وكم عطاشى به مروا وما شربوا
ظُلِمْتَ حَيّاً وَمَيْتاً فِى صَحَائِفِهَا
إِذْ قَارَنُوكَ بِنَجْمٍ دُونَهُ الشُّهبُ
لسْتَ المصَلّى بها في شوط حَلْبَتِهَا
انت المجَلّى بها والرأْسُ .. لا الذنبُ

غَنَّيْتَ لِلشَّعْبِ ... مَنْ كَالشَّعْبِ أُغْنِيَة
يُشْدَى بِهَا .. وَشُدَاةُ القَوْمِ قَدْ نعِبُوا
عرِّج علينا .. تجدْنَا دون سِدْرَتِهَا
انداء صِدْقٍ .. بعصر كلّهُ كَذِبُ
يُغْدَى بِنَا ويراحُ الدهر كوكبةً
مرُّوا عُجَالى .. فلما وُوثِبُوا .. وَثَبُوا !

●●

اللـه أكبرُ كم في الفتح من عجبٍ
اللـه أكبر .. لا فتحٌ ولا عجبُ !
ضاعت فلسطينُ من يبْكي قضيتَهَا
قُضاتُها العورُ .. أم أبناؤها العربُ ؟
دمٌ تلَظَّى على أستار كعْبَتِهَا
سالت مداداً به الأشعارُ والخطبُ ..
بيروتُ لا تينها حلوٌ ولا العنبُ
بيروت لا قرطها توتٌ ولا رطبُ
فانظر أميرَ القوافي مهْدَ زحلتها
واطرب لجارةِ وادِيكَ الذي اغْتَصَبُوا .!

متى يضاء النور الأخضر لتطوير الموسيقى العربية؟

بقلم : مريم آل سعد

- مازالت الأمية الموسيقية تسيطر على الكثيرين من أهل العلم والرأى !
- لماذا أصبحت دراسة فن الغناء محدودة المناهج وترتكز على الارتجال ؟
- هل من الضرورى إيفاد الطلبة إلى معاهد أجنبية لدراسة الموسيقى ؟

بدعوة من وزارة الاعلام فى دولة قطر ، انعقدت اجتماعات لجنة التربية والثقافة الموسيقية المنبثقة عن المجمع العربي للموسيقى ـ جامعة الدول العربية ـ فى الفترة من ٢٢ إلى ٢٨ نوفمبر ١٩٨٢ م .

وشارك فى هذا الاجتماع عشرون باحثاً ومؤلفاً فى التربية الموسيقية من معظم الدول العربية ، على رأسهم أمين المجمع العربى للموسيقى منير بشير ..

وقد ناقش المشاركون فى هذه الندوات من خلال الجلسات الصباحية والمسائية ، والدراسات المقدمة من قبل أعضاء اللجنة والسادة المراقبين ، منها « دليل العمل فى المسوحات الميدانية » وبحث « الطيور والحيوانات فى لعب وأغانى الأطفال » اللذين عرضهما ممثل الجمهورية العراقية حسين قدورى ..

كما قدم عبد الحميد بن موسى ـ الذى مثل الجمهورية الجزائرية فى هذه الاجتماعات عرضاً لكتاب « دليل المعلم للتربية الموسيقية » .

ولقد نظرت اللجنة مجدداً فى قرارات وتوصيات الدورة الأولى المنعقدة بالجزائر خلال شهر فبراير ١٩٨١ ، وأكدت على أهمية الملاحقة التنفيذية ، والتركيز على مبدأ العمل بالأولويات مع مراعاة الامكانات المادية للمجمع العربى للموسيقى .

قرارات وتوصيات

ورأت اللجنة أن يبدأ المجمع بتنفيذ مشروع طبع الألبوم الخاص بمجموعة الأسطوانات المحتوية على الأغاني الشعبية ، بمعدل أغنيتين من كل قطر عربى .

وبناء على الاقتراح المقدم من قبل ممثل الجمهورية العراقية والداعي إلى عقد لقاء لمديري المعاهد والمدارس الموسيقية الموجودة فى أقطار الوطن العربى بغرض البحث فيما بينهم حول أمور مناهج التربية الموسيقية وأساليب ووسائل تدريسها أوصت اللجنة بأن يضم وفد كل دولة أحد مديري المعاهد الموسيقية أو من ينوب عنه من المعنيين بشؤون الموسيقى ، علماً بأن هذه التوصية تنسحب على المؤتمر الثامن للمجمع والذى سوف يعقد فى بغداد فى شباط « فبراير » ١٩٨٣ م .

كما أوصت اللجنة بطبع البحوث والدراسات التى قدمت أثناء اجتماعها الثاني هذا فى المجلة الموسيقية التى يصدرها المجمع العربى للموسيقى ، وذلك وفق رؤية رئاسة التحرير .

كما قررت اعتماد طبع كتاب « الطيور والحيوانات فى لعب وأغانى الأطفال الشعبية فى القطر العراقي » لمؤلفه حسين قدوري .

وذلك اضافة إلى أن لجنة التربية والثقافة الموسيقية المنبثقة عن المجمع العربى للموسيقى ـ جامعة الدول العربية ـ قد طالبت أجهزة الاعلام الرسمية من اذاعة مسموعة ومرئية وشركات الأسطوانات والأشرطة المسجلة بالعمل على تنفيذ ما تم اقراره فى مجال التربية الموسيقية بصفة عامة ، ومن ذلك عدم انتاج أو بث الأغاني والمقطوعات الموسيقية التى لا يقصد منها الا التهريج !

بين التبعية والأصالة

يجمع المؤرخون على أن الفترة الذهبية



احد اجتماعات لجنة التربية والثقافة الموسيقية فى مدينة الدوحة ، وهو الذي شارك فيه ٢٢ باحثا ومؤلفا فى التربية الموسيقية من معظم الدول العربية .



عبد الحميد حسين نعمة
قطر



عبد الحميد بن موسى
الجزائر



احمد عاشور
تونس



فتحي زغنده
تونس



د. مكي سيد احمد
السودان



سامي حمزة
قطر

للموسيقى العربية تقع فى بداية العصر العباسى حيث ازدهرت الفنون والآداب ، وقصد بغداد كل ماهر فى أدب أوصناعة أوفن ، يقول عبد الرحمن بن خلدون فى مقدمته « وما زالت صناعة الغناء تتدرج إلى ان كملت أيام بنى العباس عند ابراهيم بن المهدى وابراهيم الموصلي وابنه اسحاق وابنه حماد .... » . لكن بعد أفول نجم الدولة العباسية سنة ١٢٥٨ ميلادية نزل ستار كثيف على الحياة الفنية فى معظم البلاد العربية الاسلامية ، فاختلطت الموسيقى العربية بالموسيقى الفارسية والتركية ، ومن بين ما نتج عن ذلك مثلا دخول كلمات عديدة من الفارسية والتركية فى الغناء العربى مثل « يادوست » و « جانم » و « بيرم » وتسمية الفرق ، مثل تسمية الفرقة العراقية « بالجالغي » بعد ان كانت تسمى بالنوبة !

اما بالجزائر فان شيوخ الفن شعروا بخطر ضياع فنهم خلال القرن السابع عشر وذلك بتخلى خيرة أبناء الشعب عن ممارسة هذه الصناعة وتركها بين أيدى العوام الذين تغلب عليهم الأمية وأكثرهم من غير المسلمين .

ويتابع الأستاذ أحمد عاشور. مدير المعهد الوطني للموسيقى والرقص فى تونس من خلال بحثه « التربية الموسيقية بين التبعية والأصالة » فيقول :

ـ وقد زاد الغزو الغربى فى بداية هذا القرن الأمور استفحالا ، حيث عمد المستعمر الى مسخ الشخصية العربية بتركيز الثقافة الفنية الغربية .

ويشرح مدير المعهد الوطنى للموسيقى والرقص التونسي التجربة التى طبقتها تونس وسارت عليها منذ أربع سنوات ، حاولت من ورائها التوفيق بين تعليم الموسيقى الغربية وبين امتداد روحها من التراث العربى الاسلامي والتراث الموسيقى التونسي .

مشاكل موسيقية فى تونس

ويتحدث فتحى زغندة . رئيس قسم الموسيقى بوزارة الشئون الثقافية فى تونس ، عن أبرز مظاهر التربية الموسيقية فى تونس باعتبار ذلك مدخلا الى واقع التربية الموسيقية فى العالم العربى كله ، وكيف أن الجهود التى يبذلها الموسيقيون فى تونس ، تعتبر نموذجا لما يبذله اشقاؤهم ـ فى بلدان الوطن العربى ـ او ما سبق أن مروا به من تجارب .

وأوضح أن الموسيقى التونسية لم تكن ـ فى الماضى ـ تدرس فى المعاهد أو المدارس ، بل كانت تعتمد على الطرق التقليدية المعروفة ، أي التلقين أو التواتر ، فالتلاميذ الموسيقيون يتعلمون عن طريق الاستماع والحفظ لا عن طريق التدوين . ويعتبر المعلمون شيوخا لهم قدم راسخة فى حفظ التراث ومشهود لهم بحسن الأداء وضبط القواعد الأساسية لفنهم .

ويعتبر اطار هذا التعليم : الحلقات والطرق والزوايا والجمعيات والنوادى والفرق والعائلات .

ومن أبرز الشيوخ الموسيقيين فى تونس فى هذا القرن أحمد الوافي وخميس ترنان والهادى الشنوفي وعبد العزيز الجميل وغيرهم .

ومن خصائص التعليم الموسيقى على الطريقة التقليدية تمكين التلاميذ من الأداء الأصيل الذى يطبع الموسيقى العربية

متى يضاء النور الأخضر لتطوير الموسيقى العربية؟

بمختلف لهجاتها المحلية ويخلق تجاوبا فنيا بين الشيخ وتلاميذه . ويعاب على هذه الطريقة اعتمادها على الحفظ مما قد يدفع التلميذ أو الناقل الى تحريف ما حفظه عن شيوخه ، سواء اكان ذلك عن قصد أو غير قصد ، مما يغير التراث من جيل لآخر .

وإلى جانب هذا التعليم الموسيقى التقليدي الذى مازال قائما فى معظم البلدان العربية ، فقد شهد القرن الحالي ظهور التعليم الموسيقى النظامي ، الذى لوجدته الهياكل الحكومية .

ويدرس هذا التعليم بالمدارس والمعاهد المختصة أو الجمعيات التى تمولها المؤسسات الرسمية وهو يعتمد غالبا على طرق وبرامج منقولة عما يجرى فى البلاد الأوربية أو مستوحاة منها . فالمعلومات التى تلقن للتلاميذ منوعة وتتضمن عادة النظريات الموسيقية والترقيم والقراءة الغنائية وإملاء النوتة الموسيقية والعزف بالاعتماد على الترقيم ، ويتضمن فى المراحل المتقدمة أحيانا علم توافق الأصوات والتحليل ودراسة الأشكال الموسيقية الغربية والتاريخ وغيرها من المواد التى تلقن فى المعاهد باوروبا وامريكا وسائر البلدان المتقدمة .

أهداف التربية الموسيقية

ويقول الحفناوي أمقران مدير المعهد الوطني للموسيقى بالجزائر فى بحثه « إن التربية الموسيقية عامل هام فى تنمية الانسان » ، فللموسيقى ثلاثة اهداف ترمي للوصول إليها :

● « تكوين الانسان الكامل » ..

وفى هذه النقطة ينتقد وضع المدرسة الحالية ، لأنها تعطى دائما الأسبقية للمعرفة الصرفة دون الاهتمام بالجوانب الهامة فى شخصية الانسان وعواطفه وخياله ، فبفضل الموسيقى تنمو الفضائل الانسانية التى تعتبر ضرورية إلى جانب التعبيرات الفنية الأخرى .

● « الأنصهار الثقافي والاجتماعي » ..

ويوضح مدير معهد الموسيقى الجزائري كيف أن الطفل عندما يتقبل تراث الماضي يكون ادماجه مع مجتمعه ميسوراً وعلاقاته مع غيره تكون مرتكزة على قاعدة أصيلة .

وبهذا يكتسب حاسة خاصة تمكن له بعد ذلك معرفة أنواع موسيقية أخرى وتذوقها لتنمية ثروته الثقافية المتاصلة فيه .

● « التكوين الفني والأخلاقي » ..

تنمي التربية الموسيقية عند الطفل حب الجمال وتدفعه إلى التذوق والبحث عن المشاعر التى تثري أفكاره ، وتبعث في نفسه الدفء العاطفي وتجعله يسمو بفكره إلى مستوى عال متجرد عن كل طابع مادي نفعي متحجر .

المدرس والتربية الموسيقية

وفي بحث عن « الاغاني والأناشيد ودور المدرس » تحدث « د. فاروق عمر » المدرس بمعهد الموسيقى القطري عن التربية الموسيقية باعتبارها جزءاً من التربية الجمالية التى تحتل منزلة هامة في الحياة الاجتماعية ، واشار إلى أن فهم الموسيقى وحبها والافادة منها بالغناء والعزف والاشتراك فى الفرق الموسيقية وفرق الكورال يدخل فى نطاق الثقافة العامة .

وفي رأيه أن التربية لم تعد قاصرة على حشو عقول الأطفال بقدر كبير من المعلومات النظرية فقط ، بل أصبح من الضروري أيضاً أن تعني بالنمو العقلي والجسمي والوجداني عناية كاملة . حتى تهيىء للطفل ـ مستقبلا ـ شخصية متزنة متعادلة .

وتحدث د. فاروق عمار عن مدرس الموسيقى ووصفه بانه من اهم العناصر التى تعتمد عليها المدرسة الحديثة فى رسالتها وأهدافها ، لذا فمن الواجب إعداده وتزويده بقسط وافر من الثقافة التربوية والاجتماعية ليكون ايجابياً فى فهم رسالة المدرسة وأهدافها فى التربية والتثقيف

المشاكل في العالم العربي

وعن « الموسيقى ومشاكلها فى العالم العربي » كان البحث الذي قام باعداده د. عبد الرحمن ابراهيم الاستاذ بالمعهد الموسيقي بدولة قطر .

ودعا فيه إلى السعي الى تطوير الفن الموسيقي بعد أن أصبح الجميع يحسون بانه أصبح غريباً على تذوقهم ، وان كيانه لا يساير كيانهم ، وإلى أن عنصر التجديد والتطوير فيه يجب أن ينبعث من الادراك الواعي للذاتية الفردية والجماعية .

ويتساءل الباحث : ماهي فائدة هذا الكم الهائل من المواهب التى يزخر بها شعبنا العربي ، مادامت لا تجد من يأخذ بيدها الى الطريق الصحيح .. ؟

ويُرْجع أسباب مشكلة هذه الاصوات الموجودة بوفرة إلى دراسة فن الغناء المرتكزة على الارتجال دراسة فن الغناء المرتكزة على الارتجال .. وإلى محدودية المناهج بالنسبة لهذا النوع من الفن فى الغناء العربي ، وربما لا يوجد فى بعض المعاهد قسم خاص لتعليم وتدريس هذا الغناء ، بينما يوجد للغناء الغربي مناهجه الخاصة وطرق تدريسه ، وأقسامه القائمة بذاتها فى كل المعاهد الموسيقية بالعالم ..!

وفي نهاية هذه الدراسة قدم الباحث بعض النقاط التى يرى أن من شانها المساهمة في حل مشكلة التربية الموسيقية والتعليم الموسيقي وهي :

● نشر الوعي الموسيقي بين الجمهور بكافة الطرق التى تملكها الدولة مثل تدريس الموسيقى بمدارس الدولة ابتداء من المراحل الأولى للتعليم . والعناية بتكوين فرق موسيقية عديدة بنوعيها الشعبي والعام ، كذلك نشر الثقافة الموسيقية الرفيعة سواء العربية أو العالمية بجهازي الاذاعة والتليفزيون .

● الاهتمام بانشاء مسرح بكل معهد ليكون حقل تجارب عملية للفنان . والاهتمام بالقائمين على أمر هذه المعاهد والمشتغلين فيها من أساتذة الموسيقى والتربويين .

● أن تعمل كل الهيئات في رعاية طلاب هذه المعاهد واتاحة الفرصة للطلبة بالتواجد فى المواعيد المحددة لهم .

الموسيقى ووسائل الاتصال

وقدم الاستاذ «سامي محمد سعد حمزة » رؤية حول المؤثرات فى التربية والثقافة الموسيقية ، ونوه بسرعة الاتصال الحضاري الهائلة في عالمنا المعاصر وأهمية ذلك من خلال عوامل عديدة تساعد على امتزاج الفكر والتطور الانساني العام.

وأشار إلى ما أضافته المبتكرات الحديثة فى مجال وسائل الاتصال من امكانيات كثيرة وطرق هامة لمجال الثقافة والتربية

الموسيقية التى لاشك في مساهمتها الفعالة فى تناقل الفكر الموسيقي ومعالجة الكثير من مشكلات التعليم الموسيقي .

وأشار الباحث إلى اعتماد الوسائل التعليمية فى التدريس على لوح الطباشير الذي يعتبر أقدم هذه الوسائل دون استخدام الوسائل الأخرى كالسبورات المغناطيسية ولوحات النشرات والعرض ومصورات التخطيطات والملصقات ، وأيضاً السبورة الصوتية التى يقوم نفس الباحث بدراسة تحويل امكانية عملها إلى أصوات الموسيقى العربية ، بالاضافة الى جهوده في تصنيع السبورة ذات لوحة المفاتيح .

بين التصور والتطبيق

ومن جمهورية السودان الديمقراطية ـ المجلس الوطني للموسيقى ـ كان «للدكتور مكي سيد أحمد» وجهة نظر حول التربية والثقافة الموسيقية بين التصور والتطبيق .

وقد تساءل الدكتور مكي في مقدمة بحثه عن ما هو الأصلح ليكون الموضوع الذي يخوض فيه . أهو اعداد ورقة ، أو كتابة تقرير حول التربية الموسيقية ؟ أم أنه من الأفضل الرجوع إلى ما كتب ـ خاصة ـ في مجال القرارات والتوصيات لمعرفة الحجم الحقيقى للانجازات التى تحققت ، وللكشف عن أهم المعوقات وطرح الحلول والاقتراحات للتغلب عليها .. وهذا ما حدث .

وقد أشاد الكاتب بالخطوة الايجابية التي دعا إليها المؤتمر السابع للمجمع الموسيقي الذي كان مقره مدينة الجزائر ـ العاصمة ـ عندما رفع توصية الى المجلس التنفيذى للاعداد لعقد ندوة عربية موسعة تتخصص فى التربية الموسيقية ، وتعقد فى أحد الأقطار العربية وتشارك فيها الخبرات العربية والدولية لوضع منهجية موحدة للتربية الموسيقية لمراحل التعليم العام ومعاهد التخصص ، وذلك فى منتصف عام ١٩٨٢ وتشرف عليها لجنة التربية والثقافة الموسيقية فى المجمع . وقد تحققت هذه الافادة بما تحمل من دفع لجهود المجمع الموسيقى ، وما تثمر من مناخ جيد لنشر وزرع التربية الموسيقية فى نفوس المواطنين العرب .

التربية الموسيقية فى قطر

عن التربية الموسيقية فى قطر كان بحث مدير المعهد الموسيقى بقطر «عبد الحميد حسين نعمة» عن «انشودات وألعاب الاطفال» ، وقد قدم عبد الحميد نعمة بحثه أثناء اجتماعات لجنة التربية الموسيقية التى انعقدت فى الجزائر .

وتحدث رئيس الوفد القطرى فى هذه الاجتماعات عن التربية والثقافة الموسيقية فى قطر ، وقال انه حديث شيق يحتاج الى صفحات كثيرة . خصوصاً وأن هذا الجانب لازال جديداً لم يتناوله الباحثون بالشكل الواسع والدقيق .

وفى حديثه ألقى الضوء على مرحلتين وذلك لتحديد مسار التربية الموسيقية فى قطر .

(مرحلة ما قبل ظهور النفط) أى المرحلة القديمة متمثلة فى أغانى العمل فى البحر والسمر والصوت والموال ، والفجرى بأنواعه البحرى ، والعدسانى ، والحدادى الخولقى ، والحساوى .

كذلك أغانى الميلاد والختان وأغانى الاطفال والزواج والعمل فى البر . هذا الغناء المسمى «بالفلكلور» الذى يحمل فى طياته حياة هذا المجتمع وتقاليده وعاداته ومعتقداته الشعبية .

وأشار عبد الحميد نعمة الى أن كتاب الأغنية الشعبية فى قطر من تاليف (محمد طالب الدويك) قد احتوى على تفصيل وشرح واضح لكل هذه الأنواع من الأغانى والأناشيد . (وقد قامت وزارة الاعلام القطرية بطباعة هذا الكتاب) .

نحو الارتقاء بالموسيقى

أما المرحلة الثانية فى مسار التربية الموسيقية فقد قسمها الباحث إلى فترتين :

اولا : المدرسة التى بدأت التربية الموسيقية فيها من خلال حصص الأناشيد والأنشطة الموسيقية والنشاطات الكشفية .

ثانياً : الاذاعتان المرئية والصوتية ، اللتان انشأتا لجنة مراقبة للنصوص والموسيقى فى كلتيهما ، كما حرصتا على حفظ التراث من خلال تلك التسجيلات التى أجريت مع هؤلاء الفنانين للمحافظة على هذا الفن العريق .

وقد كان لانشاء المعهد الموسيقى فى قطر فى الأول من أكتوبر عام ١٩٨٠ (الذى يعتبر اليوم العالمى للموسيقى والموسيقيين) أثره فى الارتقاء بالموسيقى العربية ، والاتجاه بها اتجاهاً قومياً يرعى تراث البلاد ، ويتدرج فى مبدأ تطبيق التربية الموسيقية .

المعهد الموسيقى القطرى

وقد شرح مدير المعهد الموسيقي القطري دور المعهد الذي يجمع بين عدة مراحل للتربية الموسيقية ، منها المرحلة الثانويةالتى تبدأ الدراسة فيها بعد الحصول على الشهادة الاعدادية مباشرة ، ولمدة ثلاث سنوات يحصل بعدها الطالب على الشهادة الثانوية الموسيقية والتى تعادل الثانوية العامة ، وقد تكفلت الدولة بارسال المتخرجين الى الخارج للحصول على البكالوريوس ثم الدراسات العليا .. ثم طلاب الدراسات الحرة المسائية للكبار ، الذين يقبلون على أساس المامهم بالقراءة والكتابة دون التقيد بسن معينة ، ويعد لهم منهاج تربوى تثقيفى كالتذوق والتاريخ الموسيقى والقواعد العامة والصولفيج ، ومادة الغناء الشعبى والعربى كالفلكلور القطرى الخليجى والعربى بصفة عامة كالموشحات والأدوار بالاضافة الى عزف الآلة .. وفى نهاية الدورة يحصل هؤلاء ـ المنتسبون على شهادات تقديرية فى المواد التى درسوها مع التقدير العام .

وأيضاً هناك دور هام جداً يؤديه المعهد لطلاب المرحلتين الابتدائية والاعدادية عن طريق الدروس المسائية .

وهذه المرحلة المؤثرة فى بداية تكوين وصقل المواهب قد أعد لها منهاج خاص لذلك ، حيث يتم التركيز على القواعد الموسيقية و «الصولفيج» وعزف الآلات المختلفة والغناء الشعبى والعربى بصفة عامة

ولقد وفرت الدولة لتحقيق مثل هذه الأهداف ، وانجاح هذه الخطط ، الكتب والآلات الموسيقية المجانية علاوة على صرف مكافأة شهرية تشجيعية للدراسات الصباحية وللاطفال . وقد تم أيضاً توفير المواصلات لنقل الطلاب من المعهد الى المنزل وبالعكس .

وأخيراً .. تبقى قضية الموسيقى والموسيقيين قضية عامة ، لا يمكن أن نلقى بأعبائها على المجمع الموسيقى ـ وحده ـ أو على بقية الوفود المشاركة فى هذه القضية .

انها قضية قومية تحتاج الى جهود واسعة حتى نصل بها الى الحل الواعي السليم .

مريم آل سعد

حوار مع الفائز بجائزة نوبل للآداب هذا العام

جابرييل جارسيه ماركيز

أجرى الحوار : بلينيو مندوزا
ترجمة عن الأسبانية : ماهر البطّوطي

في ٢١ اكتوبر ١٩٨٢ ، منحت الاكاديمية السويدية جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٨٢ للكاتب الكولومبي جابرييل جرسيه ماركيز ، وقالت في اسباب منحها له إن ذلك « من اجل رواياته وقصصه القصيرة التي يجمع فيها بين العنصر الوهمي والواقعي ، في عالم من الخيال المركب الثري الذي يعكس حياة قارة وصراعاتها » . وقال اعضاء الاكاديمية ان رواياته تذكرهم باعمال فوكنر وبلزاك العظيمة .

وقد ولد ماركيز في بلدة « اراكاتاكا » في شمال كولومبيا في مارس ١٩٢٨م ، ودرس الحقوق ، وعمل كاتباً ومراسلا صحفياً في عدة صحف اقليمية قبل ان يتفرغ تماماً للكتابة الروائية والقصصية ، متنقلا بين المكسيك واسبانيا وفرنسا . ظهرت اولى قصصه القصيرة عام ١٩٥٥ ، ولكن شهرته لم تبدأ إلا مع روايته الشهيرة « مائة سنة من العزلة » عام ١٩٦٧ . ومن مؤلفاته الاخرى : « الخطاب المنتظر » (١٩٥٨) ، « جنازة الام العظيمة » (١٩٦٢) ، «في ساعة نحس » (١٩٦٢) ، « خريف البطريرك » (١٩٧٥) ، « قصة موت معلن » (١٩٨١) . وقد ترجمت جل رواياته وبعض قصصه القصيرة إلى اللغة العربية . وهو قد منح الدكتوراه الفخرية من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة .

وهذه المقابلة الادبية اجراها معه صديقه الكاتب بلينيو مندوزا ونشرت في كتاب بالاسبانية عنوانه « رائحة الجوافة » في ابريل ١٩٨٢ .

● كيف بدأت الكتابة ؟

– بدأت الكتابة صدفة ، ربما لكي اثبت لأحد أصدقائي أن بامكان جيلي ان يخرج ادباء وبعد ذلك وقعت في فخ الاستمرار في الكتابة عن حب ، ثم الى درجة أن لم يعد هناك شيء أحب لدي في الدنيا من الكتابة .

● لقد قلت إن الكتابة لذة . وقلت أيضاً انها عذاب . أي الرايين تتبنى ؟

– كلاهما حق . حينما كنت مبتدئا مازال استكشف مهنة الكتابة ، كانت تمثل لي عملا بهيجا ، يكاد يكون غير مسؤول . اذكر في تلك المرحلة انني بعد انتهاء عملي في الجريدة حوالي الساعة الثانية او الثالثة فجراً ، كان بامكاني ان اكتب اربع او خمس ، بل حتى عشر صفحات كاملة ... وفي إحدى المرات ، كتبت قصة قصيرة في جلسة واحدة .

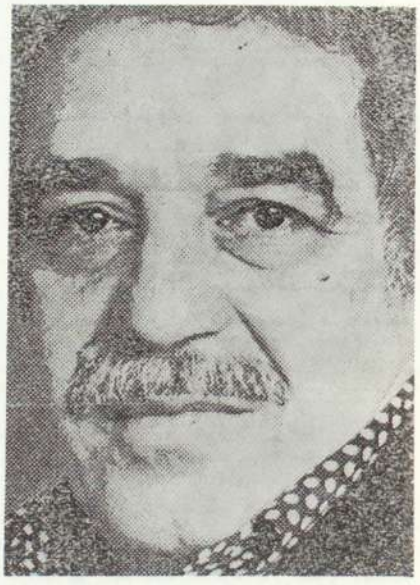
● والآن .

– الآن اعتبر نفسي محظوظا إذا استطعت كتابة فقرة جيدة في يوم كامل . لقد تحولت الكتابة عندي مع مرور الوقت إلى عذاب .

● لماذا ؟ في وسع المرء ان يعتقد انه مع زيادة سيطرتك الآن على المهنة بما اكتسبته من الخبرة ، ينبغي ان تصبح الكتابة لديك اكثر سهولة .

– إن ما يحدث حقا هو ان الشعور بالمسئولية يزداد ، إذ ان المرء يشعر ان كل حرف يكتبه له اثر اكبر الآن ، إذ يؤثر على عدد اكبر من الناس .

● ربما كان ذلك نتيجة للشهرة . هل تكره الشهرة ؟



الكاتب الكولمبي : جابرييـــل جرسيـــه ماركيـــز

ـ إنها تزعجنى . إن أسوأ ما يمكن أن يحدث لانسان غير مؤهل للنجاح الأدبى ، فى قارة غير مؤهلة لأن يكون لديها كتاب ناجحون ، هو أن تباع كتبه كما تباع الحلوى الرائجة . إننى أكره أن أتحول الى مشهد عام . إننى أكره التلفزيون والمؤتمـــرات والمحـــاضرات والمـــوائد المستديرة .

● والمقابلات الصحفية .

ـ أيضا . كلا ، إننى لا اتمنى النجاح لأحد ، إذ يحدث للمرء حينئذ ما يحدث لمتسلقى الجبال الذين يجاهدون للوصول الى القمة ، وبعد ذلك ، ماذا يفعلون ؟ الهبوط ، أو محاولة الهبوط بحذق ، باكبر قدر ممكن من الكرامة .

● حينما كنت فى مقتبل العمر تجاهد فى الحصول على الرزق من مهن أخرى كنت تكتب ليلا وتدخن كثيراً .

ـ اربعون سيجارة يوميا .

● والآن ؟

ـ الآن لا ادخن ، ولا اعمل إلا نهاراً من التاسعة صباحا حتى الثالثة بعد الظهر ، فى حجرة بلا ضوضاء وذات تدفئة جيدة . ان الأصوات والبرد يزعجانى .

● هل تزعجك الورقة حين تبقى بيضاء ؟

ـ أجل ، إن هذا أكثر الأشياء إيلاما بالنسبة لي بعد الخوف من الأماكن الضيقة . بيد أن هذا الألم انتهى بالنسبة لي بعد أن قرأت نصيحة لهمنجواى مفادها انه ينبغى عدم التوقف فى الكتابة إلا عند نقطة يعرف المرء عندها كيف يمضى قدماً فى اليوم التالى .

● وفى حالتك كيف تكون مثل هذه النقطة ؟

ـ أى صورة مرئية . أعتقد أن الكتاب ، لدى غيرى من المؤلفين يولد من فكرة ، من مفهوم . أما أنا ، فانى انطلق دائماً من صورة . لقد انبثقت قصة «غفوة الثلاثاء» التى اعتبرها أفضل قصصى القصيرة ، من رؤيا عن امراة وطفلة تتشحان بالسواد وتمسكان مظلة سوداء ، تسيران تحت شمس لافحة فى قرية مهجورة . ورواية «الأوراق الذابلة» من صورة شيخ يصحب حفيده الى ماتم . أما نقطة الانطلاق فى «الخطاب المنتظر» فهى صورة رجل ينتظر قارباً فى سوق قرية «بارانكيا» ، انتظار مع نوع من الهم الصامت . وبعد ذلك بسنوات وجدت نفسى فى باريس انتظر خطاباً ، وربما حوالة مالية ، بنفس اللهفة ، وتوحدت مع ذكرى ذلك الرجل .

● وما هى الصورة المرئية التى كانت نقطة الانطلاق لروايتك «مائة سنة من العزلة» ؟

ـ شيخ يصطحب طفلا ليرى الثلج الذى يعرض كاعجوبة فى السيرك .

● أكان ذلك جدك ، الكولونيل ماركيز ؟

ـ أجل .

● هل أخذت ذلك من الواقع ؟

ـ ليس مباشرة ، ولكنه مستلهم منه . أذكر اننى عندما كنت طفلا صغيراً فى «اراكاتاكا» حيث كنا نعيش ، اصطحبنى جدى لرؤية جمل فى السيرك . ومرة أخرى ، حينما قلت له اننى لم أر الثلج أبداً ، اصطحبنى الى معسكر شركة الموز الأمريكية ، وأمر بفتح صندوق من الفاكهة المثلجة جعلنى أضع يدى فيه . وقد انبثقت رواية «مائة سنة من العزلة» من هذه الصورة .

● إذن فقد جمعت بين ذكريات فى الجملة الأولى من الرواية . ماذا كان نصها ؟

ـ «بعد ذلك بسنوات عدة ، امام كتيبة الاعدام ، كان على الكولونيل «اورليانو بوينديا» أن يتذكر ذلك الأصيل القصي الذى اصطحبه فيه والده لاكتشاف الثلج» .

● إنك تعلق أهمية كبرى بصفة عامة على اول جملة فى الكتاب . وقد قلت مرة ان كتابة تلك الجملة تكلفك من المشقة أكثر مما يكلفك كتابة بقية الكتاب لماذا ؟

ـ لأن الجملة الأولى يمكن أن تكون المختبر الذى يعمل على تحديد عناصر كثيرة للاسلوب وللبناء الروائى بل وحتى يحدد مدى طول الكتاب .

● هل تستغرق منك كتابة رواية ما وقتاً طويلا ؟

ـ كتابتها فى حد ذاتها ، كلا ، بل إنها عملية اقرب الى أن تكون سريعة . فقد كتبت «مائة سنة من العزلة» فى سنتين أو اقل . بيد اننى امضيت افكر فيها خمسة عشر أو ستة عشر عاما قبل أن اجلس لكتابتها أمام الآلة الكاتبة .

● لقد امضيت فترة مماثلة تفكر فى رواية «خريف البطريرك» ولكن قل لي ، كم انتظرت قبل أن تكتب «تاريخ موت معلن » ؟

ـ ثلاثون عاماً !

● ولماذا كل هذا الوقت ؟

ـ حين وقعت احداث هذه الرواية ، فى عام ١٩٥١ ، لم تكن تثير اهتمامى بوصفها مادة لرواية بل كريبورتاج صحفى . ولكن هذا النوع الصحفى لم يكن منتشراً فى كولومبيا فى تلك الفترة ، وكنت صحفياً فى جريدة اقليمية لم تكن تعنيها هذه الحادثة ثم بدأت افكر فى ذلك الحدث كحبكة ادبية بعد ذلك بسنوات عدة ، ولكنى كنت احسب دائماً حساب الثورة التى يمكن أن تثيرها فى نفس أمى مجرد فكرة رؤية كل هؤلاء الأصدقاء ، بل وبعض الأقارب ، فى كتاب الفه احد أولادها . ورغم ذلك ، فاننى اعترف أن الموضوع لم يجتذبنى بعمق إلا حين اكتشفت ، بعد سنوات من التفكير ، العنصر الجوهرى فى الحادثة : وهو أن كلا القاتلين لم يكونا راغبين فى ارتكاب الجريمة ، وفعلا كل ما فى استطاعتهما كيما يمنعهما أحد ، بيد انهما لم يفلحا فى ذلك . وهذا فى المحصلة الأخيرة هو الشىء الجديد الحقيقى فى تلك الفاجعة الشائعة باستثناء ذلك ، فى كل أمريكا اللاتينية .

● ذكر همنجواى أن المرء ينبغى ألا يكتب عن موضوع لا متعجلا ولا متأخراً جداً . ألم يصعب عليك الاحتفاظ بقصة سنوات طويلة فى ذهنك دون الشروع فى كتابتها ؟

جابرييل جارسيه ماركيز

ـ فى الواقع ، لم تثر اهتمامى ابدا فكرة لا تصمد امام مر السنوات وهى تختمر فى رأسى . فاذا كانت الفكرة جيدة الى درجة تصمد معها السنوات الخمسة عشرة التى انتظرتها «مائة سنة من العزلة» او السنوات الستة عشرة التى مرت على رواية «خريف البطريرك»، او السنوات الثلاثين التى اختمرت فيها فكرة «وقائع موت معلن» ، فلا يبقى امامى مناص من كتابتها .

● او تكتب ملاحظات عن الرواية ؟

ـ مطلقا ، عدا بعض نقاط العمل . لقد علمتنى التجربة انه عندما يحتفظ المرء بملاحظات عن رواية يؤلفها ، ينتهى به الأمر الى التفكير فى هذه الملاحظات وليس فى الرواية .

● وهل تصحح ما تكتب كثيرا ؟

ـ لقد تغير عملى فى هذا المقام كثيرا . فحينما كنت فى مقتبل العمر ، كنت اكتب فى انطلاق ، وانتهى من كتابة صفحات ثم اعود لتصحيحها . اما الآن فانى امضى مصححا سطرا بسطر اثناء الكتابة ، بحيث انه عند نهاية اليوم يكون عندى صفحة كاملة دونما تصحيحات او شطب ، تكاد تكون جاهزة للمطبعة .

● وهل تمزق اوراقا كثيرة ؟

ـ كمية هائلة . فمثلا ، ابدا فى كتابة صفحة على الآلة الكاتبة .....

● دائما على الآلة الكاتبة ؟

ـ دائما . آلة كاتبة كهربائية . وحينما اخطىء او لا تعجبنى الكلمة المكتوبة ، او لمجرد وقوع خطا مطبعى ، فانى اطرح الورقة كلها جانبا ، وابدا ورقة اخرى . ويمكن احيانا ان استهلك خمسمائة ورقة كيما اكتب قصة من اثنتى عشرة صفحة . وهذا يعنى اننى لم استطع ان اتغلب على الهاجس الذى يجعلنى اؤمن ان خطا مطبعيا يبدو لي خطا فى الابداع .

● ثمة كثير من الادباء لديهم حساسية ضد الآلة الكاتبة الكهربائية . وانت ، الست كذلك ؟

ـ كلا ، إننى على درجة من الوفاق معها الى حد لا استطيع معه إلا الكتابة عليها . وبصفة عامة ، اعتقد ان المرء يكتب افضل حين تتاح له وسائل راحة تامة . لا اؤمن بالأسطورة الرومانسية التى تقول ان على الكاتب ان يجرب الجوع والحرمان والبؤس كيما ينتج . إن المرء يكتب افضل حينما ياكل جيدا وحينما يكتب على آلة كاتبة كهربائية .

● نادرا ما تتحدث فى مقابلاتك الصحفية عما تكون بصدد تاليفه . لماذا ؟

ـ لان ما اكون بصدد كتابته يكون جزءا من حياتى الخاصة . والحقيقة اننى لا اتعاطف مع الادباء الذين يقصون فى مقابلاتهم الصحفية حبكات كتابهم المقبل ، فهذا دليل على ان الامور لا تجرى على هواهم ، فيتعزون بان يحلوا فى الصحافة المشاكل التى لم يستطيعوا حلها فى القصة

● ولكنك فى مقابل ذلك معتاد على التحدث كثيرا عن كتبك التى فى مرحلة الخلق مع اصدقائك المقربين .

ـ اجل ، فاننى حين اكون بصدد كتابة شىء اتحدث كثيرا عنه ، فهذه طريقة لاكتشاف مواطن القوة والضعف فيه ، طريقة الجا اليها لاسترشد الطريق فى الظلمة .

● انك تتحدث عنه كثيرا ، ولكنك لا تعرضه ابدا على احد .

ـ مطلقا . إننى اتجنب ذلك الى حد التطير . اننى اؤمن ان المرء فى مجال العمل الادبى ، يكون وحيدا دائما ، كما لو كان غريقا فى وسط البحر . اجل ، إن الكتابة اكثر المهن عزلة فى العالم ، فلا احد بامكانه مساعدة المرء فى كتابة ما يكتب .

● اى الاماكن بالنسبة اليك هو المكان المثالى للكتابة ؟

ـ جزيرة مهجورة فى الصباح ، ومدينة صاخبة فى الليل . ففى الصباح احتاج الى الهدوء ، وفى الليل قليل من الشراب والاصدقاء المقربين لتجاذب اطراف الحديث . إننى احس دائما بالحاجة الى التواصل مع الناس فى الطرقات ، وان اكون مطلعا باستمرار على الاحداث .

● فلنتحدث عن جانب الصنعة فى مهنة الكتابة . هل تستطيع ان تذكر لي تجربتك فى هذا الميدان ومن كانوا ذوى فائدة لك ؟

ـ بادىء ذى بدء : جدى ، فقد كان يحكى لي اشد الاشياء هولا دون اى انفعال ، كما لو كانت اشياء راها لتوه . واكتشفت ان هذه الطريقة الهادئة وذلك الثراء فى التصوير هما اكثر ما يسهم فى اضفاء طابع الواقع على حكاياته . وقد استخدمت نفس طريقة جدى فى كتابة «مائة سنة من العزلة» .

● هل كانت تلك الطريقة هى التى دعتك الى اكتشاف انك ستصبح كاتبا ؟

ـ كلها ، لقد جاء ذلك من «كافكا» ، الذى يقص الاشياء بنفس طريقة جدى . وحين قرات فى السابعة عشرة من عمرى قصته «المسخ» اكتشفت اننى ساصبح كاتبا . فحينما رايت ان بالامكان ان يستيقظ «جريجورى سامسا» من نومه ذات صباح ليجد نفسه وقد تحول الى خنفسة هائلة ، قلت لنفسى : «لم اكن اعرف انه يمكن كتابة مثل هذا . ولكن ، إذا كان الامر كذلك ، فالكتابة شىء يهمنى» .

● لماذا لفتت هذه القصة انتباهك الى هذا الحد . امن اجل الحرية فى ابتكار اى شىء ؟

ـ ذلك اننى ادركت انه يوجد فى ميدان الادب امكانيات اخرى غير العقلانية الاكاديمية التى كانت كل ما اعرف انذاك من كتب المدرسة لقد كان الامر كما لو اننى تخلصت من قيد على حريتى . ورغم ذلك فقد اكتشفت بمر الزمن انه ليس بامكان المرء اختراع او تخيل اى شىء يتوق اليه ، لانه يخاطر فى هذه الحالة بكتابة اكاذيب ، والاكاذيب اخطر فى ميدان الادب منها فى ميدان الحياة . ففى نطاق الخيال والابتكار ، هناك قوانين . وفى إمكان المرء ان ينزع عنه ورقة العقلانية ، على شريطة الا يقع فى الفوضى فى اللاعقلانية التامة .

● فى الفانتازيا .

ـ اجل فى الفانتازيا . إننى اؤمن بان الخيال ما هو إلا اداة لكشف تفاصيل الحقيقة . بيد ان نبع الابداع هو الواقع اولا واخيرا ، او الحقيقة . والفانتازيا ، او الاختراع الكامل التام ، على طريقة «والت ديزنى» ، دون اى سند من الواقع ، هى اشد الاشياء مقتا فى الادب . اذكر ذات مرة انى اعتزمت تاليف كتاب لقصص الاطفال ، وارسلت اليك قصة «بحر الزمن المفقود» كمثال ، وانك ذكرت لي بصراحتك المعهودة

انها لم تعجبك ، ربما لان الفانتازيا لا تنجح فى نقل اى شىء اليك . ولكن تلك الحجة هدمت مشروعى ، ذلك لأن الفانتازيا لا تعجب الأطفال ، وإنما ما يبهرهم حقاً هو الخيال ، والفرق بين الاثنين هو الفرق بين الانسان وبين الدمية الناطقة .

● وبعد كافكا ، ممن استفدت فى مهنة الكتابة ؟

ـ همنجواى .

● رغم انك لا تعتبره روائياً عظيماً .

ـ أجل ، بيد أننى أعتبره قصاصاً ممتازاً وممتازة هى نصيحته بأن القصة ينبغى ، مثلها مثل جبل الثلج فى المحيط ، أن تستند على الجزء غير المرئى من الجبل : فى الدراسة ، والتأمل ، والمادة المجموعة وغير المستخدمة مباشرة فى القصة . أجل إن همنجواى يعلم المرء كثيراً من الأشياء ، بما فى ذلك معرفة الكيفية التى تدور بها القصة فى أحد المنعطفات .

● وقد تعلمت أيضاً من جراهام جرين ، أليس كذلك ؟

ـ أجل ، لقد تعلمت من جرين كيف أفك رموز الأماكن المدارية وأسرارها . فمن أشق الأشياء على المرء الفصل بين العناصر الجوهرية من أجل الخروج بتركيبة شعرية فى جو يعرفه أكثر من اللازم ، لأنه فى هذه الحالة يعرف كثيرا إلى درجة لا يعرف معها أين يبدأ ، ويكون لديه الكثير مما يقول حتى ينتهى به الأمر إلى عدم القدرة على قول شىء . وكانت هذه هى مشكلتى مع الأجواء المدارية . لقد قرأت باهتمام شديد خريستوف كولومبس وبيجافيتا ، وغيرهما من مؤرخى جزر الهند الغربية ، ممن لديهم رؤيا أصيلة ، وقرأت سالجارى ، وجوزيف كونراد ، وغيرهما من الكتاب « المداريين » فى أوائل هذا القرن ممن تحلوا بمقاليد الحداثة ، وغيرهم كثيرين ، ووجدت أن هناك مسافة كبيرة جداً تفصل بين رؤياهم وبين الحقيقة . فالبعض يقع فى شرك تعداد الأشياء ، والآخر فى شرك البلاغة والخطابة . وقد حل جراهام جرين هذه المشكلة الأدبية ببراعة : بعناصر قليلة متفرقة ولكن يجمعها تماسك ذاتى دقيق وواقعى . وبهذه الطريقة ، يمكن إخضاع لغز المدار كله لعبير الثمار .

● هل أفادتك الصحافة فى عملك الأدبى

ـ أجل ، لقد علمتنى الصحافة طرقاً ووسائل لاضفاء الشرعية على قصصى . ومثال ذلك : قيام الأب « رينا » باحتساء فنجان من الشيكولاته الساخنة قبل أن يرتفع عشرة سنتيمترات من على سطح الأرض فى رواية « مائة سنة من العزلة » ، فهذا من أثر التدقيق الصحفى ، وهو نافع جداً فى السرد الروائى .

● لقد كنت دائماً من المتحمسين للفن السينمائى ، فهل أفادك فى عملك الروائى ؟

ـ فى حالتى ، كانت السينما نعمة ونقمة فى آن واحد . أجل ، لقد علمتنى أن أرى عن طريق الصور . بيد أننى أدرك الآن أن هناك فى جميع كتبى السابقة على « مائة سنة من العزلة » نهجاً غير متوازن من التشخيص المرئى للشخصيات والمشاهد ، بل وحتى هوساً بايضاح وجهات النظر والاطارات .

● انك تقصد دون شك رواية «الخطاب المنتظر» .

ـ أجل ، إنها رواية يماثل أسلوبها السيناريو السينمائى . ان حركات الشخصيات كانما وراءها كاميرا سينمائية وحين أعود إلى قراءة الكتاب ، أرى الكاميرا وراءه . واليوم ، أرى أن الحلول السينمائية تختلف عن الحلول الأدبية .

● لماذا لا تعلق أهمية كبيرة على الحوار فى رواياتك ؟

ـ ذلك لأن الحوار يبدو زائفاً فى اللغة الاسبانية . لقد ذكرت دائماً أن هناك فرقاً شاسعاً فى تلك اللغة بين الحوار الشفوى والحوار المكتوب . فالحوار الجيد فى الحياة الواقعية لا يلزم أن يكون جيداً فى الروايات ، ولذلك فانى لا ألجأ إليه الا قليلا .

● قبل أن تشرع فى كتابة رواية ما هل تعلم تماماً ما سيحدث لكل شخصية من شخصياتها ؟

ـ بطريقة عامة فحسب ، ففى سياق الكتابة ، تقع أحداث غير متوقعة . فمثلا ، كانت أول فكرة كونتها عن شخصية الكولونيل « أورليانو بوينديا » فى « مائة سنة من العزلة » ترسم شخصية محارب قديم فى حروبنا الأهلية مات وهو يبول تحت شجرة .

● ذكرت لى زوجتك أنك تألمت كثيراً حين ماتت تلك الشخصية فى روايتك

ـ أجل ، كنت أعلم أنه ينبغى أن أجعله يموت يوماً ما ، ولم أكن أجرؤ على ذلك . كان الكولونيل قد هرم بالفعل وهو مشغول بصنع أسماكه الذهبية . وقلت ذات أصيل « الآن أجل ، قد انتهى بالفعل ! » كان على أن أجعله يموت . وحين انتهيت ذلك الفصل صعدت وأنا أرتجف إلى الدور العلوى حيث كانت زوجتى . وأدركت هى ما حدث من مجرد النظر الى وجهى ، وقالت : « لقد مات الكولونيل » . أما أنا فقد رقدت فى السرير وطفقت أبكى ساعتين .

● ما هو الالهام بالنسبة إليك ؟

ـ إن الالهام كلمة أفقدها الرومانسيون معناها . إننى لا أنظر إليه على أنه حالة من حالات التجلى ولا نسمة إلهية ، بل على أنه توفيق مع الموضوع عن طريق العناد والسيادة عليه . حين يود المرء أن يكتب شيئاً ، ينشأ نوع من التوتر المتبادل بينه وبين الموضوع ، بحيث يستحثه الموضوع فى نفس الوقت . وثمة لحظة تنهار فيها كل العوائق ، وتبتعد فيها كل الصراعات ، وتقع للكاتب أحداث لم يحلم بها ، وحينئذ لا يكون هناك فى الحياة أفضل من الكتابة . هذا هو ما أدعوه بالالهام .

● هل يحدث لك أحياناً أن تفقد تلك الحالة فى سياق وضع كتاب من الكتب؟

ـ أجل ، وحينئذ أعود لأنظر فى كل شىء منذ البداية . إنها تلك الأوقات التى أدور فيها فى البيت باحد الأزاميل أصلح به الأقفال ودوائر الكهرباء ، وأدهن الأبواب باللون الأخضر ، ذلك أن العمل اليدوى يساعد أحياناً على قهر الخوف من الحقيقة .

● أين يكمن العيب فى العمل الأدبى ؟

ـ إنه يكمن بصفة عامة فى البناء .

● هل يصبح أحياناً مشكلة خطيرة ؟

ـ خطيرة إلى درجة ترغمنى على البدء من جديد . لقد أوقفت العمل فى « خريف البطريرك » فى المكسيك عام ١٩٦٢ بعد أن انتهيت من كتابة حوالى ٣٠٠ صفحة ، ولم أبق بعد ذلك على أى شىء منها سوى اسم البطل . وقد استأنفت كتابتها فى عام ١٩٦٨ فى برشلونة ، وعملت فيها كثيراً خلال ستة أشهر ثم أوقفت العمل فيها مرة ثانية لأن بعض جوانب القيم الأخلاقية للبطل لم تكن واضحة تماماً . وبعد ذلك بسنتين ، اشتريت كتاباً عن الصيد فى افريقيا لأن المقدمة التى كان قد كتبها همنجواى للكتاب أثارت اهتمامى . ولم تكن

المقدمة بذات شأن ، ولكنى مضيت قدماً اقرأ الفصل الخاص بالأفيال ، وكان يكمن فيه حل الرواية . لقد كانت بعض عادات الأفيال تفسر تماماً القيم الأخلاقية للبطل .

● هل صادفت مشاكل أخرى عدا تلك المتعلقة بالبناء الروائى ونفسية الشخصية الرئيسية ؟

– أجل . لقد مر على وقت اكتشفت فيه شيئاً خطيراً ، فقد عجزت عن اشاعة جو الحرارة فى المدينة التى اصفها فى روايتى. كان ذلك خطيراً ، لأن الأمر كان يتناول مدينة من مدن البحر الكاريبى تسودها حرارة خانقة .

● وكيف حللت تلك المشكلة ؟

– الحل الوحيد الذى خطر لي هو السفر مع أسرتى بكاملها إلى الكاريبى . ذهبت اتنقل هناك حوالى سنة دون أن افعل شيئاً وحين عدت إلى برشلونة حيث كنت اكتب الرواية ، زرعت بعض النباتات ، واشعت بعض الروائح ، ونجحت اخيراً فى أن أجعل القارىء يحس بحرارة المدينة . ثم انتهيت من الرواية دون مزيد من العثرات .

● ماذا تفعل حين يكون الكتاب الذى تسطره على وشك الانتهاء ؟

– افقد اهتمامى به كلية . وكما قال همنجواى ، إنه يكون حينذاك كالأسد الميت .

● قلت ذات مرة أن كل رواية جيدة هى تحويل للواقع .

– أجل ، إنى أؤمن أن الرواية تصوير رمزى للحياة ، نوع من النبوءة . والواقع الذى تعالجه الرواية يختلف عن الواقع فى الحياة ، رغم أنه يستند إليه ، كما يحدث فى الأحلام .

● لقد أطلق النقاد على معالجة الواقع فى كتبك ، خاصة فى «مائة سنة من العزلة» و « خريف البطريرك» ، اسم الواقعية السحرية . وإني أعتقد أن قراءك الأوربيين يشعرون بسحر الأشياء التى تقولها بيد أنهم لا يرون الواقع الذي يلهمها ..

– هذا صحيح ، لأن عقلانيتهم تمنعهم من فهم أن الواقعية لا تكمن فى أسعار الطماطم أو البيض . إن الحياة اليومية فى أمريكا اللاتينية ترينا أن الواقع مليء بالأشياء الخارقة للعادة . ومن عادتى فى هذا المقام أن أشير الى المكتشف الأمريكى « دى جراف » الذى قام فى أواخر القرن الماضى برحلة عجيبة فى عالم الأمازون ، رأى أثناءها مرة نهراً تغلى مياهه ، ومكاناً يؤدى صوت الانسان فيه إلى سقوط أمطار غزيرة وقد حدث مرة فى الطرف الجنوبى الاقصى من الأرجنتين أن أطارت الرياح القطبية سيركاً بحاله فى الهواء ، وفى اليوم التالى كان الصيادون فى تلك المنطقة يستخرجون بشباكهم جثثاً للنمور والأسود ! وفى قصتى القصيرة « جنازة الأم العظيمة » أحكى قصة رحلة مستحيلة للبابا إلى ضيعة فى كولومبيا ، وأذكر أننى تعمدت أن أصف رئيس الجمهورية الذى استقبل البابا على أنه أصلع وربع القامة حتى يكون مختلفاً تماماً عن رئيس كولومبيا فى ذلك الوقت وكان نحيلا طويلا . وبعد مرور احدى عشرة سنة على القصة ، ذهب البابا إلى كولومبيا وكان رئيس الجمهورية الذى استقبله ربع القامة كما فى القصة ! . ويكفى الاطلاع على الصحف لاثبات أن ثمة احداثاً خارقة للعادة تقع بيننا كل يوم وانى أعرف أناساً ريفيين بسطاء قرأوا « مائة سنة من العزلة » بسرور وتفهم عظيمين ، دون أى استغراب من أحداثها ، لأنى لا أقص فيها أى شيء غريب عن الحياة التى يعيشونها بالفعل .

● إذن فكل ما تضع في كتبك له أساس فى الحياة الواقعية ؟

– لا يوجد في رواياتي سطر واحد لا يستند إلى واقع .

● أأنت متأكد من ذلك ؟ فى رواية «مائة سنة من العزلة» تقع أحداث خارقة تماماً . فمثلا هناك «ريعيديوس» الجميلة التى تصعد إلى السماء ، وهناك الفراشات الصفراء التى تحوم حول « ماوريسيو بابيلونيا » على الدوام .. الخ .

– كل ذلك له أصل فى الواقع .

● مثلا ؟

– مثلا : « ماوريسيو بابيلونيا » . فى بلدة « أراكاتاكا » ، حين كان لدى من العمر خمس سنوات ، حضر إلى منزلنا مرة كهربائى لتغيير العداد . اننى أذكره كما لو كان بالأمس ، لأن طريقته فى ربط نفسه إلى العواميد حتى لا يقع بهرتنى . وقد عاد إلى منزلنا مرات عديدة . وفى مرة من هذه المرات ، وجدت جدتى تهش فراشة بقطعة من القماش وهى تقول : « دائماً حين يأتى هذا الرجل الى البيت تأتى معه هذه الفراشة الصفراء » . وكان ذلك نواة تلك الشخصية .

● نعود مرة أخرى إلى المؤثرات إنك تذكر دائماً تأثرك بعدد من الكتب منها «أوديب ملكاً» لسوفوكل

– « أوديب ملكاً » ، و « أماديس الغالى » و « لا ثاريو دى تورمس » و « يوميات الطاعون » لدانييل ديفو و « أول رحلة حول الأرض » لبيجافتا .

● ومن من الكتاب تعيد قراءة أعمالهم بصفة مستمرة ؟

– جوزيف كونراد وسانت اكسبرى . وماذا عن تولستوى ؟

– لا أحتفظ بشيء منه ، غير اننى مازلت أؤمن أن أفضل رواية كتبت قاطبة هى روايته « الحرب والسلام » .

● بيد أن أحداً من النقاد لا يكتشف أثر هؤلاء الكتاب فى مؤلفاتك .

– لقد حاولت فى الواقع ألا أبدو أي أحد . وبدلا من أن أقلد ، أحاول دائماً أن اتفادى الكتاب الذين أحبهم أكثر .

● ولكن النقاد يرون دائماً ظل فوكنر دائماً فى أعمالك .

– ان النقاد يحددون المؤثرات بطريقة لا أفهمها . وفى حالة فوكنر ، أعتقد أن التشابه هو فى الأماكن الجغرافية عنه فى الطرق الأدبية . لقد اكتشفت فوكنر بعد مدة طويلة من كتابة أولى رواياتى ، حين كنت أرتحل عبر جنوب الولايات المتحدة . ان ما رأيت من القرى الحارقة المفعمة بالأتربة ، والناس اليائسين ، يشبه المناظر التى أرسمها فى قصصى .

● وعكس حالة فوكنر معك هو أثر فرجينيا وولف ، فليس هناك غيرك من يعترف بهذا الأثر .

– ما كنت لأصبح الكاتب الذى أنا عليه الآن لو لم أقرأ منذ عشرين سنة عبارة فى رواية فرجينيا وولف « مسز دالواى » حولت تماماً شعورى وفكرى عن الزمن .

● ومن هم البقية فى قائمة مؤلفيك المفضلين ؟

– آرثر رامبو ، وفرانز كافكا ، وشعراء القرن الذهبى الاسبان ، ثم موسيقى الحجرة من شومان إلى بيلا بارتوك .

● ونيرودا ؟

– بالطبع ، نيرودا ، الذى أعتبره أعظم شاعر فى القرن العشرين وفى كل اللغات .

ترجمه عن الأسبانية
ماهر البطوطى

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● شخصية الأستاذ شهاب ● ● العبقرية والوراثة والجنون ● ● ● العامية والعربية: ألفاظ صحيحة ، فلماذا لا نستعملها؟ ● ● ● ● تبسيط اللغة الانجليزية واهتمام الانجليز بنشرها .

شخصية الأستاذ شهاب

هو عبد السلام بن حسنين بن شهاب ابن شامة البشبيشي . واصل الدراسة فى الأزهر الشريف حتى اشرف على امتحان العالمية فتكاسل عنه . والتحق بفرقة تمثيلية يؤلف لها الأغاني والأناشيد ، وكان جمهور هذه الفرقة خليطاً من الناس ذوي المشارب المتباينة والأذواق المختلفة ، فكانوا جميعاً يجدون ما يرضون عنه فيما كانوا يسمعون . ثم شارك حلاقا فى صالون ، لعبا براس ماله في «اليانصيب» فلم تصبهما ثروة ، فالتقطه واحد من أصحاب المجلات الأسبوعية كان يدير تجارة إلى جانب المجلة فعمل الاستاذ شهاب في التجارة وفي المجلة حتى رأى صاحبه يسلمه يوماً لواحد آخر من أصحاب المجلات الأسبوعية ، ولم يعلم انه باعه له بالمال إلا بعد زمن طويل ، وانتقل من المجلة القديمة إلى المجلة الجديدة يكتب فيها شعراً وزجلا ونثراً مما يعيه الشعب ويفهمه ويتلذذ به ، وهو ماكث في «الادارة» لا يخرج منها ، يعمل ويأكل وينام على المكتب ... ثم طرأ له أن يخرج يوماً فخرج وغاب ولم يعد ، فدار صاحب المجلة يبحث عنه فى الأقسام والمستشفيات وهو يتلهف عليه ، يقول : يا عالم إنه لا يعرف الطرق ولا الشوارع. ولكنه كان قد عرف الطرق والشوارع ومن بينها شارع الأمير قدادار ، وهو الطريق إلى دار الهلال التى يعمل فيها الآن محرراً لاحدى المجلات التى تصدرها ، يكتبها بعد أن يجمع له المندوبون معلوماتهم ، من أولها إلى آخرها .

وهو أزهد من رأيت في الجاه والشهرة ، وأقدر من رأيت في الحكم على النفوس ، وأقوى من رأيت في إقامة الحق إذا أراد إقامته ، وفي إزهاقه إذا أراد إزهاقه ، وأشد من رأيت استسهالا للعبث بعقول الناس ، فهو يبدأ يقص عليك القصة ، فلا تلبث بعد أن يقطع معك مرحلة طويلة فيها أن تفيق فتجد نفسك قد سمعت كلاماً كثيراً مرتبطة اجزاؤه بعضها إلى بعض ، ولكنه ذاهب إلى حيث لا تدري ؛ فاذا احببت أن تعود أدراجك إلى بدايته لم تعرف كيف تروح معه ولا كيف تجيء .

يشترط عليه الأستاذ إميل بك زيدان إذا أراد أن يحادثه في أمر أن يمتنع عن مناقشته فيه ، لا لشيء ، إلا لأنه جرب مرات ومرات أن مناقشة الأستاذ شهاب تنتهي عادة بأن تقر دار الهلال نقيض ماتريده ، وما تكون قد أعدت العدة له .

من آرائه أن اللحم سيد الطعام ، وأن أسعد الناس هم سكان التكايا ؛ وأن الاستاذ محمود حسن اسماعيل شاعر قبطي بدليل الرهبان والصلبان والأجراس التى ترن فى شعره كثيراً ، وأن طلبة كلية التجارة يجب عليهم أن يقضوا مدة للتمرين فى المذبح ، وعند أبي ظريفة وغيره من تجار الفول ، على أن لا تزيد مدة التمرين هذه على ثلاثة شهور يعطى الطلبة بعدها دبلوم التجارة ليغزوا هذين الميدانين من ميادين التجارة القومية الرابحة ربحاً مؤكداً ومركباً ايضاً ؛ وغير ذلك له آراء كثيرة كم اختلستها منه ونشرتها منسوبة إلي في (الرسالة) ، فاعجبت من قراها .

عزيز أحمد فهمي
١٩٤٠

ملحوظة :

عزيز أحمد فهمي كاتب عربي مصري لامع توفى منذ أكثر من عشرين سنة بائساً يائساً فقيراً رغم مواهبه اللامعة أما عبد السلام شهاب فقد توفى منذ سنوات قليلة ، وقد قادته رحلة الحياة الأدبية والصحفية إلى العمل المستقر كمحرر فى جريدة الأهرام ، وانتهت حياته بعد أن تمكن من بناء بيت صغير فى مدينة الصحفيين فكانت نهايته أسعد من عزيز أحمد فهمي من الناحية الشخصية ... أما من الناحية الأدبية ، فعزيز فهمي وعبد السلام شهاب معاً لا يختلفان فى أن آثارهما الأدبية ضائعة مبددة لم تجمع حتى الآن .

العامية والعربية

ألفاظ صحيحة فلماذا لا تُستعمل؟

بقلم: إبراهيم عبد القادر المازني

يتوهم كثيرون من الناس أن اللغة العامية ليست من العربية في شيء، ولهذا يحرصون، حين يكتبون، على الفرار من ألفاظها، ويذهبون يتكلفون، فتكون النتيجة الإغراب والمباعدة ما بين الكاتب والقارىء، ومن أجل هذا استفاض الاعتقاد بأن لغة الكتابة غير طبيعية، ومن هنا ظهرت الدعوة إلى اتخاذ العامية في الكتابة، ليفهم الناس بغير مشقة، ولو أن العامية دُرِسَتْ لما كان لهذا كله محل، وقد سمعت أن المرحوم أحمد تيمور باشا وضع معجماً للغة العامية ردها فيه إلى أصولها العربية، ولكنه لم ينشر، ولا علم لي بما كان من أمره.

وقد عثرت في مطالعاتي على مئات ومئات من الألفاظ العربية يستعملها العامة وإن كانوا يحرفونها قليلا في النطق، وسأورد في هذا الفصل طائفة منها بلا ترتيب على سبيل التمثيل ليرى القراء أن اللغة العامية جديرة بالعناية وأن اتقاء ألفاظها كلها خطأ، أو جهل، وقد جريت فيما أكتب، على استعمال الصحيح من الألفاظ العامية، واكتفيت بذلك. ولكني أرى الآن أن التنبيه واجب مخافة أن يعتقد بعض القراء أن هذا مني عن خطأ لا عن عمد.

فمن ألفاظ الطعام وما إليه:

الدُقَّة ـ الملح مع ما خلط به من الأبزار أو الملح المدقوق.

العُجَّة ـ الدقيق المعجون بالسمن ثم يشوى أو يقلى، والعامة على عجة البيض.

الكَباب ـ اللحم المشرح.

الوجبة ـ الأكلة.

السُّفرة ـ المائدة.

القصعة ـ الجفنة.

السُّخام ـ السواد الذي يكون على آنية الطبخ من فعل النار.

الطاجن ـ إناء من خزف يقلى فيه الطعام.

العصيدة ـ طعام معروف في مصر، من دقيق وسمن.

البرمة ـ والبرام ـ قدر، وهو مشهور.

عقد السكر ـ طبخه حتى ثخن.

الشريحة ـ اللحمة المرققة.

الهبرة ـ من اللحم البضعة لا عظم فيها، وَهَبَرَ اللحم اقتطع منه قطعة كبيرة.

التسميط ـ في رأس الخروف وغيره كَشْط الشعر عن الجلد لطبخه في الماء.

اللَّهْوَجَة ـ لهوجت الطعام لم تنضجه، والعامة تستعمل اللفظ مجازياً.

شاط الطعام وشاطت آنية الطبخ، احترق. سغسغت الطعام أوسعته دسماً وأكثرت من السمن فيه.

سلق اللحم ـ طبخه في الماء.

طبخ ومشتقاته معروفة.

وهذه كلها ألفاظ عربية، يستعملها أعرق الناس في العامية. ومن قبيلها أيضاً في غير هذا الباب:

الحُلوان ـ ما تجعله للرجل من الأجر على عمل يؤديه لك.

المصوصة ـ الفتاة المهزولة.

الزغزغة ـ الدغدغة.

الزعر ـ قلة الشعر، فهو أزعر، ويستعمل للذيل عند العوام.

صوفة القفا ـ الشعر السائل في نقرته

الشعر المفلفل ـ إذا كان شديد الجعودة.

المدرِك ـ الغلام بعد الاحتلام

فروة الرأس ـ الجلدة.

لَبَّد شعره ـ ألزقه بشيء.

تكرش الوجه ـ تقبض جلده.

العمش ـ ضعف البصر، والرجل أعمش.

عظمة اللسان ـ ما فوق أصله

الحنك ـ سقف أعلى الفم.

الوِرْك كالوَرِك ـ معروف.

الحُق ـ مغرز رأس الفخذ في الورك.

الركبة ـ ملتقى الساق والفخذ.

تَشَيْطَنَ الرجل ـ فعل فعل الشياطين

الديوث ـ الذي يغضي على ما يرى من هنات أهله.

الدردبة ـ الجرى الذي فيه دَبٌّ.

الموالسة ـ المخادعة.

المَذَّاع ـ الكذاب، والعامة تستعملها بالزاي.

البرطمة ـ كلام الغضبان.

البرجمة ـ غلظ الكلام.



الدندنة ـ الكلام أو الغناء بصوت خفيض .

الدبدبة ـ صوت كوقع الحوافر على الصلب من الأرض .

الطقطقة ـ الاسم من طق ، حكاية لصوت الحجر .

بجم ـ سكت من عى أو فزع أو هيبة

فَرْشح الرجل ـ أصله أن يثب وثبا متقاربا ، وصار يستعمل للمباعدة بين الساقين .

نهج ـ تتابع نفسه من الاعياء والتعب .

السكة ـ الطريق .

أكتنّ الرجل ـ صار فى كُنٍّ .

تَرَبَّعَ ـ جمع قدميه فى جلوسه ووضع احداهما تحت الأخرى .

السلفتان ـ امراتان تتزوجان أخوين

تَفَرْعَنَ ـ صار ذا فرعنة ، أى نكر .

جهاز العروس ـ ما تحتاج إليه فى زواجها .

العَزَبَة ـ التى لا زوج لها .

سَبَّعَ ـ أقام سبعاً .

الخيش ـ نسيج خيوطه غلاظ ، ويكون من مشاقة الكتان ، والمشاقة أيضاً صحيحة .

تلفح ـ بمعنى تلحف ، والتفع أيضا والعامة تستعمله على حقيقته وعلى المجاز .

العباية ـ كالعباءة تماما .

اللاذة ـ تكون من الحرير ، والعامة تستعملها للقطعة من الحرير يلفونها على الرأس .

الكنار ـ للثوب شقة منه تكون فى طرفه .

القطيفة ـ هى المخمل .

الملاءة والملاية ـ الربطة التى تستتر بها المرأة فى خروجها .

البرنس ـ ما يلبسه المرء بعد الاستحمام .

الفوطة ـ وجمعها فوط ، معروفة .

المنديل ـ معروف أيضاً .

الطُّرْطُور ـ القلنسوة الطويلة .

التكّة ـ رباط السراويل ، وجمعها تِكك .

قَوَّرَ القميص ـ جعل له جيبا .

الدرابزين ـ للسلم ، معروف .

البطانة ـ للثوب خلاف الظهارة .

الخياطة ـ للثياب .

الشل ـ الخياطة الخفيفة ، فى أول الأمر .

كفّ الثوب ـ خاط حاشيته .

الكُفَّة ـ ما استدار حول الذيل .

ثوب مهندم ـ مضبوط .

الهدم ، والجمع هُدوم ـ الاكسية .

دعك الثوب ـ ألان خشونته ، والعامة تستعمله على المجاز .

السخْتيان ـ جلد الماعز .

القَبقاب ـ نعل من خشب ، والعامة تضم أوله .

الصندل والصندلة ـ شبه حذاء ، والفعل تصندل .

الشىء المسيخ ـ الذى لا حقيقة لطعمه .

الفطور ـ ما يفطر عليه المرء فى العادة أو بعد الصيام .

القرن ـ ناحية الهامة

المفرطح ـ العريض .

السِّقط ـ الولد يوضع لغير تمام .

الطلق ـ وجع الولادة .

الأجرد ـ الذى لا شعر عليه ، والعامة تقول الأجرود .

نَسَل الشعر والصوف والريش وغيره ـ سقط .

البعبعة ـ تتابع الكلام فى عجلة وبصوت أجش .

الصُّفارة ـ كالزمارة .

كركر ـ وقرقر ـ رفع صوته بالضحك هاها ـ قهقه .

● ● ●

وهناك آلاف من الألفاظ اهملتها لأنه لا خلاف على صحتها ، مثل المرود ، والمكحلة ، والمشط ، والضفيرة ، واللحاف ، والزر ، والعروة والكم ، والابرة ، الخ الخ ، وقد أهملت هذا الضرب لأنى أردت أن أسوق الألفاظ التى يتوهم الناس أنها غير عربية ، وسأورد طائفة أخرى فى فصل غير هذا. ولو عنى رجال المجمع الملكى للغة العربية بمثل هذا البحث لأراحوا أنفسهم من عناء شديد يكابدونه ، ولكان هذا أولى مما يعالجونه من النحت وما إليه وليسروا الأمر على الناس ..

ابراهيم عبد القادر المازني

١٩٣٥

العبقرية والوراثة والجنون

إن أبناء العباقرة هم في الغالب مخلوقات عادية ، بل اقل من العادية . ويقول ج. مورو دوتور : (إن الملاحظة العامة ترينا أن غالبية أبناء الرجال العباقرة ليسوا فقط اقل من آبائهم ، بل هم كسائر الناس العاديين) ، وقد اكد الكسندر تاسوني Alexandre Tassoni احد كتاب القرن السابع عشر انه كثيراً ما يحدث أن ينجب آباء عباقرة أبناء عظيمي الغباوة، وآباء شديدو الغباوة أبناء علماء . واستشهد على النوع الأول بأبناء افريكان الكبير وانطوان وشيشرون ومارك اوريل وسقراط . ويعتقد اوسوالد الكيميائي الالماني الشهير أن أبناء الرجل العبقري لابد أن يكونوا اقل منه .

وذكر تاسوني راي احد العلماء المعاصرين له ، وكان يفسر النقص في كثرة أبناء الرجال العباقرة بقوله : (في الرجال العظام تتجمع معظم القوى الحيوية في المخ كيما تقويه وتبعث الحياة والعنف في القوى الفكرية . ولهذا يكون الدم والخلية باردين ضعيفين . والنتيجة ان يكون أبناء أولئك الرجال وخصوصاً الذكور اغبياء) .

وهناك حقيقة أخرى هامة فيما يختص بوراثة العبقرية ، وهي أن هناك ظواهر من الجنون والاضطراب العصبي تحول دون وراثة هذه العبقرية . ذلك أن العبقري تصحبه غالباً أنواع خاصة من الأمراض النفسية . وكثيراً ما يلاحظ المرض العقلي عند سلف وخلف الرجل العبقري . ومن المعلوم أن الجنون ينتقل غالباً وبكثرة شديدة في الأجيال القريبة . وحالات الجنون الوراثي في ثلاثة أجيال متعاقبة عديدة جداً . وكان الجنون فيها في الغالب من نوع واحد ، والآن ، اليس هنا تشابه – وإن لم يكن كاملا – بين وراثة العبقرية ووراثة الجنون ؟

وقد ذكر مورو دوتور أن بين طبقات المجتمع التي تحوي أكبر عدد ممكن من الرجال الممتازين بذكائهم الشديد ، يوجد أيضاً أكبر عدد ممكن من المجانين وقد لاحظ كل علماء النفس أن هناك عدداً من المجانين لهم اقارب يتميزون بذكاء تتفاوت درجاته . من ذلك أوليمبيا أم اسكندر الأكبر التي كانت امراة فاسدة الخلق ظاهرة الوضاعة ، وكان أب الاسكندر داعراً إلى أقصى حد . وكان الاسكندر نفسه مصاباً بحالة عصبية في كوعه . وكان شقيقه اريدوس – الذي قتل بامر أوليمبيا – ابلها معتوهاً .

وكان ابن برناردين دوسانت بيير ، وإحدى بنات فكتور هوجو ، ووالد واشقاء فيلمان ، وشقيقة الفيلسوف كانت ، وشقيقة هيجل ، وغيرهم وغيرهم كانوا جميعاً مجانين . وكانت شقيقة ريشليو تتصور أن ظهرها من البللور ، وكان شقيقه معتوهاً . وكان والد الموسيقى بيتهوفن مدمناً الخمر، وكان الشاعر بودلير نفسه نصف مجنون . وقد كتب يقول : (إن والدى اللذين كانا إما معتوهين أو مجنونين قد ماتا ضحيتى جنون فظيع) وكان والدا الشاعر الامريكي الشهير ادجاربو شديدي الادمان لتعاطى المشروبات الروحية .

وكانت تحدث لشاتو بريان حركات تشنجية في ذراعه ، وكان دائم التفكير في الانتحار ، وكان أخوه نصف مجنون وكان والد بلزاك غريب الأطوار ، وكذلك كان بلزاك نفسه . وكانت جورج صاند شديدة الانقباض والحسرة وهي في السابعة عشرة من عمرها ، وقد حاولت الانتحار فيما بعد عدة مرات . وقد كان والدها يشبهها من هاتين الناحيتين . وكان كثير من اقارب هوفمان مجانين . أما هوفمان نفسه فقد أصابه الخوف لطول استسلامه للشراب ، وكان يتصور أمام عينيه أشباحاً ويصيبه من جراء ذلك الرعب الشديد . فيطلب من أمه أن تجلس بجانبه . وكانت خالة هيرنر مجنونة واخته شديدة الكآبة ، وقد جن ابنها .

وكان أثر الوراثة المرضية بارزاً في لورد بيرون . إذ كان أبوه رجلا فاسد الخلق وقحاً . وكانت أمه غريبة الأطوار متكبرة طائشة . كذلك كان شوبنهور وارثاً لما كان عليه من غرابة الميول واضطراب الأعصاب . فقد كانت خالة جدته وجدها مجنونين . وكان أبوه تنتابه نوبات قوية من الغضب المتزايد والهم الدفين الذى يكشف عن نفسيته المريضة .

وكانت أسرة الفيلسوف رينان – الذى كان يعذبه اضطراب أعصابه – تسودها أنواع مختلفة من الجنون، وكان عمه مأفوناً . وقد قضى حياته في التصعلك حتى وجد ذات ليلة ميتاً على قارعة الطريق . وكان جد رينان شديد الوطنية عظيم الاخلاص ، ولكنه فقد عقله عام ١٨١٥ م نتيجة هم ألم به . وقد أصبحت بلدة تريجوبير التي ولد بها رينان ممتلئة بالمجانين وانصاف المجانين نتيجة إكثار أهلها من زواج بعضهم ببعض .

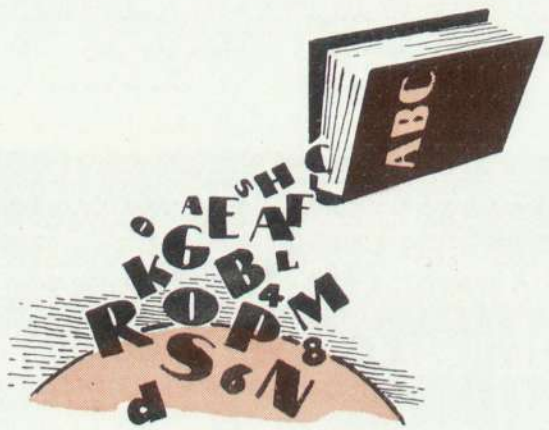
فمما ذكرنا يظهر أن العبقرية ليست محدودة . وأنها لا تمتد إلا لأفـــراد مخصوصين ، فلابد اذن من أن نعرف أن هناك شيئاً آخر غير الوراثة المجردة، ان العبقرى يظهر فى الأسرة فى لحظة معينة ولا يمكن أن يظهر قبل ذلك . كذلك قد يتبعه وقد لا يتبعه عباقرة آخرون . والأب العبقرى قد يكون له ابن عادى ، وقد يكون هذا الابن غبياً . وإذا استمرت الأسرة فى إنتاج عباقرة كثيرين فان هذه الظاهرة تقف بعد بضعة أجيال كأن الطبيعة قد نالها الرهق والضنى . وأخيراً كثيراً ما يحدث أن يحل الجنون محل العبقرية ويكون ذلك راجعاً إلى نوع خاص من الوراثة متأثر بعوامل غير وراثية .

وقد قال البعض : إن الوراثة والبيئة يتعاونان معاً بنشاط على إيجـــاد العبقرى ، إذ أن (الوراثة) لا تنتج فى الرجل إلا (ما يمكن أن يكون) وليس ما سيكون ، أما آثار الوسط وحدها فهى قادرة على تحويل الاحتمال إلى أمر واقع . على أن (الوسط) لا يكون تأثيره بعد الولادة فقط ، بل إنه يؤثر فى الشخصية المستقبلة قبل الولادة ، وذلك بطرق مختلفة .

ولقد عملت أبحاث فى جلاسجو عن علاقة عدد المواليد بالذكاء فظهر أن عدد المواليد يزيد عند الرجال الأقل ذكاء ، كذلك الأسر يتكاثر عددها كلما قلت الكفاءة العقلية عند أعضائها .

« عن مجلة الشهر الفرنسية
« ١٩٣٥

تبسيط اللغة الإنكليزية
واهتمام الإنكليز بنشرها



يبدى الانكليز فى الوقت الحـاضر اهتماماً خاصاً بنشر اللغة الانكليزية ، ويحاولون بمختلف الوسائل أن يجعلوا منها لغة دولية عامة ، كاللغة الفرنسية فى الشؤون والمعاملات الدوليـــة والتجارية ، ويرجع هذا الاهتمام إلى ما بعد الحرب الكبرى إذ اتسع نطـــاق الإمبراطورية البريطانية اتساعاً عظيماً وضُمت إليها شعوب وأمم جديدة ، وزاد نفوذ انكلترا الدولى تبعاً لذلك ، واتسع نطاق تجارتها اتساعاً عظيماً ، والانكليز أقل الأمم اهتماماً بدرس اللغات الأجنبية ، وقد حاولوا أن يتلافوا هذا النقص بفرض لغتهم على الشعوب التى تنضوى تحت لوائهم ، ولكنهم يرغبون اليوم فى التقدم خطوة أخرى ، وذلك بالعمل لجعل اللغة الانكليزية لغة دولية اختيارية . وقد رأوا أن أنجع وسيلة لتحقيق هذه الغاية هو تبسيط اللغة الانكليزية إلى أبعد حد ، وانتهوا فعلا إلى عمل هذه التجربة ، فقام الأستاذ أجدن أحد أعضاء المعهد اللغوى بجامعة كامبردج باختيار الألفاظ الانكليزية التى تعبر عن أكبر عدد من المعانى المطلوبة ، وانتهى إلى حصرها فى ٨٥٠ كلمة تكون وحدها لغة انكليزية جامعة وافية بالتعبير عن كل ما يرغب ، ويكفى لدرسها وحفظها ثلاثون ساعة ، وليس فيها أى تضارب ولا تعقيد ، وليس فيها من الأفعال سوى ١٨ فعلا ، وقد سميت هذه اللغـــة « بالانكليزية الاساسية » . ويعلق الانكليز على هذا التبسيط المدهش للغة تبلغ كلماتها عشرين ألفاً آمالا كبيرة ، وتنوه الصحف العلمية بهذه المناسبة بأن أحب الكتاب الانكليز إلى الشعب الانكليزى هم أبسطهم لغـــة وبياناً مثل سويفت وبرنارد شو ، ومن ينحو نحوهما فى التعبير الجزل البسيط الذى لا يتخلله حشو ولا ترادف ولا تعقيد .

١٩٣٥

العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

● طائرة الجيب ●

هى أصغر طائرة عمودية انتجت حتى الآن إذ يبلغ قطر هيكلها ٦٠ سنتيمترا ولا يزيد وزنها عن ٣٦ كيلوجراماً . كما انها لا تحتاج الى طيار لقيادتها ، وإنما توجه لاسلكياً من الأرض . وتستطيع هذه الطائرة الصغيرة الطيران لمدة ساعتين ونصف ، وتبلغ سرعتها القصوى ١١٠ كيلومترات فى الساعة . وهى تحلق وتهبط مثلها مثل أى طائرة عمودية كبيرة .

وبالرغم من صغر حجمها فهى متعددة الاستخدامات إذ يمكن تزويدها بعدد لا نهائى من الأجهزة للأغراض العسكرية والمدنية على حد سواء . فهى تستطيع حمل كاميرا تلفزيونية مثلا مزودة بعدسات مقربة للتصوير على ارتفاع ٣ آلاف متر .

ونظراً لصغر حجمها يصعب رؤيتها . وهى لذلك تعتبر مثالية للأغراض العسكرية لصعوبة رصدها بالرادار فهى لا تحدث صوتاً كما أنها لا تنتج كمية كبيرة من الحرارة بحيث لا تتمكن اجهزة الرصد التى تعمل بالأشعة تحت الحمراء من اكتشاف وجودها .



طائرة الجيب الأمريكية

● الشاحنة الموسيقية ●

لا داعى لشراء جهاز لتشغيل الاسطوانات بعد الآن فان هذه الشاحنة الصغيرة تغنيك عنه . اذ يكفى وضع الاسطوانه على سطح مستو مثل مكتب أو طاولة ، ووضع هذه الشاحنة فوق الاسطوانة لتنطلق على الفور أنغام الموسيقى الحالمة . فالشاحنة الموسيقية تقوم بعمل جهاز تشغيل الاسطوانات إذ انها مزودة بقطعة ياقوت وخلية كهربية ومكبر للصوت ولذلك فعندما تبدأ الشاحنة فى الدوران على خطوط الاسطوانه فانها



الشاحنة الموسيقية

تقرأ ما تم تسجيله عليها من الحان وأصوات .

ولا يزيد ثمن هذه الشاحنة الموسيقية عن ٢٥٠ ريالا وهي ارخص بكثير من اي جهاز بيك ـ آب .

● الليزر يعيد للوجه شبابه ●

تعددت استخدامات أشعة الليزر فى مختلف المجالات ابتداء من الصناعة الى الطب الى الاسلحة والحرب . ولكنها تغزو اليوم مجالا جديداً وهو مجال جراحة التجميل .

فان أشعة الليزر تعيد النشاط والحيوية الى عضلات الوجه وتزيل التجاعيد بدون ألم ولا جراحة .

ولقد بدأت هذه الطريقة المبتكرة فى الاتحاد السوفيتى وانتشرت منه الى أوروبا وهى تستخدم شعاع ليزر ذا طاقة منخفضة بحيث يوجه الشعاع الى مواضع التجاعيد أو أماكن الترهل وارتخاء العضلات غير المستحب ، وبعد عدد من الجلسات يتراوح بين ١٠ و ١٦ جلسة تختفى كل آثار لهذه الشوائب التى تعكر صفاء البشرة ويعود للوجه شبابه ورونقه وتبلغ تكلفة هذا العلاج ألف دولار فقط !!

ويقول الذين اتبعوا هده الطريقة فى العلاج أنها أشبه بتدريبات رياضية لعضلات الوجه تعيد له لياقته وحيويته .

● حقن لعلاج الحول ●

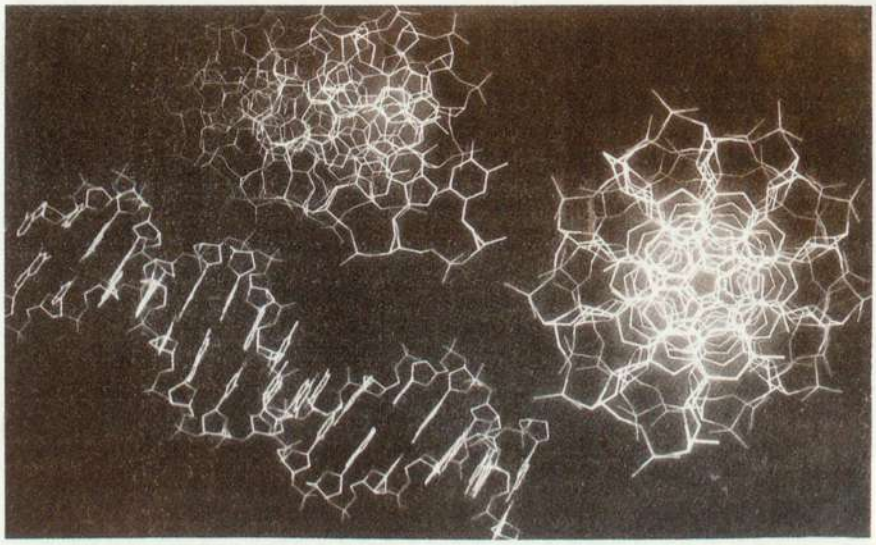
توصل فريق اخصائيى العيون فى سان فرنسيسكو الى علاج للحول دون اللجوء الى الجراحة أو لاستخدام النظارات الطبية ويعتمد العلاج الجديد على حقن المصاب بكمية ضئيلة جداً من دواء يعمل على إلغاء النشاط العضلى الشاذ المسبب للحول .

ويتم الحقن فى العين تحت تخدير موضعى ويستطيع المصاب بالحول مغادرة المستشفى بعد ذلك مباشرة . ويتحقق الشفاء بعد حقنتين فقط .

ولكن هذا العلاج لاينفع إلا فى حالات الحول الأفقي كما يستخدم فى علاج حالات الحول التى لم تنجح الجراحة فى اصلاحها

ويتيح الغاء النشاط العضلى غير العادى للعين استعادة توازنها العضلى واعادة تدريبها على الرؤية الطبيعية ولازال العلاج فى مرحلة التجربة .

● صناعة دواء بدون مواد كيماوية ●



زوايا مختلفة لجزيء الحامض النووى كما تظهر على شاشة الكمبيوتر .

انتقل مكان عمل الصيدلى من المعمل الى شاشة الكمبيوتر . فلم يعد فى حاجة الى معايرة المواد الكيماوية ومزجها ثم دراسة خواصها وتاثيرها على الخلايا الحية . أو مزارع الميكروبات والبكتريا المختلفة . فالكمبيوتر بامكانياته الجبارة يوفر عليه كل هذا الجهد .

ولايبقى أمام الباحث فى مجال العقاقير سوى إدخال المعادلات الكيمائية والمركبات الدوائية المعنية الى ذاكرة الكمبيوتر ليقوم الأخير بعرض جزيء الحامض النووى الذى يعتبر جوهر الحياة فى الخلية على شاشة وحدته الطرفية .

وبدوران هذا الجزيء الحيوى أمام الباحث لكى يراه من ثلاث زوايا مختلفة يتمكن من التعرف على تفاعل الدواء الجديد مع الحامض النووى للخلية الحية

ومن ثم يستطيع الباحثون ابتكار التركيبات الدوائية وبحث وتجربة تاثيرها على الخلايا الحية دون التحرك من أمام شاشة الكمبيوتر .

● تنظيم الحمل عن طريق الأنف ●

لقد نجح استخدام رش للأنف فى تنظيم حمل ٨٠ سيدة كندية حيث يحتوى المحلول تركيباً اصطناعياً لمادة يفرزها المخ تجعل الغدة النخامية تفرز هرموناً يدفع بدوره المبايض لتكوين البويضة إلا أن الهرمون الاصطناعى فى نقط الأنف يوقف تكوين الهرمون الطبيعى نظراً لانه أقوى منه ، كما أن مفعوله يستمر لمدة أطول ومن ثم فان استخدام هذه النقط الأنفية مرة يومياً يوقف عملية التبويض من أساسها .

ويعتقد الأطباء أن نقط الأنف أفضل الطرق لتناول هذا الهرمون الاصطناعى لأنه يمتص على الفور من الخلايا الطلائية المبطنة للأنف دون إزعاج للجهاز الهضمى .

كما تجرى ابحاث على نفس النقط لاستخدامها كمنظم للحمل بالنسبة للذكور أيضاً ، حيث توقف افراز هرمون الذكور وبالتالى تتوقف عملية تكوين الحيوانات المنوية . وهى تستعمل حالياً فى علاج حالات سرطان البروتستاتا نظراً لأن ارتفاع نسبة هرمون الذكور يزيد من تدهور حالة المريض . ولقد نجحت نقط الأنف من تفادى اللجوء الى الجراحة التى كانت تمثل من قبل الحل الوحيد أمام الأطباء .

● محطة منزلية للارسال التلفزيونى ●

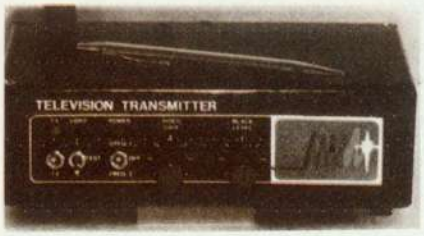
تفتح إحدى شركات الالكترونيات البلجيكية مجالا خصباً أمام هواة التلفزيون لاعداد وبث ما يريدون من برامج وذلك عن طريق جهاز ارسال تلفزيون حجمه أصغر من حجم كتاب الجيب .

وتتكون محطة الارسال المنزلى من جهاز ارسال ومحول وهوائى ارسال واستقبال اذا ما وصلت هذه المحطة المتنقلة بكاميرا فيديو يمكن الارسال مباشرة على الهواء من أى مكان لأن تشغيلها لايحتاج إلا لـ ١٢ فولت ومعنى ذلك أنها تسمح بالارسال من السيارة .

كما يستطيع أى شخص تسجيل المادة التى يريدها على جهاز الفيديو وبثها بعد ذلك بتوصيل الجهاز بمحطة الارسال المنزلى .

أما بالنسبة للاستقبال فبامكان أى جهاز تلفزيون استقبال هذا البث الخاص شريطة أن يكون مزوداً بهوائى استقبال وبمحول ويبلغ مدى الاستقبال عدة كيلومترات قد تصل الى خمسين كيلومتراً فى المناطق الخلوية .

وبالرغم من صغر حجم جهاز الارسال فان ارساله لايقل جودة عن ارسال الشبكات الرسمية إذ يقوم المحول بالتحكم فى وضوح ونقاء كل من الصورة والصوت .



جهاز الارسال التليفزيونى المنزلى



« رومي شنايدر » النجمة الفرنسية التى رحلت عام ١٩٨٢م .



« ماريا شنيدر » بطلة فيلم عن الارهاب

بقلم: رؤوف توفيق

نظرة على سينما ٨٢

هل تعود الأفلام السياسية لتحرّك الرّكود؟!

توارى العنف قليلا فى الافلام السينمائية .. وبدات تطل الرؤية السياسية ، لتعمق المسائل ، وتحدد الزوايا ، وتبرر الاسباب .

لم يختف العنف تماما .. ولكن اصبح للعنف دوافعه ! .

فرؤية الدم المتدفق .. وشج الرءوس ..وفقء العيون .. لم تعد هي الوسيلة المضمونة عند صناع السينما العالمية ، لجذب انتباه المشاهدين ، وكسر حدة الملل عندهم .. بل اصبح عليهم ان يحددوا هويتهم السياسية .. ويقولوا كلمتهم .. ويضيئوا شعاعا من النور ينير الطريق امام المشاهدين ، الذين هم في النهاية ، ضحايا قوى سياسية متصارعة ، تؤثر فى حياتهم اليومية .. ابتداء من لقمة العيش إلى الاحساس بالأمان والحرية .

فضراوة الأزمة الاقتصادية ، التى تطبق على انفاس العالم الآن .. وازدياد معدلات البطالة مع الارتفاع الجنونى فى الاسعار .. ونظم الحكم الديكتاتورية .. كلها مسائل لا تحتمل الاسترخاء والكسل ، وهدهدة الغرائز ! !

ومن هنا .. قرر بعض مفكرى السينما ان يلعبوا دورهم بوضوح وشجاعة .

وتسجل سينما ٨٢ .. ان مهرجان كان السينمائى لعام ٨٢ ساهم بقدر شاسع فى القاء اضوائه الساطعة على السينما السياسية .. واعطى اهم جوائزه لثلاثة افلام سياسية .. لتصبح هذه الأفلام من اهم معالم سينما ٨٢ .



انجريد برجمان .. رحلت فى عام ١٩٨٢



« سالي فيلد » .. الصحفية فى فيلم « غياب ماليس »







لقطات من فيلم « البؤساء » .. اغلى فيلم فرنسي حتى الآن

● «الطريق» .. من تركيا

واوضح مثال على ذلك .. الفيلم التركى «بول» ـ أو الطريق ـ والذى اخرجه المخرج التركى « بلماظ جيونى » الذى ينتقل من بلد لآخر فى اوربا تحت حراسة خاصة من اصدقائه ومعاونيه ..

هذا المخرج عمره خمسة واربعون عاما .. قضى اغلب سنوات شبابه فى السجون .. حتى بلغت مدد العقوبات التى يجب ان ينفذها حوالى مائة عام ! !

وقد استطاع الهرب من سجنه عام ١٩٨١ بعد ان قضى به عشر سنوات .. كتب خلالها سيناريو فيلم «الطريق» .. وقام احد مساعديه «شريف جورين» بتنفيذ اخراج الفيلم فى تركيا .. بينما هو يتابع مراحل الاخراج من منفاه .. ويسجل ملاحظاته على الاجزاء المصورة ، ويطلب التعديلات .. وعندما يتمكن مساعده من تنفيذ ملاحظاته يرسل له من جديد ما تم تصويره .. وهكذا .. حتى تم اخراج الفيلم بالصورة التى لرادها دون ان يقبض عليه !

واستطاع الفيلم ان يقتحم مهرجان «كان» .. ليصبح اهم احداث المهرجان واكثرها إثارة ودلالة على قوة السينما حينما تريد ان تقول رايها .

والفيلم يتتبع خروج خمسة معتقلين من احد السجون التركية .. كل منهم فى طريقه الى قريته .. وكل منهم له قصة وحلم .. وينسج الفيلم ببراعة شديدة ، خيوط هذه الرحلة .. وكيف تتكسر الاحلام على صخور الواقع الشديد القسوة .. حيث الفقر .. والمطاردة .. والضياع ..

انها رحلة من العذاب والالم والاحباط المستمر .. صاغها المخرج فى بانوراما

مليئة بالتفاصيل الانسانية والاشارات الذكية .

وفى حوار صحفى مع المخرج «يلماظ جيونى» سألوه قبل ان يسافر لمهرجان كان .. ليفجر الضجة الكبرى من حوله : هل تستطيع الاستمرار فى عملك من المنفى ؟ .. هناك مخرجون يستطيعون العمل خارج بلادهم ، وبعيداً عن جذورهم الحقيقية .. ولكن هناك آخرون ـ ويبدو انك واحد منهم ـ عملهم مرتبط اساساً بجمهورهم وثقافتهم ؟!

اجاب المخرج فى حسم وتحديد : «فى هذه اللحظة اننى ابحث ثلاثة احتمالات .. اولا .. ان اتوقف عن العمل طالما اننى بعيد عن جذورى الحقيقية .. ثانيا .. ان اصنع افلاما عن تركيا من داخل بلاد اخرى ، مثلا عن مشكلة العمال المهاجرين .. وهكذا .. ثالثا .. ان اعمل افلاما عن اشياء مختلفة تماما ، وغالبا ما ستكون افلاما رديئة ، ولكن لكى احصل على النقود .

«وفى الحقيقة اننى ارفض الحلول الثلاثة .. فهناك اشخاص مثلى فى كل انحاء العالم .. فى امريكا الجنوبية .. فى آسيا .. وحتى فى فرنسا .. وانا لست متشائما ، وساكون مستعدا اكثر للاجابة على هذا السؤال عندما ابدأ فى التصوير .. فانا حاليا اكتب فيلمى الجديد» !!

وهكذا اختصر الاجابة .. ليعلن انه سيواصل العمل .

وقد فاز الفيلم التركى الطريق بالجائزة الكبرى لمهرجان كان .. مناصفة مع الفيلم الامريكى «مفقود» .

● «مفقود» .. من امريكا

وفيلم «مفقود» للمخرج الفرنسى « كوستا جافراس» فى اول فيلم له بامريكا ، يدين السياسة الامريكية ، والتورط فى الانقلابات الاستعمارية ويأخذ مثلا لذلك ما حدث فى شيلى عام ٧٣ ، اثناء الانقلاب الذى اطاح بالسلفادور الليندى وحكومته .. وقد اثار الفيلم ضجة كبرى فى اثناء عرضه بامريكا .. وانتقلت الضجة الى حيز اكبر فى مهرجان كان (راجع دراسة عن الفيلم فى الدوحة ـ عدد يوليو ٨٢) .. وفاز ممثله «جاك ليمون» بالجائزة الاولى فى التمثيل ..



« فانيسا رد جريف » تقدم فيلمها « فلسطين المحتلة »

وتفرغت الصحافة السينمائية تحلل وتقيم هذا الفيلم الجريء ..

● «ضوء القمر» .. عن بولندا

ويجيء الفيلم الثالث «ضوء القمر» للمخرج البولندى «جرسى سكوليموفسكى» والمقيم حاليا فى لندن .

والفيلم انتاج انجليزى ، بتمويل انجليزى ، وتم تصويره بالكامل فى لندن .. وبالرغم من ذلك فموضوعه عن بولندا ، وما حدث اخيراً من فرض الاحكام العسكرية .

فالفيلم يحكى عن اربعة عمال بناء بولنديين ، يسافرون الى لندن لاعادة تجديد شقة احد الاثرياء البولنديين ، فى مدة محددة بشهر واحد .. ولكن فى هذا الشهر تقع احداث بولندا ، وتاتى الحكومة العسكرية لتفرض احكامها وسيطرتها على الحياة البولندية ، وسط الاضطرابات التى نعرفها جيداً .. ولكن ما حدث لا يصل لثلاثة من هؤلاء العمال الذين يتولون تجديد الشقة .. بسبب ان رابعهم وهو رئيسهم ، يفرض عليهم نوعاً من التعتيم ، والسيطرة ، حتى لا تتسرب اليهم اية معلومات تكون نتيجتها توقفهم عن العمل .. مستغلا فى ذلك اجادته للغة الانجليزية والتى لا يعرفون منها اى كلمة !! .. وهكذا يحاصرهم ، ويتولى ادارتهم ، والانفاق عليهم .. وايضاً يقوم بالسرقة من محلات «السوبر ماركت» لتخزين المعلبات والملابس وتوفير النقود لحسابه الخاص !

حتى يحين موعد الرحيل .. وفى الطريق داخل المطار يخبرهم بحقيقة ما حدث فى بولندا .. لينفجر الموقف .. وينهالون عليه ضرباً وركلا .. وتتناثر الحقائب .. وتتدحرج علب المعلبات فى رنين يعلن نهاية كل شىء .. وتثبت الصورة .. وينتهى الفيلم الذى يحمل اكثر من معنى داخل اطار من الكوميديا السوداء .

وقد فاز هذا الفيلم بجائزة السيناريو ، والذى كتبه المخرج « جيرسى سكوليموفسكى» .. واعتبر هذا الفيلم من اهم معالم سينما ٨٢ .. فى الوقت الذى فرضت فيه السلطات البولندية رقابة صارمة على السينما البولندية .. حتى أن المخرج البولندى الكبير «فايدا» سافر الى فرنسا ، ليخرج فيلمه الجديد هناك !

● فلسطين المحتلة

وبنفس الحماس الذى استقبلت به هذه الأفلام الروائية الطويلة .. جاء الفيلم التسجيلى الطويل «فلسطين المحتلة» الذى انتجته الممثلة البريطانية ، الشهيرة بمواقفها السياسية «فانيسيا رد جريف» .. ليفجر هذا الفيلم الخطير ، قضية الحق الفلسطينى امام القوة الصهيونية الغاشمة وعجرفة حكام اسرائيل .

وقد اثار هذا الفيلم ، ردود فعل قوية .. تشهد له بجرأته البالغة فى تصوير الواقع المؤسف الذى يشكل عار البشرية فى القرن العشرين .

وفيلم «فلسطين المحتلة» يتناول خلال ساعة ونصف تحقيقاً وثائقياً من داخل الأرض المحتلة .. حيث يقدم لقاءات مع الفلسطينيين ، وهم يحكون وقائع التعذيب والتشريد والاضطهاد والقتل الجماعى الذى تقوم به السلطات العسكرية فى اسرائيل .. وينتهى الفيلم بمظاهرة فلسطينية ضخمة مع صوت شاب فلسطينى يحدد القضية بقوله : «المستقبل الذى نناضل من اجله .. هو الحياة على اساس الاحترام المتبادل» .

وهذا الفيلم الجرىء المدهش .. اخرجه المخرج الامريكى «ديفيد كوف» .. ولولا ايمان الفنانة «فانيسيا رد جريف» بحق الشعب الفلسطينى ، ولولا سمعتها كمناضلة سياسية .. ما كان لهذا الفيلم ان يحقق هذا الانتشار ، وهذه القوة فى التاثير .. والتى احدثت ردود فعل عنيفة لدى انصار الارهاب الاسرائيلى .. الى الدرجة التى اصبحوا يهددون فيها الممثلة «فانيسيا» فى كل مكان تعمل به ، بمخطط شرس لعزلها وتجويعها !!



لقطة من فيلم « غرفة في المدينة » بطولة « دومينيك ساندا » .

● الصحافة .. والسياسة

وفى مجال السينما السياسية ، يعود المخرج الامريكى «سيدنى بولاك» ليقدم فيلم «غياب ماليس» عن الصحافة الامريكية وتاثير السلطة السياسية عليها .. ومحاولة الصحافة كشف فضائح السياسة ، مما يعرض الصحفية الشابة (تلعب الدور سالى فيلد) الى نهاية ماساوية .

وقد شارك فى بطولة الفيلم الممثل الامريكى «بول نيومان» .. واستقبلت عودة المخرج «سيدنى بولاك» بنوع من الترحيب .. وان كان فيلمه لم يحقق اصداء قوية .

وشهد عام ٨٢ .. استمرار نجاح فيلم «حمر» للمخرج الممثل «وارن بيتى» والذى فاز بجائزة اوسكار احسن اخراج واحسن تصوير واحسن ممثل دور ثان .. والفيلم يدور فى خلفية سياسية بين ردود فعل الكتاب والمثقفين الامريكين اثناء نشوب الثورة السوفيتية .. من خلال قصة الصحفى الامريكى «جون ريد» صاحب الكتاب الشهير «عشرة ايام هزت العالم» .

وقد بدا عرض هذا الفيلم داخل امريكا مع نهاية عام ٨١ .. ولكن عندما انتقل الفيلم مع بداية عام ٨٢ الى اوربا واسيا .. اثار ردود فعل قوية لبراعة العمل الفنى ومدى الامانة التى ناقش بها الاحداث والافكار التى ارتبطت بهذه الفترة .

وخلال عام ٨٢ شهدت خريطة السينما العالمية بعض الظواهر السينمائية التى تستحق التوقف عندها بالتامل من هذه الظواهر فى السينما الامريكية :

● هذا النجاح الجماهيرى الساحق الذى حققه المخرج الامريكى الشاب «ستيفن سبيلبرج» .. ففى عام ٨١ قدم فيلمه «غزاة القوس المفقود» واستمر عرضه لعام ٨٢ محققاً ارقاماً قياسية فى الايرادات .

وفى عام ٨٢ .. قدم المخرج الشاب فيلمه الجديد E.T. او (مخلوق الفضاء فى مغامرته على الأرض) .. وقد عرضت تحليلا كاملا لهذا الفيلم فى «الدوحة» عدد اغسطس ٨٢ .. وفى هذا المقال الذى نشر قبل عرض الفيلم عالمياً تنبات بالنجاح الكبير الذى سيحققه وكيف ستستغل المؤسسات التجارية الامريكية نموذج هذا المخلوق الفضائي الذى ظهر فى الفيلم ، ليصبح من اهم الشخصيات الخيالية التى ستطبع صورها على الملصقات والملابس والشارات .. وستصنع منه نماذج مجسمة باحجام مختلفة كدمى للاطفال !

وبالفعل .. تحقق كل ما تنبات به .. ضرب الفيلم الارقام القياسية فى الايرادات داخل امريكا .. وظهرت نماذج مجسمة من مخلوق الفضاء لتملأ المحلات التجارية .. وايضاً فى رسوم على فانلات وقمصان الاولاد والشبان .. ومازالت اوربا تنتظر عرض هذا الفيلم .. وتستعد له نفسياً من الآن بعد كل الضجة التى اثارها ..

والغريب تماماً .. ان المخرج «سبيلبرج» صاحب هذا النجاح نافس نفسه .. وغامر بانتاج فيلم بعنوان «الاشباح» عرض فى نفس الوقت مع فيلم مخلوق الفضاء .. واثار فيلم الاشباح ايضا نجاحاً ساحقاً ، لشحنة الاثارة والغموض التى تملأ احداثه !

وهكذا اصبح هذا المخرج «سبيلبرج» ـ ٣٤ عاماً ـ ظاهرة فريدة فى السينما الامريكية .

● بينما المخرج الامريكى الشاب «فرنسيس كوبولا» صاحب فيلم «الاب الروحى» بجزئيه .. واخيراً فيلم «نهاية العالم .. الآن» تعرض لاكبر هزة مالية فى مشاريعه الانتاجية .. بعد تعثر فيلم «واحدة من القلب» الذى انتجه بميزانية وصلت الى ٢٦ مليون دولار .. مما اضطره الى بيع الاستديو الذى انشاه منذ عامين فى «لوس انجلوس» حتى يتمكن من سداد ديونه .. وايضاً رهن منزله وممتلكاته الخاصة .. واصبح مهدداً بالافلاس .

وفيلم «واحدة من القلب» قصة حب بسيطة فى قالب موسيقى .. تلعب بطولتها الممثلة «ناستسيا كينسكى» وقد تم بناء ديكورات لمقاطع كاملة من احياء مدينة لاس فيجاس ، داخل الاستديو الضخم !! .. وكان يتوقع المخرج «كوبولا» ان يحقق نجاحاً تجارياً ضخماً بهذا الفيلم .. ولكنه كسب رضاء النقاد .. وخسر اقبال الجماهير

● فى نفس الوقت حقق فيلم «روكى» الجزء الثالث .. لممثله ومخرجه «سيلفستر ستالون» نجاحاً كبيراً ، حيث يتابع فى هذا الجزء الثالث رحلة الملاكم روكى فى حلبات الملاكمة ومع زوجته وعائلته .

ايضاً حقق فيلم «شحم» الجزء الثانى ، نجاحاً ساحقاً .. وهو تكملة للفيلم الغنائى الراقص الذى لعب بطولته «ترافولتا» ..



عاشق الاوبرا يسلط موسيقاه على سكان الادغال حتى يهتموا بالموسيقى .. لقطة من فيلم « فيتز جرالدو »



نماذج من كائنات الفضاء فى فيلم « مخلوق الفضاء ومغامراته على الارض » .. هذه الكائنات اصبحت حديث امريكا

ولكن هذه المرة قام ببطولة الفيلم وجوه جديدة .

واعتبر هذان الفيلمان (روكى ـ ٣ ـ) و (شحم ـ ٢ ـ) من افلام اعلى الايرادات فى امريكا خلال عام ٨٢.

● فى السينما الألمانية

لمع اسم المخرج الشاب «هيرتزوج» بفيلمه الجديد «فيتزجرالدو» الذى فاز بجائزة الاخراج فى مهرجان كان ٨٢ .

وهذا الفيلم يحكى مغامرة رجل عاشق للموسيقى وللاوبرا ومحاولته المثيرة لبناء أوبرا فى الادغال .. لعب بطولة الفيلم الممثل الالمانى «كلاوس كينسكى» والممثلة الايطالية «كلوديا كاردينالى» مع اعداد هائلة من الكومبارس .

والفيلم عمل فنى متميز يشهد ببراعة المخرج وقدرته على التحكم فى ادواته .

ومن السينما الالمانية ايضا .. تردد عالياً اسم المخرج «فيم فاندر» الذى حصل على الجائزة الكبرى لمهرجان فينيسيا ٨٢ بفيلمه «حالة الاشياء» عن متاعب صناعة السينما .. وظهر ايضا لنفس المخرج فى ذلك العام فيلم «هاميت» انتاج امريكى .. يقدم فيه مزجاً بين كاتب روايات بوليسية ، وشخصيات رواياته .. (راجع مقال الدوحة عدد نوفمبر ٨٢) .

أما السينما الفرنسية فقد شهدت خلال الشهور الاخيرة فى عام ٨٢ .. فيلمين هامين :

الأول «البؤساء» الماخوذ عن رواية فيكتور هوجو الخالدة .. ومن اخراج «روبرت هوسين» بميزانية ضخمة وصلت الى سبعة ملايين دولار .. ويعتبر هذا الرقم اكبر ميزانية لفيلم فرنسى حتى الآن !

ورواية البؤساء .. سبق أن عالجتها السينما العالمية فيما يقرب من ثلاثة وثلاثين مرة من خلال افلام امريكية وايطالية وفرنسية ويابانية .. ومصرية ..

ولكن مازالت هذه الرواية لها بريقها الخاص .. دفعت المخرج الفرنسى لان يعود



المخرج التركي « يلماظ جيوني » يرفع يده بتحية النصر بعد الاستقبال الحافل لفيلمه « الطريق »





هنري فوندا .. ولقطة من آخر افلامه قبل ان يموت .. ثم الممثل « لينو فانتورا » كما ظهر في الفيلم الفرنسي .

لاخراجها بعد ان توقف هو شخصياً عن الاخراج السينمائى حوالى عشر سنوات .

يلعب بطولة الفيلم الجديد «لينو فانتورا» فى دور «جان فالجان» .

اما الفيلم الفرنسى الثانى الذى تعلق به اهتمام النقاد .. فهو فيلم «غرفة فى المدينة» للمخرج «جاك ديمى» الذى يعود للسينما بعد غياب تسع سنوات .. وهو المعروف عنه أسلوبه الشاعرى الرقيق ..

و «غرفة فى المدينة» فيلم غنائى يحكى قصة حب ، تدور فى خلفيتها احداث اضرابات عمال الترسانة البحرية عام ٥٥ .. يلعب بطولة الفيلم «دومنيك ساندا» و «ريتشارد بيرى» .

● الذين رحلوا ..

سجل عام ٨٢ السينمائى .. رحيل عدد من عمالقة التمثيل منهم : الممثل الأمريكى «هنرى فوندا» الذى توفى بعد شهور قليلة من حصوله على اول جائزة اوسكار فى حياته الفنية ـ والممثلة السويدية الأصل «انجريد برجمان» التى ماتت متاثرة بالسرطان .. والممثلة الفرنسية «رومى شنايدر» التى ماتت فجاة ، وكانت من المع وارق ممثلات فرنسا ، واكثرهن شهرة .. والممثلة الامريكية السابقة «جريس كيلى» اميرة موناكو والتى راحت ضحية حادث سيارة .. والممثل الفرنسى الشاب «باتريك ديفار» الذى انتحر يأساً ، بالرغم من انه كان من نجوم الصف الأول فى السينما الفرنسية .

ومن المخرجين : رحل المخرج الامريكى كنج فيدور ـ والالمانى فاسبندر ـ والفرنسى جاك تاتى ـ والايطالى إليو بترى .

● والسينما مستمرة

ولا تتوقف رحلة البحث عن الجديد والمثير .. حتى تستمر صناعة السينما .

واذا كانت سينما ٨٢ .. بشرت بعودة الأفلام السياسية .. واعطت وثائق النجاح لعدد كبير من المخرجين الشبان .

فان المخرجين الكبار اصحاب التجارب الهامة والخبرة الطويلة .. زادت مسئوليتهم فى البحث عن موضوع يتابعون به تاريخهم الفنى .

وقد شهد عام ٨٢ عودة كبار المخرجين للعمل .. فالمخرج السويدى «انجمار برجمان» يعود الى بلده السويد .. بعد غياب لعدة سنوات .. ويصور فى استوكهولم فيلمه الجديد «فانى والكسندر» انتاج مشترك مع فرنسا .. ويعلن برجمان ان هذا الفيلم سيكون آخر افلامه وسيتفرغ بعدها للمسرح .

والمخرج الايطالى الكبير «اندريكو فيلليني» يعود للعمل بفيلم « .. وتبحر السفينة» والذى يصوره بالكامل داخل استوديوهات روما ..

وايضاً يعود المخرج الايطالى «لويجى كومنشينى» للعمل فى فيلم عن الارهاب تلعب بطولته «ماريا شنيدر» .

وبعد خمس سنوات من الغياب .. يعود المخرج الامريكى «آرثر بن» للسينما ويخرج فيلم «اربعة اصدقاء» عن قصة ثلاثة من الرجال وفتاة تربطهم الصداقة فى السنوات من ٥٠ ـ ٨٠ بامريكا .

وعن امريكا ايضاً .. يحقق المخرج «سرجيو ليونى» حلمه الذى طالما انتظر الفرصة لتحقيقه وطال الزمن لعشر سنوات .. ثم واتته الفرصة ليبدأ اخراج «كان ياما كان فى امريكا» بطولة «روبرت دى نيرو» .

وبين آلام الأزمة المالية التى يعيشها المخرج الامريكى «كوبولا» .. يستعد لاخراج فيلم جديد يداوى به جراحه الخاصة .

وهكذا تمضى الحياة .. ونستقبل عاماً جديداً .. نتمنى فيه ان تقترب السينما من حياة الفرد العادى لتقف معه ضد كل ما يواجهه من مشاكل

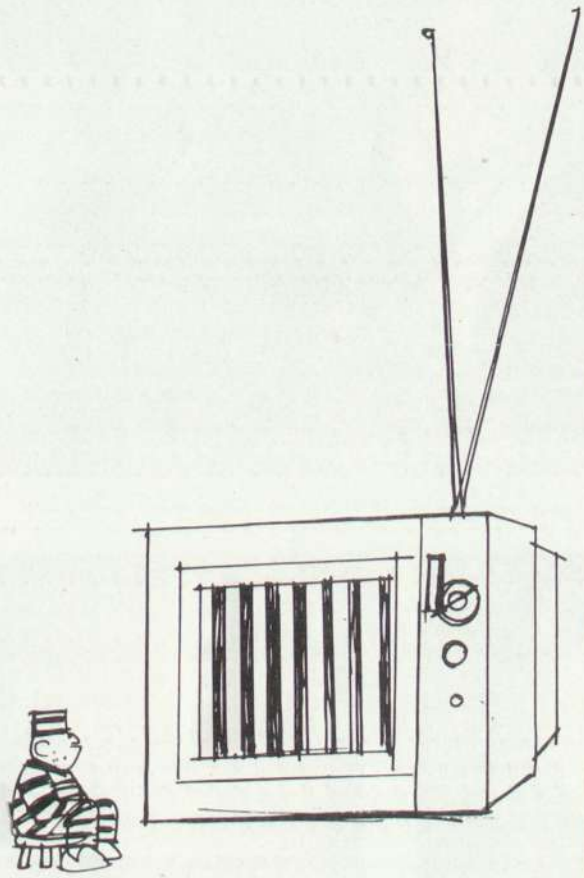
«رءوف توفيق»



ضحكات الشهر

صلاح البشتي

الأستاذ جو
وابتسامات
أخرى



ـ « في السجن » !



ـ سيب هدومي .. هو انا حطير .. ؟؟



ـ .. فاكر زمان لما كانت الجريدة فاضية ومفيهاش حاجة .. ؟!



اسكيمو ـ انقذني من هذا الهـم ..
إني أبرد .. أبرد .. ابرد .. !!



« البرد »
واحد ـ خلينـا نشـوفك .. !!



ـ علاج لمعدتي المريضة .. امر الطبيب أكل ..
مسروق .. !!



بدون كلام .. !!



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حاول أن تعرف

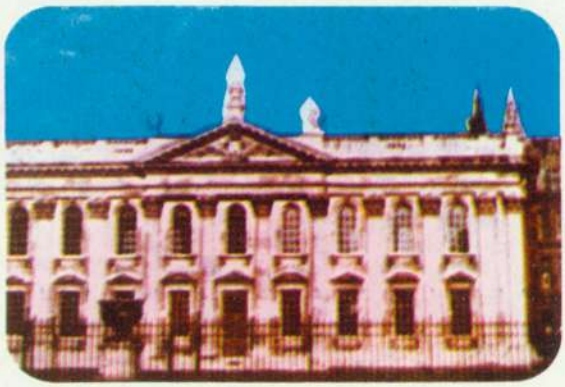


لعبت هذه المدينة دوراً كبيراً فى الشرق العربي قبل أن تصبح عاصمة للعالم العربي في زمن الامويين ، غير ان موقعها ساعدها على أن تصبح مركزاً تجارياً هاماً ، وعاصمة كبيرة ،وفيها يوجد مسجد شهير تعرف مئذنته باسم (مئذنة العروس) هل يمكنك معرفة اسم المدينة واسم المسجد ؟



مقطوعاته الموسيقية الكلاسيكية ممتعة ، فهي متداخلة ومرسومة باحكام يكاد يكون حسابياً . ولد بالمانيا وعاش بليبزج . ولم تنشر أعماله إلا بعد وفاته .
من هو هذا الموسيقي ؟ .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨٣



الصورة الأولى :
جامعة كمبردج بانجلترا .
ـ أسماء الفائزين :
● ماهر اسماعيل ـ الزقازيق مصر .
ـ علي صباح علي ـ الكويت .



الصورة الثانية :
ـ مؤسس علم الكيمياء الحديثة هو أبو بكر الرازى :
ـ مصطفى محمد نديم ـ الشارقة .
ـ عبد الله حسن سلطان ـ دمشق

نابليون لا يصافح الخونة !



في إحدى المعارك تقدم من نابليون بونابرت ضابط نمساوى ، وأعطاه معلومات أعانته على كسب المعركة التى يخوضها ، ولما جاء الضابط النمساوى إلى نابليون رآه ممتطيا جواداً ، ولما دنا منه رمى له بصرة من الذهب على الأرض . فقال له الضابط : ولكنني أريد أن أحظى بشرف مصافحة الامبراطور .. فقال له نابليون : هذا الذهب لأمثالك ، أما يدي فلا تصافح رجلا يخون وطنه ! .

باخوشي محمد
المغرب

نوادر عربية



عرف (الأعمش) بخفة ظله وسرعة جوابه ، ومن نوادره أن وحشة وقعت بينه وبين امرأته ، فسأل بعض أصحابه أن يرضيها ويصلح ما بينهما ، فدخل إليها وقال : إن أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ، ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ، وجمود كفيه .

فقال الأعمش : قبحك الله ! فقد أريتها من عيوبي مالم تكن تعرفه ! .

وطلبت ابنته منه ذات مرة حاجة لها، فحجبها بالرد ، فقالت : والله ما أعجب منك .. ولكني أعجب من قوم زوجوك أمي ! .

محمد عبد الحكيم القاهرة

لقطة الشهر



جني العنب في تونس

كلمات لها معنى

- في كثير من الروايات ينتهي الحب بالزواج . « أحمد أمين »
- الحب يقهر كل شيء ما عدا الفقر وألم الأسنان . « ماي وست »
- الانسان يفقد نفسه مع الحب عندما يجيء متأخراً « هنا كاولي »
- الحب كالنار .. لا تتركنا إلا رماداً . « جون كيتس »
- من يناقش الحب طويلا .. يفقده . « جوزيف اديسون »
- أجمل البلاد حيث يقيم الأحباء .. واخصب بقعة حيث تطأ قدم الحبيبة . « جلال الدين الرومي »
- الحب هو أسرع وأفضل وسيلة تخلصنا من الشعور بالوحدة والقلق .. « جين أوستن »
- ليس هناك ثروة فى الدنيا تعادل ثروة الحب . « ماري كوريللي »

خليفة العامري ـ البحرين

دوحة القراء



مسابقة الدوحة

مَن ؟

قائد عربى ادت الخيانة الى هزيمته (منذ قرن كامل) وبذلك تربع الاحتلال الأوروبى على صدر الوطن العربى واقام الدولة الصهيونية ، ولازال الوطن العربى كله يعانى آثار هزيمة ذلك القائد العظيم . اسمه من كلمتين فى تسعة احرف : ـ

٩ ـ ٤ ـ ١ ـ ٥ ـ ٨ يلاطف او يلاعب .

٧ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٦ لـــــون الهيموجلوبين .

أين ؟

الموقعة الفاصلة التى هزم فيها ذلك البطل سنة ١٨٨٢ وكانت فاتحة البلاء على الوطن العربى باسره . اسمها من كلمتين فى عشرة أحرف : ـ

١ ـ ٦ ـ ٢ ـ ٩ ـ ٤ نصف اليوم الأرضى .

٨ ـ ١٠ ـ ٧ ـ ٣ ـ ٥ الناقتان جلستا .

ما ؟

الخبرة المثلى التى ميز الله بها بنى آدم وخصهم بها عن بقية الحيوانات . كلمة من سبعة احرف : ـ

٣ ـ ٢ ـ ٦ ـ ٧ انثى حيوان اليف .

٥ ـ ٤ ـ ١ ـ ٣ جاءك .

الإجابة الصحيحة

(١) الاتجاه الجغرافى من باب المندب الى البحيرات المرة الكبرى شمال غربى ـ شمال شرقى ـ شمالى .

(٢) وقعت معاهدة القسطنطينية الخاصة بتدويل قناة السويس : سنة ١٨٨٨ ـ ١٨٠٨ ـ ١٧٠٨

(٣) «إذا احترق الماس ينتج عنه ثانى اوكسيد الكربون» هل هذه العبارة صحيحة علميا ولماذا ؟؟

(٤) ولا تجلس الى اهل الدنايا فان خلائق السفهاء تعدى من قال هذا البيت ، وفى اى قرن هجرى ؟؟

(٥) وردت كلمة (نعم) فى القران الكريم :

اربع مرات ـ مرة واحدة ـ لم ترد

(٦) رتب الوان الضوء التالية من الأطول موجة الى الاقصر موجة : الأخضر ـ الأصفر ـ البنفسجى ـ الأحمر .

(٧) مؤلف كتاب (الاعراب عن قواعد الاعراب) فى القرن الثامن الهجرى هو العلامة :

ابن هشام الانصارى ـ ابن زيدون الأندلسى ـ ابن إياس المصرى .

(٨) قلعة الزيارة تقع فى الشمال الغربى لشبه جزيرة :

سيناء ـ قطر ـ كامشاتكا .

(٩) شجرة الدخان تتبع فصيلة النباتات :

الباذنجانية ـ البقولية ـ النجيلية .

(١٠) اقدم القبائل العربية التى سكنت فلسطين قبل ارتحال سيدنا ابراهيم عليه السلام اليها هم :

الكنعانيون ـ الثموديون ـ الحويطات .

حل مسابقة العدد ٨٣

من : سانت كاترين .
اين : سيناء .
ما : الحقد .

الاجابة الصحيحة

١ ـ البوتاسيوم .
٢ ـ العبارة غير صحيحة علميا لان السليولوز مادة نباتية
٣ ـ من يهن يسهل الهوان عليه .
ما لجرح بميت إيلام
قائله : ابو الطيب المتنبى .
٤ ـ مصر .
٥ ـ واشنجطون .
٦ ـ الزواحف .
٧ ـ بتهوفن .
٨ ـ ١٨٠٧
٩ ـ ثقيف .
١٠ ـ ٤٠,٠٨

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ اصل وصورة :
الحل : الاختلافات : البالون ـ فم الطفل ـ فستان الطفلة ـ حذاء الأم ـ شعر الأم ـ كم فستان الأم ـ نهاية فستان الأم .
الفائز : مصطفى يوسف عبد السلام ج.م.ع
الفائزة : لولوة حسن القوتى ـ البحرين
٢ ـ لوحة لم تتم الحل : محمد علي كلاى
الفائز : عبد المنعم الشـــيخ ـ السودان
الفائز : هاشم زين محمـد : مصر
٣ ـ لعبة الظلال : الحل : رقم (٣)
الفائـزة : فاطمـــة عـــروة ـ تونـــس
الفائـز : علـي حمـاد علـــي ـ ليبيـــا
٤ ـ المثل يقول :
الحل : حكم القوى على الضعيف
الفائـز : هشام حنفي محمود مصر.

أسماء الفائزين

● فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة : فوزية عبد المنعم نجم ـ جمهورية مصر العربية .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : يوسف احمد حسن آدم ـ السودان .

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشترك لمدة نصف سنة القارىء مرشدى محمد مرشدى ـ السعودية .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ يعقوب سليم ابو طالب ـ قطر
٢ ـ رجاء سليم عدي ـ الامارات العربية
٣ ـ مرح محمد مروان ـ الكويت
٤ ـ ماهر يوسف منصور ـ سوريا
٥ ـ فتحى عبد الواسع هائل ـ اليمن الشمالي
٦ ـ نوال محمود القطامى ـ الاردن
٧ ـ رمضان مفتاح البكورى ـ ليبيا
٨ ـ مامون احمد شمان ـ البحرين
٩ ـ عبد الرزاق الجزار ـ العراق
١٠ ـ محمد ابراهيم السمدونى ـ مصر

استراحة الدوحة العدد ٨٣

الفائز : محسن خفاجى محسب ـ ج.م.ع
٥ ـ لاقوياء الملاحظة :
الحل : ظرف خطاب ـ ورقة شجر ـ زهرة (وردة) ـ دبوس (ابرة) ـ ريشة كتابة ـ محبرة .
الفائز : فيصل خوجلى ـ السعودية
الفائز : احمد علي المعودى ـ ليبيا
٦ ـ هات اجمل تعليق :
التعليق : يا واد يا تقيل : التعليق : غريبة .. مع انى دمى خفيف .
الفائز : عبد الله الشاعر الدرمكى الامارات
الفائز : محمود حاج ابراهيم ـ سوريا
٧ ـ يخلق من الشبه اربعين :
الحل : الصورة رقم (٣)
الفائز : لارك عبد الله محمد ـ سلطنة عمان
الفائز : سمير احمد الشريف ـ الاردن

زرقاء اليمامة

(اليمامة) اسم بلد فى الجزيرة العربية . ونسبة (الزرقاء) إليها كانت بحكم اقامة عشيرتها (بني جديس) في حي من احياء اليمامة .

ذكر الجاحظ انها كانت من بنات نعمان بن عاد ، وأن اسمها (عنز) ، اشتهرت بحدة البصر ، حتى قيل عنها إنها كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام . وذكر عنها أنها نظرت الى سرب من الحمام ، وهو طائر ، فعرفت عدده بسرعة .



وعرفت فيما بعد أن عدد سرب الحمام كان ٩٩ حمامة .. وعندما قتلت عشيرتها ـ جديس ـ طسما ، خرج رجل من عشيرة طسم إلى حسان بن نبع ، فاستعان به على جديس ورغبه في الغنائم ، فجهز إليهم جيشا ، فلما صار على مسيرة ثلاث ليال من أحياء جديس ، أمر قائده أن يحمل كل رجل شجرة ، حتى لا تكتشف الزرقاء وجود هذا الجيش وتنذر قومها بقدومه .. وجاءت الزرقاء الى قومها تنذرهم ، فقالت : يا قوم قد اتتكم الشجر ، أو أتتكم حمير عشيرة حسان ، فلم يصدقوها ، فقالت على طريقة الرجز : أقسم بالله لقد دب الشجر .. أو حمير قد أخذ شيئا يجر ... فلم يصدقوها أيضا ، فقالت أحلف بالله .. لقد أرى رجلا ينهش كتفا ، وساق مواشيهم حتى فاجأهم حسان مع الفجر ، واجتاحهم ، وساق مواشيهم ونساءهم ، ومعهم الزرقاء . فشق عينيها ، فاذا فيها عروق سود من الكحل الأسود ، وكانت أول امرأة من العرب اكتحلت (بالاثمد) الكحل ..

السيد محمد شفيق القاهرة

وفاء الأرملة !

قال الهيثم بن عدي : كان في بني عامر بن صعصعة امرأة توفى زوجها ، ومضى وقت فتساءل الناس عنها ، وكان لها ابنا عم من أحسن الشباب ، فقالا لأبيها : ابنتك وحيدة وشابة ، والقول فى مثلها يسهل وينتشر ، ونريد أن تختار أحدنا . فأطرق والدها ، ثم استدعاها وأخبرها بما قالا ... فسكتت ، ثم التفتت الى ابني عمها وقالت :

فان تسألاني عن هواي فانه
مضى وانقضى يا أيها الفتيان
وإني لأستحييه ، والموت بيننا
كما كنت أستحييه حين يراني

ثم انصرفت ، فيئسا منها وذهبا وتركاها !

بابكر يوسف اليمن

استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف

أصل وصورة





بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع ان تتعرف عليها .. ؟ (جائزة ٦٠ ريالا) .

لأقوياء الملاحظة فقط!



امامك رسوم لسبعة اشياء متداخلة .. هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. إذا عرفت الحل ارسله الينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

خيال من ؟



هل تستطيع التعرف على صاحب هذا الخيال ؟ مع العلم بانه لرئيس دولة اجنبية سابق . حاول وارسل الحل الينا .. (ولك جائزة ٦٠ ريالا) .

لعبة الظلال



هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ؟ .. إذا عرفت .. ارسل الحل (الجائزة ٦٠ ريالا)

هات أجمل تعليق :



حاول أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الكاريكاتير لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) على أن تكتب أعلى الظرف . مسابقة أجمل تعليق !

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لستة اشخاص يشبهون الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل .. من بين هذه الشخصيات واحدة فقط تشبهه تماما ، وفى البقية اختلافات بسيطة ، إذا استطعت التعرف على شبيه الصحفى الكبير .. ارسله الينا لتحصل على الجائزة(٦٠ ريالا)

المثل يقول



إن هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى .. حاول معرفته وارسله الينا .. ولك جائزة .. (٦٠ ريالا)

أيها الوطن: ماتزال عذباً كالحزن!

بقلم: بشرى ناصر

حينما تغادر الوطن .. تعرف كم هو اليف .. وتحس كم هو قريب .. ينام معك .. ويشرب الشاى معك ..

ولكنه حين يصبح جريحا .. لا تعرف كم انت موجع .. ولا تستطيع ان توقف ذلك النزف الذى ينزف من اعماقك ـ تقف تائها وحائراً عن إيجاد اى طقس يوصلك الى تلك البلاد التى خاصمتها الافراح .. وكادت ان توقف نبضها .. تلك الطغمة الباغية التى جاءت لتسيطر على الأرض والغرس ..

تفتح دفترك لتنشد اغنية عن الفرح فتعجز ..

إن الأحباء كلهم .. اولئك الذين تعرفهم ولا تعرفهم باى شكل تاتيهم بمواسم الفرح ؟

تفرد جناحيك بابعد امتدادهما فتعجز .. نبضك مايزال حياً واوجاعك لم تزل بعد لينة ...

استهلكناك كثيراً .. اصبحنا نمتص دمك فى كل لحظة .. فمتى نتوقف عن معاملتك كصبية مراهقة تصحو على كلمات الغزل الرخيص .. وتنام وتحت وسادتها احلام ساذجة ؟

لقد كبرت ايها الوطن وازددت نضجا .. لم تعد بحاجة الى الهتافات .. لم تعد تنطلى عليك حكاياتنا المكررة وامسياتنا الشعرية التى نتخيل انفسنا نرفعك بين ايدينا بينما نحن نمتطيك للحصول على ارضاء ذواتنا ..

كم انت طيب وصبور .. تتحمل كل هفواتنا وزلاتنا ..

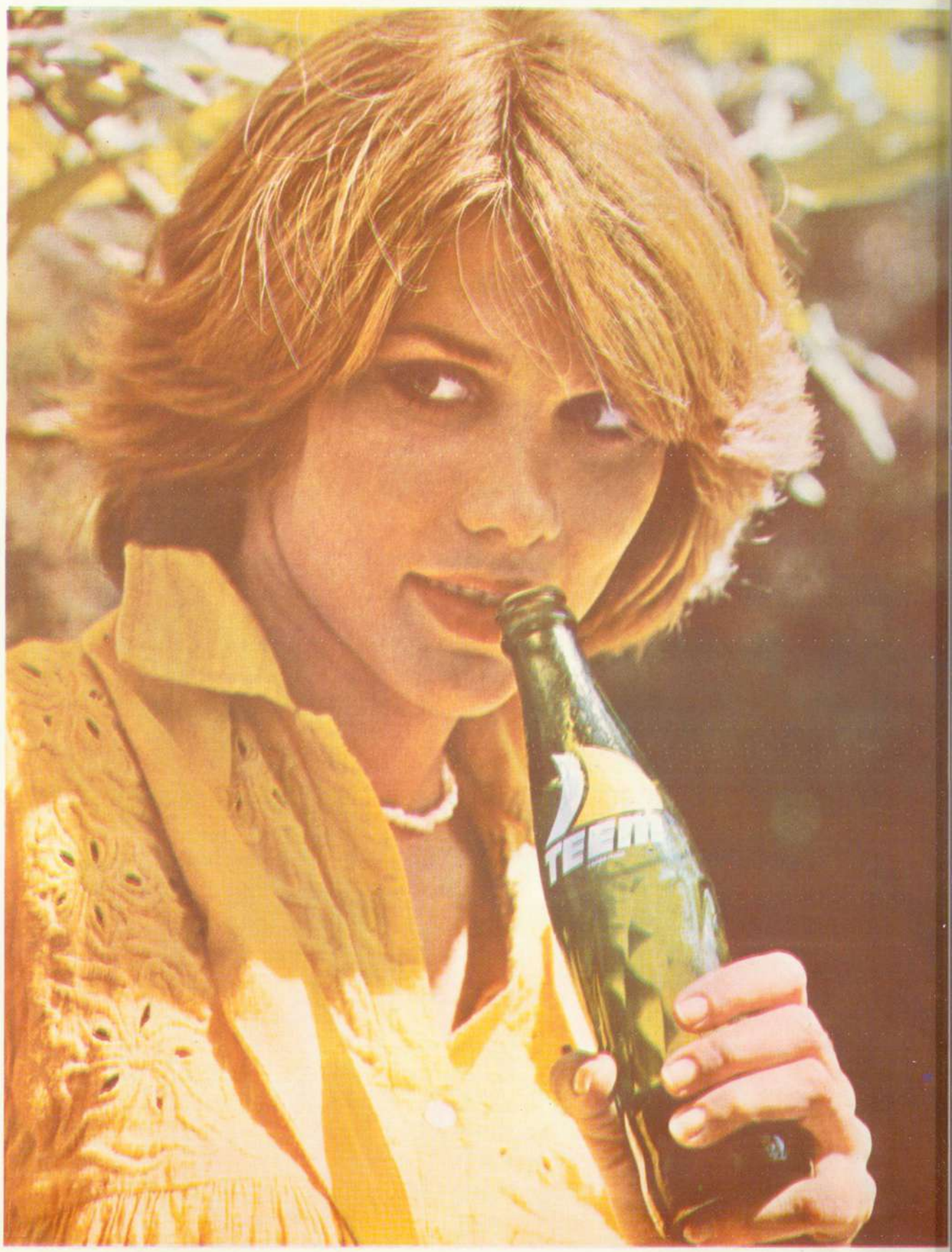
نتناسى دائما انك أم وحبيبة .. نغضب منك بقصائدنا العنيدة .. ومرثياتنا التى نسطرها باسمك .. يقطعون اوصالك ونجلس عند قدميك او راسك نتباكى وننوح كالأرامل ..

نستذكر خصالك الرائعة وطفولتك اليافعة .

وحين يجن الليل نسقط برؤوسنا ونحلم .. تمتد اجنحتك فينا ونغادر مع الحلم .. نراك نجمة .. ونراك قصيدة .

ايها الوطن الوردة :

ماتزال جميلا كالبحر .. وماتزال عذباً كالحزن .. فمتى نكف يا صديقى عن معانقة الآمال ، والبحث فى أوراق ذاكرتنا عن ابتسامتك الساحرة ، لنغزل من خيوط احلامنا ازهاراً ؟



إرو عَطشَك مَع

تيم



وجـــــه للفنان السوري : لؤي كيالي